مرفق معه
قرص DVD يتضمن
فيلماً وثائقياً
عن الأمير

الوليد

الملياردير • رجل الأعمال • الأمير

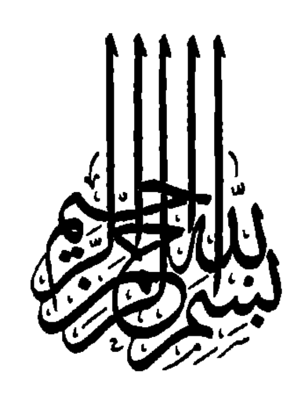
ريز خان

زين العابدين

مجلة الإبتسامة



زين العابدين
مجلة الإبتسامة



يضم هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
ALWALEED
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر
Published by arrangement with William Morrow,
an imprint of HarperCollins *Publishers*
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم



الوليد

الملياردير . رجل الأعمال . الأمير

إعداد

ريز خان

ترجمة

عمر سعيد الأيوبي



الدار العربية للعلوم

Arab Scientific Publishers

ISBN 9953-29-895-5

الطبعة الأولى

1426 هـ - 2005 م



الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 860138 - 785108 - 785107 (1-961)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611)

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611)

التجليد: مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد، بيروت - هاتف 455000 (9611)

المحتويات

زين العابدين
مجلة الإبتسامة

تقديم

بقلم الرئيس جيمي كارتر

الأمير الوليد رجل أعمال ناجح يهتم بدعم الشؤون الإنسانية والخيرية ومناصرة الحقوق المدنية بشدة، ويبذل الكثير من الجهد لمكافحة الفقر وتعزيز حقوق المرأة وتطوير مجاليّ التعليم والرعاية الصحيّة. كما أنّه يلعب دوراً فاعلاً في دعم جهود مركز كارتر لتقوية العلاقات بين الولايات المتحدة والعالمين العربيّ والإسلاميّ. وأودّ أنا وزوجتي روزالين أن نعبّر عن امتناننا العميق لشراكته لنا في مهمّتنا لنشر السلام ومكافحة الأمراض وبناء الأمل في جميع أنحاء العالم.

زين العابدين
مجلة الإبتسامة

مُقـَـدِّمــَـة

من منّا لا يحلم بربح اليانصيب؟

من السهل وضع الخطط عندما تتوفّر ملايين الدولارات، وربّما يكون إنفاق الملايين سهلاً ولا يحتاج إلى تفكير كبير.

لكن ما الذي يمكن أن تفعله بواحد وعشرين ملياراً ونصف من الدولارات؟

ألا تصبح الحياة أكثر تعقيداً؟

هذه هي القيمة المقدّرة لموضوع هذا الكتاب فيما أشرع في كتابته.

بعد مرور عام على لقائي وجهاً لوجه بصاحب السموّ الملكي الأمير الوليد بـــن طلال بن عبد العزيز آل سعود، ارتفعت قيمة استثماراته 3.8 مليار دولار بحسب مجلّة فوربس (*Forbes*)، وهي المجلّة التي تتابع أخبار الأثرياء والمشاهير. وذلك يقدّر بنحـــو 10.4 مليون دولار في اليوم، أو 434000 دولار في الساعة – أو أكثر قليلاً مـــن 120 دولاراً في الثانية. وفي قائمة فوربس لسنة 2005، وصلت ثروته إلى 23.7 مليار دولار.

في العام 2004، أدرجت مجلّة "فوربس" الأمير الوليد كرابع أغنى رجل في العالم. وفي تلك السنة أحصت المجلّة ما مجموعه 587 مليارديراً، نصفهم تقريبـــاً – أي 277 – من الولايات المتحدة. وكان هناك عربيّ واحد في قائمة أغنى 30 شخصيّة.

قبل ذلك ببضع سنوات، وصفت "فوربس" الأمير الوليد بأنّه "ثـــاني أكثـــر رجال الأعمال نفوذاً في العالم بعد بيل غيتس

لقد صدرت كتب عديدة عن أمثال بيل غيتس، ووارن بافيت وبول ألـــن – وهم من بين أغنى خمسة أشخاص في العالم. وهـــي تُجمـــل في العـــادة قصـــص شركاتهم، أو تقترح نماذج أعمال يمكن أن يجرّبها الأشخاص العـــاديّون في محاولـــة لمحاكاة هذا النجاح الماليّ الكبير. وثمّة أشـــخاص غيرهـــم في القائمـــة يمتلكـــون شخصيات منعزلة أو متوحّدة، ولا تستند المعلومات حول حياتهم علـــى الوقـــائع المثبتة أو الأرقام وإنّما إلى التخمين والحدس.

كان الأمير الوليد من بين الفئة الأخيرة إلى أن برز اسمه في الصحافة الماليّـة في أوائل التسعينيّات، عندما أصبح أكبر المساهمين في سيتي كورب (Citicorp) – مجموعة سيتي (Citigroup) اليوم – لكنّ قصّته الكاملة لم تعلن على الملأ حتى الآن. وكان عليّ أن أجري مقابلات مع عدد من الأشخاص المهمّين لجمع المعلومات التفصيليّة عن كيفيّة حدوث كل ذلك.

فيما يتصل بهذه السيرة الذاتيّة التي عُهد إليّ بكتابتها، كلّف الأمير الوليد بعض المسؤولين في مجموعة سيتي، بمن فيهم المصرفيّ الخاصّ لديه، مايك جنسن، بمقابلتي وإطلاعي على أعمال الأمير المصرفيّة والاستثماريّة وأنشطته الأخرى.

عندما التقيت بالأمير في تشرين الأول/أكتوبر 2002، احترت في وصفه. وذلك هو في الواقع ردّ فعل معظم من التقى به. إنه سريع البديهة، ومنظّم بشكل مدهش، ومزيج فريد من الشرق الأوسط والغرب. في العالم العربيّ، تتفوّق صورة الأمير الوليد على سيرته، فيما تتفوّق مُثُله على سيرته على الصعيد العالميّ. تجد استثماراته في كل ما تمسّه أو تراه تقريباً في هذا العالم، في عالم المال، والفنادق، ووسائل الإعلام، والتكنولوجيا، والسلع التي تباع بالتجزئة، والزراعة، والأغذية، وتطول اللائحة.

كيف تمكّن هذا الرجل من امتلاك هذه الثروة الطائلة؟

والأهمّ من ذلك، كيف جُبل على النجاح حتى أصبح هو والنجاح مثْلين؟

إنّ ما يميّز الأمير الوليد عن معظم من في اللائحة هو أنّ أمواله لم تتأتَّ من منتَج مبتكر رابح واحد، مثل مايكروسوفت (Microsoft) التي أسّسها بيل غيتس، أو أوراكل (Oracle) لمؤسّسها لاري إليسون، أو مخازن وال – مارت (Wal-Mart) لعائلة والتون.

بل إنّ ما يجعله أكثر تميّزاً هو أنّه عربيّ – لا يمتلك أموالاً نفطيّة – صنع ثروته على غرار المستثمر الأمريكيّ القدير، وارن بافيت، بممارسة الأعمال على الطريقة الغربيّة، والربح في وول ستريت. ١٠٧٨٤٧

لقد بنى الأمير محفظة استثماراته المتنوّعة بطريقة استراتيجيّة، وهو بدون شكّ أنجح المستثمرين من خارج الولايات المتحدة بالحكم على نتائج استثماراته على المدى الطويل.

ويمكن القول مما شهدته إنّه أكثر أصحاب المليارات في العالم اجتهاداً في العمل.

ما الذي يجعله حقّاً صاحب شخصيّة بارزة ومتميّزة؟

إنّه مسلم وعربيّ ومن عائلة مالكة. وأيّ واحدة من هذه الصفات تكفي لكي تجعله محلاً لقدر مدهش من التخمين، والإعجاب، والغيرة، والفضول.

لقد ترك الأمير الوليد بصمته في العالم، سواء أحببت ذلك أم كرهت، وأحرز نجاحات تجاريّة طبّقت شهرتها الآفاق. ويمكن أن يكون كل نجاح بحدّ ذاته صفقة عمر لرجل أعمال عاديّ، تحقّق له ما يكفي من الدخل ليتقاعد وهو يمتلك ثروة طائلة.

إخفاقاته قليلة، مع أنّها حظيت بتغطية إعلاميّة كبيرة، لكنّها تمثّل نسبة ضئيلة من ثروته الإجماليّة بحيث يستطيع التغاضي عنها بكل ارتياح.

لقد احتلّ الأمير الوليد عناوين الأخبار الرئيسيّة في كل أنحاء العالم لفترات وجيزة في أوقات مختلفة بفضل التنوّع الكبير لاستثماراته.

في الولايات المتحدة، ترك الأمير بصمته في وول ستريت بفضل إقدامه على إنقاذ مصرف سيتي بنك (Citibank) المتعثّر في العام 1991، وحظي بشهرة واسعة لدى الرأي العامّ العالمي عندما سافر إلى نيويورك عقب هجمات 11 أيلول/سبتمبر وعرض مبلغ 10 ملايين دولار على عمدة المدينة رودولف جولياني لتمويل صندوق ضحايا برجي مركز التجارة العالميّة، وهو ما رُفض بعد التعليقات التي أدلى بها الأمير في مؤتمر صحفيّ عُقد في الوقت نفسه.

لم يكن ذلك الحدث مهمّاً جدّاً حقّاً في الصورة الإجماليّة لسيرة الأمير، لكنّه نال اهتماماً إعلاميّاً كبيراً فاق كل الأبعاد. ومن المفارقة أنّ كثيراً من الأشخاص في الغرب بدؤوا يسمعون باسمه بسبب ذلك، وهو ما دعاني إلى افتتاح الكتاب برواية ما حدث، محاولاً أن ألقي نظرة شاملة على الموضوع. بيد أنّني أعتقد بأنّكم ستجدون بقيّة قصّة الوليد أكثر جاذبيّة وإثارة للاهتمام بكثير.

إنّه معروف لدى العديد من البريطانيّين بأنّه رجل "كناري وارف" (Canary Wharf)، نظراً لاستثماراته الهائلة وكفالته أكبر مشروع عقاريّ أوروبيّ في قلب الأراضي المحيطة بمنطقة دوكلاندز في لندن.

وهو بالنسبة للإيطاليّين الرجل الذي تشارك مع زعيمهم، سيلفيو بيرلوسكوني، في صفقة إعلاميّة كبيرة، في حين أنّه في كوريا الرجل الشرق أوسطيّ الذي استثمر أمواله في اقتصادهم عندما كان بأمسّ الحاجة إليها.

وهو بالنسبة للفرنسيّين رجل "يورو ديزني"، لأنّه دعم مدينة الألعاب تلك الموجودة في ضاحية باريس - وهي صفقة لم تدرّ على الأمير أي أرباح بعد - كما اكتسب شهرة في البلد لشرائه فندق جورج الخامس في قلب العاصمة الفرنسيّة وتجديده، ما جعله أفضل فندق في العالم.

وهو في لبنان الأمير السعوديّ الغامض صاحب الميراث اللبناني التليد (كان جدّه أول رئيس وزراء للبلد بعد نيله الاستقلال) الذي يُلهب المشهد السياسيّ بتعليقاته السياسيّة المثيرة للجدل في وسائل الإعلام. كما أنّه معروف كمستثمر كبير في ذلك البلد.

وهو بالنسبة للسعوديّين أكبر رجال الأعمال قاطبة في البلاد وأكثر أفراد العائلة المالكة غير الحكوميّين شهرة.

إنّه الوليد.

تطوّر اهتماميّ الأصليّ في كتابة مقالة عنه وإجراء مقابلة تلفزيونيّة معه بسرعة كبيرة إلى سيرة ذاتيّة وفيلم وثائقيّ شخصيّ بإجازة منه. كنت قد سمعت الكثير من الأقاويل والشائعات التي تدور حوله؛ من أنّه يعمل لحساب وكالة الاستخبارات المركزيّة (السي آي إيه)، إلى غسل أموال أثرياء آخرين، إلى كونه صنيعة صفقة سيتي بنك التي وضعته في لائحة رجال الأعمال العالميّين من أصحاب المليارات.

بعد بعض التفكير، وافق الأمير على منحي فرصة النفاذ إلى حياته والأشخاص المحيطين به. وكانت فرصة للولوج إلى عالمه بشكل مباشر، ورؤيته وهو يعمل كرجل أعمال، والاستماع إلى استراتيجيّاته التي يقولها همساً في اجتماعات رفيعة المستوى، وفتح الأبواب لدخول قصره، والركوب على متن يخته الكبير، والاجتماع بأشخاص عرفوه قبل أن يبني إمبراطوريّة أعماله المترامية. وتلك مهمّة لم يستطع الصحافيّ المقيم بداخلي رفضها.

لقد أوحى لي الوقت الذي أمضيته معه بعنوان الكتاب أيضاً. فقد أدركت أنّ اسمه، الوليد، وهو صيغة التعريف التكريميّة لاسم وليد الذي يحمله، أصبح نوعاً من اسم خاصّ به. فعندما يُذكر اسم "الوليد" أمام معظم العرب، يفترضون بصورة تلقائيّة أنّه الأمير الوليد بن طلال. وسرعان ما لاحظت شدّة تركيزه كرجل

أعمال، ومقدار الدور المركزيّ الذي يلعبه العمل في حياته. وأنّ ارتقـاءه ليصبح ملياردیراً نتج عن صفقات الأعمال التي عقدها، كما أنّ مكانته الملكيّة ليست سوى أمر عارض في كل ما يتصل بالأعمال من حوله. ومن ثمّ جاء التسلسل التالي "ملياردير و"رجل أعمال" و"أمير" في عنوان الكتاب.

لقد كان من الصعب جدّاً مجاراة الأمير لمدّة تزيد عن العام وهو يتنقّل بالطائرة حول العالم - وغالباً ما يزور بلدين في يوم واحد - لكن تيسّر لي أن أراه على حقيقته في الجدّ والمرح، وسرعان ما أدركت أنّ قصّته فريدة وأصيلة في آن.

لقد أدهشتني أشياء كثيرة اكتشفتها عن الأمير الوليد. عقله الثاقب الذي لا يخفّف من جموحه سوى الإحباط من عدم قدرة الآخرين على مجاراته. وطبيعته الاجتماعيّة الأنيسة التي تحصّنه من الوحدة التي يشعر بها من عليهم التركيز على حماية ثرواتهم من الانتهازيّين. وصرامته في إدارة أدق الأمور في أعماله التي لا يوازنها سوى علاقته المسترخيّة والدافئة والوثيقة بابنه وابنته.

طالما عانى العرب من القوالب النمطيّة التي تفرض عليهم، من حيث إنهم متعصّبون دينيّون وإرهابيّون، أو من حيث إنهم أشخاص غير محنّكين ويفتقرون إلى التعليم، يحملون محافظ منتفخة بالأموال النفطيّة. وقد أساء كثير من الأغنياء العرب إلى أنفسهم أثناء الفورة النفطيّة في السبعينيّات، عندما تدفّقوا على بوتيكات لندن، وباريس، وجنيف، ونيويورك ودفعوا أموالاً طائلة ثمناً لسلع خاصة يرغبون بها ذات ذوق رديء. وتلك لسوء الحظّ صورة استغرق اضمحلالها زمناً طويلاً، وهي صورة لا يزال العالم العربيّ يكافح ضدّها، رغم ظهور جيل جديد من الأشخاص المتعلّمين وكثيري الاسفار والتجوال في الشرق الأوسط، والراغبين في اعتناق أنماط الحياة والأذواق الغربيّة وتقبّلها.

ثمة أمور كثيرة بحاجة إلى تغيير في المملكة العربيّة السعوديّة. بل إنّ أهلها أنفسهم يدركون ذلك، وقد بدؤوا في سلوك طريق الإصلاح. والأمير الوليد بن طلال يناصر ذلك الإصلاح بقوّة تزداد يوماً بعد يوم. وهو الآن يتحدّث بصراحة أكبر عن الدور المحتمل الذي يمكن أن يلعبه كمصلح اجتماعيّ واقتصاديّ، وربما كجسر للعبور بين الشرق الأوسط والغرب، بعد أن كان ينكر أي اهتمام في ممارسة السياسة حتى نهاية العام 2003.

إنّ العلاقات بين العالمين العربيّ والغربيّ متوتّرة جدّاً. إذ يُنظر إلى الإسلام نظرة ارتياب، لا سيما في الولايات المتحدة. ويرى جانب كبير من العـــالم العـــربيّ أنّ الولايات المتحدة ظالمة، لا سيّما في ظل الإجراءات العسكريّة التي اعتمـــدها إدارة الرئيس جورج دبليو بوش المحافظة هناك.

وساهم انقطاع الاتصالات الذي نتج عن ذلك في رفع التوتّر، وتدهور نوعيّة حياة الجميع تقريباً، وإلحاق الضرر بالاقتصاد العالميّ.

ونظراً لأنّ الأمير الوليد أكبر مستثمر أجنبيّ منفرد في الاقتصاد الأمريكيّ، لم يكن لديه نفوذ فقط، وإنّما مصلحة في ردم الهوّة التي تفصل بين هاتين النـــاحيتين المهمّتين من العالم. وفي السنة الماضية أو نحوها، شهدتُ تغيّراً في هذا الاتجاه. لقـــد أصبح دافع الأعمال لديه أقوى من ذي قبل - وسأكتب عن جذور ذلك في طيّات هذا الكتاب - لكنّه أخذ يصبح الآن أكثر نضجاً كلاعب سياسيّ فاعل ومحســـن محبّ للأعمال الخيريّة.

لماذا يمكن أن ترغب في معرفة المزيد عن الأمير الوليد؟

هناك شيء من الغموض المثير الذي يلفّ من لا يضطر البتّـــة إلى التـــدقيق في سعر ما يشتري - حتى عندما يصل إلى ملايين الدولارات. وهناك جوّ الرومانسيّة التي تكتنف الحياة على متن الطائرة النفّاثة - لكن القليل يدركون الآليّة التي تكوّنها وتمدّها بالقوّة الدافعة... وهي ليست قطّ بسيطة كما تبدو.

كما أنّنا نحيا في عالم كثير الشكّ والارتياب، يزداد فيه التباعد والحذر بـــين الثقافات والأديان المختلفة.

وثمة شخصيّة فريدة جدّاً وأصيلة، كما ذكرت سابقاً، تقف خلف الثروة التي يمتلكها الأمير الوليد، وتجمع هويّتها بين الثقافة التقليديّة الناضجة للعالم العربيّ بخيمه المنصوبة في الصحراء والجمال والبدو الذين تلفحهم أشعّة الشمس ويحملون البنادق القديمة... وبين عالم وول ستريت النهم بسيّاراته الفارهة ومتموّليه الذين يرتـــدون ثياباً أنيقة ويحملون أقلاماً ذهبيّة لتوقيع الصفقات الكبيرة.

فكيف يفعل ذلك؟

إنك على وشك أن تعرف.

1

العناوين الرئيسيّة في الصحف

"إنّني أتحدّث أوّلاً كمواطن سعودي،
ثمّ كرجل أعمال،
ثمّ كأحد أعضاء الأسرة المالكة السعوديّة"

الأمير الوليد بن طلال

اسأل أي أمريكيّ يزيد عمره على الخمسين سنة إذا كان لا يزال يذكر حادثة إطلاق النار على جون ف. كينيدي، وسيروي لك بالتفصيل أين كان وماذا كان يفعل.

اسأل الجميع تقريباً في العالم أين كانوا في 11 أيلول/سبتمبر، وستحصل على رواية تحبس الأنفاس عن كيفيّة سماعهم النبأ، أو مشاهدهم في التلفزيون صور طائرتي الركّاب وهما تصطدمان ببرجي مركز التجارة العالميّة في نيويورك.

في الساعة الرابعة بعد الظهر كان الأمير الوليد بن طلال بن عبد العزيز آل سعود يضغط بسرعة على أزرار هاتفه في دارته الفخمة في الرياض، ليتصل بمدير العلاقات العامّة والإعلام لديه. ومن المعروف أنّ الأمير، وهو ابن أخ الملك فهد عاهل المملكة العربيّة السعوديّة، مدمن على متابعة الأخبار ونادراً ما تجده في أي مكان دون أن تكون أمامه شاشة تلفزيونيّة واحدة على الأقل. وعندما أفادت شبكة الأخبار الأمريكيّة (سي إن إن) (CNN) عن اصطدام طائرتي ركّاب ببرجي مركز التجارة العالميّة، دعا الأمير ربّه ألا يكون ذلك عملاً إرهابيّاً، وإنّما حادثاً عارضاً. ومع أنّه ملمّ جدّاً بسنوات الاضطراب في الشرق الأوسط، لم يكن بوسعه

تصوّر الرعب الذي عاشه سكّان نيويورك في تلك اللحظة. تسمّر أمام الشاشـــة، وذُهل من حدوث مثل هذا الشيء في مدينة يعرفها جيّداً - مدينة لديه فيها العديد من الأصدقاء.

أدرك بسرعة خاطفة أنّ عليه القيام بشيء ما، وانتابه شعور بالخوف مـــن أنّ أمريكا ستتغيّر، فبدأ يُعدّ خطواته التالية - لا سيما كيف يتعيّن عليـــه الاســـتجابة لذلك الحدث.

كان عليه أولاً أن يلغي افتتاح مركز التسوّق الفاخر الجديد الذي بناه للتوّ في قلب العاصمة السعوديّة. كان من الواضح له أنّ الاحتفال بأي شيء لـــن يكـــون ملائماً في هذا الوقت العصيب. بعد ذلك، كان عليه أن يتحلّى بالواقعيّـــة ويقـــيّم تأثير هذا العمل الإرهابيّ المحتمل على علاقته بوول ستريت، كونه أكبر مســـتثمر أجنبيّ منفرد في الولايات المتحدة.

يذكر مدير العلاقات العامّة والإعلام بوضوح شديد كيف تلقّى تلك المكالمة العاجلة من الأمير الوليد في بيته وشغّل التلفزيون. وأثناء دخول المـــدير التنفيـــذيّ المحليّ لاستثمارات الأمير، طلال الميمان، على الخطّ في مكالمة ثلاثيّة، وجد الثلاثـــة أنفسهم يشاهدون الطائرة الثانية وهي تضرب البرج الآخر لمركز التجارة العالميّة.

يذكر مدير العلاقات العامّة والإعلام الأمير وهو يهتف، "هل شـــاهدت مـــا حدث؟! يا لها من صدمة. إنّه أمر رهيب"!

وحتى اليوم، تتّسع عينا الأمير ويتحدّث بسرعة عندما يتذكّر بعد ظهر ذلـــك اليوم:

"في ذلك الوقت، كان الجميع يراقبون هذا الهجوم المرعب، وكان ردّ فعلـــي الأول، 'من؟' من الذي شنّ هذا الهجوم؟ وأول ما راودني أنّ الفاعل هو أســـامة بن لادن على الأرجح"، قال الأمير وهو يوضح أنّه كسعوديّ يعرف التهديد الذي تشكّله القاعدة على المسرح العالميّ.

لقد أدرك أنّه حتى بعد انقشاع الغبار ستكون هناك عواقب وخيمة على بلده وعلاقاته الشخصيّة والتجاريّة على المديين القريب والبعيد. "من المؤسف أنّني كنت أفكّر في العواقب. ما الذي سيحدث في أعقاب مثل هذا الهجوم الإرهابيّ في وسط

مدينة نيويورك... وبدأت أفكّر على الفور في نتائج ذلك على العلاقات بين أمريكا والمملكة العربيّة السعوديّة...

ويقول مدير العلاقات العامّة والإعلام إنّ الحدث اذهل الجميع:

"أصبنا بالذهول. انتابنا إحساس كامل بعدم التصديق، والرعب، والصدمة. أعني أنّه عندما يحدث شيء بهذا الحجم، يتوقّف عقلك عن العمل لحظة إذ يطغى عليك عدم التصديق. أي أنّك لا تستطيع تحليل الأمر، لكن سرعان ما تحاول استعادة رباطة جأشك وتدرك أنّ ذلك ما حدث بالفعل وأنّ هذه الصور حقيقيّة"

كان بوسعه أيضاً أن يسمع ردّ فعل الأمير على الهاتف.

"لقد أصيب بذهول تامّ، لكنّه سرعان ما أدرك ما سيترتّب على ذلك من تأثير كبير على كيفيّة تعامل أمريكا مع السياسة الخارجيّة. وكان يدرك أنّ عليه الإدلاء ببيان ما، باعتباره أكثر السعوديّين حضوراً في مجتمع الأعمال الأمريكيّ"

لا شكّ في أنّ الاحتمالات كانت تتزاحم في رأس الأمير.

يمارس الوليد الكثير من هذا التفكير العميق أثناء قضاء عطلة نهاية الأسبوع في مخيّمه وسط الصحراء. ففي معظم أمسيات الأربعاء يتوجه الأمير - باعتبار أنّ يومي الخميس والجمعة هما عطلة نهاية الأسبوع في المملكة - إلى منطقة معدّة خصّيصاً له، على بعد ساعة من وسط مدينة الرياض، حيث يمكنه الاقتراب من الطبيعة والتفكير في الأعمال والشؤون الشخصيّة بعيداً عن صخب المدينة وضوضائها.

وبالعودة إلى الوراء، يصف مدير العلاقات العامّة والإعلام ما حدث بعد مرور بعض الوقت على الهجمات.

"كنّا جالسين مع الأمير في مخيّمه بالصحراء عندما قال، 'عليّ التوجّه إلى الولايات المتحدة وتقديم التعازي بصورة شخصيّة، إذ لا يسعنا الاكتفاء بالجلوس هنا' ولا أعتقد أن ما حثّه على اتخاذ ذلك القرار له علاقة بالكشف في ذلك الوقت عن أنّ سعوديّين اختطفوا الطائرة وروّعوا أمريكا. وأظنّ أنّه كان سيذهب إلى هناك بصرف النظر عمن قام بالهجوم لأنّه أراد أن يُظهر التضامن والتعاطف مع الأمريكيين وأن يقدّم لهم العزاء على ما حل بهم. لقد كان يؤمن حقّاً بأنّ ذلك ضروريّ"

وبعد بضعة أيام، عندما أطلق عمدة مدينة نيويورك، رودولف جولياني، صندوق ضحايا برجي مركز التجارة العالميّة وأسرهم، وجد الوليد السانحة المثالية لبادرته.

ومن خلال صديق الوليد الوثيق، رئيس مجلس إدارة سيتي بنك (Citibank)، سانفورد "ساندي" ويل، تمكّن الأمير من الاتصال بالعمدة مباشرة:

"لديّ العديد من الأصدقاء في نيويورك. فمعظم الشركات التي أستثمر فيها لها مقرّات في نيويورك، وقد درست في نيويورك، بجامعة سيراكوز. ولدي صلات وثيقة بكثير من الأشخاص في ذلك المجتمع. لذا فاتحت مكتب جولياني برغبتي في المساهمة بالصندوق"

بعد ذلك دعا جولياني الأمير إلى حضور حفل تذكاريّ بمناسبة مرور شهر على الهجمات في موقع الحدث في الساعة التاسعة من صباح يوم 11 تشرين الأول/أكتوبر.

أضاف الأمير موضّحاً، "أردت أن أظهر للشعب الأمريكيّ أنّ لديه صديقاً في الشرق الأوسط، وبخاصّة في المملكة العربيّة السعوديّة. ثمة كثير من اللوم الذي يلقى على العرب والمسلمين. بل لقد افتُرض أنّ المسلمين المتطرّفين هم المسؤولون حتى قبل أن يُعرف من كان وراء هذا العمل الرهيب. والأمر نفسه حدث عندما انفجرت قنبلة في أوكلاهوما. ألقي اللوم على المسلمين والعرب، لكن تبيّن بعد ذلك أن المسؤول مسيحيّ أبيض. كنت حريصاً على أن يعرف الأمريكيّون أنّهم يحظون بالتعاطف والتفهّم في العالم العربيّ. هناك عدد قليل جدّاً من المتطرّفين، لكنّهم يكوّنون صورة سلبيّة عن المنطقة والعالم الإسلاميّ بأكمله"

في موقع الحدث

جمع الأمير فريق سفره على عجل وأجرى الترتيبات للانتقال إلى نيويورك على متن طائرته الخاصّة للقيام بزيارة قصيرة فحسب. كانت الخطّة تقضي بالوصول قبل يوم واحد من الموعد لمقابلة السيّد رودولف جولياني قبل توجّهه لحضور القدّاس التذكاريّ في صباح 11 تشرين الأول/أكتوبر. وبعد ذلك يطير

الأمير عائداً إلى السعوديّة مباشرة. 26 ساعة طيران، مع توقّف نصف يوم فقط على الأرض.

ولسبب أو لآخر كانت الرحلة سيّئة الطالع منذ بدايتها.

فقد وجد روبير الحاج، مدير سفريّات الأمير، نفسه يكافح من أجل تأمين مرور سلس لسموّ الأمير عبر دائرة الهجرة والجوازات الأمريكيّة عند الوصول إلى الولايات المتحدة. في العادة، عندما يرتّب كل شيء مسبقاً، يُعامل الأمير وفريقه كشخصيّة مهمّة جدّاً وتنجز الأمور بسهولة. تهبط الطائرة فيما تكون سيّارات الليموزين منتظرة على المدرج، يتولّى روبير وفريقه أمر الجوازات والتخليص الجمركيّ، وسرعان ما تنطلق المجموعة إلى وجهتها. وطالما فاخر الوليد بكفاءة موظّفي السفر لديه، لكنّ الأمور تغيّرت في الولايات المتحدة بعد 11 أيلول/سبتمبر.

يقول روبير متذكراً ما حدث، "في اللحظة الأخيرة جاء من أفسد الترتيب بأكمله، فقد وجدت نفسي عالقاً في مهمة إقناع دائرة الهجرة والجوازات بالسماح لصاحب السموّ الملكيّ بالمرور كشخصيّة مهمّة جدّاً وأحد أعضاء العائلة المالكة. وقد تمكّنت من تدبّر الأمر إلى حدٍّ ما، ومع ذلك وقع الضرر ولم يكن صاحب السموّ الملكيّ مسروراً بما حدث"

كان التأخير غير العاديّ في دخول البلاد ناتجاً عن تزايد الإجراءات الأمنيّة والتوتّر الظاهر في مطارات الولايات المتحدة عقّب الهجمات. بل إنّ الحكومة أوقفت كل الرحلات الجويّة لفترة وجيزة بعد 11 أيلول/سبتمبر. ورغم الكثير من التخطيط المسبق وإخطار السلطات بوضوح، إلا أنّ الإجراء كان أبعد ما يكون عن السلاسة. ولم يكن قطعاً الاستقبال الحارّ لمن يحمل معه شيكاً بقيمة 10 ملايين دولار مساهمة في صندوق ضحايا برجي مركز التجارة العالميّة.

"ذهبنا من أجل تلك الغاية فحسب. لإظهار تضامننا مع سكّان نيويورك، ولتقديم العزاء لسكّان نيويورك من خلال ممثّلهم، السيّد جولياني"، قال الوليد موضّحاً ومشدّداً على أنّه أبلغ الشخصيّات الرئيسيّة في الوطن عن نيّته هذه.

"تمّت الزيارة بموافقة تامّة من القيادة السعوديّة. ومن الأهميّة بمكان أنّ الحكومة

السعوديّة كانت تعرف بأنّني عازم على الذهاب إلى هناك وتقديم مساهمة ماليّـــة، وأنّ الزيارة حظيت بمباركتها"

لكن ما لم يكن الأمير يعرفه، كما أوضح جوليـــاني في كتابـــه، "القيـــادة" (*Leadership*)، هو أنّ طلبه رُفع أيضاً إلى أعلى السلطات في الولايات المتحدة.

"تشاورنا مع البيت الأبيض ووزارة الخارجيّة بشأن إذا ما كان ينبغي لنـــا أن نأخذ الأمير إلى هناك. وقد جاءت النصيحة بأنّ علينا ذلك لأنّه صديق للولايـــات المتحدة بشكل عام، ويتمتّع بعقليّة منفتحة. وكان يؤمل أن يكون للموقع تأثير عليه وأن يجعله أكثر ميلاً إلى تقبّل الإجراءات التي كنّا نعتزم اتخاذها ضدّ أسامة بن لادن في أفغانستان"

بعد مغادرة المطار، توجّه الأمير ومرافقوه على الفور إلى فندق بلازا المرمـــوق الذي يشرف على الحديقة العامّة المركزيّة (سنترال بارك) في مانهاتن. وقـــد بـــاتوا ليلتهم في المبنى، الذي كان الأمير يملكه بشكل جزئيّ في ذلـــك الوقـــت، قبـــل اصطحابهم إلى موقع الحدث في صباح اليوم التالي.

في الثامنة من صباح 11 تشرين الأول/أكتوبر، أتى أحد مســـاعدي العمـــدة ليقلّ الفريق الملكيّ إلى موقع الركام الذي يتصاعد منه الدخان في وســـط جزيـــرة مانهاتن، حيث سيتمّ اللقاء بجولياني لتقديم هبة العشرة ملايين دولار إليـــه. كـــان عمدة نيويورك الشهير معروفاً على الصعيد الدوليّ بمهاراته القياديّة والتحسين الكبير الذي أدخله على الظروف الحياتيّة بمدينة نيويورك. فقد انخفضت نسبة الجريمـــة في عهده 30 بالمئة، كما أكسبته تكتيكاته القاسية وعدم تسامحه مع الجريمة درجة عالية من الاحترام. فوجئ الوليد وفريقه بحجم الدمار. وكان الدخان لا يزال يتصـــاعد من الحطام والرماد:

"اعتراني شعور بالحزن والانزعاج والقلق حيال هذا العمل الرهيب. فقد قُتل ودفن أكثر من 3000 ضحيّة بريئة – من المسلمين، والمسيحيّين، واليهـــود. لـــذا اعتقدت حقّاً أنّني أستطيع بمساهمتي الصغيرة أن أبدأ على الأقل في ردم الهوّة التي لا بد أن تنشأ بين المملكة العربيّة السعوديّة والولايات المتحدة، وبين الغرب والشرق بصورة أعمّ – والأخطر من ذلك بين المسيحيّة والإسلام"

ويذكر الأمير ترحيب جولياني الكئيب والوديّ نسبيّاً في موقع الحدث:

"رحّب بي، وكان متواضعاً جدّاً. ثم شرح لي ما حدث، وما الذي يقومون به في الوقت الحاضر. كما أوضح لي الغاية من الصندوق، وأبلغته أنّني أقف إلى جانبه. كانّ ممتنّاً جدّاً، وشكرني. لبثنا معه نحو 20 دقيقة ثم غادرنا"

كانت انطباعات رودولف جولياني عن الاجتماع والجولة في موقع الحدث مختلفة قليلاً، كما روى في كتاب "القيادة":

"عندما وصل الأمير، كان يرتدي عباءة مذَهَّبة مترفة ويعتمر غترة وبصحبته سبعة مساعدين أو ثمانية يرتدون عباءات سوداء. قدّم إليّ شيكاً مصرفيّاً بقيمة 10 ملايين دولار من أجل صندوق ضحايا برجي مركز التجارة العالميّة. عندما كان الأمير يعاين الموقع من فوق المنصّة، تفوّه بما يجب أن يُقال...

أشار إلى مقدار استيائه ورغبته الشديدة في مساعدة الضحايا...

لكن ثمة شيئاً ما لم يكن على ما يرام. ارتسمت على وجهه ابتسامة غرور، ويبدو أنّها انتقلت إلى مرافقيه. لقد كان الزائر الوحيد الذي لم يهتزّ لما شاهده"

قدّم العمدة هذه الرؤية مسترجعاً ما حدث عندما وضع كتابه، ويمكن التنبّه إلى أنّه كان غير منصف البتة في تقييمه. لقد دُهش الأمير مما كتبه العمدة، وذكر أنّه ومرافقوه كانوا يرتدون الزيّ الوطنيّ السعوديّ كعلامة على الاحترام – ولم يتمّ اختيار أي شيء "مترف" ويتضح من التفاعل المصوّر بين الرجلين أثناء لقائهما أنّ الأمير لم يكن يتكلّف الابتسام، بل يعتريه قلق جديّ مما كان يشاهده.

كان مدير العلاقات العامّة والإعلام لدى الأمير، في عداد المسافرين مع المجموعة الملكيّة:

"أطلعت الأمير على الاجتماع القصير الذي سنعقده مع جولياني، وما الذي علينا أن نتوقّعه فيما يتعلّق بالتغطية الإعلاميّة"

ظنّ الأمير أنّ من الحكمة الإجابة عن كثير من الأسئلة التي قد تطرحها وسائل الإعلام عن الزيارة، عن طريق الإدلاء ببيان صحفيّ.

لم يفكّر معظم أعضاء فريق الوليد كثيراً بأمر البيان الصحفيّ بعد نشره في

وسائل الإعلام. لكن فيما كانوا يعدّون العدّة للعودة إلى الرياض، جاءت الصدمة.

فقد رأت المجموعة المحيطة بجولياني أنّ ثمة سطراً غير مقبول ورد في البيان الصحفيّ عن السياسة الأمريكيّة في الشرق الأوسط. فصدر بيان عن مكتب العمدة يرفض قبول المال. وكان البيان الصحفيّ قد وصف هجمات 11 أيلول/سبتمبر بأنّها "جريمة نكراء"، لكنّه أضاف ملاحظة أزعجت العمدة.

"أعتقد بأنّ على حكومة الولايات المتحدة الأمريكيّة أن تعيد النظر في سياساتها المتّبعة في الشرق الأوسط وأن تتبنّى موقفاً أكثر توازناً من القضيّة الفلسطينيّة"

وقال جولياني إنّ ردّ فعله الأول كان إرجاع المال إلى صاحبه. وكتب قائلاً:

"لقد كان تبرير الهجمات على مركز التجارة، أو حتى جعلها أمراً مفهوماً، بمثابة وجهة نظر لا يسعني قبولها"

ويردّ الأمير بقوّة نافياً أي تبرير مقصود، ويؤيّد قراره بإصدار البيان الصحفيّ. ويقول إنه شعر بضرورة أن يكون صريحاً بشكل تام مع الشعب الأمريكيّ، وأن يذكّره بأنّ الأعمال الإرهابيّة الشنيعة هي نتيجة المشاعر العدائيّة التي تعتمل في نفوس العديد من الأشخاص في الشرق الأوسط تجاه الولايات المتحدة بسبب سياستها الداعمة لإسرائيل، وإهمالها محنة الشعب الفلسطينيّ. إنّ الاعتقاد بأنّ الولايات المتحدة تسمح لإسرائيل باستخدام القوّة العسكريّة المفرطة ضدّ الفلسطينيّين يلهب الإحساس بالغضب والإحباط الذي لا يمكن التعبير عنه بحرّيّة، فيتّجه إلى الأنشطة الإرهابيّة التي يقوم بها شبّان يسهل تجنيدهم لأنّهم فقدوا الأمل.

لقد أدان الأمير هجمات 11 أيلول/سبتمبر بوضوح، لكنّه شعر أنّ من المهمّ الإشارة إلى جذور الإرهاب وكيف تجب معالجتها.

"لذا اعتقدت كصديق للولايات المتحدة أنّ عليّ أن أقول لها، 'أرجوك استيقظي!'"

يستبعد الوليد أن يكون الإجراء الذي اتخذه العمدة جولياني نتيجة طبيعيّة لموقفه السياسيّ في مكان مثل نيويورك، ويقول في هذا السياق إنّه يتفهّم أنّ على جولياني أخذ ناخبيه بالحسبان. فمن الواضح أنّ العديد من الأشخاص الذين لديهم

صلة بمهنته السياسيّة لن يرضوا عن مضمون هذا البيان الصحفيّ الذي يـــدعو إلى موقف أكثر تعاطفاً مع الفلسطينيّين، أو سياسة أكثر توازناً في الشـــرق الأوســـط بشكل عام.

وتحظى هذه الفكرة بـــدعم رئـــيس مجلـــس إدارة "نيـــوز كوربوريشـــن" (News Corporation)، روبرت مردوخ، الذي يوجد مقرّه الرئيسيّ في نيويورك. فهـــو يوافق بابتسامة ساخرة على أنّ هناك سبباً بسيطاً لهذا الرفض:

"أقول كلمة واحدة فحسب... السياسة"

على جانبي الخطّ الفاصل العظيم

السياسة هي التي أغضبت العديدين في الشرق الأوســـط، ممـــن اعتـــبروا أنّ جولياني انحنى أمام الضغوط التي مارستها مجموعات معيّنة في مجتمعه. وقد كتـــب أحد كتّاب الأعمدة في صحيفة الرياض السعوديّة:

"ضحّى [جولياني] بالمصلحة العامّة من أجل المصلحة الخاصّة، كمـــا يظهـــر بوضوح من رغبته في التقرّب من الناخبين اليهود...

و لم تساعد ملاحظات جولياني في كتابه، حيث يقدّم افتراضات عن موقـــف الأمير تجاه موقع الحدث – موحياً بارتسام "ابتسامة غرور على وجهه مـــثلاً، أو واصفاً عباءته التقليديّة بأنّها "مترفة"، ما يعني ضمناً أنّهـــا زي لا يقـــيم احترامـــاً للمناسبة.

لا شكّ في أنّ لدى جولياني العديد من الأشخاص الجاهزين لدعم أفعاله. فقد بدأ الكاتب والمعلّق الشهير، توماس فريدمان، عموده في صحيفة "نيويورك تـــايمز"، بعد بضعة أيام بالكلمات التالية:

"ثلاث تحيّات للعمدة رودي جولياني لردّه التبرّع بمبلغ 10 ملايين دولار...

وذكرت مقالة في صحيفة "نيويورك تايمز" في اليوم التالي علـــى الحادثـــة أنّ مكتب العمدة أبلغ وزارة الخارجيّة الأمريكيّة بتعليقات الأمير، لكنّها لم تقدّم رأيها بشأن ما يجب أن يفعله جولياني بالشيك، لأنّها لم تكن مسألة تتعلّـــق بالحكومـــة الأمريكيّة.

يقول الوليد إنّ جولياني طلب سحب البيان الصحفيّ، لكي يكـــون بوســـعه قبول المساهمة، لكنّ الأمير أصرّ على موقفه:

"قلنا لا. المساهمة مقدّمة إلى شعب نيويورك والبيان الصحفيّ نُشر من أجـــل العلاقة بين الولايات المتحدة والمملكة العربيّة السعوديّة، وبين الغرب والشرق على الصعيد العالميّ الأوسع"

ولّد ردّ الفعل على أحداث 11 تشرين الأول/أكتوبر ردوداً مختلطة من الناس حتى في الشرق الأوسط. فقد اعتقد البعض أنّه لم يكن يجدر بالأمير أصلاً الذهاب إلى الولايات المتحدة حاملاً بيده شيكاً - رغم أنّ العديد منهم سلّموا بأنّــه بـــرّأ ساحته بإصدار بيانه الصحفيّ الذي يسلّط الضوء على أجندة الشـــرق الأوســـط ويبقيها متداولة في الأخبار.

ورأى آخرون أنّ بادرة المساهمة في صندوق ضحايا برجي مركز التجارة كانـــت فكرة عظيمة وإظهاراً مفهوماً للتعاطف والتضامن من جانب العالم العربيّ. وكان مـــن المهمّ جدّاً أن تقوم شخصيّة سعوديّة بارزة - عضو في العائلة المالكة - بإظهار مثل هذا التضامن مع الولايات المتحدة في وقت الشدّة، وخاصة أن خمسة عشر شخصـــاً مـــن أصل تسعة عشر ممن شاركوا في الهجمات يحملون الجنسيّة السعوديّة.

ومن بين الذين شعروا بأنّ الأمير تسرّع في الذهاب إلى الولايـــات المتحـــدة الصحافيّ السعوديّ البارز، خالد المعينا، رئيس تحرير "عرب نيوز" فهو يعتقـــد أنّ الأغلبيّة الساحقة من السعوديّين انزعجت من تلك الخطوة، خاصة وأنّ الأمير لقي في نهاية المطاف صدّاً من قبل عمدة مدينة نيويورك. ولو أنّ الشيك قُبل لكان هناك احتمال بأن ينظر أبناء بلده إلى بادرة الأمير نظرة إيجابيّة أكثر.

"لم تكن أمريكا في مزاج يتيح لها أن تستمع، ورأى الناس أنّه كان يجدر بـــه الانتظار أو التقدّم بخطّة أخرى، أو القيام بشيء للترويج لمؤسّسة، أو إقامة مؤسّسة تشجّع على الحوار بين الأديان والمجتمعات"

بعد قول ذلك، يشير المعينا، وهو كاتب عمود معـــروف بصـــراحته، إلى أنّ البيان الصحفيّ الذي سلّط الضوء على انعدام توازن السياسة الأمريكيّة في الشرق الأوسط ساعد موقف الأمير في الوطن.

"أجل، أكسبه ذلك بعض النقاط لأنّه كان صريحاً، ومن الأشياء التي قالها الناس إنّه كان يمتلك الجرأة على الأقل ليقول أثناء تقديمه (المال) إنّ عليكم اتباع سياسة عادلة في الشرق الأوسط"

وفي لبنان، حيث يوجد العديد من المؤيّدين للأمير بسبب ميراثه اللبنانيّ لجهة أمّه، عبّر ناشر صحيفة النهار ورئيس تحريرها، جبران تويني، عن تأييده الكامل. فذهاب الأمير إلى نيويورك، فيما يكثر الحديث عن صلات العائلة المالكة السعوديّة بعائلة ابن لادن كان مفاجئاً له، رغم أنّه يعرف اندفاع الوليد منذ أيّام الطفولة:

"أعتقد أنّ الوليد أظهر شجاعة كبيرة في التوجّه إلى نيويورك، في محاولة منه لمساعدة الناس وإبلاغهم 'أنّنا لسنا جميعاً إرهابيّين'، وقد تمكّن من مواجهة كافّة المنتقدين هناك – وحتى المنتقدين في العالم العربيّ"

ويشعر الأمير نفسه بأنّ ردود الفعل التي تلقّاها من العديد من الأشخاص تبرّر ما قام به:

"بعد الحادثة انهالت عليّ الفاكسات، والبرقيّات، والرسائل، ورسائل البريد الإلكترونيّ، بل وحتى المكالمات الهاتفيّة، من آلاف الأمريكيّين وحتى رؤساء مجالس إدارة شركات ورؤسائها التنفيذيّين – وليس هذا فحسب بل من الجالية اليهوديّة أيضاً. كانوا يقولون لي إنّهم يأسفون لما حدث، 'ما قمت به كان صواباً ونحن نشدّ على يدك' لكن من الواضح أنّ هناك بعض الأشخاص الذين اعتبروا ما قام جولياني به صحيحاً"

لكن يبدو أنّه كان هناك بعض الآثار المماثلة في مجتمع الأعمال نتيجة لما قام به الأمير. ومن المؤشّرات على ذلك ما قاله الرئيس التنفيذيّ لمجموعة فنادق فيرمونت (Fairmont) الكنديّة، بيل فات، الذي يعمل مع الأمير عن قرب. فالوليد من أكبر المساهمين في المجموعة، ويعتقد فات بصورة براغماتيّة أنّ محتوى البيان الصحفيّ ما كان ليثير هذا الجدل لو أنّه لم يأت بعد الهجمات بوقت قصير فيما يشعر الجميع بحساسيّة مفرطة.

"أعتقد أنّ البعض رأى فيه وعظاً للشعب الأمريكيّ بشأن أفضل السبل لتعديل سياسته تجاه الشرق الأوسط. ولعل التوقيت كان رديئاً. ومن منظور

الشركة أعتقد أنّ اسم فيرمونت ارتبط بالأمير، وكان لدينا مصالح مهمّة جـداً في الولايات المتحدة. وقد أحدث ذلك بعض الاحتكاك، الذي لم يدم طـويلاً، مـع بعض عملائنا، لكنّني أعتقد بأنّ سمعة الأمير مرّت بأوقـات صـعبة في أمريكـا الشماليّة، بالإضافة إلى أنّ بعض الشركات التي يستثمر فيها شهدت وقتاً عصـيباً بسبب الحساسيّة العالية التي أثارها بياناته"

بالإضافة لما سبق، يشير فات في معرض تأييده للوليد، إلى أنّ زعماء العـالم ردّدوا صدى تعليقات الأمير فيما يتعلّق بأوضاع الفلسطينيّين في الأشهر التي تلـت 11 أيلول/سبتمبر. فالرئيس جورج دبليو بوش نفسه تحدّث أمام الأمم المتحدة عن دولة فلسطينيّة، لأول مرّة، وساوى رئيس الوزراء البريطانيّ، طوني بلير، أيضاً بـين الإحباط الذي يشعر به الفلسطينيّون والشرق الأوسط علـى العمـوم، وتنـامي الاستياء تجاه أمريكا والغرب.

وفي هذا الشأن يشعر الأمير الوليد ثانية بأنّ موقفة مبرّر.

"لقد بدؤوا جميعاً يقولون الشيء نفسه – إنّ السياسة الأمريكيّة في الشـرق الأوسط تقف وراء الكراهية التي تدفع المتطرّفين والإرهابيّين إلى قتـال الولايـات المتحدة. ولا حاجة إلى كل هذا الدمار والكراهيّة"

جاءت التعليقات المؤيّدة لمسعاه من العديد من المناطق في أمريكـا، ومنـهم العضو في الكونغرس سينتيا ماكيني، وهي ديموقراطيّة من ولاية جورجيـا، بعثـت برسالة إلى الأمير تعبّر فيها عن جزعها من العمل الذي قام به جولياني. وقد كتبت ماكيني:

"أعتقد أنّه كان يجدر به أن يقرّ بحقّك في الكلام وإبداء الرأي عن قسم مـن العالم تعرفه جيّداً، سواء أكان يتّفق معك أم لا"

ويضيف الأمير أنّ جولياني – الذي لا يزال يحترمه كقائد – سـيّس المسـألة للأسف برفضه المال. بالمقابل، يسوق منتقدو الأمير المحاجّة نفسها لأنّه أصدر البيان الصحفيّ في المقام الأول.

يرفض الوليد ما يقال عن وجود دوافع سياسيّة لديه، ويشدّد ثانية علـى أنّ العديد من التعليقات ردّدت صدى أقواله، ولكنّها صدرت عن قادة غربيّين.

"بعد بضعة أسابيع فقط على عودتي إلى الرياض، قال (رئيس الوزراء البريطانيّ) بلير الشيء نفسه، وتلاه جورج دبليو بوش في وقت لاحق. بل لا يزال الربط بين 11 أيلول/سبتمبر وطريقة تعامل أمريكا مع العالم العربيّ يقتبس حتى بعد مرور سنتين على الهجمات. لقد بُرّئت ساحتي. فماذا يسعني أن أقول غير ذلك"؟

يشعر ساندي ويل، رئيس مجلس إدارة مجموعة سيتي (Citigroup)، وصديق الأمير، والشخص الذي تربطه وشائج قويّة بمجتمع نيويورك، أنّ التوقيت لم يكن ملائماً:

"أعتقد أنّ الأمر بدأ بداية جيّدة وانتهى بطريقة سيّئة جدّاً، لأنّ المسألة لا تتعلّق بمضمون ما قاله، أو بما إذا كان خطأ أو صواباً، ولكن بالمنبر غير المناسب الذي اختير لتوجيه الرسالة إلى العمدة، في هذه المدينة، وفي ذلك الوقت، لذا استُقبلت على نحو سيّئ"

لكنّ الدرس الذي تعلّمه الأمير الوليد من هذه الحادثة هو أنّ سوء السمعة قد يكون مفيداً، وربّ ضارّة نافعة. فقد اكتشف أنّ التعبير عن الرأي بصراحة يجعل المرء موضع اهتمام، حتى لو لم يكن الجميع سعداء بما قيل ولماذا قيل؟ وهو يقول إنّ عليه أن يشكر العمدة رودولف جولياني بسبب ذيوع شهرته على الصعيد الدوليّ:

"فجأة عرف الجميع من هو الوليد... وأخذ الناس يتساءلون من هو رجل الأعمال السعوديّ هذا، وعضو العائلة المالكة، الذي يأتي حاملاً تبرّعاً كبيراً ويردّ تبرّعه. لقد أسداني جولياني خدمة جلّى في الواقع"

لا شكّ في أنّ الناس حتى لو لم يعودوا يذكرون اسمه، إلا أنّهم يتذكّرون "السعوديّ الثريّ" الذي عرض ملايين الدولارات على صندوق الضحايا – ليرفضها عمدة المدينة فيما بعد.

بعد أن رأى الأمير تأثير أفعاله، من حيث الدعاية وإصدار البيانات الصحفيّة على السواء، ثارت شهيّته لكي ينغمس أكثر في محاولة ردم الهوّة بين الشرق والغرب. وكان ذلك درساً سريعاً في أهمّيّة العلاقات العامّة.

ومن المفارقة، كما يبدو، أنّ احتمال أن يكون لذلك أثـــر ســـيّئ علـــى العلاقات العامّة مع ناخبي مدينة نيويورك هو ما حثّ جولياني على رفض تبرّع الأمير.

لعل الجانبين خرجا أكثر حكمة من هذا التسلسل الغريب للأحداث الذي بدأ بالنوايا الطيّبة وانتهى في اشتباك سياسيّ.

ماذا عن ردّ فعل ساندي ويل – وهو الذي ساعد في إقامة الاتصـــال بـــين صديقيه، الوليد وجولياني، في المقام الأول؟

يضحك بطريقة فلسفيّة ويقول، "إنني سعيد لعدم تواجدي هنـــاك في ذلـــك الوقت"

2

بداية ملكيّة

"عندما تعاني، تصنع المعاناة منك رجلاً"

الأميرة منى الصلح، أمّ الأمير الوليد

"انظر! يمكنك أن ترى ذلك فيه، حتى في هذه السنّ"

رفعت المرأة الأنيقة يداً مقلّمة الأظافر وأشارت إلى التلفاز. توقّفت هنيهة، وتجمّد إصبعها في الهواء، ثمّ ارتسمت ابتسامة صغيرة على وجهها، فيما جال عقلها في ماضٍ يناهز الخمسين عاماً.

استرجعت انتباهها ومدّت يدها إلى منضدة قهوة مغطّاة بأشياء كثيرة تتراوح بين ألبومات صور كبيرة إلى شوكولا باتشي الفاخرة ومجموعة من التحف الزخرفيّة الزجاجيّة. وفوق ألبومات الصور، توجد صور فوتوغرافيّة للعائلة بالأسود والأبيض، ورسالتان باللغة العربيّة بخطّ اليد تثيران الاهتمام، واحدة تضمّ نقاطاً مرقّمة، والثانية تضمّ سطوراً مكتوبة بألوان مختلفة، وتتخذ شكل لائحة أيضاً.

التقطت إحدى الصور الفوتوغرافيّة القديمة واتّسعت ابتسامتها ثم أسندت نفسها إلى الوسائد المطرّزة على الأريكة الموجودة في غرفة الجلوس المزخرفة بذوق رفيع بمنزلها في بيروت. تفحّصت الصورة مليّاً، واستذكرت قصّتها. أمّ شابّة تحمل طفلها الصغير بين ذراعيها. وكلاهما ينظران في الاتجاه نفسه، وتبدو ملامحهما المشتركة بوضوح. لقد كانت السنوات حانية عليها حتى بعد مرور كل هذا الوقت، ولم يعكس وجهها كل تلك التجارب المنوّعة والمثيرة للاهتمام التي مرّت عليها. فهي في النهاية لا تزال تحتفظ بوقارها وتتميّز بالأناقة والحنكة في أمور الحياة الحديثة.

وفي باطن عقلها تواصل عرض شريط الفيديو بالأسود والأبـــيض بصـــمت. عاودت النظر إلى الصورة وقالت، "تستطيع أن ترى التصميم الذي يتحلّى به حتى في سنّ الطفولة. عندما يريد شيئاً، فإنّه يصرّ على الحصول عليه ولا يستسلم، حتى عندما لم يكن يستطيع المشي

وفي شريط الفيديو، يظهر طفل دارج، لا يكاد يبلغ السنة من العمر، يرتدي بدلة من قطعة واحدة زرقاء ذات قبّعة، ويتعثّر في خطواته ويداه تمتـدّان خلـف عنـزة صغيرة. وكلّما وصل إلى العنـزة وحاول الإمساك بها، تقـدّمت بضـع خطوات إلى الأمام، وتملّصت منه. وهكذا يواصل الطفل مطـاردة العنـــزة دون انقطاع. وبخطى غير واثقة، يتأرجح ويقع مرّتين، لكنّه ينهض غـير آبـه، وجـلّ اهتمامه منصبّ على الإمساك بالحيوان. وبعد دقيقتين، تمسك يـداه الصـغيرتان بقائمتي العنـزة الخلفيّتين برهة وتبدو عليه علامات الرضا.

مالت السيّدة إلى الأمام ثانية، تسترجع الذكريات هنيهة قبل أن تعلّق، "أذكر ذلك على الدوام. فقد بيّن لي حتى في ذلك الوقت مقدار التصميم الذي سـيتحلّى به ابني. لم يتوقّف حتى أمسك بالعنـزة في النهاية"

حظيت الأميرة منى الصلح بحياة مليئة بالامتيازات. فهي كواحدة من خمـس بنات لرياض الصلح كانت أقرب ما تكون من عائلة مالكة لبنانيّة. أصبح والدها، وهو رجل شهير وشخصيّة ذات حضور مميّز، أول رئيس وزراء للبنان المسـتقلّ في سنة 1943، بعد أن لعب دوراً بارزاً في انسحاب القوى الأجنبيّة من البلد. وكان واحداً من الوطنيّين الحازمين الذين عارضوا الحكم التركيّ، والانتداب الفرنسيّ في لبنان لاحقاً. وتمكّن بطبيعته الحالمة من جمع الفصائل المتنازعة معاً من أجل إنشـاء دولة واحدة ذات سيادة. ترأس الصلح ستّ حكومات قبـل أن يـتمّ اغتيالـه في تمّوز/يوليو 1951، في أثناء زيارة قام بها إلى الأردن. ويعتقد أنّ مسلّحين من الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ هم المسؤولون عن اغتياله.

شبّت منى وشقيقاتها الأربع وكنّ يعتبرن من بين أجمل الشخصيّات المرموقة في المجتمع. وقد لفتت كشابّة انتباه أمير سعوديّ وسيم يقوم بزيارة قصـيرة إلى لبنان.

لقد كان زواج الأمير طلال بن عبد العزيز آل سعود أحد أبناء الملك عبد العزيز عاهل المملكة العربيّة السعوديّة من الآنسة منى الصلح كريمة رئيس حكومة لبنان رياض الصلح، زواجاً جمع بين سليلي عائلتين عربيتين عريقتين إحداهما ملكية والأخرى برجوازية، وبدا أن زواجهما سيشكل منهما ثنائياً مثالياً.

"تزوّجت رجلاً ذكيّاً ووسيماً، واتّفق أنّه كان ثريّاً. اعتقد كثير من الأشخاص أنّني تزوّجته لماله، لكنّه كان ذكيّاً ووسيماً"

و لم يمضِ وقت طويل حتى كانا معاً يجوبان العالم بالطائرة، يمضيان إجازتهما في باريس في الصيف، ويتوجّهان إلى جبال الألب في الشتاء. وتظهرهما أشرطة الفيديو في العاصمة الفرنسيّة يرتديان آخر الأزياء الغربيّة، فالأمير طلال يبدو أنيقاً ببدلة وربطة عنق تساير الموضة، أما هي فتظهر بفستانها الصيفي وهي تأكل الآيس كريم، ويبدو خلفها قوس النصر.

طالما كان الأمير طلال بن عبد العزيز، شخصيّة صريحة وذات تفكير عصري. وكان رحّالة كثير الأسفار، بل إنّه شغل منصب سفير المملكة العربيّة السعوديّة في فرنسا، ووزير مالية الملك سعود لفترة وجيزة. كان من نواحٍ عديدة ذا عقل شديد التحرّر بالنسبة للمحافظين في المملكة العربيّة السعوديّة في الخمسينيّات. ومن الواضح أنّه ورث بعض مواقفه عن والده، الملك عبد العزيز، الذي كان مصلحاً أيضاً، يدفع باتجاه التحاق الفتيات بالمدرسة وبناء الجامعات في الدولة التي كانت حديثة آنذاك. ففي تلك الفترة لم يكن عمر المملكة قد تجاوز العقود الثلاثة.

ويعتقد رئيس تحرير صحيفة "عرب نيوز"، خالد المعينا، بأنّ الإصلاحات كانت متواصلة على الدوام في المملكة وأن نقطة الخلاف الوحيدة مع الأمير طلال أنّه كان شديد الاندفاع وراغباً في تنفيذ الإصلاحات بطريقة سريعة.

يقول المعينا، "أعتقد أنّها كانت تتقدّم بخطى وئيدة من نواحٍ عديدة، وأنا شخصيّاً أرغب في أن تتمّ بصورة أسرع. وربما كان هناك آخرون، بمن فيهم أعضاء في العائلة المالكة، يريدونها أن تتمّ بسرعة أكبر

اصطدمت رغبة الأمير طلال في إدخال الإصلاحات بسرعة بحرص حكّام البلد على التأنّي، فانتهى به المطاف إلى الإقامة في مصر.

العودة إلى الرياض

استغرق تصالح الأمير طلال مع العائلة المالكة سنتين حيث سمح له بالعودة شريطة أن يبتعد عن النشاط السياسيّ. ويعتقد البعض أنّه عاد إلى الديار، لكن إعادة بناء العلاقة مع أقربائه في العائلة المالكة استغرقت وقتاً طويلاً. وسرعان ما حوّل اهتمامه إلى سوق العقارات والبناء التي كانت تنمو بسرعة في بلده، وجنى ثروة. في هذه الأثناء، انهار زواجه بمنى في العام 1962. بقي الزوجان منفصلين لمدّة تزيد على الخمس سنوات، وتطلّقا في النهاية في العام 1968. وخلّف ذلك لهم ثلاثة أطفال يتنقّلون جيئة وذهاباً عبر بلدين مختلفين جدّاً.

أوّل هؤلاء الأطفال، الولد الصغير الذي تابع التنقّل بكثرة، وُلد في 7 آذار/مارس 1955 في الرياض. كان في السابعة فقط عندما انفصل والداه وذهب للعيش مع أمّه في بيروت، فيما أمضى شقيقه الأصغر وشقيقته معظم وقتهما مع والدهما في الرياض.

تشير الأميرة منى إلى أنّ الرحلات التي كانت تقوم بها مع زوجها في عطلات نهاية الأسبوع إلى الصحراء كانت عاملاً إيجابيّاً في زواجهما إلى حدّ ما وساعد في تأخير الانفصال الذي تمّ في نهاية المطاف. فقد كان اتساع البيئة وهدوئها يُدخل السكينة إلى قلبها. وقد انتقل هذا الحبّ للصحراء إلى ابنها الذي لا يزال حتى الآن يمضي هناك كلّ عطلات نهاية الأسبوع تقريباً.

لم تكن الحياة الباكرة للأمير الوليد سعيدة جدّاً. كانت الحماسة والعزيمة تبدوان في عينيه حتى أثناء طفولته، وكان الشخصيّة الأقوى بين إخوته. وفي سنّ مبكّرة، توثّقت عرى علاقته مع شقيقته الصغيرة ريما، وشقيقه الأصغر خالد، وصار يشملهما بحمايته. وفي تلك السنوات المبكّرة كان الأطفال متحدّين عاطفيّاً كأنّهم متلاحمون معاً، كما تقول أمّهم. وهي تصفهم بأنّهم أشبه ما يكونون "بالمافيا" وقد نما الوليد ليصبح أكثر قرباً إلى أمّه من أبيه، رغم أنّه يكنّ له كثيراً من

الاحترام. لكن الأمير طلال تزوج ثانية بعد طلاقه من الأميرة منى، ما أزعج الأمير الشابّ كثيراً. ويقدّم الأمير طلال تفسيراً فلسفياً لذلك ويبدي تفهّماً له: "يؤثّر كل طلاق على الأطفال، وبخاصّة إذا لم تكن الأمّ تعيش في البلد نفسه ونرى ذلك كثيراً في العالم العربيّ، لا في المملكة العربيّة السعوديّة فحسب" ويتابع قائلاً، "لاحظنا أنّه كان لذلك بعض التأثير (على الوليد)، لكنّنا استدركنا ذلك مع الوقت وأصلحنا العلاقة مع أمّه في لبنان"

شهد الأمير أيضاً تجربة العيش في بلدين مختلفين جدّاً: لبنان، حيث أمضى جانباً كبيراً من حياته المبكّرة مع أمّه وأسرتها، والمملكة العربيّة السعوديّة حيث كان يمضي الإجازات. لم يكن يشعر بالاستقرار إلى حدٍّ ما، حيث تأثّر بحياة الأسرة المتباعدة، إلى جانب الاختلافات الثقافيّة التي كان عليّه أن يتكيّف معها بشكل متواصل.

تقول أمّه إنّه كان طفلاً "شقيّاً حقّاً" في سنّ السابعة.

"كان سميناً! واعتاد أن يفتح الثلاّجة وأن يضع الملح على كل شيء، وعندما أسأله لماذا، كان يجيب، 'أريد أن آكل كل شيء ولا أريد أن يقرب أحد الطعام'" كانت تجد في ذلك ظرَفاً غريباً وطالما تردّدت في تأنيبه على عمله.

كانت مدرسته الأولى "مدرسة غابة الصنوبر في بيروت. وقد شعر بالنفور منها فدفعه ذلك إلى الانطواء على نفسه إلى حدٍّ كبير. ومن المفارقة أنّها كانت المدرسة نفسها التي التحقت بها فتاة صغيرة جميلة هي دلال بنت الملك سعود، ابنة عمّ الوليد التي تزوّج بها في نهاية الأمر، ووالدة ابنه وابنته. ومن الطلاب الآخرين في "غابة الصنوبر صديق حميم اسمه جبران تويني، وهو الآن رئيس تحرير جريدة "النهار التي تصدر من بيروت. يذكر جبران ولداً خجولاً يملك شخصيّة مميّزة.

"لم يكن ولداً مدلّلاً. بل كان ولداً عاديّاً، وكنّا نزوره في منزله ويزورنا في منزلنا أيضاً"

لكنّ جبران يشير إلى أنّه "كان أميراً، وكان لبنانيّاً وسعوديّاً في الوقت نفسه. ومن ثمّ يجمع بين ثقافتين مختلفتين، وطريقتين مختلفتين للتفكير، وعقليّتين مختلفتين. وأعتقد أنّ من الصعب جدّاً – حتى بالنسبة إليه – أن يكون لبنانياً وسعوديّاً في آن

معاً، وأن يجعل اللبنانيّين يشعرون بأنّه لبنانيّ وأن يجعل السعوديّين يشـــعرون بأنّـــه سعوديّ"

بدت طبيعة الأمير المتمرّدة واضحة وجليّة في اعتياده الفرار والابتعاد بشـــكل دائم. كان يتغيّب عن المدرسة بدون إذن ويظهر بعد يوم أو نحو ذلـــك. وأثنـــاء فراره، كان ينام خارج المنـــزل، وغالباً ما كان يتفحّص السيّارات علّه يجد بابـــاً غير مقفل، وعندما يعثر عليه، يتكوّر على مقعد السيّارة الخلفيّ وينام. لقد كـــان الجانب المتمرّد فيه في طور الظهور.

من الأشخاص الآخرين القريبين جدّاً من الوليد أثناء الطفولة ابن خالته بهيجة، رياض الأسعد. كان رياض يعيش في بيت مجاور، لذا كان بوسعه أن يرى الجانب الحيويّ في الأمير أكثر مما يراه أقرانه في المدرسة.

"نعم لقد كان متمرّداً، متمرداً في كل الحالات، ومحاوراً رائعاً دائمـــاً. كـــان يمكن أن يناقشك إلى ما لا نهاية، حتى يحصل على غايته"

يذكر رياض مواقف الأمير العنيدة من خلال إحدى القصص. فقد سافر والد رياض إلى تايلند، فيما كانت الحرب مستعرة في فيتنام، فوجد في أحد الأســـواق المكشوفة قطعة قماش تصلح كملابس عسكرية. فحملها معه إلى بـــيروت وأبلـــغ رياض والوليد أنّ عليهما أن يتقاسماها معاً. أراد كلا الولدين أن تخاط لـــه بدلـــة عسكريّة، لكن لم يكن القماش يكفي بدلتين كاملتين، فوقع بينهما جدال طويـــل بشأن البدلة العسكريّة الوحيدة التي خيطت من قطعة القماش. وأخـــيراً قـــررا أن يأخذ رياض السترة ويأخذ الوليد البنطلون.

وبعد فترة وجيزة، عندما توجّهت الخالة إلى دمشق، اشترت قماشاً عسكريّاً مماثلاً ولكن بترقيط مختلف. وخيطت بدلة عسكريّة بناء على رغبة الولدين، لكـــنّ رياض يضحك عندما يتذكّر كيف أنّ الوليد رفض تبادل البنطلـــونين والســـترتين بحيث يحصل كلاهما على بدلة كاملة يتوافق بنطلونها مع سترتها. فقد أصرّ الوليـــد على الاحتفاظ ببنطلونه الأول، وأجبِر الولدان على ارتداء بدلـــة عســـكريّة غـــير متناسقة.

كانت البدلات العسكريّة تستهوي الفتيان في سنة 1967 لأنّ النـــزاع العربيّ

الإسرائيليّ كان يؤثّر تأثيراً مباشراً على لبنان في ذلك الوقت. وكانت العلاقات بين الفلسطينيّين واللبنانيّين إيجابيّة، وهناك عدد كبير منهم مقيم على مقربة من منزلي رياض والوليد. كان الفدائيّون يثيرون إعجاب الفتيان، لكنّ الظروف التي كان يعيشها اللاجئون الفلسطينيّون القاطنون على مقربة أثّرت أيضاً بالوليد، وغرست في نفسه بذور تقديم المساعدات الخيّرة إلى الفلسطينيّين في مرحلة لاحقة من حياته. فقد أصبح أكبر متبرّع فرديّ للصناديق الخيرية الخاصّة بالشعب الفلسطينيّ.

كانت والدة رياض، خالة الوليد هيجة الصلح، قريبة جدّاً من الأمير وتذكر خصالاً قويّة في سنوات طفولته لازمته حتى اليوم، وهي تقول:

"كان دائم التنقّل، متمرداً وينتهج طرقاً مختلفة. ثمّ إنه كان دائماً يحبّ إظهار شخصيّته القياديّة. أحبّ شراء البدلات العسكريّة التي تُظهره بمظهر القائد. وكلما حصل على مصروفه اليومي من أمّه، كان يتقاسمه مع المعوزين في الجوار ويعطيهم بعضه. كان يتقاسم مصروفه مع الفقراء"

وتشدّد أمه على أنّه غالباً ما كان وهو صبيّ يفتح الباب عندما يُطرق فيجد مجموعة من الفقراء في الخارج. فيسرع إلى أمّه ويلحّ عليها كي تعطيه مالاً يقدّمه لهم.

وفي الوقت نفسه، لم يكن يحيا حياة العديد من أبناء عمومته الأعضاء في العائلة المالكة السعوديّة. بل كانت حياته عادية نسبياً مقارنة بمن يمتلك الخلفيّة التي يحظى بها، كما يتذكّر ابن خالته رياض:

"لم تكن حياة مريحة البتّة. فكلّ ما تراه الآن لم يكن في ذلك الوقت، وأعتقد أنّ ذلك ساعده في تقوية شخصيّته واشتداد عوده. لم يكن أميراً سعوديّاً كسائر الأمراء – وكان يوجد العديد منهم في المدارس اللبنانيّة. فقد كان لبنان في ذلك الوقت المدرسة الداخليّة لمعظم النخبة العربيّة. لم يكن الوليد مثلهم قطّ. كان متمرّداً بسبب طلاق أمّه وأبيه، وقد اتخذ جانب أمّه، أكثر من مرّة. لذا لم يكن يتمتّع بامتيازات الأمراء السعوديّين الآخرين. بالمقابل، كان كلّما تفوّق في أدائه في المدرسة وجد اهتماماً من أمّه وأعمامه، وكان والده يرسل إليه هديّة مميّزة بين الآونة والأخرى. أذكر مثلاً عندما اشترى سيّارته الأولى. كان في السادسة عشرة.

وكانت سيّارة "باغي" من النوع الذي يصلح للسير على الرمال. لكنّ ذلك كـان الشيء الوحيد، على ما أعتقد، الذي ميّزه عنّي من ناحية المال. لم يكن الأمر يتعلّق بأنّه أمير أو سعوديّ، وأعتقد أنّ ذلك أمدّه بالقوّة، إذ أراد أن يحقّق شيئاً. لذا وفّر له ذلك الحافز والدافع. فطالما كان الرجل الذي يعمل أكثر من الآخرين، لقد كان مجدّاً في العمل

جذور العائلة

ترى خالة الوليد، ليلى الصلح، أنّ كثيراً من السمات انتقلت من أختها، منى، إلى الوليد: "أعتقد أنّه يشبه أمّه تماماً. ردود أفعاله، وطريقة تفكيره، وإيماءاته كلّها مستمدّة من أمّه. وأعتقد أنّ هذا القلق الدائم من صفات أمّه"

ويرى زميل المدرسة جبران تويني أيضاً أنّ أمّ الأمير وعائلتها أثّرا كثيراً في تشكيل شخصيّة الوليد الفتى: "إنّ عائلة الصلح من العائلات السياسية الكبرى. لعب جدّه دوراً كبيراً في استقلال لبنان، لذا كانت بنات رياض الصلح يدافعن حقّاً عن استقلال لبنان، حتى بعد اغتيال أبيهن. وهكذا نشأ الوليد في تلك العائلة، حيث نمت جذوره اللبنانيّة، وأدرك معنى الاستقلال والسيادة والحريّة والقدرة على فهم البلدان المختلفة، لأن لبنان مجتمع متنوع يضمّ ثقافات مختلفة. مسلمين ومسيحيّين، أشخاصاً متفتّحين يتحدّثون لغات مختلفة. لذا أعتقد بأنّ ذلك أحدث تغييراً لدى الوليد ومنحه شخصية فريدة، تختلف عن أي شخصيّة أخرى في المملكة. لذلك عندما تتحدث إليه يمكنك أن تشعر بأنّه ليس كغيره من السعوديّين. ليس لذلك علاقة بأنّ السعوديّين جيّدين أو سيّئين، لكنّه بالنسبة لي شخص تمكّن من استيعاب هذه الثقافات المختلفة"

عندما يتأمّل الأمير في العوامل التي شكّلت طفولته وكيف تأثّر بطلاق والديه، يعترف بهذه المعضلة: "رغم أنّني كنت قريباً جدّاً من والدي وقريباً جدّاً من والدتي، إلا أنّني طالما رغبت في أن يكونا معاً. ومثل أي طفل، أردت أن أكون بقرب أمّي وأبي، لكن بما أنّ ذلك لم يكن ممكناً، كان عليّ أن أقسّم وقتي بين والدي ووالدتي"

وتقرّ أمّه بذلك أيضاً: "تأثّرت طفولته بما حدث. فقد غيّر الطلاق حياته، وطريقة عيشه. لم يكن طلاقاً هادئاً"

أما فيما يتعلّق بتأثير الطلاق على شقيقه خالد وشقيقته ريما، فإن الأمير يشعر بأنّهما كانا يحظيان بحماية أكبر: "كانا صغيرين جدّاً وأمضيا معظم وقتهما مع والدي. لذا أعتقد أنّهما كانا أقلّ تأثّراً لأنّهما حظيا بعنصر الاستمراريّة، حيث كانا يعيشان مع والدي في الرياض على الدوام. إنني لا أقول إنّ حياتهما لم تكن صعبة، لكن لم يكن عليهما الانتقال من بلد إلى آخر بين حين وآخر مثلما كنت أفعل"

مع ذلك كان الأمير بشخصيّته القويّة المليئة بالتحدّي يشكّل شيئاً من السند والدعم لشقيقيه.

لم يكن هناك اتصال حقيقيّ بين والده ووالدته، وكان على الأمير الشابّ أن يلعب دوراً موازِناً صعباً بينهما. فقد شعر أنّه يعمل بمثابة جسر بين والديه، رغم أنّهما كانا مضطران إلى التواصل بشأن القضايا المتعلّقة بأولادهما، وبخاصّة سلوك الوليد. ويذكر الأمير أنّ الاتصالات ظلّت متوتّرة مدّة طويلة، لكنّها تحسّنت بمرور الوقت:

وصلنا الآن إلى مرحلة يتصل أحدهما بالآخر في بعض الأحيان. لذا أعتقد أنّ علاقتهما أصبحت جيّدة جدّاً في النهاية. وكانت العلاقة عصيبة في الماضي، لكنّها أصبحت جيّدة جدّاً في السنوات الخمس أو السبع الأخيرة"

وبالعودة إلى مجريات الأمور في السنوات التي أعقبت طلاق والديه، يقول الوليد إنّه يرى الأمور بشكل مختلف، وأنّ من الطبيعيّ أن يكون هناك عداوة بين الشخصيّات المختلفة في تشكيلة الأسرة: "أخبرني عن عدد الطلاقات التي تمّت بهدوء وبشكل ودّيّ؟ في معظم الحالات تكون هناك مشاعر مريرة، وبخاصّة بين زوجة سابقة وزوجة جديدة، وغالباً ما يعلق الأبناء وسط هذه المعمعة"

وهو يعتقد أنّ الأمور لم تكن بقدر السوء الذي تذكره أمّه وأخته ويخالف وجهة نظرهما بشأن درجة تأثير الطلاق عليه.

الأعمال الطائشة في المدرسة

بحلول العام 1968، لم يكن الوليد، وهو ابن الثالثة عشرة من العمر، منتظمـاً في الدراسة بمدرسة "غابة الصنوبر كان يهرب وتفوته الدروس، ليجبر بعد ذلك على العودة إلى المدرسة. وأخيراً بلغ الأمر حدّاً دعا والده إلى التـدخّل. فسُـحب الأمير الصغير إلى المملكة للالتحاق بكليّة الملك عبد العزيز الحربية، على أمـل أن يغرس ذلك فيه بعض الانضباط. وبالعودة إلى الوراء، يؤكّد والده أنّ ذلك كان أحد الأسباب، لكنّها كانت رغبته أيضاً"

انقلبت حياة الوليد اليوميّة رأساً على عقب في الواقع. فقد انتقل من نمط حياة مسترخية يستوعب الثقافة اللبنانيّة المتحرّرة على النمط الأوروبيّ ويـزور المملكة أثناء الإجازات، ليصبح الآن في قلب النظام السعوديّ الصـارم، بـل داخل نظام عسكريّ أشدّ صرامة، ولا يشاهد أمّه في بيروت إلا أثناء العطـل المدرسيّة.

يذكر الوليد الأمر بشكل مختلف، رغم قول الوالد إنّ ابنه عبّر عن رغبـة في الالتحاق بالمدرسة العسكريّة. لقد أرسِل إلى هناك لكيّ يتعلّم الانضباط، وذلـك شيء يناقض طباعه المتمرّدة. بل إنّه هرب من هناك ذات مرّة، لكنّه بدأ بالاستقرار في نهاية المطاف. ويقول إنّه بدأ يدرك بعض المنافع من كونه جزءاً من نظام عـالي الكفاءة، وأنّ تلك التجربة كانت بمثابة نقطة تحوّل في حياته.

"في البداية رفضت الفكرة، لكن بعد بضعة أشهر بدأت أحبّها. لقد كانـت إحدى نقاط الانعطاف في حياتي، حيث أصبحت شديد الاعتماد علـى الـذات، وأقوم بأشياء كثيرة بنفسي – أغسل المراحيض والحمّامات، وأتنـاول الفطـور في الساعة السادسة صباحاً. أصبحت أحتسي حساء العدس وآكل السباغيتي المعلّبـة وجبنة كرافت، وأنام في الساعة السادسة مساء. لذا تغيّرت حياتي بحقّ. لقد كانت المدرسة شديدة التنظيم، وأصبحت حياتي شديدة التنظيم في ذلك الوقـت، لـذا كانت إحدى الفترات الفاصلة التي بدّلت حياتي"

لا شكّ في أنّها منحته الوقت للتأمّل في فكرة الحياة المنضبطة والمنظّمة. ومـن

المثير للاهتمام أنّ الانضباط يستحوذ عليه اليوم فهو يمارسه في كل ما يقوم به تقريباً، من التخطيط للأنشطة اليوميّة إلى الالتزام بالمواعيد الدقيقة للاجتماعات. وتظهر الدقّة العسكريّة في نظام الوليد اليوم، وتعود جذورها إلى الوقت الذي أمضاه في الكلية الحربية، رغم أنّها لبثت بعض الوقت لكي يظهر تأثيرها، إذ إنّ الأمير في ذلك الوقت بقي مشاغباً بعض الشيء ومتمرّداً يصعب التنبّؤ بتصرفاته.

كان يفعل أشياء دون التفكير بعواقبها، كما تقول والدته. وهي تذكر كيف أنّه في سنّ الثالثة عشرة ربط حبلاً بين عمودين على ارتفاع 10 أمتار عن الأرض، بعد أن شاهد فيلماً من أفلام المغامرات، ثمّ حاول أن يجتازه مثل جنديّ مغوار. فسقط عن ذلك الارتفاع وكسر ساقه، لكن لم يبدُ أنّه اتّعظ من حماقة ما قام به أو خطورته.

عند مراجعة عدم انضباط الوليد، يعتقد والده أنّ الرياض ربما كانت وفّرت بيئة أفضل لابنه. ويقول الأمير طلال، "لا أعتقد أنّ حياته في لبنان أثرت عليه كثيراً (بطريقة إيجابية). لقد أرسلناه إلى لبنان للدراسة، ومع أنّه كان متمرّداً إلى حدٍّ ما في سنّ مراهقته، إلا أنّني لا أعتقد أنّ ذلك أثّر عليه كثيراً. وإنني أعتقد أنّه كان على سجيّته في المملكة أكثر مما كان في لبنان"

لكن في العام 1973، أخذ الأمير الوليد، وهو الآن في الثامنة عشرة من العمر، يشعر بعدم الاستقرار في الكلية الحربية. وتذكر أمّه أنّه كتب رسالة إلى الملك فيصل، أشار فيها إلى وجود 5000 أمير في المملكة، ولن يضير الملك شيئاً إذا تناسى أمر الوليد وبقي لديه 4999 أميراً. وطلب إعفاءه ليعود للدراسة في لبنان. ووفقاً للأميرة منى، شعر الملك بالإساءة قليلاً، فأبلغ الأمير طلال بوجوب السماح لابنه بالعودة إلى بيروت لأنّه لا يريد الدراسة في المملكة.

تذكر الأميرة ريما، شقيقة الوليد الصغرى، أنّها كانت تنظر إلى شقيقها بكثير من الاحترام. وتقول إنّه بدا لها قادراً على القيام بأي شيء، لكنّها صُدمت من إقدامه على كتابة تلك الرسالة إلى الملك. وهي لا تزال قريبة جدّاً من شقيقها، وتنظر بإعجاب إلى قدرته على إثارة دهشتها باستمرار.

العودة إلى بيروت

في العام 1974، عاد الأمير المراهق ثانية إلى بيروت، والتحق بمدرسة الشويفات المرموقة، والواقعة على سفح تلّة خضراء في ضواحي بيروت، تشرف على المدينة المتمددة في كل الاتّجاهات. أبلِغ في البداية أنّه متخلّف في دروسه، لكن سيُسمح له بالمتابعة إذا تمكّن من إدراك ما فاته.

في هذه المرحلة أخذت ثقته بنفسه تنمو وبدأت تتشكّل عاداته الناضجة. وحتى قبل عودته إلى لبنان، كانت بعض الأشياء غير المألوفة تشير إلى أنّه سيكون شخصيّة غير عاديّة. تذكر والدة الأمير كيف كان يكتب إليها رسائله من الرياض. كانت على شكل لائحة متعدّدة النقاط، بدلاً من الشكل المعتاد الذي ينساب فيه النصّ والديباجات المألوفة التي يكثر فيها السلام والتحيّات وتفيض بالعواطف. وفي إحدى الرسائل، على سبيل المثال، تقول الأميرة منى إنّه بدأ بالطلب إليها أن ترسل له سترة معيّنة، قبل الانتقال إلى طلبات أخرى. وبعد عدّة نقاط، توقّف قليلاً ليسأل، "بالمناسبة، كيف حالك"؟

ثمّ كان بين الحين والآخر يكتب لائحة النقاط بأقلام ذات حبر مختلف الألوان بحيث تبرز، ويتمكّن من التشديد على طلبات معيّنة. كانت تلك الرسائل تظهر حقّاً أنّه متقدّم كثيراً عن زمنه، ويتحلّى بمستوى من النضوج، والثورية، وجرعة معيّنة من التهكّم التي تفوت كثيراً عن نظرائه.

وعلى نحو غير معتاد قد يورد الأمير ملاحظة انتقاديّة على والده أو زوجة والده، ثم يشير إليها لاحقاً في تلك الملاحظة، راجياً أمّه ألا يعرف بها والده، واكتسب الأمير أيضاً بضع عادات أثناء دراسته في الشويفات حيّرت العائلة. كان يتّصل بأمّه في الصباح يوميّاً تقريباً ويطلب منها أن ترسل إليه طعاماً. لم يكن يطلب سندويشاً واحداً أو اثنين فحسب، بل كميّات كبيرة، مثل 25 دجاجة، 15 كيلو من اللحم، ثلاثة طواجن، سلطات، وما إلى هنالك. وكان يوضح لأمّه بعد ذلك أنّه دعا رفاقه لتناول الغداء معه. وفي أحيان كثيرة كان يذكر أنّه دعا الطلاب الخليجيّين فقط لأنّهم الأكثر قرباً له والأقلّ تحيّزاً. وتقول أمّه إنّها كانت تسايره في

طلبات الغداء الكبيرة لأنّها شعرت بأنّ ذلك يستحقّ العناء إذا كان من الطرق التي تبقيه في المدرسة وتثنيه عن الفرار منها.

أخذ الوليد يكتسب مزيداً من الثقة بهويّته الذاتيّة. كان معجباً جدّاً بجدّيه لأمّه وأبيه. بل إنّه في سنّ العاشرة كان ينتصب واقفاً كلما ذُكر اسم جدّه لأبيه، الملك عبد العزيز، على التلفزيون. وقد تدبّر نصب سارية يرفرف عليها العلم السعوديّ في منزل أمّه ببيروت. وأثار ذلك جلبة لدى الجيران. وتشير الأميرة منى إلى هذه الأشياء بالقول إنّ ابنها كان مختلفاً جدّاً عن الآخرين في مثل سنّه. وتروي كيف ظهر ذات مرّة في أحد المطارات – مطار لندن على ما تذكر – بدون جواز سفر أو مال أو متاع. وأبلغ المسؤولين هناك أنّه حفيد رياض الصلح طالباً بأنّ يسمحوا له بركوب الطائرة المتوجّهة إلى بيروت. وقد فعلوا ذلك في النهاية، وأرسلوا فاتورة تذكرة السفر إلى أمّه بعدما وصل.

ولا يزال الأمير الوليد يجلّ هاتين الشخصيّتين الكبيرتين في عائلته: "إذا سألتني من هو المثال الذي تقتدي به في حياتك، أقول لك جدّي عبد العزيز في المملكة العربيّة السعوديّة، وجدّي رياض الصلح في لبنان. فرغم أنّهما لم يكونا من رجال الأعمال، بل من السياسيّين، إلاّ أنّهما قدوة تحتذى في الاستقامة، ونظافة الكفّ، والشرف، والتواضع وحبّ الناس لهم والكرم كما كانا يرعيان الفقراء. وأنا شديد التعلّق بهما من هذه الزاوية، رغم أنّني لم ألتقِ أيّاً منهما"

كان الأمير الشابّ كثير النشاط في مدرسة الشويفات. ورغم أنّه بقي منطوياً على نفسه ولم يكن لديه سوى القليل من الأصدقاء الحقيقيّين، إلا أنّه أقبل على الرياضة بشغف شديد، وغالباً ما كان يلعب كرة القدم من الرابعة بعد الظهر حتى العاشرة مساء بدون توقّف. وأصبح شديد الولع بكرة القدم، لكنّه كان يجد الوقت أيضاً للعب الكرة الطائرة، وهي اللعبة التي لا يزال يحبّ ممارستها اليوم. كانت والدة الأميرة تشعر بخوف دائم تجاه نزول أطفالها إلى الماء كي لا يغرقوا، لذا أثنتهم عن السباحة في سنّ مبكّرة، قائلة لهم إنّ الغول سيأخذهم إذا ما نزلوا إلى الماء. لكن في العام 1974، أجبر الأمير طلال ابنه على خوض بركة السباحة فتعلّم السباحة في نهاية المطاف – وهي هواية لا يزال شغوفاً بها وبارعاً في ممارستها.

بعيداً عن الرياضة، كشفت المراهقة شيئاً من الجانب المتهوّر عنـــد الوليـــد، وكان يجد المتعة بين الحين والآخر مع أشخاص مقرّبين إليه ويستطيع الوثوق بهـــم، مثل ابن خالته رياض:

"لم أخف في حياتي يوماً مثلما حدث عندما ركبت السيّارة مع الأمير. فقـــد حصل على فيراري في سنّ الثامنة عشرة، وقادها بسرعة 260 كيلومتراً في الساعة، وما زلت أحس بقشعريرة كلما تذكرت ذلك اليوم"

رغم أنّ الوليد لم يحظَ بكل الامتيازات التي حصل عليها أبناء عمومته الأثرياء الأعضاء في العائلة المالكة، ألا أنّه كان محبوباً من كثير من أعمامه الأمراء. وفي حين أنّ والده كان صارماً نسبيّاً معه ورسم حدوداً لما يُسمح له بالحصول عليه، كـــان أعمامه يُغدقون عليه الهدايا، مثل السيّارات، والساعات، وبعض النقود ليلهو بهـــا. وهذا ما كان يفعله كما يقول رياض.

"جاءت سيّارة الباغي، ثم الفيراري، ثم كان عليـــه الـــذهاب إلى الولايـــات المتحدة. أعتقد أنّ هذه هي الفترة التي أدرك فيها أنّ عليه أن يكوّن المجال الخاص به وأنّه لا يستطيع أن يكون مثل الآخرين. أما بالنسبة لســـباقات الســـرعة والحيـــاة الجامحة، فقد انغمسنا فيها دون حساب. كانت بيروت في ذلك الوقت مكاناً يحلو فيه العيش ويطيب. وبالنسبة لمن يتمتع بالشباب، ولديه الصلات الجيّدة، ويمتلـــك بعض المال ليتدبّر أموره، كانت الأماكن الجميلة كثيرة، والصحبة الحلوة متـــوفّرة، والحفلات والملاهي منتشرة في كل مكان، لذا كنّا نتدبّر أمورنا"

ويبتسم الأمير الوليد عندما يستعيد تلك الأوقات في حياته: "أجـــل، كنـــت جامحاً بكل معنى الكلمة. إنني سعيد الآن لأن تلك الأيام قـــد ولّـــت وأصـــبحت خلفي، ومضى كل ما كان يجول في ذهني منذ سنين عديدة. إنني اليـــوم شـــديد الانضباط والتنظيم، وشديد التديّن والاستقامة. إنّني سعيد جداً لأنّ كـــل تلـــك الأمور حدثت عندما كنت شابّاً"

لا شكّ في أنّ الوليد كان مختلفاً ومشوّشاً بعض الشيء في ريعان الشـــباب، رغم أنّ رياض يسارع إلى الدفاع عنه: "كان يملك روحاً جامحة، لكنّه لم يـــنغمس في الأهواء منذ مدّة طويلة. إنني أعتقد أنّها كانت فورات ناتجة عن فرط النشـــاط.

لكنني أظنّ أنّه أدرك باكراً بأنّه لا يمكنه أن يكون كالآخرين، ولا يمكنه أن يكون شبيهاً بسائر الأمراء. كان عليه أن يميّز نفسه، وأعتقد أنّه سلك الطريق الصحيح. وعن طريق العمل الدؤوب في مرحلة باكرة من حياته، والاستثمارات الذكية، والاستماع إلى الآخرين، تمكّن من تمييز نفسه عن أبناء عمومته الآخرين"

الأفكار الروحيّة والمونوبولي

أخذ الوليد أيضاً يبدي تفهّماً أعمق للدين عقب العام 1974. فحتى ذلك الحين، كانت العبادات الإسلاميّة مهمّشة إلى حدّ كبير في حياته اليوميّة، وقد توقّف عن الصلاة لمدّة ثلاثة أشهر رغم العادات السعوديّة الصارمة. وفي هذا الوقت تقريباً، بدأ الوليد يشعر بالندم لأنّه يُهمل جانباً مهمّاً من جوانب تنشئته وحياته، وأخذ يبادر ببطء إلى الالتزام بالقيم والضوابط الإسلاميّة. وقد تطوّر ذلك إلى حدّ أنّ العديد من الأشخاص الذين يتعاملون مع الأمير اليوم يعلّقون على هذا الالتزام الدينيّ، لا سيما عندما يقطع الاجتماعات للصلاة.

وإلى جانب القيم الإسلامية، بدأ الأمير المراهق يظهر مزيداً من العلامات عن الروح التجاريّة العنيدة، والقدرة على المنافسة، والرغبة في النجاح، وقد شهد رياض على ذلك: كنت أول من اكتشف ذلك لأنّنا كنا نمارس طقساً يوميّاً بعد الانتهاء من المدرسة. كنّا نلعب المونوبولي لمدّة ساعة، وكان يغلبني كل مرّة. وأعتقد أنّني كنت أمتلك المقدرة العقليّة على مقاومة هجومه الكاسح، لكنّه كان يتمكّن دائماً من التغلب عليّ، لذا عرفت أنّه سيجني ثروة. كان يحلم ببناء الفنادق، وهذا ما يقوم به الآن، وكانت لديه أحلام بجني الكثير من المال، وعندما يخسر، هذا إذا خسر، كان يصرّ على اللعب ثانية. لذا أعتقد أنّ هذه الصفات كانت مغروسة فيه منذ وقت مبكّر، لكن لم يكن الأمر يتعلّق بالمال بل بالسلطة. وقد جاء المال والأعمال في وقت لاحق، لكنّه كان شديد الاهتمام في وقت مبكّر من حياته بممارسة هذه الألعاب ولديه رغبة عظيمة في أن يكون الفائز".

مع ذلك، لم يكن الأمير قد تخلّص في ذلك الوقت من عادة الهروب من المدرسة، بل إنّه أوقع نفسه غير مرّة في مشاكل خطيرة: "أذكر ذات مرّة أنّني هربت من

المدرسة. كان الأمر مضحكاً حقّاً. أرسل والدي ستّة أو سبعة أشخاص يبحثون عنّي في الرياض، ففكّرت في الاختباء بمكان لا يخطر لهم على بال أنّني سأكون فيه. لذا ذهبت إلى غرفة نومي داخل منزل والدي، ولبثت هناك ثلاثة أو أربعة أيّام، وقد بحثوا عنّي في كل الأماكن سوى تلك الغرفة، و لم يكتشفوا أنّني هناك سوى مصادفة"

وفي مناسبة أخرى، ذهب إلى منزل والدته في بيروت، وأعلن أنّه هارب وطلب استخدام إحدى سيّاراتها. وعندما سأل ما السيّارة التي لديها ويستطيع قيادتها، أجابت هناك فولكسفاغن وشيفروليه. شعر بالجزع واندفع خارجاً بغضب. وبعد بضعة أيام، صُدمت والدته عندما شاهدت وصول سيّارة كاديلاك، ورولز رويس، ولامبرغيني. فقد اتّصل بالملك فهد وأعمامه وطلب منهم إرسال سيّارات إلى والدته.

أصبح الاضطراب العائليّ شغل الوليد الشاغل أثناء طفولته ومراهقته: "لم تكن أوقاتاً سعيدة، بل كانت أوقاتاً عصيبة. وبالعودة إلى الوراء، أعتقد أنّ هناك أسباباً وجيهة كانت تدفع والدي ووالدتي إلى تأنيبي"

لكنّ المشكلة الحقيقيّة بدأت عندما ضرب معلّماً وأحدث له نزيفاً.

لم يكن الأمير الوليد طالباً عالي الهمّة. كان ذكياً، لكنّ الاضطراب العائلي وهروبه المتواصل من المدرسة أضعفا قدرته على التركيز على الدراسة.

يوضح رياض الأسعد ذلك: "لم تكن حياته الشخصيّة - حياته الأسريّة - مستقرّة، والمدرسة تتطلّب نوعاً من الاستقرار. أعتقد أنّ حياته اضطربت ما بين المدارس الداخليّة في لبنان وما بين العيش في البيت في لبنان وفي المملكة العربيّة السعوديّة. لا شكّ في أنّ وجوده في لبنان مع أمّه ووجود أبيه في المملكة، وطلاقهما أثّر عليه بطريقة أو بأخرى. لكنّه لم يكن مجتهداً في المدرسة، أعني أنّه لم يكن متفوّقاً. لم يكن مبرّزاً في الرياضيّات والفيزياء، و لم يكن ذلك الولد الناجح جدّاً، لكنّه كان ينجح دائماً"

في العام 1975 بلغ الأمير المراهق مرحلة مزرية في تعليمه. ورغم تحرّج الأمير وتردّده في روايه الحادثة، تروي والدته كيف أمسك به يختلس النظر إلى ورقة طالب آخر أثناء الامتحان. أبلغه المعلّم أنّه سيحصل على صفر وطلب منه المغادرة. فأجاب الأمير المتمرّد بأنّه كانّ ينظر فقط و لم يغشّ، وأنّ بوسع المعلّم أن يمنحه علامة صفر لا

أن يطلب منه الخروج. وأشار إلى أنّه حفيد الملك عبد العزيز ورياض الصلح، أوّل رئيس وزراء للبنان، ولا يحقّ للمعلّم أن يعامله بفظاظة. فما كان من المعلّم، الذي لم يكن يُدرك مقدار احترام تلميذه لهما، إلا أنّ قال، "تبّاً لجدّيك"!

نهض الأمير وقال، "قبل أن أخرج، لديّ رسالة لك من جدّيّ"، ووجّه لكمة قويّة إلى بطن المعلّم، وسبّب له كدمة شديدة. تضامن المعلّمون الآخرون في مدرسة الشويفات مع المعلّم المعتدى عليه. فبعد أن احتملوا سلوك الأمير الشابّ المتمرّد لبعض الوقت، قالوا، "إما هو وإما نحن" لم يكن أمام مدير المدرسة خيار آخر سوى طرد الأمير، رغم الصداقة التي تربطه بالعائلة.

وضع ذلك الوليد في موقف صعب جدّاً. فقد طُرد قبل أن يتخرّج وأدرك أنّ ذلك سيؤثّر على مستقبله بشكل سيّئ. ومن خلال الصلات التي تتمتّع بها والدته، تمكّنت من إيجاد مقعد له في مدرسة "مانور سكول" ببيروت بحيث يستطيع التقدّم إلى الامتحانات والتخرّج. في هذه الأثناء كان معظم أفراد العائلة والأصدقاء غير متفائلين كثيراً بإمكانيّة نجاحه، لكنّ شيئاً ما طرأ على عقل المراهق. ربما ظهر بعض الانضباط الذي عاشه في الأكاديميّة العسكريّة. وتقول والدته، "ظننت أنه سيلزمه عشر سنوات لكي يعوّض ما فاته، لكنّه أنجز كل ذلك في سنة واحدة فقط"

وتشير إلى أنّ المعلّمين في "مانور سكول" دُهشوا أيضاً: "إنّه لا ينسى أي شيء، حتى بعد مرور عشر سنوات عليه"

ومن المثير للانتباه أنّ ذلك من السمات الملحوظة عند الأمير الوليد اليوم. فهو لا يفوته شيء، ولا ينساه حتماً.

عمل الأمير مع معلّمين خصوصيين، وكان يواصل الدرس حتى الخامسة صباحاً كل يوم، ما مكّنه من النجاح في كل الامتحانات والتخرّج. كان مصمّماً على إثبات نفسه، وتوّاقاً للدراسة في مدرسة "إنترناشيونال كولدج" ببيروت. لكن عندما أنهى امتحاناته وكان يخطّط لمتابعة الدراسة، اندلعت في نيسان/أبريل 1975 الحرب الأهليّة التي دمّرت جانباً كبيراً من بيروت وقسّمت بين الطوائف. رأت الأميرة منى أن الوضع في المدينة يتدهور بشدّة ورجت الأمير ألا يعود إلى لبنان، بصرف النظر عن شدّة رغبته في الدراسة بمدرسة "الإنترناشيونال كولدج"

الحلم في كاليفورنيا

طالما استهوت الولايات المتحدة الوليد وكان يتوقّع أن يتابع الدراسة هناك في مرحلة ما، لذا التحق بكليّة منلو في أثرتون قرب سان فرنسيسكو بكاليفورنيا لدراسة إدارة الأعمال.

غادر الأمير إلى الولايات المتحدة مشحوناً بالقلق، كان باله مشغولاً على أمه المقيمة في بيروت فيما تستعر الحرب الأهليّة وتتعرّض المدينة إلى القصف بمدافع الهاون، كما كان قلقاً على شقيقيه الصغيرين اللذين يتطلّعان إليه للدعم والمساندة.

كتب رسالة إلى أمه يقول فيها، "لا تقلقي، سأهتمّ بشقيقي وشقيقتي"

أمضت الأميرة ريما شهرين في نهاية العام 1975 مع أخيها في منزله الخشبيّ المصمم على طراز بيوت المزارع قرب كليّة منلو. كان المبنى الشبيه بالكوخ مميّزاً جدّاً على طريق "إل كامينو الرئيسيّ بأثرتون، بمحاذاة الكليّة. لم تكن هناك بالطبع أي علامات تشير إلى أنّه الآن منزل ابن أخ عاهل المملكة العربيّة السعوديّة. وقد شعر الأمير بالاطمئنان لوجود أخته معه، لكنّه أصبح الآن مشغولاً بشيء مهمّ جديد في حياته.

إنّها فتاة شابّة، تكبره بسنتين، وقد درست بمدرسة غابة الصنوبر في بيروت، وهي الآن توشك أن تصبح زوجة الأمير. كانت دلال، وهي امرأة رائعة الجمال وذكيّة، من أعضاء العائلة المالكة أيضاً، وقد لفتت نظر الوليد الشابّ. في العام 1976، تزوّج الأمير ووجد نفسه أمام مسؤولية جديدة.

وجد نفسه أيضاً في بيئة جديدة تثير التحديات، حيث لا يتمتّع صاحب السموّ بالمكانة نفسها التي يحظى بها في المملكة أو لبنان، بيئة تبدو ثقافتها وعاداتها غريبة جدّاً عليه. يقول الوليد إنّه شعر بوحدة شديدة في تلك الفترة واكتسب الكثير من الوزن، وتحاشى الاختلاط مع الطلاب الآخرين، وباستثناء السهر على رعاية زوجته، لم يركّز على أي شيء سوى دراسته. أصبح مختلفاً تماماً عن الفتى الذي أمضى معظم طفولته في تجاهل الواجبات المدرسيّة والهروب.

في أثناء ذلك، وفيما كان الأمير منعزلاً عن العالم العربيّ، توثّقت علاقته بصورة غير متوقّعة مع صديق لا يزال يشكّل جزءاً من حياته بعد مضي نحو ثلاثة عقود. كان

تشارلز "تشاك" غولان يعمل في متجر كبير عندما تقدّم منه هذا الأجنبيّ السمين الذي يصغره بنحو خمسة عشر عاماً وطلب مساعدته في اختيار جهاز ستريو. وكان تشارلز يعمل في قسم آخر، لكن بدا هذا الأجنبيّ واثقاً من نفسه وكثير التطلّب، ولّما لم يكن هناك أحد من الدائرة المناسبة موجوداً لمساعدته، صرف النظر عن الشراء.

بعد القيام بجولة في القسم، شكر الأمير تشاك فيما كان يهمّ بالمغادرة وطلب منه بطاقة التعريف. فوجئ الأمريكيّ لاحقاً في ذلك اليوم عندما تلقّى اتصالاً من ذلك الشخص الذي لم يعرف اسمه، ولم يستطع أن يكرّر لفظه. وعندما أوضح الأمير أنّه الشخص الذي كان بحاجة إلى مساعدة لشراء ستريو، عرفه تشاك، لكنّه شعر بالحيرة عندما طلب الأمير منه اختيار جهاز ستريو جيّداً من الأجهزة التي عايناها معاً وإحضاره إليه. فكّر هذا الرجل الكاليفورنيّ، طويل القامة صاحب البنية القويّة والشعر المدهون بالجل، في الأمر وبدا له المتحدّث شخصاً مختلفاً، فأخذ عنوان بيت الأمير.

"عندما أحضرت الجهاز إلى منزله، توجّهت إلى غرفة خلفيّة بجوار بركة السباحة. كان هناك العديد من الأشخاص وكان الأمير يرتدي الثوب، ووضعنا الأجهزة كلّها في الغرفة. أعطيته الفاتورة فوقّع شيكاً وهممت بالخروج عندما قال، 'من الذي سيركّب هذه الأشياء؟' قلت، 'لا أعرف. لقد حصلت على الشيك وتلك مشكلتك على ما أعتقد' لو كنت أعرف في ذلك الوقت ما أعرفه اليوم، لما كنت قلت ما قلت. رمقني بنظرة وحسب فأدركت أنّني ارتكبت خطأ، لذا قلت، 'لا تقلق سأعود بعد أن أنهي عملي وسأساعدك في تركيبه' وهكذا عدت بعد بضع ساعات وسهرنا حتى الخامسة صباحاً ونحن نركّب الأجهزة جالسين على ركبنا وواقفين على السلالم - في تلك الأيام كانت الأسلاك لا تزال مستخدمة - وهكذا بدأت علاقتنا معاً"

كانت تلك الليلة بمثابة نقطة بداية لتشاك، حيث تحدّث إلى الأمير وبدأ يعرفه ويفهمه. أما بالنسبة للوليد، فقد كان تشاك أول أمريكيّ يبدأ ببناء صداقة معه. توثّقت أواصر العلاقة بينهما بسرعة، وأصبح تشاك الشخص الذي يعتمد الأمير عليه كثيراً في كل شيء من النصح إلى الرفقة فحسب، لا سيما عندما تكون روحته في الشرق الأوسط.

يفكّر تشاك في الأمر ويقول، "أعتقد أنّه كان يشعر بالوحدة في تلك الفترة حيث لم يكن هناك أحد من حوله. كنّا أنا وهو والمكالمات القادمة من المملكة العربيّة السعوديّة والكليّة. هكذا كانت الأمور بشكل أساسيّ."

اكتساب اللياقة البدنيّة

إلى جانب الوحدة، لم يكن الأمير يشعر بالارتياح إلى الوزن الذي اكتسبه في السنوات القليلة الماضية. فقد بلغ وزنه 90 كيلوغراماً تقريباً، ولأنّ طوله يبلغ 176 سنتيمتراً، كان يبدو ممتلئ الجسم. وقد شهد تشاك ما كان يتسلّى به الأمير أثناء وحدته"

"في البداية كان يتناول الكثير من الأشياء التي لا يقربها الآن قطّ، مثل مخفوق الحليب، والفراولة، والدونتس، والآيس كريم. وهذه من الممنوعات في هذه الأيام بل إنّه لم يقربها منذ نحو 25 عاماً"

جاءت نقطة التحوّل عندما كان الأمير يحاول الخروج من سيّارة رياضيّة منخفضة اشتراها من كاليفورنيا. وفيما كان يكافح للتحرّر من المقعد الضيّق، أدرك أنّه لا يستطيع الاستمرار على هذا النحو. وسرعان ما لاحظ تشاك تغيّر الموقف بوضوح: "فجأة وعلى نحو غير متوقّع مشينا من منزل أحد الأصدقاء على بعد نحو أربعة أميال. و لم يتمكّن أحد من العودة إلى منزله سوى الأمير. أما نحن فقد سقطنا على جانب الطريق إلى حدّ ما. لم نكن ننتعل الأحذية المناسبة وبدأت أقدامنا تؤلمنا، لذا توقّفنا عن المشي لكنّه تابع المسير، ومنذ تلك اللحظة اعتاد الأمير المشي والتمرين"

تخلّص الأمير بسرعة من الوزن الزائد، واستقرّ وزنه عند 62 كيلوغراماً. و لم يكن الأمير يفرط في التدخين و لم يتناول الكحول أثناء وجوده في كاليفورنيا، رغم نمط الحياة المتحرّر مقارنة بالعيش في المملكة.

ويقول تشاك، "لم يكن يدخّن كثيراً حتى في تلك الأيام. وكان يستخدم نوعاً من الفلتر الطويل. و لم يكن ذلك يعتبر تدخيناً بالنسبة إليّ. أما بالنسبة للشرب، فلا أذكر أنّه شرب في البيت قطّ. أعني أنّه لم يكن ما أسمّيه من النمط اللعوب"

بدا تشاك خائباً إلى حدٍّ ما. فإذا كان يأمل بصحبة أمير سعوديّ يسعى وراء الحفلات والحياة الصاخبة، فيبدو أنّه عثر على الشخص غير المناسب.

من الأمور الحسنة بشأن الحياة شبه المنعزلة التي اتبعها الوليد أنّها مكّنته من التركيز على دروسه. وقد لاحظ تشاك، نظراً لقربه من الأمير وقضاء الكثير من الوقت معه، الحافز الذي كان يدفع هذا الشابّ إلى النجاح. وهو يقول إنّ الوليد كان يغرق بين الكتب لمدّة خمسة أيام في الأسبوع، ولا يسمح لنفسه بالراحة إلا في عطل نهاية الأسبوع، وغالباً ما يرتاد المطاعم في سان فرانسيسكو أو منطقة الباي. كان يحبّ أنواعاً مختلفة من الأطعمة، مثل الطعام المغربيّ أو الهنديّ، لكنّه يتوخّى الحرص الآن فيما يأكله. أصبح المشي مسافات طويلة وممارسة الرياضة بين الحين والآخر طريقته المتّبعة في التخلّص من الوزن الزائد. وكان يتصل بأمّه بصورة متكرّرة طالباً مشورتها بشأن تناسق الألوان في منزله، ومدقّقاً فيما إذا كانت بعض درجات الألوان تكمّل بعضها الآخر. وتقول أمّه إنّها عندما توجهت في النهاية إلى أثرتون لزيارته، فوجئت بما حقّقه في الزخرفة الداخليّة، مشيرة إلى أنّه كان ميّالاً إلى الألوان الفاتحة.

شهد الأمير الوليد أثناء مكوثه في كاليفورنيا نقطة تحوّل أخرى في حياته. فقد رُزق بطفله الأول وأصبح والداً. عندما وُلد خالد في 21 نيسان/أبريل 1978، تعلّق الأمير بابنه كثيراً، وكان يتصرّف مثل مربٍّ للطفل – أو كما تعبّر عن ذلك والدته، "كان الأب والأم في الوقت نفسه"

كان فرحاً جدّاً بقدوم ابنه الأول لدرجة أنّه تعبيراً عن امتنانه للمستشفى الذي وُلد فيه خالد، أعاد تجديد الجناح الذي أقامت فيه الأميرة دلال، وأعاد تأثيثه وزخرفته. كانت إقامة الأمير في الولايات المتحدة فرصة لكي يألف البلد ويطوّر موقفاً أكثر تأييداً لأمريكا مما كان عليه عندما كان في العالم العربيّ.

لقد غادر الوليد الشرق الأوسط في العام 1975 شابّاً متمرّداً وغير منضبط نسبيّاً، وعاد إلى المملكة العربيّة السعوديّة في العام 1979 شخصاً مختلفاً تماماً. فقد تزوّج وأنجب ابنه الأول، ونجح في امتحانات الجامعة بتفوّق.

استرجاع الذكريات

بعد مرور ربع قرن من الزمن، تبتسم الأميرة منى في قرارة نفسها بهدوء فيما تفتح الرسائل القديمة المكتوبة على شكل نقاط وبأقلام مختلفة الألوان. وتقوم بجمع الصور الفوتوغرافيّة القديمة بالأسود والأبيض ووضع الصور والرسائل في مغلّفات النايلون لحفظها. وتتّسع ابتساماتها عندما تتأمّل كم تغيّر ابنها المشاكس، وكم بقي منه على حاله في الوقت نفسه. إنّ الرسائل القديمة التي أعادتها إلى مكانها تعكس الكثير من خصائص الوليد اليوم، مثل شغفه بالإيجاز واتباع الدقّة العسكريّة تقريباً في كل ما يقوم به.

وتعكس الأفلام المصوّرة القديمة الدافع المتّقد لدى الوليد الصغير كما هو عليه الوليد البالغ.

تظهر الأناقة الملوكيّة بوضوح على الأميرة منى وهي في أواسط الستينات من العمر، وتبدو كأنها تصغي علّها تسمع صدى تلك الأيام الخوالي. لقد تبدّلت الأمور كثيراً، وأثبت الشابّ الذي طالما هرب من المدرسة ونام على المقاعد الخلفيّة للسيارات أنّه الرجل المتميّز وصاحب الانجازات مثلما تعهّد دائماً أن يكون.

نضجت علاقة الأمير الوليد بأبيه مع تقدّم السنين. لقد أعجب الفتى بشخصيّة الأمير طلال القويّة والصريحة عندما كان مراهقاً، لكن الألم الذي أحدثه الانفصال بين والديه علّمه درساً لا يُنسى. وعندما انفصل عن زوجته الأميرة دلال في نهاية سنة 1994، تعامل الوليد مع الطلاق بلباقة شديدة وحافظ على علاقة الصداقة والاحترام التي تجمعه بدلال. كما أنّه شجّع ولديه على المحافظة على علاقة وثيقة معها لكي لا يمرّوا بالمعضلات والأزمات نفسها التي واجهها في طفولته.

أمضى الأمير طلال معظم السنين التي تلت ابتعاده عن السياسة في تطوير العمل الإنسانيّ، وأصبح يعرف باسم "أمير الأطفال"، نظراً لعمله مع اليونيسيف، منظّمة الأمم المتحدة للطفولة. ويبدي الأمير طلال إعجابه بمنجزات ابنه وهو سعيد بشأن تطوّر الأمور بينهما ونضوجها مع الوقت: "إنّها علاقة والد بابنه وأنا أشعر بأنّنا أصبحنا أصدقاء لأنّه في سنّ تسمح بأن نكون أصدقاء. ولدينا مثل عربيّ قديم مفاده 'إذا كبر ابنك اتخذه أخاً' وذلك ما فعلته"

3

اندفاعة الذهب الأسود

"كان ذلك أشبه باندفاعة الذهب العظيمة في كاليفورنيا. لقد كان الجميع هنا وأرادوا تحقيق الأرباح، وكان هناك فرص كثيرة".

خالد المعينا،

رئيس تحرير "عرب نيوز"

في وصف للمملكة العربيّة السعوديّة في السبعينيّات

غيّر الذهب الأسود، أو النفط، مصير المملكة العربيّة السعوديّة في ثلاثينيّات القرن العشرين عندما اكتشفه الجيولوجيّون الأمريكيّون هناك. وفي السبعينيّات، أعادت تلك السلعة بمفردها - النفط - صياغة اقتصاد المملكة الصحراويّة التي تمتلك أكبر الاحتياطات المعروفة في العالم، وسرعان ما أصبحت أكبر البلدان المنتجة والمصدّرة قاطبة.

منح النفط المملكة العربيّة السعوديّة نفوذاً عالميّاً كبيراً.

عند توحيد معظم الأراضي المتراميّة لشبه الجزيرة العربيّة في عشرينيّات القرن العشرين، أعاد الملك عبد العزيز الذي كان يتميّز بالديناميكيّة والتفكير التقدّميّ تشكيل الأمّة بعد أن كانت تتكوّن من مجموعة من القبائل المتناحرة. وبعد مرور نصف قرن من الزمن، وفّر ميراثه الدعم والمساندة لأغنى عائلة مالكة وربّما أكبرها في العالم، عندما حصدت مكافآت التنقيب عن النفط وإنتاجه. ولم يكن حفيده، وهو شابّ متحمس ومصمّم على النجاح، ليترك هذه الفرصة تفوته. كان الأمير الوليد بن طلال يتحرّق شوقاً للعودة إلى وطنه للاستفادة ما أمكن من بيئة الأعمال المزدهرة هناك.

سرّع الأمير خطى دراسته بكليّة منلو، وتمكّن من إنهائها قبل الموعد بسنة. ثمة بعض المفارقة في ذلك، فبعد أن خبر الأمير طلال موقف الوليد المتهوّر وغير المسؤول على العموم من الدراسة في بيروت والرياض، أرسل مبعوثاً من طرفه لزيارة ابنه في سنته الأولى في الولايات المتحدة. وكانت مهمّة الزائر تقضي بتقييم إذا ما كان الابن مهتمّاً بدروسه أم لا، ومراجعته إذا لم يكن يعمل على ما يرام. فوجد أنّه أمام رجل يقترب من عيد ميلاده العشرين وهو منكب على الدراسة.

وكان تشاك غولان يشاهد ذلك بانتظام:

"أجل، كان محبّاً للكتب وكانت الدراسة تأتي في المقام الأول. وحتى عندما كنت آتي لزيارته، كانت الخادمة تقول، 'لا تزعجه، إنّه في الداخل يذاكر'، وذلك ما كان يفعله. كان مختلفاً عن كثير من الأمراء السعوديّين الذين رأيتهم وقرأت وسمعت عنهم، كان مختلفاً تماماً"

أراد الأمير الآن أن يثبت نفسه أمام الأمراء الآخرين في الوطن. ومع أنّه كان مرتاحاً من الناحية الماليّة من عدّة أوجه، لم تكن حياته تتسم بالامتيازات أو الإسراف الصريح ككثير من أبناء عمومته، وكان متلهّفاً ليثبت أنّه متساوٍ معهم. أراد العودة والانخراط في العمل بسرعة، لذا سرّع وتيرة دراسته، لكنّه كان بحاجة أيضاً إلى المؤهّلات من الولايات المتحدة - والعلامات الجيّدة أيضاً.

يذكر أحد أساتذته، كارلوس لوبيز، أنّ الأمير كان من أكثر الطلاب الذين شهدهم اجتهاداً ومثابرة. وقد التقى لوبيز، بوصفه المرشد الأكاديميّ للأمير، بالمبعوث الذي أرسله الأمير طلال من الرياض. وعندما سأل الزائر إذا كان الوليد يواجه أي صعوبة في دراسته، أجاب لوبيز، "ماذا تقول! هل شاهدت علاماته"؟

لقد كانت كلها من الدرجة "أ"

لم يكن ذلك أمراً مفاجئاً لتشاك:

"كان دافعه الأول الدراسة. أعني أنّ الكتب كانت شغله الشاغل. كان منكبّاً على الدراسة طوال الوقت"

أخيراً، ها هو الطالب [illegible] يغادر شواطئ الشرق الأوسط

لاستكشاف العالم الأكاديميّ في الولايات المتحدة يردّ على منتقديه. لقد حصل على المؤهّلات لكن عليه الآن أن يستغلّها في عمل ما.

جني المكافآت في الرياض

عندما رجع الوليد إلى الرياض، وجد إمكانات لا حصر لها هناك. وأنّ بوسع كل من يمتلك الحسّ الصحيح لممارسة الأعمال النجاح في هذه البيئة حتى لو لم يكن لديه رأسمال كبير.

يذكر خالد المعينا، رئيس تحرير "عرب نيوز" ذلك بشكل جيّد: "كان ذلك أشبه باندفاعة الذهب العظيمة في كاليفورنيا. لقد كان الجميع هنا وأرادوا تحقيق الأرباح. وكانت هناك فرص كثيرة، فقد ارتفعت أسعار النفط وتضاعفت أسعار العقارات بنسبة 8000 بالمئة أو نحو ذلك، لذا أعتقد أنّه كان زمن من يريد جني المال، ومن يريد الاستثمار في أي صفقة ومشروع يريد. كان زمناً تشتري فيه المملكة العربيّة السعوديّة كل شيء. وفيه ازدهر البناء والبنية التحتيّة، لذا كان بوسعك شراء أي شيء من البلاستيك إلى الفولاذ إلى الإسمنت، وهكذا نجح كل من كان يتحلّى بالذكاء ويعرف متى يدخل ويطرح أوراقه – وأعتقد أنّ الوليد كان واحداً منهم"

كان الوليد أميراً وعضواً في العائلة الحاكمة، بالإضافة إلى المقدرة العقليّة والحافز اللذين يتميّز بهما. كان يمتلك الصلات، إلا أن أسلوبه اختلف عن أسلوب الآخرين الذين لديهم صلات بأصحاب سلطة اتخاذ القرار. في ذلك الوقت، كانت الفرص والدخل مضمونة عن طريق رجال الأعمال السعوديّين والمحليّين على شكل عمولات رسميّة، كما هو الحال في العديد من البلدان العربيّة الأخرى – بل وحتى غير العربيّة. وقد وجد فيها البعض طريقة لتوسيع ثروته، ومنح قدر ما أمكن من الأشخاص الفرصة للاستفادة من الانتعاش الاقتصاديّ. فلكي تتمكّن شركات الأعمال من ممارسة العمل في المملكة، كان عليها أن تتخذ لها شركاء وممثّلين محليّين. وكانت نسبة العمولة المتعارف عليها تبلغ 5 بالمئة عن الصفقة، لكن لم يكن غير المعتاد أن يتقاضى الوسطاء المحليّون النافذون ما يصل إلى 30 بالمئة في بعض العروض الكبيرة والأكثر تنافسيّة.

اختلفت طريقة استخدام المواطنين المحليّين تلك الفرصة الذهبيّة اختلافاً كبيراً. كانت بالنسبة للعديد منهم مصدراً سهلاً للكسب. كانت العمولات كبيرة ووفيرة، نظراً لكبر حجم المشاريع التي كانت تتمّ في المملكة العربيّة السعوديّة أثناء الفورة النفطيّة واتساع نطاقها الماليّ. وآثر العديد من رجال الأعمال المشاركين في هذه الصفقات الانكفاء وعدّ الأموال التي جنيت بوفرة. وشهدت العواصم الغربية مثل لندن، وباريس، وجنيف، وروما تدفّقاً للزوّار السعوديّين، لا سيما في أشهر الصيف حيث يهرب المواطنون من حرّ شمس الصحراء الحارقة. وكانت جيوب هؤلاء الزوّار عامرة بالمال، فأحدث إسراف العرب في الإنفاق حمّى تسوّق في كل الأماكن، من متاجر مصمّمي الأزياء إلى أفضل الفنادق والمطاعم. وارتفعت أسواق العقار في العواصم الأوروبيّة العصريّة عندما تدفّقت الأموال العربيّة، وانتقلت الشقق الفاخرة إلى ملاّك من الشرق الأوسط.

أضرّ الإنفاق الذي حدث أيّام الفورة النفطيّة الذهبيّة بصورة السعوديّين من عدّة أوجه، حيث رفضتهم النخبة الغربيّة الراقيّة بوصفهم زوّاراً أغنياء غير مثقّفين، وغرباء إلى حدٍّ ما. ونتجت هذه الصورة عن الأموال السهلة التي تحقّقت بسرعة.

لكن لم يكن الجميع راضين عن وقف إعمال العقل ومدّ اليد للحصول على العمولات. لم يكن الوليد ممن يجلسون على هامش صفقات الأعمال الكبيرة. فقد أراد المشاركة بنشاط ما إن وطأت قدماه التراب السعودي في أواخر سنة 1979.

"أنهيت الدراسة للحصول على شهادة البكالوريوس في سنتين ونصف، وهذه فترة قياسية، لذا عدت إلى الرياض في أواخر الانتعاش الاقتصاديّ لأنّني لم أرد أن أفوّت الفرصة. وأحمد الله أنّني جئت في الوقت المناسب، حيث تمكّنت من الحصول على عدّة عقود استئجار سنويّ واستثمرت المال الذي حصلت عليه في العقارات، وتوسّعت في ذلك قدر ما أستطيع. كنت أحاول الاستثمار في شركات ذات أرقام أعمال كبيرة. كان لدينا انتعاش اقتصاديّ. تستثمر مليون أو مليوني أو ثلاثة ملايين ريال، وخلال ستة اشهر إلى سنة يتضاعف المبلغ مرتين أو ثلاث، لكن يمكن في بعض الأحيان أن تتأذّى إذا لم تقم بالاستثمار الصحيح. لم يكن التكيّف سهلاً، لكنّني تكيّفت"

كان الأمير يشير باستخدام كلمة "تكيّفت" إلى استخدام مهارات الأعمال التي اكتسبها من الدراسة في الولايات المتحدة ثمّ تطبيقها في بيئة الأعمال غير الناضجة والمفرطة السرعة في المملكة العربيّة السعوديّة.

غالباً ما كانت إجراءات الأعمال غير ناضجة في المملكة في ذلك الوقت. فقد كانت الشفافيّة والتعاملات المباشرة ملبّدة بتأثير الواسطة أو الصلات والأجندات المتشابكة. وتبيّن أنّ تطبيق استراتيجيّة واضحة ومقاربة العقود وفقاً للقيم والمعايير الغربيّة الراسخة – مثلما تعلّم الأمير في منلو – أمر مثير للتحدّي. لم تكن التوقّعات المحليّة منسجمة مع طريقة التفكير تلك، لكنّه ثابر وأصرّ على استخدام ما تعلّمه حيثما أمكن ذلك. كان يعرف قيمة الصلات التي يمتلكها، ورغب في استخدامها بجرأة وإقدام، لكنّه كان يريد أن تعرف الشركات الأجنبيّة التي يتعامل معها أنّ لديه خبرة في طريقة ممارستها الأعمال بصورة عامّة.

يقول الوليد إنّه بدأ بمبلغ 30000 دولار قدّمها له والده، وكان كافياً لأن يؤسّس شركته، مؤسّسة المملكة، في سنة 1980، بعد مرور بضعة أشهر على وصوله إلى المملكة العربيّة السعوديّة.

جاءت فرصته الأولى الكبيرة بعد مرور سنتين صعبتين، في سنة 1982، على شكل اتفاق عقده مع شركة كوريّة جنوبيّة. وكانت هذه الشركة قد فازت بعقد قيمته ثمانية ملايين دولار لبناء نادي الضبّاط في ثكنة عسكريّة قرب العاصمة السعوديّة. وبدلاً من أخذ نصيبه لقاء تسهيل العقد ومتابعته من خلال اللوائح الداخليّة والموظّفين المحليّين، أخذ الأمير حصّة في المشروع وأعاد استثمار معظم الأموال التي جناها. وقد عادت هذه الفلسفة التي لا تقوم على كسب المال وإنفاقه، بل إعادة استثماره بعناية وبطريقة استراتيجيّة على رجل الأعمال الشابّ الحادّ الذكاء والهمام بأرباح ضخمة.

"تعرف أنّني لا أحبّ العمولات، ولطالما كرهتها! وهي بالنسبة إليّ طريقة سريعة لكسب المال – ورغم أنّني اشتركت مع الشركات وتقاضيت أتعاباً – إلا أنّني لا أسمّيها عمولة لأنّني نلتها عن جدارة. كان البعض يوقّعون العقد فقط مع المتعهّدين ويذهبون إلى بيوتهم ويُدفع لهم. أما أنّا فكنت مشاركاً نشطاً لأنّني أعمل معهم. كنت

أجمع حقوق الملكيّة العائدة لهم، وأرتّب القروض لهم، وأعمل بجدّ معهم. لذا كنت أستحقّ المال الذي أتقاضاه من هؤلاء المتعهدّين – والعقود على وجه الخصوص

كان العمل الإضافيّ في المشاريع هو الذي يجعل الوليد يشعر بأنّ الأموال التي يتقاضاها أكثر من عمولات فحسب. كان يسعى بنشاط للحصول على العقود ويرغب في المشاركة، لكنّه يطالب بنسبة عالية – تصل إلى 30 بالمئة – لقاء الاهتمام بكافّة احتياجات الشركة المتعهّدة. ويضيف الأمير لأنّه تمكّن من كسب مبالغ كبيرة من المال عن طريق المشاركة الجديّة في مشاريع الأعمال الفعليّة:

"يمكنك كسب المزيد من المال عن طريق العمل المتعدّد الأوجه، أي جمع حقوق الملكيّة، وجمع الأموال بالاقتراض، وجمع المساهمين معهم، والعمل على الحصول على تأشيرات الدخول، والعقود من الحكومة. لذا فإنّ اتساع مجال العمل يعني أنّ بوسعك تحقيق مزيد من الدخل والحصول على مزيد من الأتعاب"

لكنّ الأمير يصرّ على أنّ العمولات لم تشكّل أكثر من 15 بالمئة من الأموال التي كسبها في الثمانينيّات، ومعظمها جاء عن طريق صفقات العقارات التي أنجزت لقاء عمولة. ومن الأمور التي ساعدت كثيراً بتسريع تراكم الثروة التي بدأ يجمعها عدم وجود ضريبة دخل في المملكة العربيّة السعوديّة. لكن لا يزال معظم الأشخاص الذين لا يعرفون الكثير يدفعهم الفضول حتى اليوم للتساؤل عن كيفيّة تمكّنه من جمع هذه الثروة في هذه السنّ الصغيرة نسبيّاً.

يفترض العديد من الأشخاص أنّها "أموال نفطيّة" ليس إلا، لأنّه سعوديّ وعضو في العائلة المالكة. ولعلّها أموال نفطيّة إلى حدٍّ ما بطريقة غير مباشرة لأنّه حقّقها بسبب الفورة النفطيّة التي حدثت في المملكة. كما أنّ النفط هو الذي حفز الصفقات التي تمّت، وهو الذي جلب الشركات والاستثمارات الأجنبيّة. لكنّ الوليد لم يحصل على شيكات ماليّة لأنّه يمتلك النفط، بل إنّه لم يكن يمتلك نفطاً على الإطلاق.

يصرّ الأمير على أنّ نقطة انطلاقه كانت بسيطة جدّاً، وأنّه كان يمتلك القليل من المال نسبيّاً في سنة 1980. فإلى جانب مبلغ 30000 دولار الذي قدّمه الأمير طلال لابنه، حصل الأمير من والده على المكان الذي يباشر أعماله منه: "أعطاني

مكتباً صغيراً يتكوّن من أربع غرف. إحداها غرفتي، والثانية لسكرتيري، والثالثة للمدير والرابعة كانت مطبخاً. كانت البداية صعبة جدّاً، وقد نفد منّا المال في غضون شهرين أو ثلاثة، لذا اضطررت إلى اللجوء إلى مصرف أمريكيّ سعوديّ - كان في ذلك الوقت مملوكاً لسيتي بنك (Citibank) بشكل جزئيّ. طلبت منهم قرضاً فمنحوني مليون ريال، أي نحو 300 ألف دولار، وكان عليّ أن أرهن بيتي - البيت الذي قدّمه لي والدي. وبالمناسبة، لا تزال الأوراق في حوزتي. ومن المفارقة أنّني بعد مرور عقد من الزمن (في سنة 1991) أنقذت البنك نفسه، مجموعة سيتي (Citigroup)، عندما استثمرت فيه ما يقرب من 600 مليون دولار. وهكذا توجّهت إليهم (في سنة 1980) وحصلت على مليون ريال، ووفّر ذلك لي السيولة لسنة أو سنة ونصف أخرى. كنت أدير عملاً صغيراً، وكانت الأمور صعبة جدّاً في السنتين الأوليين، لكنّها تحسّنت بعد ذلك"

يقول الأمير إنّه لا يزال يمازح أصدقاءه الذين يديرون الآن مجموعة سيتي حيث يروي كيف توجّه إليهم للحصول على قرض عند تأسيس شركته، وكيف كفلهم عندما أوشكوا على الانهيار بعد ذلك بعشر سنوات. ولا يزال يحتفظ بنسخة عن اتفاقيّة ذلك القرض بدرج مكتبه في الرياض، ويلوّح بها مغتبطاً أمام من يشكّكون في مصادر أمواله.

لقد بدأ بأقلّ من نصف مليون دولار، ووصل إلى أكثر من 20 مليار دولار في 25 سنة فحسب.

أليس ذلك مستحيلاً؟

يعتقد الكثير من الأشخاص ذلك، لكن عند إلقاء نظرة دقيقة على الأرقام، يتّضح أنّ الأمير كان يستخدم الأموال التي يكسبها بطريقة استراتيجيّة مذهلة. وقد ركب بعض المخاطر، لكنّ البيئة العامّة التي عمل فيها كانت تتعلّق بمجملها بالنموّ السريع.

المغامر

ثمة بعض المنتقدين للوليد في المملكة العربيّة السعوديّة والعالم العربيّ. ويصفه عدد من رجال الأعمال ممن عملوا في تلك الفترة بأنّه شابّ هُمام شديد الصراحة

بشأن عقد اتفاق واستخدام صلاته الملكيّة أوسع استخدام. بل إنّ البعض رأى شيئاً من الغطرسة في إصراره على أن يكون مشاركاً فاعلاً في مشاريعهم. فقد كانوا بحاجة إلى صلة محليّة لتأمين العقد وتعرّضوا للضغط لأنّ المخاطر كانت كبيرة. ويقول هؤلاء المنتقدون إن قدرة الوليد على الضغط بشكل متواصل على صنّاع القرار، والعديد منهم من أعمامه، كانت العامل الرئيسيّ الذي مكّنه من تثبيت أقدامه باكراً في مجتمع الأعمال. وهناك أيضاً من يعتقد أنّ الحظوة التي يتمتّع بها الوليد لدى أعمامه أصحاب السموّ الملكيّ الأمراء كان لها دور كبير في تأمين مباركتهم ودعمهم له.

يقول خالد المعينا، وكان صحافيّاً شابّاً في ذلك الوقت، إنّ الجميع استفادوا بطريقة أو بأخرى من النموّ السريع للبنية التحتيّة والاقتصاد السعوديّين في السبعينيّات. ويشير إلى أنّ الكثير من الأشخاص حقّقوا ثروات طائلة مع أنّهم بدؤوا بمبالغ صغيرة، لذا فإنّ تمكّن الأمير الوليد من تحقيق تلك القفزة أمر معقول جدّاً: "إنني أعرف شخصاً بدأ بمبلغ 20 ألف دولار وانتهى به الأمر إلى جمع ثمانية ملايين دولار، لذا يمكن أن يكون الأمر صحيحاً"

أمضى المصرفيّ الخاصّ للأمير ومستشاره الماليّ، مايك جنسن، نحو عقد من الزمن في العمل مع الوليد كهمزة وصل مع مجموعة سيتي (Citigroup)، وهو رجل دمث الأخلاق، حسن الاطلاع، واسع الصلات. تعرّف جنسن، الذي لديه تاريخ طويل من العمل مع البنك، على الأمير في سنة 1993، وبدأ يعمل بشكل مباشر معه منذ العام 1994. يقول جنسن إنّ سلفه، الراحل سيدريك غرانت، عمل مع الوليد منذ أن أودع أوّل مبلغ في البنك في سنة 1980. وشهد غرانت، ولاحقاً جنسن، على كل دولار دخل إلى حسابه وخرج منه في العشرين سنة التالية، وراقبا نموّه غير العاديّ. ويقول جنسن إنّ قربه من الأمير يجعله لا يشعر بأيّ خوف من الدفاع عن نزاهته.

"ما من شكّ في أنّ المال ماله وأنّه استحقّه عن جدارة. لقد كسبه من البناء والعقارات في المملكة العربيّة السعوديّة، وكسبه من العديد من الشركات الصناعيّة والماليّة في المملكة، وكسبه من استثماراته في الغرب، سواء في مجموعة سيتي أو

غيرها، أو ما نسمّيه محفظة استثماراته، بالإضافة إلى ما كسبه من الفنادق التي يمتلكها ويشارك في إدارتها. لذا فإنّه استحقّ ثروته عن جدارة"

أجرت مجلّة "إيكونوميست" (Economist) البريطانيّة المرموقة في شباط 1999 فحصاً دقيقاً لماليّة الأمير الوليد بحثاً عن أي مصادر غير نظيفة. شعر الوليد ببعض الضيق في البداية، لكنّه أدرك لاحقاً أنّ ذلك كان بمثابة نعمة عندما لم تجد أي شائبة جدّيّة تشوب تعاملاته بعدما لم تترك شاردة ولا واردة إلا وأحصتها. وقد خلصت إلى التحفّظ على الحكم على الأمير، قائلة:

"غير أنّ ثمة غموضاً يكتنف قلب إمبراطوريّته. لقد قابلت "الإيكونوميست" الأمير وحاشيته وتفحّصت حساباته وعشرات الشركات التي يمتلك حصّة فيها، بالإضافة إلى ملفات لجنة مراقبة عمليّات البورصة في الولايات المتحدة. ويطرح بحثنا مسألتين تثيران الشكّ بشأن الأمير الوليد. الأولى تتعلق بالمقدار الحقيقيّ لنجاحه كمستثمر في البورصة، والثانية صفقات العقارات التي تشكّل مصدر الكثير من أمواله"

يقول الأمير إنّ ما أدهشه أنّ كل المقالات التي كُتبت عنه طوال مدّة ممارسته الأعمال كانت إيجابيّة جدّاً، لأنّه كان منفتحاً جدّاً على وسائل الإعلام بشأن صفقاته التجاريّة. لكنّه فوجئ بالنهج الذي اتّبعته "الإيكونوميست"، قائلاً إنّها المطبوعة الوحيدة التي كانت تستحوذ عليها محاولة الكشف عن أي شيء سلبيّ. أما الباقون فقد كانوا مرتاحين للإجابات التي حصلوا عليها عندما أجروا أبحاثهم عني.

ووفقاً للعديد من العاملين مع الأمير، فشل التحقيق الذي أجرته "الأيكونوميست" في التوصّل إلى أي دليل على ارتكاب أي إساءة، ومن ثمّ برّأ أيضاً ساحة الأمير، وسفّه كل الشكوك بشأن أصول ثروته الهائلة أو مصادرها. ويشعر المقرّبون من الوليد بأنّ مجلّة "إيكونوميست" نشرت في النهاية مقالة تطرح الأسئلة الصحيحة، لكنّ الأمير ردّ عليها بفعّالية في رسالة وجّهها إلى رئيس التحرير. ويعتقد الأمير أنّ الموضوع قد أقفل أخيراً لأنّه يشعر بأنّ العالم أدرك أنّه حقّق ثروته وفقاً للأصول. ويشعر الوليد أيضاً أنّ ذلك ينطبق أيضاً على الحكومة

الأمريكيّة وبنك الاحتياطيّ الفيدراليّ اللذين درساه عدّة سنوات وأغلقا القضيّة في النهاية.

لم تحدث القفزة الكبيرة في الوضع الماليّ للوليد إلا بعد انتقاله إلى الأسواق الدوليّة في بداية التسعينيّات، مع ذلك كانت السنوات الإثنتي عشرة أو نحوها التي أمضاها في العمل في المملكة مربحة جدّاً. يقول الأمير إنّه حقّق المليار دولار الأول في أوائل سنة 1989، بعد مرور عقد من الزمن على إنهاء دراسته وعودته إلى الوطن، ووصل الرقم الصافي لثروته 1.4 مليار دولار في الواقع. وعندما انطلق، تمكّن من مراكمة مبالغ طائلة من المال بسرعة لاتّباعه استراتيجيّة عقد اتفاقات المشاريع المشتركة مع الشركات، بدلاً من الحصول على العمولات البسيطة دون عمل. لقد كانت المخاطر كبيرة، لكن تبيّن أنّ العوائد أكبر بكثير.

من المهمّ الإشارة إلى أنّ الأمير عندما يقول إنّه بدأ بأقل من نصف مليون دولار فإنّه يعني أنّ ذلك المبلغ استُخدم لبدء الشركة وتمويل أنشطتها عند إنشائها. لم يكن ذلك المبلغ لتمويل حياته الشخصيّة، التي كانت مرتاحة، لكنّها تعتبر على العموم أقلّ امتيازاً بكثير من حياة العديد من نظرائه الأمراء. فهو على غرارهم له الحقّ في الحصول على راتب شهريّ يبلغ 15 ألف دولار كحدّ أدنى لمجرّد كونه عضواً في العائلة المالكة. لم يكن ذلك مبلغاً كبيراً وفقاً لمعظم المعايير الملكيّة، لكنّه كاف لكي يوفّر له شبكة أمان شخصيّة، وإن ليست كافية لإنقاذه من المشاكل إذا ما أخفقت صفقاته التجاريّة.

كان على شركته أن ترعى نفسها بنفسها، لكن بدعم محدود من أقاربه، وإلى حدٍّ ما من والده، بدأ يتّبع نمط حياة أكثر رخاء في الرياض. كما أنّ دخله الشخصيّ كان ينمو بسرعة، رغم أنّه كان يركّز على إعادة استثمار معظم المال في المشاريع المربحة التي أصبح جزءاً منها الآن. لقد مكّنه مبلغ الثلاثين ألف دولار الذي منحه إياه والده من بدء شركته الخاصّة. ومن المنشأة المبنيّة من مكوّنات مسبقة التصنيع – المكتب الصغير الذي قدّمه له والده – بدأ يضع أسس ما مكّنه في نهاية المطاف من أن يكون أحد أغنى أغنياء العالم.

4

الدافع إلى النجاح

"إنّه مدمن عمل استراتيجيّ" – بعبارة أخرى إنّه بعيد النظر في تفكيره، ويُقبل على العمل بإقدام لتحقيق ما يريد على المدى الطويل".

مايك جنسن، المصرفيّ الخاصّ للأمير الوليد

يستحضر الانتماء إلى العائلة المالكة صوراً عن أنماط الحياة البرّاقة، ويشكّل ضمانة للحصول على ثروة لا يمكن تصوّرها.

لكنّ الواقع يظهر أنّ قسماً صغيراً نسبيّاً فقط من آلاف الأعضاء في العائلة المالكة يمتلك الثروات الطائلة. فهي عائلة كبيرة. وقد أفادت الكتب قبل عشر سنوات أن هناك أكثر من 5000 أمير. لذا عندما ينسب منتقدو الأمير الثروة الطائلة التي يمتلكها إلى مجرّد انتمائه إلى العائلة المالكة السعودية، فإنّهم يرتكبون خطأً كبيراً. لقد منحه ذلك الانتماء الصلات والمكانة دون شكّ. وجعله هدفاً لرجال الأعمال الذين يتطلّعون إلى الاستثمار في المملكة العربيّة السعوديّة لأنّ لديه حظوة عند أعمامه – الملك وصنّاع القرار مثل الوزراء. وعندما بدأ يستخدم تكتيكات الأعمال الغربيّة سعى إليه المزيد من رجال الأعمال الغربيّين لأنّهم يستطيعون إقامة علاقة معه. كانوا يعرفون من أين جاء، وكانوا مرتاحين أيضاً لفكرة الانخراط في مشاريع مشتركة مع شخص درس إدارة الأعمال في الولايات المتحدة، ويحسن لغتهم – أي صناعة الصفقات. لكن انتماءه إلى العائلة المالكة لا يعني حصوله على جرار من المال بصورة منتظمة إلى أن جمع مليار دولار. فقد كان عليه مع ذلك أن يجدّ في العمل.

رغم أنّ خالد المعينا من دعاة الحداثة والإصلاح المفوّهين في المملكـــة، إلا أنّ رئيس تحرير "عرب نيوز" يعتقد بأنّ العائلة المالكة يساء فهمها على العموم خارج حدود المملكة: "تمتلك العائلة المالكة هنا النيّة الطيّبة والنـــــزاهة، إنـــي أتحـــدّث بوضوح شديد في هذا الشأن. أعني ليس هناك من يقول إنّها كاملة، لكنّها كذلك بالإجمال لأنّ المجتمع ليس قمعيّاً، لكننا نفتقر إلى الكثير من الأشياء. هناك الكثير من الأشياء التي تحتاج إلى إصلاح، إنّنا بحاجة إلى مزيد من الشفافيّة، وهنـــاك قضـــيّة المساءلة. لكنّ العمل هو الفيصل، أعني أنّ بإمكانك أن تصبح ثريّاً سواء كنت من العائلة المالكة أم لا"

لا يوافق الجميع، لا سيّما في الغرب على التقييم الذي يقدّمه المعينا للوضع في المملكة، لكنّ هذا الصحافيّ يقيّد تقييمه بالتمييز بين القيود التي تفرضـــها الثقافـــة والمجتمع وتلك التي يفرضها الحكّام بصورة مباشرة. ويبدو أنّ الكثير من المشـــاكل والصراع مع القيم الغربية نابع من التقاليد القديمة والحساسيّات الثقافيّـــة للعـــرب، وبخاصّة السعوديّين، وليس مما تقول العائلة إنّ بوسعك أن تفعله أو ليس بوســـعك أن تفعله.

إذاً هل استفاد الأمير الوليد من انتمائه إلى العائلة المالكة؟ يعتقد خالد المعينا أنّ ذلك سيف ذو حدّين: "أعتقد أنّ ذلك يضعك في موقف دقيق جدّاً. فكلّ خطـــوة ستخضع لتفحّص وسائل الإعلام. ولن تحظى بحياة عاديّة لأنّك ســـتكون مطوّقـــاً دائماً، سواء كنت في مطعم أم في غرفة مجلس إدارة. أما فيما يتعلّق بالأمير الوليـــد فهناك مشكّكون أيضاً، 'لقد أفلت لأنّه أمير' لكن قد لا يكون ذلك صـــحيحاً في حالته لأنّ المعروف عنه أنّه لا يكلّ العمل. إنّه مجدّ في العمل وأعتقد أنّـــه أصـــاب بعض النجاح"

للأمير آراؤه الخاصّة بمنافع أن يكون المرء جزءاً من النخبة الحاكمة: "لا يسعني القول إنّ ذلك امتياز، لكنّه لم يكن عقبة بالتأكيد. وأريد أن أصدقك القول. لقـــد كانت لديّ مشاعر متناقضة حيال ذلك، لذا لم يكن عاملاً مساعداً كبيراً لكنـــه لم يضرني. لا شكّ في أنّه عندما يطلب أحد أعضاء العائلة المالكة اللقاء بمقاول فإنّـــه سيتمكّن من لقائه. وعندما يطلب عضو في العائلة المالكة مقابلة وزير ما، أو مقابلة

ائب وزير أو رئيس دائرة المشاريع في منطقة ما، فإنّه يستطيع الوصول إليه. لقد ساعدني ذلك من ناحية سهولة الوصول لمن أريد، لكن ليس من ناحية الحصول على العقود"

لقد راقب رياض الأسعد، ابن خالة الأمير المقرّب، من بيروت انطلاقة الوليد في بناء إمبراطوريّته طوبة طوبة: "إنّه رجل أعمال جاهد مدّة طويلة للحصول على الثروة. كان يعتقد أن بوسعه القيام بذلك وقطع الطريق بأكملها للوصول إلى حيث وصل، بل إنّه سلك تلك الطريق منذ كان صبيّاً، إنني أعرف ذلك لأنني عايشته. على سبيل المثال، لم يكن مبذّراً في صرف المال. فقد كان يعتقد أنّ للأشياء قيمة، وذلك أمر غير عاديّ بالنسبة للثقافة التي كانت سائدة في المملكة العربيّة السعودية"

أصبح المكتب المكوّن من أربع غرف مقرّ مؤسّسة المملكة للتجارة والمقاولات (أصبحت فيما بعد شركة المملكة القابضة بعد إعادة تنظيمها في العام 1995). وكانت دون شكّ أبعد ما تكون عن المستوى الملكيّ، وكان العمل فيها نوعاً من تواجد رتيب يوميّ ورحلة عمل روتينيّة إلى المكتب تبدأ في الثامنة والنصف صباحاً، إلى أن فرّج الاتفاق مع الشركة الكوريّة الجنوبيّة الضغوط الماليّة التي رزحت تحتها الشركة. وخلافاً للعدد الكبير من الموظّفين الذين يديرون منزله وشؤونه الشخصيّة اليوم، يذكر الوليد أنّ الأمور كانت تدار في ذلك الوقت بإحكام وكفاءة ماليّة كبيرة: "كانت صغيرة جدّاً. أعني أنّه كان لديّ ستّة أو سبعة أو ثمانية موظّفين فقط في وقت واحد. وكان سائقي يوصلني في الصباح، وكان يوصل ابني إلى المدرسة ويعيده بعد الظهر، وفي المساء يذهب لابتياع ما نحتاج إليه"

تمّ التعامل مع قرض المليون ريال، أي ما يعادل 300 ألف دولار، من سيتي بنك بعناية شديدة، خاصة بعد أن شهد الأمير صرف مبلغ 30 ألف دولار المقدّم من والده في غضون أشهر: "كان عليّ أن أحدّد ما أنفق بحيث يكفيني المليون (ريال) مدّة سنتين ونصف، لأصرف ما يكفي على منزلي ومكتبي

لكن الوليد لم يشعر بالقناعة والرضى حتى بعد أن بدأت الأموال تتدفّق

على حسابه المصرفيّ. لقد كان ينظر إلى المدى البعيد وكان منضبطاً جدّاً بحيث لم يبدّد المال على المدى القصير: "كنت أعيد توظيف كل المال الذي أحصل عليه من المقاولات في العقارات والسوق الماليّة على السواء. لذا كنت أوظّف الأموال التي أحصل عليها على الفور وآخذ ما يكفي لكي أنفق على مكتبي وبيتي، ما يكفي فقط. هل تعلم أنّني لم أسافر لمدّة ثلاث أو أربع سنوات في بداية الثمانينيّات مخافة إنفاق المال إذا فعلت ذلك. لذا قلت، 'لا، سأحتفظ بالمال لكي أعيد توظيفه' كنت شديد الاهتمام بإنفاق المال بحكمة، وإعادة توظيف الفائض. كل ريال وكل دولار أريد أن أضاعفه، وقد نجح ذلك بالفعل

ثمة سلوك منضبط آخر عاد به رجل الأعمال الشاب من الولايات المتحدة وهو الاحتراف، لا سيما في الاجتماعات والتعامل مع الناس. كما أنّه كان يؤمن في صرف الوقت وهيكلة أعماله بعناية. ويصف ابن خالته رياض كيف اعتاد معظم رجال الأعمال في الشرق الأوسط عدم التقيّد في المواعيد. وينسحب الأمر نفسه على ضبط ساعات العمل في المكتب، وقد تكون متابعة الجهاز التنفيذيّ والمديرين أمراً صعباً. بل إنّ الأمير نفسه يقرّ بأنّه لا يفهم تماماً لماذا تشكّل دقّة المواعيد قضيّة مهمّة عنده، وأنّه غالباً ما يتأمّل في كيفيّة هيمنة ذلك على أيّامه. ويذكر رياض أنّ الأمير يحضر أولاً إلى المكتب باكراً في الصباح، ويكون جاهزاً لمباشرة العمل على الفور. ثانياً، إذا أراد أحدهم موعداً في الثامنة والنصف صباحاً فإنّه يحصل عليه، وسيتقيّد الأمير بالموعد. وهذا لوحده، كما يقول رياض، ميّز الأمير عن رجال الأعمال الآخرين من حوله. كما أنّ أسلوبه الذكيّ في ممارسة الأعمال أثمر ونجح أيّما نجاح.

"لقد استثمر هذا الرجل باكراً بشكل صحيح وكانت استثماراته تتميّز بالذكاء. كما كان يعرف أنّ أفضل طرق تحقيق الأموال هي البنوك، وقبل ذلك أنّ أسرع طريقة لجني المال هي المقاولات، وأنّ أضمن الطرق لكسب المال هي التواجد حول مراكز السلطة. لذا كان متواجداً عندما حدث الانتعاش الاقتصاديّ في المملكة. بدأ في المقاولات ونفّذ ما عليه أكثر من مرّة كمقاول. ثم اشترى

البنوك، وكبر من بنك إلى آخر، ودمج بنكاً في بنك، إلى أن وصل إلى سيتي بنك، وذلك جانب من الرواية فحسب"

يشدّد رياض على أنّ الوليد حرص على عدم الجلوس والقناعة، رغم أنّ حسابه المصرفيّ بدأ ينمو بسرعة. وفي إحدى الحالات تجمّع للأمير نحو 200 مليون دولار من إحدى شركات المقاولات، فلم يفكّر في البدء بالإنفاق على رَغَد العيش. لقد حقّق رجال أعمال آخرون أموالاً طائلة، لكنّ الكثير منهم تباطأ وتراخى وقنع بالملايين التي جناها. أمّا الوليد فبدأ يستخدم الأموال بفعّالية كمستثمر.

كانت المقاولات والعقارات مجال اهتمامه الأول. وقد بحث عن الفرص الكبيرة و لم يكن يخشى من ركوب المخاطر. ويذكر أنّه فاتح مالك قطعة أرض كبيرة في وسط الرياض بأمر شرائها، لكن صدّه السعر المرتفع الذي طلبه صاحبها. لم تكن الأرض تلك الفرصة التي يسعى الوليد إليها، لكنّه تابع مراقبة الموقف بعناية. وعندما غزت قوّات صدّام حسين الكويت في 2 آب/أغسطس 1990، شعر العديدون في أماكن أخرى من العالم العربيّ أنّ الوضع هناك لن يُحسم بسرعة. وكان مالك الأرض السعوديّ أحدهم. ويروي الأمير ما حدث فيما ترتسم على وجهه ابتسامة عريضة: "إنّها قصّة ممتعة، اشتريت الأرض في خضمّ حرب الخليج. في ذلك الوقت شعر المالك بالهلع فباعها لي بثلث سعرها. لا شكّ في أنّ الحرب كانت دائرة، لكن القول بأنّ العراق سيربح الحرب ضدّ الولايات المتحدة كان ضرباً من السخف والحماقة. لقد شعر الجميع بالذعر في خضمّ الحرب، لكنّني قلت إنّها ستستغرق أسبوعاً، أو ربما أكثر قليلاً. وسوف تنتهي في غضون شهر أو اثنين. لذا اشتريت الأرض بثلث ثمنها وقسّمتها إلى عقارات. بنيت على ثلثها مركز المملكة الذي يعتبر أعلى مبنى في أوروبا والشرق الأوسط وإفريقيا. وبعت بقيّة الأرض بعد ثلاث أو أربع أعوام وحقّقت عائداً يفوق 400 بالمئة"

لم تلبث صفقات الأمير العقاريّة الاستراتيجيّة والمغامرة أن جعلته أكبر مالك أراضٍ خاصّة في العاصمة السعوديّة. 25 مليون متر مربّع من العقارات الممتازة و14 ميلاً مربّعاً من الأملاك بحسب أحد التقارير.

الاعتماد على النجاح

أخذ الأمير الوليد يثير فضول الناس الآن، وقد لزمه أربع أو خمس سنوات قبل أن يأخذه الناس على محمل الجدّ بدلاً من أن يمرّ عليهم مروراً عابراً كلاعب من العائلة المالكة يحاول تحقيق الكسب السريع. وأخذت صفقاته التجاريّة تكبر وتتعاظم، وبدأ اندفاعه الجسور داخل مجتمع الأعمال يميّزه عن الآخرين في عائلته، لكنّه لم يهمل جذوره. ويعبّر خالد المعينا عن رأيه في ذلك على هذا النحو: "أعتقد أنّه لا ينتمي إلى النظام الملكيّ فحسب، وإنّما هو جزء من مجتمع الأعمال أيضاً لأنّني أنظر إليه من الخارج على أنّه امرؤ لديه صلات بشركات الأعمال. إنّني أنظر إليه كجزء من مجتمع الأعمال. هناك هرميّة في العائلة المالكة، وعليه أن يظهر احترامه لأعمامه. عليه أن يكون لطيفاً، وأعتقد أنّ هناك عنصراً من الاحترام الذي يجري من الأسفل إلى الأعلى، ونوعاً من التعاون فيما بينهم، وأعتقد أنّ التقيد بهذا التقليد سيتواصل

عندما بلغ الأمير قمّة نشاطه في الأعمال، وجد أنّه عاد إلى الوطن في الوقت المناسب للاستفادة إلى أقصى حدٍّ من التقدّم الذي كانت تشهده المملكة. كانت أسعار النفط تحطّم الأرقام القياسيّة، وكان حكّام المملكة يضخّون مليارات الدولارات في بناء البنية التحتيّة من طرق ومبان ومحطّات للطاقة وتحلية المياه، إلى شبكات الاتصالات والعتاد العسكريّ. كان البعض يحقّق الملايين بين عشيّة وضحاها، ويقول الأمير إنّه تمكّن خلال بضع سنين من جني أرباح بمعدّل مئات الملايين من الدولارات في السنة. ونظراً لأنّه كان يعيد توظيف هذه الأموال في قطاع العقارات في الرياض أثناء ازدهاره، فقد حقّقت ثروته قفزات كبيرة. لكنّ عقليّته كانت تتغيّر أيضاً.

تشير والدة الوليد إلى الرسائل التي كان يرسلها أثناء الصبا على شكل نقاط بأنّها دليل على عقل منظّم وشديد التركيز. وهو لا يزال يعمل بأسلوب النقاط اليوم ويكره التخمين والالتفاف حول الوقائع. تقول الأميرة منى إنّ ابنها طالما أعجب بغاري كاسباروف، بطل الشطرنج الروسيّ المتربّع على البطولة منذ عهد طويل والمشهور بتفكيره الاستراتيجيّ. هذا هو اتجاه التفكير الذي بدأ الوليد

يسلكه. التفكير الاستراتيجيّ والعالميّ على المدى البعيد. وأصبح دافعه إلى النجاح أقوى من ذي قبل، فيما جعله مذاق النتائج القويّة المبكّرة متعطّشاً لتحقيق المزيد.

يقول رياض إنّه شعر بالحزن عندما لاحظ التغيّر الذي طرأ على ابن خالته فور عودته من كاليفورنيا: "لقد أصبح نظاميّاً: كانت علاقته بي مباشرة وممتزجة بعاطفة قويّة. ثمة اتفاق بيننا بأن يردّ عليّ متى اتصلت به، ولا يزال الأمر على ما هو عليه حتى الآن ولا يتعلّق بالعمل، فأحياناً تتصل بأحدهم من أجل التحدّث إليه فحسب. لكنّني أعتقد أنّ أعماله في المملكة وإدارة ثروته جعلته أقلّ إظهاراً للعاطفة والمشاعر، وأكثر انتظاماً كشخص

لكنّ رياض يتقبّل تغيّر الأمور مع الزمن، وهو نفسه أصبح أكثر انغماساً في السياسة في وطنه لبنان: "لقد تغيّرنا أيضاً. عندما تنظر إلى ذلك الشخص الذي أمضيت معه لحظات الطفولة، تجد أنّ الأمور مضت بسرعة بحيث أنّك لا تدرك أنّ الشخص الذي عرفته لمدّة 20 أو 30 عاماً لم يعد كما كان. بالمقابل، ثمة كثير من الأشياء التي لم تتغيّر، حسّه الرائع للفكاهة إذا كنت تعرف كيف تلتقطه، الفكاهة الذكيّة واللمّاحة، والأسئلة المدهشة، والطموح الذي لم يفارقه قطّ، والأهمّ من ذلك قدرته على عدم تقبّل الهزيمة، وقدرته على تدبّر أمره بعد الهزيمة. النصر، إنّه أمر مدهش ولا يزال مغروساً فيه"

عندما بدآ يمارسان الرياضة، كان رياض يثبت براعته من خلال السرعة والقوّة، حيث كان أكبر بدنيّاً وأكثر لياقة من الوليد، لكنّ الأمير سرعان ما كان يثأر لنفسه بإلحاق الهزيمة بابن خالته أثناء ممارسة طقس المونوبوليّ اليوميّ.

أدّت قدرة الوليد على التركيز على ما يبرع فيه إلى تعلّم المزيد عن الأعمال بحيث يستطيع اتخاذ المزيد من القرارات المبنيّة على سعة المعرفة والاطلاع، لا سيما في التعامل مع الشركات الدوليّة. وسرعان ما أدرك، بالإضافة إلى ذلك أنّ المؤهّلات تحظى بتقدير كبير في العالم الغربيّ، وأنّ رجال الأعمال الأمريكيّين على وجه الخصوص يقدّرون من يحمل شهادة الماجستير ويحترمونه.

شدّ الأمير الرحال إلى الولايات المتحدة ثانية، وسط النجاحات التي كان يحقّقها في أعماله. واختار هذه المرّة جامعة سيراكوز في ولاية نيويورك. التحق بها

للحصول على درجة الماجستير في العلوم السياسيّة وغاص في نمط الحياة الأمريكــيّ مرّة أخرى.

في هذه الأثناء، كان ابنه خالد قد قارب الرابعة من العمــر، ورُزق بطفــل جديد. ففي 20 حزيران/يونيو 1982، ولدت الأميرة دلال طفلــة أسمياهــا ريم. وبقدر ما كان يحاول تخصيص وقت لأسرته، كان يركّز أيضاً على عمله أينما كان ويديره من بعيد من الولايات المتحدة.

مضت الشهور الأحد عشر التي أمضاها الوليد في نيويورك بسرعة، بفضــل تركيزه المكثّف على دروسه، حيث أكملها بوقت قياسيّ - وتلك من الوقائع التي أقرّ بها عميد الكليّة عندما أرسل خطاباً إلى الأمير في وقت لاحق.

وفي طريق العودة إلى الرياض، بعد التخرّج في سنة 1985، كان الأمير يحمل معه خطّة عمل جديدة بالفعل. ثمة قطاع جديد وضعه نصب عينيه وسيغيّر طريقة إدارة الشركة.

المصارف.

5

توسيع الآفاق

"الأمراء على العموم يكسبون عيشهم من كونهم من العائلة المالكة، لكنّه كان مختلفاً من حيث إنّه شقّ طريقه عن جدارة واستحقاق

صالح الغول، المدير التنفيذيّ للماليّة والإدارة،

شركة المملكة القابضة

يزمّ الأمير الوليد شفتيه ويحدّق من خلال الظل الذي تحدثه غترته التقليديّة الحمراء. فهو لا يستطيع مقاومة إلقاء نظرة خاطفة على مجموعة أجهزة التلفزيون التسعة إلى يساره، التي تومض بألوانها عبر المكتب ذي الألوان الخافتة. معظم الأثاث في الغرفة الفسيحة مطليّ باللّك الأسود، ولذلك يلتقط انعكاس الأجهزة التي تفرض السكوت على مشاهديها. بعضها مضبوط على الأخبار من كل أنحاء العالم، مثل "سي إن إن" (CNN) أو "سي إن بي سي (CNBC) أو "بي بي سي وورلد (BBC World)، في حين أنّ الأخرى تقدّم معلومات محليّة من قنوات مثل التلفزيون السعوديّ. وخلافاً لمذيعي الأخبار المكتئبين الذين يقرؤون النصوص بصمت، تومض الألوان الزاهية واللقطات السريعة التقطيع عبر جهاز مضبوط على أحدث اهتمامات الأمير، أي قنوات الموسيقى العربيّة التي يمتلكها، روتانا.

"الذكاء الماليّ! كل شيء يتعلّق بالذكاء الماليّ"، يردّ الأمير أخيراً مشيراً إلى الشاشة. الشاشة التي تعرض "سي إن بي سي

الذكاء الماليّ هو السبب الذي جعل هذا الرجل مليارديراً.

رغم نجاح استثمارات الأمير الوليد في العقارات والبناء في المملكـــة العربيّـــة السعوديّة في الثمانينيّات، إلا أنّه كان يعرف أنّ عليه أن يقفز إلى مستوى آخـــر إذا أراد أن يكون لاعباً فاعلاً، ممن يصنعون الأسواق وليس ممن يتأثرون بها فحسب.

وباتباع المبدأ الأساسيّ الذي يرى أنّ البنوك هي عيون الاقتصاد، بدأ الوليـــد يجري أبحاثاً في قطاع المصارف في المملكة: "تلك كانت نقطة تحـــوّل في ســـيرتي المهنيّة في المملكة، عندما بدأت أكبر بالفعل. كانت شركات البناء والعقـــارات لا تزال تعمل لكنّني أردت أن ألج إلى قلب مجتمع الأعمال والوصول إلى أحد البنوك، لذا قمت بتقييم كل الجهات المصرفيّة في المملكة"

وفّر له الفحص الدقيق صورة واضحة عما يحدث في القطاع الماليّ، وقد دُهش لما وجده. كانت المصارف السعوديّة المحليّة متخمة بـــالموظّفين، ورديئـــة الإدارة، ومستغلّة بشكل مفرط، وتسير بصعوبة: "بعد تقييم كل هذه البنوك في المملكـــة، وجدنا نوعين: النوع الأول من البنوك لديه مساهمون أجانب، مثل البنك السعوديّ الأمريكيّ – كان يوجد فيه مجموعة سيتي (Citigroup)– ولديك البنك السعودي الهولنديّ، والبنك السعودي الفرنسيّ، والبنك السعوديّ البريطانيّ، لذا اســـتُبعدت كل هذه البنوك (من التقييم) لأنّك لن تستطيع السيطرة عليها، فتلك السيطرة تعود إلى الشركاء الأجانب. كما أنّني لم أكن أمتلك المال الكافي لأتمكّن من الســـيطرة على أي من هذه البنوك. وكان هناك مصارف أخرى مثل البنك الأهليّ التجاريّ الذي تقدّر قيمته بمبالغ كبيرة و لم أكن أمتلك المال لتمويلها. لذا لم يتبقّ لنا ســـوى مصرفين أو ثلاثة صغار. فأخذت أسوأ البنوك، وكان على مشـــارف الإفـــلاس، لكنّني كنت قد درسته وحلّلته بشكل جيّد. توصّلنا إلى أنّنا قـــد لا نغـــرق معـــه، فاشتريناه ونظّفنا كل ديونه المعدومة. و لم نضخّ فيه أي مبلغ آخر

كان الأمير يشير إلى البنك السعوديّ التجاريّ المتحد. فهو من بين كل البنوك التي تفحّصها كمرشّحة محتملة للشراء، كان الأسوأ أداء وعلى شفير الانهيار، حيث لم يحقّق أرباحاً منذ سنوات. كان المرشّح المثاليّ بالنسبة للأمـــير لأنّـــه يســـتطيع السيطرة بحصّة صغيرة من أسهم الملكيّة. وفي سنة 1986، بعد أن حصـــل الأمـــير بهدوء وسرعة على حقوق ملكيّة كبيرة في ذلك البنك، فاجأ مجتمـــع الأعمـــال في

المملكة العربيّة السعوديّة بالإعلان عن أنّه بات يسيطر عليه بامتلاكه نحو 7 بالمئة من أسهمه وموافقة المساهمين الكبار على أن يتولّى إدارته. لقد كانت في الواقع سيطرة غير وديّة.

لم تشهد المملكة شيئاً مماثلاً من قبل. فقد كانت بيئة الأعمال حديثة نسبيّاً و لم يشهد أحد من قبل مثل هذا التكتيك الاستراتيجيّ المقدام، لا سيما في مجال حسّاس كالبنوك. ويتذكّر الأمير ردّة الفعل: "لقد صُدموا في ذلك الوقت لأنّني أنتمي إلى العائلة المالكة أولاً. ثانياً، لأنّني دخلت فجأة هذا المجال الذي يحظى بدعاية كبيرة، فالبناء كما تعلم لا يلفت الانتباه وكذلك العمل في العقارات، لكنّك عندما تسيطر على بنك محليّ – لأنّه يمتلك فروعاً في كل أنحاء المملكة – تسلّط عليك الأضواء فجأة وتوصم بأنّك 'الأمير السعوديّ المسيطر

كان تكتيك الأمير يقوم على السيطرة على البنك وإعادة هيكلته، وهو ما فعله بتدخّله في كل تفاصيل العمل الصغيرة. ومن الذين شهدوا قدوم الأمير إلى القطاع الماليّ، المصرفيّ ماهر العوجان، الذي أصبح لاحقاً مدير البنك السعوديّ التجاريّ المتحد تحت إشراف الأمير. يقول العوجان إنّ الناس لم يعرفوا ما الذي ينتظرونه إذ لم يكن من المتوقّع أن يظهر فجأة ويتولّى زمام الأمور. فقد كان أولاً من العائلة المالكة، وهو ما تسبّب، كما باعتقاده، بظهور شكوك فوريّة إذ بدا أنّ العائلة الحاكمة تتقدّم وتنتهج تكتيكات استغلال النفوذ. ثانياً، كان الوليد شابّاً و لم يكن لديه خبرة ملحوظة في القطاع المصرفيّ، لذا تملّكتهم الحيرة فيما يتعلّق بالنهج الذي سيتّبعه في إصلاح مشاكل البنك وكيف ستطوّر خططه على المدى البعيد. ثالثاً، كان الكثير من رجال الأعمال يخشون من أنّ تولّي الأمير المسؤوليّة عن مؤسّسة ماليّة سيوفّر له الاطلاع على الكثير من المعلومات الخاصّة والشخصيّة عن الشركات ومن ثمّ ستصبح في موقف غير حصين.

"أجل، كانت سيطرة غير وديّة على البنك السعوديّ التجاريّ المتحد على النمط الأمريكيّ. لقد اشتريناه لأنّه سيضعني في ذلك الوقت في وسط مجتمع الأعمال، ولأنّك ترى كل شيء من خلال البنك. فتشارك في البناء، والزراعة، والصناعة، والتجارة في كل شيء. لذا أصبحنا عين الإعصار، نرى كل شيء،

وليس ذلك فحسب، بل بدأنا نبني صلات مع مجتمع الأعمال ونتعرّف إلى المشاهير من خلال إدارة التمويل الخاصّ وإدارة تمويل الشركات وإدارة الاستثمار، وكان ذلك مهمّاً جدّاً"

يقرّ الأمير بأنّه وفّر له ميزة أعمال متميّزة، لكنّه كان مهتمّاً في كيفيّة تنمية أعماله الخاصّة أكثر من اهتمامه بشأن ما يقوم به الآخرون. قبل حصوله على البنك السعوديّ التجاريّ المتحد، كانت أعمال المصرف متراخية حيث كان العديد من كبار الموظّفين يتجاسرون في التصرّف ولا ينتجون سوى القليل، إذ كانوا يدركون عدم وجود ضوابط وأنظمة.

يؤكّد ماهر العوجان أيضاً الميزة التي وجد الأمير فيها نفسه كرئيس لمجلس إدارة بنك محليّ، لكنّه يشدّد على أنّ الوليد لم يستخدم أي معلومات داخليّة لمنفعته الشخصيّة. لقد تسبّب موقع الأمير بمشاكل للبنك السعوديّ التجاريّ المتحد في البداية، إذ عندما حاول تسويق البنك لدى الشركات الكبيرة، تبيّن له أنّها تتردّد في تقديم أي معلومات مخافة أن يستخدمها ضدّها. وتطلّب الأمر الصبر وطول الأناة لإقناع مجتمع الأعمال بأجندة الأمير، واكتساب ثقتهم. واستغرق بناء مصداقيّة هذا الرئيس الجديد الشابّ للبنك بعض الوقت، وساعده في ذلك كثيراً تعامله مع البنك السعوديّ التجاريّ المتحد وطريقة قلب الأمور فيه رأساً على عقب – لا سيما تشديده على الشفافيّة والحكم الإداريّ الصالح.

ويعتقد العوجان أنّ ذلك كشف للعديدين في المملكة عن طريقة جديدة للعمل: "أعتقد أنّ البنك كان محظوظاً بمجيء شخص مثل الأمير والسيطرة عليه. فهو شابّ مجدّ في العمل، وذكيّ، ويصرف وقته وطاقته مع الناس. فقد أمضى الوقت في الأشهر القليلة الأولى مع كل فرد – أعني من مستوى مدير فما فوق. تحدّث إليهم واستمع إلى مشاكلهم. وأدار أذنه لما يجري في البنك على مختلف المستويات. لم يتسرّع في اتخاذ القرارات. وأمضى الوقت اللازم إلى أن أدرك ما الذي يجري بصورة جيّدة، وبعد ذلك بدأ في اتخاذ الإجراءات. وأول ما بدأ فيه كان خفض نفقات البنك. فقد كانت إدارة البنك غير محكمة البتّة. فلم تكن هناك ضوابط على طريقة إنفاق المال. لذا كان ذلك أوْلى أولويّاته – خفض النفقات، وقد قام بعمل فعّال جدّاً في هذا الصدد. بل إنّه كان

صارماً جدّاً في هذا الجانب (قال ذلك ضاحكاً). كما أنّه أوقف التوظيف تماماً. وتولّى بنفسه إجراء المقابلات مع كل شخص يأتي للعمل في البنك من مستوى مدير فما فوق. وحرص على انضمام الأشخاص الذين يتمتّعون بالكفاءة إلى البنك - لا كما في الأيام الخوالي حيث كان يمكن أن يأتي أيّ كان. لذا كان أول الأشياء تخفيض النفقات وتجميد التوظيف، ثمّ بدأ يعمل على خطّة أعمال خمسيّة. وقد لزمنا وقت طويل للتوصّل إلى خطّة أعمال واقعيّة تحدّد ما سيكون عليه البنك - كيف سنبني اسمه ونستعيد مصداقيّته ثانية"

كان قاسياً من الخارج، بل ذلك هو النهج الذي اتّبعه الأمير إلى حدٍّ كبير. ومن السهل تبرير ذلك: "إذا كانت الشركة نائمة، ولا تحسن العمل، وإذا كان لديك إدارة رديئة وتقوم بدفع الرواتب إلى إدارة لا تؤدّي عملها كما يجب، عندئذ يجب أن تصبح مرشّحة للسيطرة عليها، وهو ما فعلناه. لقد بعثنا برسالة إلى الشركات مفادها ما يلي: 'إذا لم تستفيقوا فستكونون عرضة للشراء، وسنسيطر عليكم، ونصلحكم، ومن ثمّ ترتفع أسعار الأسهم عالياً'"

مدينة مزدهرة

كانت المملكة العربيّة السعوديّة في الثمانينيّات تشهد انتعاشاً اقتصاديّاً وتوسعاً سريعاً، لذا لم يكن صرف العاملين أمراً مألوفاً. لكن بعد أن أجرى الوليد تدقيقاً في نوعيّة العاملين لديه، تقلّص عدد موظّفي البنك السعوديّ التجاريّ المتحد بشكل جذريّ إلى 250 موظّفاً بعد أن كانوا نحو 600. ويقول العوجان إنّ قرار الوليد الحاسم بتقليص أعداد الموظّفين كان ضروريّاً لأنّ العاملين في البنك قبل تولّي الأمير زمام الأمور كانوا دون المعايير المقبولة. وعلى حدّ قوله، "لم يكن لدينا سوى سقَط المتاع"

ويصف العوجان الجوّ الذي ساد البنك في أعقاب مجيء الأمير بأنّه كان متوتّراً: "كان سلبيّاً جدّاً. ولم يكن الناس يعرفون ما الذي يمكن توقّعه في اليوم التالي. ربما يُطردون، وربما يُنقلون، ونحو ذلك، لذا سرت الشائعات والأقاويل. لكنّ ما فعله الأمير كان مبرّراً، ولم يكن هناك طريقة أخرى لتغيير صورة هذا البنك

دون اتخاذ الإجراءات التي اتخذها في ذلك الوقت. لكنّنا أثناء تقليص عدد الموظّفين، كنّا نعمد إلى إضافة موظّفين آخرين من ذوي الكفاءة والنوعيّة العاليّة"

رغم المخاوف والصورة السلبيّة، لم يشعر الوليد بالذنب أو التحرّج من هذا الأمر: "لم يتقبّلوا ذلك، لكنّني أبلغتهم أنّ العمل يعني العمل، والإحسان يعني الإحسان. ونحن هنا لنكسب المال ونحقّق الأرباح. في العمل الخيريّ تحصل على الأشياء مجّاناً، لكن العمل هنا هو العمل. إذا لم تكن منتجاً، عليك الانصراف. وفي السنة الأولى لم تتأتّ كل الأرباح التي حقّقناها من ارتفاع الإيرادات، أو خفض حجم القروض، وإنّما من خفض التكاليف والنفقات فحسب. هناك جانبان لتحقيق الربح لا ثالث لهما، إما أن ترفع الإيرادات، وإما أن تقلّل النفقات"

لكنّ الأمير يرى أنّ الإجراءات التي اتخذها في البنك السعوديّ التجاريّ المتحد متعدّدة الشعب، وتعاملت مع عدد من المجالات دفعة واحدة: "لقد عملنا على عدّة جبهات. في الجبهة الأولى، قلّلنا النفقات. كانت نفقاتنا الثابتة مرتفعة جدّاً. وإذا ما تفحّصت نسبة الإنفاق إلى الإيراد لتبيّن لك أنّ في الأمر جنون. كانت الأعلى في المملكة، لذا قلّصنا النفقات فحسب في السنة الأولى - بنحو 70 أو 80 بالمئة - وأدّى ذلك إلى ارتفاع الأرباح، لا من ارتفاع الإيرادات بل من انخفاض التكاليف. وعلى الجبهة الثانية، كنّا نعمل على الديون المعدومة. وعلى الجبهة الثالثة كنّا نعمل على اجتذاب شركات جديدة. من الواضح أن الجبهتين الأوليين كانتا أسهل من الثالثة لأنّهما كانتا تقعان تحت سيطرتي. كان خفض النفقات قراري. وعلى سبيل المثال، اتخذت قراراً لا يُسمح بموجبه لأي كان شراء أي شيء، ولو قلم رصاص، بدون موافقتي - موافقتي الشخصيّة. لذا كان ذلك يخضع لسيطرتي. وكان خفض نسبة الديون المعدومة يقع تحت سيطرتي أيضاً إذ لم تتمّ مطالبة بعض أصحاب هذه الديون بالسداد قطّ. فالإدارة كانت مسترخية جدّاً. لذا تابعت الأمور، وعمدنا إلى ملاحقتهم ومقاضاتهم. لجأنا إلى النظام القضائيّ وتمكّنا من تحصيل الأموال منهم. لذا مكّنتني هاتان الجبهتان من تحسين تدفّق النقود على البنك، فاستطعنا تحسين سمعتنا، وبالتالي تمكّنت من اجتذاب مزيد من الشركات من خلال إدارة تمويل الشركات وإدارة الاستثمار

في تلك المرحلة من حياته المهنيّة، ادخل الأمير الوليد شيئاً سيبقى جزءاً من أسلوبه في الإدارة. لقد أنشأ خطط الحوافز والمكافآت. ولا يزال الأمير مؤمناً حتى اليوم بمكافأة العمل الذي ينجز بشكل جيد، وخفض المكافآت للإشارة إلى انزعاجه من الأداء الرديء. وقد بدا ذلك عالماً آخر بالنسبة للعاملين في البنك السعوديّ التجاريّ المتحد. فجأة أصبح ما يفعلونه يوميّاً وما يحقّقونه على الدفاتر على صلة مباشرة بالمكافآت التي يحصلون عليها.

أصبح خالد الذكير سكرتير مجلس إدارة البنك السعوديّ التجاريّ المتحد في عهد الوليد، وكان مسؤولاً أيضاً عن إدارة الحسابات الخاصّة لرئيس مجلس الإدارة، لا سيما حسابات العملاء المهمّين الذين يحتاجون إلى اهتمام خاص. وهو يعتقد بأنّ الأمير كان قدوة للموظّفين بقضائه وقتاً طويلاً في العمل وتواجده للتعامل مع المشاكل بصورة شخصيّة: "لقد كان مقداماً جدّاً، وكان يعمل ساعات طوالاً. وكان العاملون يتقبّلونه بشكل رائع. كانوا يكافؤون بسخاء على أدائهم، وقد أزال كثيراً من الفوضى هناك"

أبلغ الذين نجوا من الصرف بوضوح أنّ نجاحهم في البنك أمر عائد إليهم، وأنّ الجدّ في العمل سيكافأ لكنّ الإخفاق ليس خياراً. كانت اجتماعات الموظّفين تعقد بانتظام، وكانت الحوافز ذات الصلة بالأداء تشمل المكافآت النقديّة بالإضافة إلى السيّارات الجديدة. ووصف المديرون هناك هذا النظام بأنّه مقدام – رأسماليّ جدّاً. لقد حدّدت القيادة هدفها بوضوح شديد – "لا إنجازات لا مكافآت"

يقول الذكير إنّ الأمير الوليد أبعد ما يكون عن رجل الأعمال السعوديّ التقليديّ، وهو الرأي الذي ردّده ماهر العوجان: "لقد وضع معايير جديدة، وغيّر طريقة سلوك الشركات في المملكة. كان أول من طرح الاندماجات، حيث لم يكن أحد قد سمع بها في المملكة قبله. ولم يسمع أحد بالأسلوب الذي انتهجه في إدارة أعماله، من حيث تفانيه، والوقت الذي يصرفه، والجهد الذي يبذله، والدعم الذي يقدّمه. أعني أنّك لا تسمع عن أمير يحضر للعمل ويداوم ١٠ ساعة يوميّاً – ولا ترى ذلك – فيما عدا الأمير الوليد والناس تدرك ما الذي فعله"

في البداية، لم يكن العاملون في البنك يتخيّلون لماذا يصرف هـذا العضو في العائلة المالكة، الذي يتمتّع الآن بثروة مريحة، كل تلك الساعات الطوال في المكتب، ويدقّق في كل التفاصيل، ويبلغ حدّ الإرهاق البدنيّ من العمل كل يوم. لكنّهم لم يكونوا يدركون أنّ ذلك كان أوّل مشروع تطبيقيّ حقيقيّ للوليد، حيث كل ما يفعله، وكل قرار يتخذه، له تأثير مباشر على عمله وتجربته الخاصّة وسمعته. ومن وجهة نظر الأمير، لن يغمض له جفن إلى أن يثبت نفسه أمام كل منتقديه.

يذكر مصطفى الحجيلان، الذي عمل مع الأمير عن قرب كمستشاره الاستثماريّ، الاستعانة به لإعادة تأهيل البنك. يقول الحجيلان إن أحد أسرار إعادة التأهيل السريعة للبنك، إلى جانب ساعات العمل الطويلة، أنّ الأمير لم يكن يفوّت أي حيلة عندما يتعلّق الأمر بتوفير المال. بل إنّه طلب من الحجيلان تخفيض قوّة المصابيح الكهربائيّة في المبنى، للتوفير في تكاليف الكهرباء – وغالباً ما طلب إزالة بعض مصابيح الأسقف. لقد عقد الوليد العزم على إنجاح هذا البنك مهما كلّف ذلك.

في غضون سنتين، في سنة 1988، لم يعد البنك السعوديّ التجاريّ المتحد مديناً، بل إنّه لم يعاود إظهار الأرباح ثانية فحسب في هذه الفترة الوجيزة من الوقت، وإنّما أصبح أكثر البنوك السعودية التجاريّة ربحيّة في السنة التالية. وفي تلك الأثناء كان الأمير قد رفع حصته إلى 30 بالمئة في ذلك البنك.

كان العوجان على تماس مباشر مع كل شيء، لكنّه لم يتوقّع أن تتمّ الأمور بهذه السرعة: "كان ذلك أشبه بالثورة. و لم يكن أحد من قبل قد سمع بالنهج المتبع في البنك. أعني أنّ الجميع أخذوا يدركون بأنّ الوقت حان لممارسة الأعمال. وبعد سنتين، عندما بدأ مجتمع الأعمال يرى النتائج، أصبح من السهل علينا اختراق السوق وبناء اسم جيّد لنا"

هدف جديد

بعد أن حظي الأمير الذي لا يهدأ باحترام المجتمع المصرفيّ ورجال الأعمال بشكل عامّ، أصبح مستعدّاً للإقدام على مغامرته الثانية. وإذا تمكّن من إعادة تأهيل

جذريّة لبنك واحد، فلمَ لا يعيد الكرّة في بنك آخر. وقد كشفت لـه الدراسة المتأنّية للقطاع المصرفيّ عدداً من نقاط الضعف، وهو الآن في موقف أفضل من الناحية الماليّة ويتمتّع بسمعة أعلى في القدرة الإداريّة. وبعد عدّة سنوات، وضع الوليد نصب عينيه مؤسّسة أخرى متعثّرة ماليّاً، وهي بنك القاهرة السعوديّ. وبعد أن أدخل مفهوم الشراء غير الوديّ إلى المملكة العربيّة السعوديّة، أخذ الآن يتطلّع إلى ممارسة أخرى لم تكن حتى ذلك التاريخ مألوفة في الشرق الأوسط، وهي الاندماج.

"كانت المشكلة الرئيسيّة التي عانى منها البنك السعوديّ التجاريّ المتحد هي الديون المعدومة وسوء الإدارة. وقد أصلحنا الأمرين، وصار لدينا منحنى تعلّم جيّد. وكان بنك القاهرة السعوديّ يعاني من المشكلتين نفسهما، الإدارة الضعيفة ومقدار مرتفع من القروض غير الفاعلة. لذا أصدرنا وثيقة تصف 'الحاجة الملحّة للاندماج' (the urge to merge)، وتوجّهنا إلى بنك القاهرة السعوديّ وقلنا لهم، 'لدينا خبرة جيّدة وسجلّ نتائج جيّد بدون إضافة دولار واحد أو ريال واحد إلى أسهم الملكيّة – انظروا ما كان عليه وماذا أصبح اليوم' قبلوا فكرتنا بالاندماج معاً ومعاودة الشيء نفسه ولكن على مقياس أكبر"

كانت المناورة أكثر تعقيداً هذه المرّة. في البداية حصل الأمير على حصّة كبيرة من بنك القاهرة السعوديّ، دون أن يلفت الانتباه أيضاً.

من المزايا التي يتمتّع بها الأمير – أو أي مستثمر آخر – في المملكة عدم وجود حدّ لملكيّة الأسهم، خلافاً للعديد من البلدان الأخرى، حيث ينبغي لكل من يمتلك حصّة معيّنة من شركة ما أن يعلن عن ملكيّته صراحة. في الولايات المتحدة على سبيل المثال، يمكن أن تكون عتبة الكشف عن حصّة الملكيّة متدنّية وأن تصل إلى 5 بالمئة. وعندما أصبح الأمير معروفاً كمساهم كبير في بنك القاهرة السعوديّ، صار عليه التفاوض شخصيّاً مع إدارة البنك وإقناع المساهمين، الذين ينتمون إلى مختلف البلدان العربيّة، بمنافع مثل هذا الاندماج. مارس الأمير ضغوطاً قويّة على تلك الجهات، وتوجّه في الوقت نفسه إلى الحكومة السعوديّة للحصول على إذن منها أيضاً. فلا شيء يمكن أن يتمّ بدون مباركة مؤسّسة النقد العربيّ السعوديّ التي

تعمل على مراقبة أنشطة القطاع المصرفي في البلاد وتنظيمهـــا. كمـــا أنّ البنـــوك باعتبارها شركات مساهمة تخضع أيضاً لإشراف وزارة التجارة التي يجب أن توافق أيضاً على الاندماج المقترح. وكجزء من عمليّة التقييم، استخدم الوليـــد وفريقـــه مستشارَين مستقلّين أحدهما لتقييم وضع البنك السعوديّ التجاريّ المتحد والآخـــر لتفحّص أوضاع بنك القاهرة السعوديّ. واستناداً إلى تقيمهما والإذن الممنوح من مؤسّسة النقد العربيّ السعوديّ ووزارة التجارة، وافق المساهمون في نهاية المطـــاف. وفي سنة 1997، اندمج البنك السعوديّ التجاريّ المتحد وبنك القاهرة السعوديّ، وسرعان ما تبيّن أن البنك الناتج عن ذلك، البنك السعوديّ المتحد، مشروع ناجح جدّاً واستثمار حكيم لمبلغ 335 مليون دولار الذي ضخّه فيه الأمير.

في هذه الأثناء بدأ تأثير الذكاء الماليّ يظهر وأخذ الأمـــير يـــرى فرصـــاً في قطاعات أخرى. ومن المجالات التي استحوذت على اهتمامه الأغذيـــة والماشـــية. فوسّع إمبراطوريّته لتشمل حصص أغلبيّة في إحدى أكبر سلاسل المتاجر الكبرى في المملكة، العزيزيّة بنده، التي اندمجت لاحقاً مع مجموعة كبيرة أخرى، صافولا. كما اشترى شركة التصنيع الوطنيّة المساهمة المتخصّصة في الاستثمار الصناعيّ. وكـــان يرأسها خالد الذكير قبل أن ينقله الأمير إلى البنك السعوديّ التجاريّ المتحد. ومن خلال الأعمال المصرفية المربحة والاستثمارات الناجحة جدّاً في معظم القطاعات في المملكة، أصبح الأمير الوليد الآن نافذاً وذا شبكة واسعة ومليارديراً.

نظراً لقلّة القيود التجاريّة في المملكة، لم تحدّ مشاكل الاحتكار والسيطرة على السوق مما كان الأمير يستطيع تحقيقه: "أنشأت ما يمكنك أن تدعوه 'نستلة الشرق الأوسط' – مجموعة صافولا، وهي قوّة مهيمنة جدّاً في مجالها. فـــنحن نمتلك 45 بالمئة من مجموعة إنتاج المواد الغذائية في المملكة من خلال إحـــدى الشركات التابعة. على سبيل المثال، نمتلك 80 بالمئة من زيت الطعام، و90 بالمئة من سوق السكّر في المملكة. ومن الأشياء الكثيرة الأخرى، نمتلك 40 بالمئة من صناعة المتاجر الكبرى في المملكة. وقد قمت أنا وبعض الحلفاء بتأسيس هـــذه المجموعة"

"الحلفاء" هي الكلمة الأساسيّة هنا. فقد أصبح الأمير أكثر ثقة بمهاراته كمدير

ومستثمر شامل، وأخذ يكتشف شيئاً سيصبح جزءاً لا يتجزّأ من أسلوبه في العمل بناء العلاقات مع الأشخاص الرئيسيّين.

يلازم المدير العامّ للشؤون الإداريّة والماليّة في شركة المملكة القابضة، صالح الغول، الأمير الوليد منذ أن ركّز اهتمامه على البنوك السعوديّة في العام 1989 وهو رجل هادئ ودمث الخلق ذو عين منفتحة على أدقّ التفاصيل وعقليّة محاسبيّة ماليّة مميّزة. تعرّف صالح إلى الأمير عندما كان يعمل كمدير لبنك أجنبيّ في قبرص. وكان الوليد كرئيس لمجلس إدارة البنك السعوديّ المتحد يتطلّع إلى تكوين فريق يشاركه في زيادة قوّة البنك الذي تراجعت فيه حصّته بعد الاندماج. وفي أيلول/سبتمبر من ذلك العام، حزم صالح أمتعته وعاد ليستقرّ في الرياض: "كان الأمير مع كل هذه الأعباء الإداريّة يبذل جهوداً خاصّة ويحمّل نفسه أعباء إضافيّة. كان يتوجّه إلى الصحراء - كل أربعاء في ذلك الوقت وكان يأخذ معه اثنين أو ثلاثة من كبار العملاء الخاصّين أو رؤساء الشركات ويتولى شخصيّاً بناء العلاقة معهم. لم يكن أي رئيس مجلس إدارة في مجتمع المصارف يفعل ذلك. وكان يتصل بالعملاء الكبار ويزورهم في مكاتبهم. كما أنّ البنك ورث محفظة كبيرة من القروض المعدومة. فعمل دون كلل على تحصيل كثير من هذه القروض المعدومة - وكان ذلك يسمّى إدارة علاجيّة في ذلك الوقت"

لقد أثمرت سياسة بناء العلاقات، وكان بوسع صالح أن يشاهد تأثيرها: "لا أدري إن كان يجدر بي قول ذلك ولكنّ الأمراء على العموم يكسبون عيشهم من كونهم من العائلة المالكة. لكنّه كان مختلفاً من حيث إنّه شقّ طريقه عن جدارة واستحقاق. الناس لن يقدّموا لك أموالهم كمودعين أو يقيموا معك علاقة مصرفيّة خاصّة لأنّك أمير - عليك أن تثبت نفسك وهذا هو ما فعله من حيث الأساس. لقد أظهر لهم أنّه رجل جادّ. وتعلّم أصول المهنة بسرعة كبيرة وكان بوسعه التفاوض معهم بشكل معمّق جدّاً، وأعتقد على الأرجح أنّ سرعة الاستجابة هي التي جعلتنا أفضل البنوك. في البنوك الأخرى قد يستغرق اتخاذ قرار ما بضعة أيام، لكنّك تحصل على القرار في ذلك البنك (البنك السعوديّ المتحد) في بضع ساعات.

لذا يقدّر الناس الخدمة، وذلك ما ساعده في إثبات نفسه بأنّه رجل أعمال حقيقيّ، وليس عضواً في العائلة المالكة فحسب"

لقد تمكّن الأمير عن طريق إشراك الآخرين والعمل بشروط مهنيّة من كسب جانب كبير من مجتمع الأعمال إلى معسكره. فأصبحت الصفقات أيسر منالاً وتعاظمت الثقة. ومع أنّ ثقة الوليد الشخصيّة في ما يقوم به ارتفعت، وكان يطوّر الكثير من الخبرات، إلا أنّه حرص أيضاً على إنشاء فرق إداريّة جيّدة لأنّ قدرته على بلوغ كل قسم من أقسام إمبراطوريّته كانت تتضاءل مع تناميها. كان بحاجة إلى من يستطيع الاتكال عليهم، ويتوخّى الدقّة الشديدة في استخدام ورعاية المواهب التي يشعر أنّها تستطيع تطبيق استراتيجيّاته ومتابعتها متى ابتعد عن الإشراف على العمليات اليوميّة. و لم يكن ذلك النهج سهلاً نظراً لطبيعة شخصيّته. فالوليد ليس ممن لا يكلّون العمل ويقومون بعدّة مهمّات في آن فحسب، وإنّما كان أيضاً يهتمّ بأدقّ التفاصيل في كل صفقة. لقد أصبح الآن مقتنعاً أيضاً بقيمة الذكاء الماليّ، وفائدة إطلاعه بشكل صحيح على الأخبار والشؤون الجارية، لا سيما إذا كانت هناك أحداث تؤثّر على شركاته بطريقة أو بأخرى. وبدأ عادة القراءة بشكل مكثّف لمجموعة واسعة من المطبوعات وتابع إجراء الدراسة المعمّقة لمختلف القطاعات التي يستثمر فيها. لم يكن هناك كثير من المديرين الذين يستطيعون، بصرف النظر عن ذكائهم، مجاراة المثال الذي يختطّه أو الضغط الصادر عنه، لذا اضطر إلى تعلّم العمل مع الآخرين بالطريقة التي تستخرج أكثر ما لديهم. وفي مسعى لاستيعاب احتياجات موظّفيه، ركّز على الانتباه إلى ما يقوله العاملون – العادة نفسها التي تبنّاها أوّلاً عندما حاز على البنك السعوديّ التجاريّ المتحد – رغم أنّه قد يكون من الصعب إقناعه في بعض المسائل.

يقول العوجان، "الأمير شخص حادّ الذكاء. تعلّم من تجربة البنك السعوديّ التجاريّ المتحد. وتعلّم كيف يتعامل مع الناس على مستويات مختلفة، وتعلّم كيف يستمع. وهو لا يتخذ قرارات مستعجلة. لقد عملت مع الأمير منذ أكثر من 10 سنوات، و لم يفرض البتّة أي قرار عليّ. كنّا نجلس معاً، نتحدّث ونتباحث، وإما أن أقنعه وإما أن يقنعني. لذا فإنّه يتحلّى بصفات إداريّة جيّدة. و لم يصدر عنه يوماً

شيئاً مثل، 'حسناً، أنا مالك البنك وسأفعل ما يحلو لي' لم يحدث ذلك قطّ والناس تدرك هذا الأمر. بل إنّه حتى مع العملاء – العملاء الذين لدينا مشاكل معهم – يصرف معهم الوقت اللازم لمساعدتهم وحل مشاكلهم. ويقوم بكل ما يجب عليه القيام به"

لم يزد الوليد الانتقال من قمّة إلى قمّة إلا سعياً وراء المشاريع الأكثر نجاحاً. فقد نما البنك السعوديّ المتحد، الذي تشكّل من اندماج البنك السعوديّ التجاريّ المتحد وبنك القاهرة السعوديّ، ليصبح خامس أكبر بنك في المملكة. وكان الوليد يتمدّد على كل الجبهات الآن، لكن بعد إجراء دراسة معمّقة للظروف السائدة، شعر بأنّ هناك اندماجاً مصرفيّاً آخر يمكن تحقيقه. هذه المرّة كان الهدف أكثر طموحاً. كان البنك السعوديّ الأمريكيّ (سامبا) الذي رأى الأمير أنّ إدارته الجيّدة تجعل حيازته مثاليّة من أجل مصرفه. في ذلك الوقت، كان سيتي بنك (Citibank) متواجداً في 100 بلد، واتّفق أنّ الوليد يخوض منافسة مباشرة معه على الصعيد المحليّ. ورغم أنّه القوّة التي تقف خلف البنك السعوديّ المتحد، إلا أنّه أكبر مساهم أيضاً في سيتي بنك. ويقول إنّه وجد في الصفقة بين البنك السعوديّ المتحد والبنك السعوديّ الأمريكيّ فرصة لكي يجعل مصالحه المصرفيّة المتنافسة تتحد معاً في شراكة رسميّة: "ازدادت شهيّتنا إلى أن ننمو ونكبر. فبعد الاندماج الأول بين بنك القاهرة السعوديّ والبنك السعوديّ التجاريّ المتحد، تراجعت حصّتي من 40 بالمئة إلى 25 بالمئة، لكنّ ذلك مقبول لأنّ لديك بنكاً أكبر الآن. ثمّ في الاندماج الثاني بين البنك السعوديّ المتحد والبنك الأمريكيّ السعوديّ، تراجعت حصّتي في الملكيّة أكثر. لم أبالِ بتراجع حصّتي وكان الثمن الذي دفعته لتحقيق الاندماج اضطراري إلى التخلّي عن رئاسة مجلس الإدارة. لقد تخلّيت عنها من أجل إنشاء كيان كبير وقويّ. لم ننشئ أكبر بنك في المملكة فحسب وإنّما في الشرق الأوسط أيضاً – البنك السعوديّ الأمريكيّ"

نظراً لأنّه كان البنك الثالث الذي يعيد الأمير الوليد تشكيله، فقد كان من السهل عليه اتخاذ القرارات السريعة استناداً إلى خبرته السابقة. كان خالد الذكير حاضراً أيضاً عند اندماج البنك السعوديّ المتحد والبنك السعودي الأمريكيّ في

سنة 1999، بعد أن شهد إعادة الهيكلة التامّة للبنك السعوديّ التجاريّ المتحد، ثم الاندماج مع بنك القاهرة السعوديّ: "إنّه يكرّر دائماً القول بأنّه عندما يــدخل في عمل ما، يهتمّ بالتفاصيل في البداية ويُعنى كثيراً بعنصر الإدارة. وهــو لا يشــتري الأشياء لقيمتها فقط، لكنّه يهتمّ كثيراً بشأن فريق الإدارة الذي سيدير العمل. إنّــه يهتمّ كثيراً بهذا الشأن"

ويضيف بأنّ ذلك هو سبب اندماج السعوديّ المتحد والسعوديّ الأمريكــيّ وسبب حدوث بعض الاندماجات الأخرى التي قام بها الأمير في ذلك الوقت. على سبيل المثال، عندما جمع بين العزيزيّة بنده وصافولا، منشئاً أكبر سلســة متكاملــة للأغذية في المملكة.

ويعبّر الذكير عن ذلك بقوله، "لقد اشترى الإدارة"

عندما ينظر الأمير الوليد إلى الوراء، يرى أنّ أكبر نجاحاتــه في المملكــة في الثمانينيّات ربما كانت مشاريعه العقاريّة، لأنّها أمدّت الكثير مما أمكنه القيام به في القطاع المصرفيّ لاحقاً، لكنّه يفخر على وجه الخصوص بأنّه قلب القطاع الماليّ في المملكة رأساً على عقب. وأصبح البنك السعوديّ الأمريكيّ أكبر البنوك في الشرق الأوسط وأنجحها - وقد تمّ ذلك في فترة قصيرة جدّاً.

إلى جانب سيطرته الكبيرة على قطاعات الأعمال الأخرى، مثــل المتــاجر الكبرى، والبيع بالمفرّق، والمواشي، والزراعة، والمشاريع الصــناعيّة، والعقــارات أخذت محفظة استثمارات الأمير تتنوّع بشكل كبير وتحقّق نجاحات شاملة. كــان وضعه الماليّ قويّاً وشعر بالدافع إلى استثمار المزيد مما لديه في مجالات تحقّق عائدات أعلى. وقد بلغ الآن الدافع الكبير الذي لديه لتحقيق المنجزات الكبرى أشــدّه، إلى حدّ أنّ بعض المقرّبين منه بدؤوا يشعرون بالقلق من أنّه أخذ ينضب مــن الناحيّــة العاطفيّة.

كان رياض الأسعد، ابن الخالة الذي نشأ مع الوليد وشهد سنواته الجامحة في لبنان، أحد الذين شعروا بالقلق. وهو يعترف بأنّ من الصعب عليه أن يضع نفســه مكان الوليد، لكي يتوصّل إلى حكم صادق على وضع الأمير الشخصيّ والعمليّ، لكنّه يشعر بأنّ النجاح الذي حقّقه له ثمن. لقد وصف من قبل التغيّر الذي طــرأ

على شخصيّة الأمير حيث أصبح أكثر إعمالاً للمنطق وأقلّ إظهاراً للعاطفة: "هناك أشياء معيّنة اختار الوليد أن ينأى بنفسه عنها، وهو ما أخشى أن يشعر بالندم عليها على المدى الطويل. فاتباع النظام والمنهجيّة أمر شاقّ. والعقل الــذي لا يســمح بظهور العواطف لا يسمح بحدوث الندم، ولا يسمح لأوقات من التكاســل، إنّــه العقل الذي يؤثر الفعل. إنّها حالة من 'نفّذ ثم اعترض' وأعتقد أنّ ذلك يظهر في علاقته مع الماضي، ويظهر في علاقته مع الناس

إنّ تفسير رياض للسبب الذي يمكن أن ينأى بالوليد هو أنّ عالم الأعمال على مستواه الرفيع يتعرّض لضغوط كبيرة، وقد يكون مدمّراً. وقد تــؤدّي أي خطــوة خاطئة إلى عواقب كارثيّة. ونتيجة لذلك، على الأمير أن يكون أكثــر حــذراً في تعاملاته مع الناس، وبخاصّة أنّ معظم الأشخاص الذين يقاربونه يدور في خلــدهم عقد صفقة تجاريّة. فالناس يجذبهم النجاح الذي حقّقه، ومن الطبيعيّ أن يتطلّعــوا للاستفادة منه: "لقد أصبح فهمه للأشخاص الذين على صلة به أكثر جديّة بمــرور الوقت. لم يعد مرناً كما كان بل أصبح اكثرتحفّظاً"

ربما يكون رياض قد قيّم الأمير بأنّه أكثر تحفّظاً على الصعيد العاطفيّ، لكــنّ أعمال الوليد كانت منفتحة على مصراعيها.



6

الأمير ينقذ سيتي بنك من ورطته

"على كل مستثمر أن يجازف، ولكن يجب أن يكون مجازفاً حكيماً... وإذا أفرطت في المجازفة تصبح مقامراً. أنا لست مقامراً، وإنّما مجازفاً – مجازفاً كثير الحساب بالطبع".

الأمير الوليد بن طلال

من لا يعرف قصّة أمير الصحراء قد يميل إلى القول إنّه رجل غنيّ محظوظ حقّق خبطة كبيرة في سيتي بنك، تلك الصفقة التي استثمر فيها بضع مئات من ملايين الدولارات فتحوّلت إلى بضعة مليارات.

الأمر أكثر تعقيداً من ذلك. فالقصّة لم تبدأ بجرّة من الأموال النفطيّة كانت تنتظر أن تُستثمر في صفقة مربحة. بل كانت السنوات الفاصلة بين 1986 و1990 مهمّة جداً في تعليم الأمير الوليد قيمة العمل المصرفيّ ومكافآته المحتملة.

عندما يشكّك المنتقدون في مهارات الأمير كمستثمر، فإنّهم لا ينظرون إلى الصورة الكبيرة. ربما يكون سيتي بنك (Citibank) خبطة كبيرة، لكنّها جاءت من خلال البحث المتأنّي لا المراهنة العشوائيّة. والأهمّ أنّ ذلك التقييم يهمل النجاح الواسع الذي حقّقه من استثماراته في بلدان منظّمة التعاون والإنماء الاقتصاديّ (OECD)، وهي تضمّ حصصاً في كناري وارف (Canary Wharf)، ومجموعة فنادق فور سيزنز (Four Seasons Hotel Group)، ونيوز كوربوريشن (News Corporation)، وغيرها. وفوق ذلك كلّه هناك النتائج الخارقة التي حقّقتها استثماراته في المملكة.

وحتى لو حقّق الوليد خبطة واحدة كبيرة في صفقة سيتي بنك، فما من مستثمر واحد في العالم يمكن أن يشكو من الفوز بمثل هذا المكسب الكبير.

ومن المثير للاهتمام أنّ الأمير يُعنى الآن أيضاً بالتأثير الذي يمكن أن يحدثه كمستثمر، إلى جانب عنايته بالربح الفعليّ الذي يحققه.

لقد كان للأمير علاقة مختلفة مع الأموال منذ نعومة أظفاره، مقارنة بالعديد من أبناء عمومته الأغنياء، رغم أنّ والده أصبح واحداً من أغنى رجال الأعمال في المملكة العربيّة السعوديّة من خلال العقارات والبناء في الستينيّات، وأنّه ينتمي إلى العائلة المالكة لجهة أبيه وإلى عائلة حاكمة لجهة أمّه، بوصفه حفيداً لأول رئيس وزراء للبنان بعد نيله الاستقلال. كانت الأموال - وأحياناً بمبالغ محترمة - تأتي بشكل متقطّع على شكل هدايا ومنح من أعضاء مختلفين من العائلة، لكنّها لم تلعب قطّ دوراً مركزيّاً في حياته المبكّرة، رغم أنّ والدته، الأميرة منى الصلح تتذكّر بمحبّة كيف كان الوليد يتصرّف عندما يتلقّى أي مبلغ نقديّ.

كان كطفل يأخذ المال الذي يتلقّاه ويبدأ بالمزاح، فيقبّله ويبدي احترامه له، كما لو أنّه أروع شيء رآه في حياته. وتضحك الأميرة منى عندما تتذكّر كيف كان يبالغ في تعابيره، حيث يُمسك بالمال ويقرّبه إليه مبتسماً ابتسامة عريضة ثمّ يغمره بالقبلات معلناً أنّه أفضل ما تلقّاه على الإطلاق.

وعندما شبّ الوليد أدرك قدرة المال على تحقيق أهدافه، وكيف يستخدم على العموم كمقياس للنجاح، سواء عن خطأ أم صواب. وقد أشار ابن خالته رياض كيف كان في صغره مصمّماً على النجاح.

وستقرّبه خطواته التالية كثيراً إلى ذلك الهدف.

كلّف الأمير الخبراء الماليّين لديه دراسة الأسواق الدوليّة منذ سنة 1987، فيما كان لا يزال منشغلاً بتحقيق الربح في عمليّاته في البنك السعوديّ التجاريّ المتحد. وفي العام 1989 شعر بأنّه قيّم السوق العالميّة بشكل وافٍ، وبدأ بشراء حصص في عدد من البنوك في الخارج، مثل تشيس مانهاتن (Chase Manhattan)، وسيتي كورب (Citicorp)، ومانوفاكتشررز هانوفر (Manufacturers Hanover)، وكيميكال بنك

(Chemical Bank). وقد وظّف بالإجمال 250 مليون دولار في هذه الشركات، لكنّه شعر بالحاجة إلى استراتيجيّة مختلفة بشكل جذريّ لتحقيق عائد أعلى.

رغم ارتباطه الشديد بمجموعة سيتي اليوم، إلا أنّ خطّة عمله كانت واضحة جدّاً في ذلك الوقت كما يذكر: "في نهاية الثمانينيّات، كنّا لا نزال متحصّنين في المملكة، وكانت استثماراتنا متنوّعة، وبدأنا نكسب الكثير من الأموال وأسهم الملكيّة في ذلك الوقت، كما بدأنا نتطلّع إلى السوق الدوليّة. كان هناك أربعة بنوك كبيرة وكلّها تعرّضت لخسائر فادحة. في ذلك الوقت كنت قد اكتسبت خبرة ودراية كبيرة من عملي في البنك السعوديّ التجاريّ المتحد، لذا كنت متقدّماً حقّاً في منحنى التعلّم. بدأت أقيّم هذه البنوك ووجدت أنّ سعرها منخفض جدّاً، لذا اشتريت في البنوك الأربعة. لكن بعد سبعة أشهر، وجدت أنّه يجدر بي التركيز على بنك واحد فقط. لذا بعد تقييم البنوك الأربعة، قرّرت بيع كل حصصي في ثلاثة منها وتوظيف كل المبلغ في سيتي كورب"

كان سعر سهم البنك يعاني من الهبوط، وعن طريق إنفاق 207 ملايين دولار على شراء الأسهم مقابل 12.46 دولاراً للسهم الواحد، تمكّن الوليد من الحصول على 4.9 بالمئة من البنك – ما يكفي ليضعه تحت مجهر هيئة الرقابة الفيدراليّة في الولايات المتحدة. وعند تعديل سعر السهم على مستويات سنة 2004، فإنّ ذلك يعني أنّ الأمير اشترى السهم مقابل 2.49 دولاراً.

كان سيتي كورب الأسوأ أداء بين الأربعة على الورق في ذلك الوقت، لكنّ الوليد اعتقد بأنّه يمتلك أفضل الاحتمالات. فقد منحه تقييماً كبيراً لكونه أكثر انتشاراً على الصعيد العالميّ من البنوك الأخرى التي تركّزت عمليّاتها في الولايات المتحدة. وشعر بأنّ اسم سيتي بنك وحضوره الدوليّ يوفّر له أكبر الإمكانات للنموّ في المستقبل.

طالما أوْلى مايك جنسن، من مجموعة سيتي (Citigroup) اهتماماً كبيراً بتكتيكات الأمير وأساليبه عندما يعمل على إنجاز اتفاق ما. ويرى جنسن، بالعودة إلى الوراء، أنّ الأمير طوّر تكتيكاته عند دخوله في صفقة سيتي بنك:

"كان مستعدّاً بشكل جيّد لأنّه يقوم بدراسة القطاع منذ ثلاث سنين، وخلال تلك الفترة لم يُقدم على أي عمليّة شراء كبيرة. كان ينتظر الوصول إلى سعر جذّاب يسمح له بالدخول. وذلك نهج ما زلنا نعمل على تطويره. نقوم أساساً بدراسة شركة ما، بناء على طلبه، لتحديد إذا ما كانت 'شركة جيّدة' أم لا - أي إذا كانت شركة ذات إدارة ممتازة واسم تجاريّ عالميّ بالإضافة إلى مزايا تنافسيّة أخرى. وبعد ذلك نحدّد 'نقطة الدخول المحتملة' التي يكون عندها الاستثمار ممتازاً إذا ما تمكّنا من الشراء. فالشركة الجيّدة ليست استثماراً ممتازاً بالضرورة - لأنّ سعر السهم يكون مرتفعاً في أغلب الأحيان"

ويتابع جنسن شرح كيف يقوم الأمير بتتبّع أي شركة يجد أنّها مثيرة للاهتمام: "إذا كان السعر أكثر ارتفاعاً من سعر الدخول الذي حدّدناه، كما هي الحال بشكل عام، نقوم بمتابعة الشركة على أمل أن يهبط سعر سهمها ليصل إلى تلك النقطة المحدّدة. على سبيل المثال، قد يكون سعر سهم إحدى الشركات 80 دولاراً ونودّ أن يكون السعر عند 50 دولاراً. فإذا هبط السعر إلى 50 دولاراً، قد نبدو أنّنا نسارع إلى الدخول مستغلّين الفرصة، لكنّ الأمير يكون قد أجرى ما عليه من دراسة قبل عدّة أشهر أو سنين ومستعدّاً للتحرّك إذا ما وصل السعر إلى نقطة الدخول. فمن العوامل الحاسمة - برأيه ورأيي - مقدار تدنّي سعر الأصول التي تشتريها"

يلخّص جنسن العامل الأساسيّ لأهداف الأمير الاستثماريّة في تقييم الصفقات الجيّدة مقابل الصفقات الاستثنائيّة: "إنّ سعر الشراء هو المعيار الأهم في الاستثمار 'الاستثنائيّ' - مقابل الاستثمار 'الجيّد' الاستثمارات الجيّدة هي ما يعرضها السماسرة بشكل عامّ، وسيحقّق الشراء الربح فيها حتماً، لكنّها ليست استثمارات جذّابة بالنسبة للأمير الوليد. نحن لا نسعى وراء الاستثمارات 'الجيّدة'، بل نسعى وراء الاستثمارات 'الاستثنائيّة'، وسموّه على استعداد للانتظار سنة أو اثنتين، أو حتى خمس سنوات بين الاستثمار والآخر. وهذا بالضبط ما يجري الآن. إنّنا نرى الكثير من الشركات الجيّدة، لكنّ أسعارها أعلى من نقاط الدخول التي حدّدناها، لذا فإنّنا نجلس وننتظر

بنك على وشك السقوط

تكشف القصّة الكاملة لصفقة سيتي كورب عن شيء أشبه بالدراما. ولا يزال يستعصي على الفهم تقريباً كيف انتهت إحدى أقوى المؤسّسات الماليّة في العالم إلى هذا الموقف غير الحصين. وتوضح سلسلة الأحداث كيف أثمرت أبحاث الوليد وصبره ثمّ مهاراته التفاوضيّة.

عندما تفحّص الأمير القطاع المصرفيّ الدوليّ، مهّد سلف جنسن، الراحل سيدريك غرانت، الطريق أمام عميله الأمير: "بعد آذار/مارس 1989 طلب الأمير نسخاً من التقارير السنويّة لعشرة بنوك مختلفة أحضرها سيدريك له - وكانت التقارير تتعلّق بسنة 1988. أعدّ سيدريك هذه الكشوف وأرسلها إلى الأمير لدراستها. ثم في منتصف سنة 1989 ضيّق الأمير نطاق دراسته"

وبعد أن قرأ بعناية التقارير المتعلّقة بالبنوك الأربعة التي يستهدفها، صار الأمير مستعدّاً للشراء بكثافة في كل من يتبيّن أنّه الأضعف منها. ويقول جنسن إنّ هذا التمييز "المريب" انطبق على سيتي: "لذا لم يكن شراء مجموعة سيتي مصادفة عارضة، بل كان الأمير قد أجرى أبحاثه مسبقاً، وعزم على الاستثمار في بنك أمريكيّ، ثم أخذ ينتظر - ولا يزال يفعل الشيء نفسه اليوم، يجري الدراسات ثمّ ينتظر أن يأتي السهم الصحيح بالسعر المناسب"

لعل موقف سيتي بنك كان أسوأ بكثير مما كان يدرك الناس خارج العالم الماليّ. لقد كان على وشك السقوط، ثم أسقطته الأحداث المحيطة على الأرض.

وفي أواخر أيلول/سبتمبر 1990، اتّخذ أحد البنوك الأجنبيّة التي استثمر فيها الأمير في الأصل خطوة أثّرت على المؤسّسات الماليّة. وكما يتذكّر رئيس مجلس إدارة سيتي بنك ومديره التنفيذيّ في ذلك الوقت، جون ريد، فقد أخرج بنك تشيس مانهاتن مبلغاً احتياطيّاً لحماية نفسه من سلسلة من قروض مشكوك فيها لقطاع العقارات إلى حدٍّ كبير. كان سيتي بنك يعاني من الانكشاف نفسه الذي يعاني منه تشيس، وكانت الأسواق تعرف ذلك. وقد دفعت خسائر الاعتمادات من خلال الأنشطة في العقارات في أواخر الثمانينيّات، بالإضافة إلى انكشافه بسبب التطوّر الحادّ للقروض العالميّة، لا سيّما في أمريكا اللاتينيّة، الهيئات الرقابيّة الماليّة إلى

الإعلان عن وجود مشكلة في سيتي بنك. وكان تقييمهم أنّه بحاجة إلى رأس مال أكبر مما يوجد بحوزته.

يقول ريد، "قدّر رأسمالنا بأقل مما ينبغي واستجابت السوق للقرار الذي اتخذه بنك تشيس مانهاتن بخفض قيمة سهمنا، ما أعطانا إشارة بأنّها تعرف أنّنا منكشفون بشكل مماثل ولذلك فإنّنا نعاني من مشاكل، لكن كان هناك شعور – وهو صحيح – بأنّ لدينا المقدرة الماليّة للردّ عن طريق تشكيل الاحتياطيّات"

كان ريد في طريقه إلى طوكيو، بعدما أقلعت به الطائرة من أحد مطارات كارولينا في الولايات المتحدة، عندما تلقّى اتصالاً على متن الطائرة. أبلغ بالخطوة التي اتخذها بنك تشيس، واستجاب على الفور من أجل إنقاذ مصرفه بمحاولة طمأنة الأسواق بأنّ لديه خطّة. وطلب من العاملين لديه إصدار بيان بأنّ سيتي بنك يعتزم رفع رأسماله واتخاذ الخطوات التي تضمن قدرته على التعامل مع أي مشكلة محتملة.

أمضى ريد يومين عصيبين من الاجتماعات في طوكيو. كان بعيداً عن مقرّه والمخاطر كبيرة جدّاً، لكنّه يعوّل على مهارة نائب رئيس مجلس الإدارة، بول كولنز، الموجود في لندن. وكان كولنز، وهو صديق مقرّب من ريد ومستشار موثوق له، يدرك جيّداً تقدير رأسمال سيتي بنك بأقلّ من قيمته، وكلاهما يبحث كيفيّة حل هذه المشكلة. كانت تلك مشكلة صعبة لأنّهما يعرفان أنّ جمع الأموال ليس مسألة سهلة. ولا بدّ من الحصول على رأس المال كجزء من برنامج محدّد جيّداً يشير إلى الأسواق بوجود استراتيجيّة على المدى الطويل بدلاً من التعافي من المشاكل الفوريّة بأسرع ما يمكن. وكان ريد على اتّصال دائم بكولنز: "أبلغت بول بأنّني سأعرّج على لندن في طريق عودتي من اليابان، وسنمضي بعض الوقت، ونبدأ التحدّث مع البنوك الاستثماريّة لأنّه يفترض أن يكون لهذه البنوك تصوّراتها عما يجب أن تقوم به، ولأنّ تصوّراتها تعكس السوق وتشكّل طريقة للتحقّق من توافقك معها"

إنّ كسب ثقة السوق يتيح للمسؤولين عن سيتي بنك البدء بمحادثات مع المستثمرين المحتملين على الأقل. التقى ريد وكولنز في بريطانيا، كما كان مزمعاً، وأمضيا فترة صعبة وعصيبة في محاولة متابعة إعلانهما بأنّهما يتعاملان مع مشاكل سيتي بنك الوشيكة.

تعامل كولنـــز مع الأمر بشكل مباشر، يدفعه إلى ذلك أنّ الردّ على جهوده الحصول على الدعم في الولايات المتحدة كان ضعيفاً. ووجد أنّ مصادر الاستثمار المحليّة العاديّة كانت حذرة جدّاً في التورّط وخذلت سيتي بنك لأسباب عديـــدة. وصار يشعر الآن أنّ العديد منها ينتظر بصورة انتهازيّة لكي يتدهور الوضع أكثر، ويعرض عليهم سعراً أفضل لقاء حصّة في البنك.

بدت الأمور متقلّبة جدّاً عندما وطأت قدما ريد أرض لنـــدن للانضـــمام إلى كولنـــز. ويقول الرئيس التنفيذيّ السابق لسيتي بنك: "اجتمعنا مع بعض البنـــوك الاستثماريّة. وتساءلنا إذا كان عرض حقوق الملكيّة هو الطريقة الفضلى لجمع رأس مال جديد. لقد اجتمعنا مع بعض البنوك الاستثماريّة في لندن وبدأنا الاستماع إلى ملاحظاتها المختلفة في محاولة للتوصّل إلى معرفة ما الذي سنستخدمه لهذه الصفقة. ربما استغرق الأمر أسبوعين، وفي هذه الأثناء، حاولنا إدراك ما سيكون عليه شكل المحفظة الاستثماريّة، وحاولنا معرفة مقدار الأموال التي ســنجمعها ومـــا حجـــم المشكلة التي نواجهها. وفي نهاية الأسبوعين قرّرنا استخدام مورغان ستانلي ليكون مصرفنا الاستثماريّ. ومن الأسباب المهمّة لاتخاذ هذا القرار أنّ لورد ريتشاردسون الذي كان رئيس البنك المركزيّ البريطانيّ – هو رئيس ذلك البنك الدوليّ ونحن نكنّ احتراماً كبيراً للورد ريتشاردسون. كان منظّماً قاسياً لكنّه عادلاً ونحن نقـــدّر آراءه، لأنّ عليك بالطبع أن تؤدّي عملك بشكل صحيح، وليس لديك الكثير من الفرص في العودة إلى السوق – وليس عليك أن تعيد صياغة خطّتـــك مـــرتين أو ثلاث. وسيبدأ الناس يفقدون الثقة بك. لذا شعرنا أنّ علينـــا التصـــرّف بشـــكل صحيح من المرّة الأولى وأنّ لورد ريتشاردسون سيكون المستشار الجيّد نظراً لخبرته في المصارف – بالإضافة إلى أنّ مورغان ستانلي يمتلك الكفاءة في عملـــه كبنـــك استثماريّ. لذا انتقينا مورغان ستانلي وبدأنا العمل معهم على الفـــور. وقرّرنـــا اعتماد ما يدعى عرض المساهمة 144، وهو عرض اكتتاب موجّـــه للمســـتثمرين المحترفين، وليس عرضاً للاكتتاب العامّ، ما يتيح لنا جمع بعض المال"

في هذه المرحلة، لم يكن أي منهما يعرف ما المبلغ الذي عليهما جمعه. وكانا يحاولان التوصّل إلى الأرقام المطلوبة، لكنّهما اتخذا قراراً بشأن خطة العمل علـــى

الأقل - مقاربة الاكتتاب الخاصّ، بدلاً من الاكتتاب العامّ.

ولا يزال ريد يعتقد حتى اليوم بأنّ مزايا هذا النهج هي أولاً: أنّ المستثمرين الخاصّين متوفّرون بأعداد كبيرة؛ ثانياً: أنّ بوسعهم تفحّص دفاتر الشركة التي يشترون فيها. أما في الاكتتاب العامّ، فيجب أن تتمّ الدعوة للاكتتاب وتلك مسؤوليّة سيتي بنك. وسيعني ذلك الضغط على الشركة لأداء عملها بشكل صحيح، وحتى عندئذ سيُفترض أنّ تأكيدات الدعوة إلى الاكتتاب ومضامينها صحيحة. عند اللجوء إلى المستثمرين المحترفين، يكون التدقيق أكبر بكثير. يقوم العاملون لديهم بتفحّص دفاتر الشركة ويضعون وجهة نظرهم، وقد تختلف استنتاجاتهم كثيراً عن استنتاجات البنك. وسيحاولون العثور على كل المشاكل لأنّ هؤلاء المستثمرين يريدون خفض السعر والحصول على صفقة أفضل. إنّ مصلحتهم تقضي بالحصول على أفضل سعر للسهم ودفع رأسمال أقل، وما إلى هنالك. وذلك يعني أنّ الشركة العارضة تحصل على "سيناريو أسوأ حالة"، كما يقول ريد. وعندما يلقي العديد من المحترفين الذي لديهم مصلحة نظرة وثيقة على محتويات المحفظة الاستثماريّة، فمن غير المحتمل أن يفوّتوا أياً من التفاصيل.

لقد كانت عمليّة مثقّفة لجون ريد الذي يعترف بأنّ ما تعلّمه من تلك التجربة يدفعه الآن إلى نصح عملائه باتباع الطريق نفسها. وهو يقول، إذا واجهوا مشاكل أشجّعهم على السعي وراء الاكتتاب الخاص لجمع رأس المال، لا من أجل المال بحدّ ذاته، بل نظراً للانضباط الذي يتطلّبه الفحص المعمّق للمشكلة الذي من المرجّح أن يقوم به المستثمرون المحترفون.

يقول ريد، "كنّا ناشطين في جسّ نبض المستثمرين في شهر تشرين الثاني/نوفمبر (1990). فأشار أحد العاملين لدينا في الشرق الأوسط إلى أنّه لاحظ بعض عمليّات الشراء لأسهمنا، وأنّها جاءت من صاحب السموّ الملكيّ الأمير الوليد. كنّا نعرف عائلته من السجلات المصرفية القديمة، و لم أكن أعرف الأمير على الإطلاق، لكنّنا سألنا من يعرفه من رجالنا في السعوديّة هل يقوم بشراء أسهمنا بالفعل؟ فكان الجواب نعم. ثانياً، هل لديه أي اهتمام في اكتتاب خاص؟ فأجاب بأنّه مستعدّ"

المنقذ السعوديّ

بما أنّ المبالغ المطلوبة لكفالة البنك كانت كبيرة - حدّدت في البداية بنحو مليارين ونصف من الدولارات، وسرعان ما ارتفعت إلى أربعة مليارات ونصف، كان يُعتقد في سيتي بنك أنّ هناك حاجة إلى عدد من المستثمرين المرموقين لإنقاذه. تمّت مفاتحة شركة التأمين الرائدة، إيه أي جي (AIG) بالإضافة إلى جنرال إلكتريك وجنرال موتورز. كان سيتي بنك يأمل في تشكيل مجموعة من المستثمرين يمكن أن يوفّروا فيما بينهم عرض مساهمة برأس المال. لكنّ خيبة أمل نائب رئيس مجلس إدارة سيتي بنك، بول كولنز، في عدم الحصول على الدعم من داخل الولايات المتحدة، جعلته يعلّق الآمال على المصادر الدوليّة: "جلنا العالم وتحدّثنا إلى الناس وحاولنا تشجيعهم على الاستثمار، وأثناء العمليّة، جمعنا ائتلافاً من المستثمرين الدوليّين الحقيقيّين، من الشرق الأوسط بشكل خاصّ، وأضفنا الأمير كأحد المستثمرين"

وبما أنّ البنك أمريكيّ، كان هناك بعض المخاوف التي تتعلّق بمن سيشارك ومن يمكن أن يمتلك حصّة كبيرة في المؤسّسة. وكما كان متوقّعاً، أجرى سيتي بنك دراسة وافية عن الأمير بالطريقة نفسها التي اتبعها هو في دراسته: "بما أنّه كان هناك بعض العلاقات السابقة مع البنك، كنّا نعرف مقداراً وافياً من المعلومات عن عائلته. تثير مصادر المال بعض المخاوف دائماً، لكن لم يكن يوجد في الواقع مخاوف كبيرة من جهتنا حيال كونه مستثمراً مهمّاً - أكبر مستثمر في شركتنا - كما هو موجود من جهة بعض الجهات الرقابيّة في الولايات المتحدة"

توجّه المدير الماليّ في سيتي بنك بالطائرة لمقابلة الأمير الوليد، وهو الترتيب الذي تمّ في أعقاب مفاتحة سيدريك غرانت، أحد المصرفيّين الخاصّين الذين يتعاملون مع كبار العملاء في الشرق الأوسط. وسرعان ما أعجب كولنز بالأمير السعوديّ: "كان الحوار مع الأمير دقيقاً وموجزاً ومنضبطاً ويتعلّق بجوهر الموضوع، واتضح أنّه راغب في أن يصبح من المشاركين الكبار في ما نحاول القيام به. الأمر الآخر الذي أثار إعجابي في تلك المرحلة أنّه شاب نسبيّاً - ولا يزال - وأنّه أجرى أبحاثه على أكمل وجه. كان يعرف من نحن، وما هي نقاط ضعفنا وقوتنا، وما هي

فرصنا، وما إلى هنالك، و لم أكن بحاجة إلى شرح طويل للوجهة الـــتي نســـلكها ولماذا. كان يعرف ذلك جيّداً"

مرّة أخرى تؤول الأمور إلى الذكاء الماليّ، وذلك ما يتميّز به الأمير.

كان يشعر بارتياح نسبيّ لما يعتزم القيام به لأنّه أمضى الآن نحو أربع سنوات غارقاً في البيئة المصرفيّة. وأخذ يقارن بين وضع سيتي بنك ووضع البنك السعوديّ التجاريّ المتحد عندما بدأ يستهدف تلك المؤسّسة المتعثّرة: "إنّها كلّها مصـــارف، وكلها متماثلة من حيث جوهر أعمالها. لذا قرّرت أن مستقبل سيتي بنك سيكون جيّداً. ورغم أنّه كان يواجه مصاعب وأنّ السعر منخفض، فقد اعتقدت أنّه يمكن أن يتحقّق ذلك بإجراء بعض التعديلات. فقد قلت لهم لنعقد صفقة. وكانوا بحاجة ماسّة إلى المال في ذلك الوقت"

سرّ ريد لعثوره على مستثمر ملتزم: "لقد بدأ الأمير ذلك عنـــدما قـــرّر لأسبابه الخاصّة – و لم أسأله عنها قطّ – شراء أسهمنا. فاتحناه بالأمر وســـألناه إذا كان يحبّ الاكتتاب الخاصّ فقال نعم. كان بوسعه أن يقـــول لا، وكـــان بوسعه أن يقول في ذلك الوقت، 'سأشتري القليل من الأسهم مـــن الســـوق، لكنّني لا أريد المشاركة في مسعى كبير'، لكنّه أشار إلى أنّـــه مهـــتمّ بدخولـــه السوق مشترياً"

كانت الحكومة الكويتيّة من المستثمرين المحتملين الآخرين، وكان يُتوقّـــع أن تقود الائتلاف في تلك المرحلة. غير أنّ ذكريات ريد عن تلك الاتفاقات لم تكـــن سعيدة: "كان الكويتيّون مهتمّين جدّاً وتبيّن أنّهم غير جادّين. فقد أضاع من كنّـــا نتحدّث معهم الكثير من الوقت، لكن لم نكن نعرف في ذلك الوقت بالطبع. كان يوجد للكويتيّين مكتب استثمار في لندن وقد أمضيت الكثير من الوقـــت معهـــم، محاولاً فهم ما الذي يريدونه، لكن عندما أشار الأمير إلى أنّه سيقوم بشراء الأسهم، وأبدى اهتمامه، تابع مورغان ستانلي وبول كولنـــز الأمر. عيّن الأمـــير بعـــض الخبراء واجتمع خبراؤنا وخبراؤه معاً وبدؤوا يضعون معاً ما تبيّن أنّه صفقة شاملة. في هذه الأثناء كنّا نتحدّث مع كل الأشخاص الآخرين أيضاً لأنّنا كنّا نـــدرك أنّ الأمير لن يتمكّن من القيام بالمهمّة بمفرده"

لقد شارك كولنـــز، نائب ريد، بالمفاوضات مع الكويتيّين أيضاً، لكنّه أبدى تقييماً أكثر تفهّماً للوضع: "من المؤسف أنّ حرب الخليج بدأت وصرفت اهتمامهم عن الاستثمار في سيتي كورب (Citicorp)، إلى التعامل مع الحرب ومـــا الـــذي سيحدث، وعندما حدث ذلك.فقدنا المستثمر الأول - وعندئذ أجرينـــا خوارنـــا الثاني مع الأمير فسألناه، 'ما العمل الآن؟' فأجاب، 'سآخذ الاكتتاب بأكمله'"

حملت هذه الكلمات الأمل إلى إدارة سيتي بنك لأنّهم كانوا بحاجّـــة ماسّـــة للخروج من المأزق. كان الوضع محيّراً: لم يرغب أحد في الاستثمار بدون وجـــود مجموعة من المستثمرين، وكان من المستحيل جمع مثل هذا الائتلاف بدون أنّ يتقدّم أحد حاملاً المال. وقد مهّد الأمير الطريق بكسر هذه الحلقة لاتخاذ الخطوات التالية. ومع أنّ الأمر بدا سهلاً، وظهر الأمير كالفارس الذي يلتمع درعه وهو قادم لإنقاذ البنك المكافح ذي الاحتياطات الماليّة القليلة، إلا أنّ المستثمر الملكيّ كان قد فكّـــر في الأمر مليّاً.

مع ذلك كان الأمر بمثابة مفاجأة سارّة لكولنـــز: "كما يحدث في الغالـــب، لسبب أو لآخر، اختفى المستثمرون بمرور الوقت، وعدنا إلى الأمير وقلنا، 'الأمور ليستِ على ما يرام - لم نكن نتوقّع ذلك'، وقال لنا، 'إنّني على استعداد لتـــولّي الاكتتاب بأكمله' فوجئنا بأنّه يمتلك تلك المقدرة. قمنا بكثير من التدقيق ووجدنا أنّه يمتلكِ القدرة حقّاً وقادنا ذلك إلى المفاوضات التي أدّت إلى قيامه باستثمار مهمّ جدّاً. وكما يحدث في الغالب، ما إن قام بالاستثمار الأول، حتى فُتحت الطريـــق المسدودة، وخلال بضعة أشهر تمكّنا من إجراء إصدار آخر ضمن الأسواق العامّـــة داخل الولايات المتحدة"

قرارات الصحراء

يذكر الأمير بوضوح شديد الليلة التي اتخذ فيها قرار الالتزام بوضع مبلغ كبير جدّاً من أمواله في مغامرة ذات مخاطر محتملة. فقد توجّه إلى مخيّمـــه في الصـــحراء، على عادته المستمرّة حتى الآن. كانت نهاية أسبوع كغيرها وشـــارك في أنشـــطته المعتادة، بلقاء البدو الذين يسافرون مسافات طويلة ويتكبّدون المشـــاقّ لمقابلتـــه،

وجمع عدداً كبيراً من الأشخاص لتناول الطعام تحت سماء الصحراء الصافية المرصّعة بالنجوم، وجلسوا على الوسائد حول نار الحطب الذي يفرقع في حفرة معـــدّة في الرمل. تلحّف هو ونحو أربعة وعشرين شخصاً آخرين بالعباءات العربيّة وتجمّعـــوا حول اللهب، في محاولة منهم لدرء الهواء البارد في الأرض المنبســـطة المكشـــوفة. وانسجاماً مع لقبه الشائع، "أمير الصحراء"، خرج الوليد للمشي عدّة مرّات. إنّـــه يحب المسير الطويل في الصحراء - تستمرّ المسيرة الواحدة ســـاعات في الغالـــب. كانت هذه المسيرات السريعة الخطو للتمرين من جهة ولمنحه الوقت للتفكّر بشأن الأمور التي تحتاج إلى تركيز من جهة أخرى. في العادة كانت حاشية من اثني عشر شخصاً يتبعونه عن قرب فيما يسير المسافات الطوال عبر الرمال ويتفرقون حـــول جنبات المخيّم الذي يقع على بعد مسيرة ساعة أو نحو ذلـــك خـــارج العاصـــمة السعوديّة الرياض. تبقى الحاشية على مقربة، وتجاريه في خطواته السريعة، جـــاهزة لتلبية كل ما يحتاج إليه. في ذلك اليوم، أبقاهم الأمير على مبعدة خلفه عن عمـــد، و لم يكترث لهم أثناء مشيه منتصباً وهو يلوّح بعصا رفيعة للمشي، يحملها وجاهـــةً وليس للهشّ على جمل أو حصان.

ومع تقدّم الليل جلس الأمير أمام النار، واستمرّ يحدّق فيها فتـــرات طويلـــة. وأدرك الموظّفون لديه جيّداً وجوب الحرص على عدم إزعاجه. ويقول الأمير إنّـــه شعر بالوحدة رغم وجود فريقه حوله في المخيّم. لم يستطع الحصول على الـــدعم المعنويّ من أي من الأشخاص الذين يعتمد عليهم للمشورة. فكلّهم اعتقـــدوا أنّ التورّط في سيتي بنك خطر جدّاً.

كان الوليد يدرك وضع سيتي بنك المخيف. فهو مثاليّ من عدّة أوجه بالنسبة إليه. استثمار مفصّل على قياسه - الحصول على سهم يحظى باسم تجاريّ عـــالميّ عندما يصل إلى نقطة الغرق الذي لن تقوم له قيامة من بعدها. لكنّها كانت صفقة كبيرة جدّاً، ويمكن أن يخسر الكثير. لذا أمضى عطلة نهاية الأسبوع في الصـــحراء هادئاً وشارد الذهن على غير عادته.

هل يُقدم أم يُحجم؟

كان لديه إحساس يلحّ عليه بأنّ تلك فرصة العمر، وهي تتلاءم بشكل مثاليّ

تقريباً مع خططه في الحصول على جزء من بنك أجنبيّ في الوقت الصحيح. لكن ما هو حجم المخاطرة؟ وهل التوقيت صحيح؟

كان الأمير يشارك بجزء كبير من الثروة التي جمعها – نحو نصفها في هذه الصفقة، وإذا ما حدث خطأ فسيتضرّر ماليّاً إلى درجة ما، لكنّه لن يتحطّم – كما خمّنت بعض التقارير: "كان يمكن أن أتضرّر بشدّة، لكن لن أنهار. كنت مستعدّاً لهذه القفزة الكبيرة إلى الأمام ومقتنعاً بها، ولم يكن أحد معي في ذلك الوقت. وقفت لجنتي ضدّي، ووقف مستشاريّ ضدّي، ووقف والدي ضدّي. قال الجميع، 'لا تفعلها'، لكنّني توجّهت إلى الصحراء لمدّة يومين أو ثلاثة، وكنت مع نفسي تماماً. قلّبت الأمر من كل الأوجه. لقد أجريت الدراسات ومن بين البنوك الأربعة قلت، 'يستطيع أن ينجح سيتي بنك'، فتوكّلت على الله وأقدمت"

رغم أنّه أثبت طول باعه كمستثمر ورجل أعمال ذكيّ في المملكة العربيّة السعوديّة في العقد الماضي، إلا أنّ المَخاطر كانت كبيرة جدّاً. وكما ذكر، حذّره معظم المحيطين بالابتعاد عن هذه المغامرة، بمن فيهم والده – وهو رجل أعمال يحترمه كثيراً: "كان هناك من يقول إنّ سيتي بنك على شفير الإفلاس. وكان والدي خائفاً جدّاً وقلقاً. قال، 'لا تستثمر هناك' فقلت، 'لا، سأستثمر لأنّني مقتنع بذلك' لذا استثمرت 590 مليون دولار أمريكيّ في سيتي بنك"

شهد صالح الغول الذي عمل معه في البنك، وأصبح لاحقاً المدير العامّ للشؤون الماليّة والإدارة لديه، ردّ فعل أحد عملاء البنك الكبار ممن كان الأمير يستضيفهم في الصحراء في عطلة نهاية الأسبوع، كما اعتاد أن يفعل في الغالب مع عملائه الكبار. حدث ذلك فيما كانت المفاوضات جارية مع سيتي بنك، وأعلن عن أنّ الأمير ينظر في هذه المغامرة الكبيرة الخطرة: "قال أحد هؤلاء العملاء للأمير، 'إنّك ترتكب خطأً كبيراً، سيأخذ هؤلاء مالك وسيفلس البنك ولن تنجح،' وما إلى هنالك. فأخذ الأمير يشرح له مقدار اقتناعه بأنّه استثمار جيّد. وأبلغه بما سيكون عليه أداء البنك بعد سنتين، وثلاث سنوات، وخمس سنوات. وفي نهاية هذا الاجتماع، اشترى ذلك الرجل خمسة ملايين سهم – الشخص نفسه الذي كان يحاول ثني الأمير عن تلك الصفقة باعتبارها رديئة"

أخيراً، بعد مرور فترة طويلة من الهدوء وتقليب الأرقام في رأسه، وحساب النتائج المحتملة، توصّل إلى قراره. نهض وتناول أحد الهواتف العديدة المتصلة بالأقمار الاصطناعيّة والمركّبة في المخيّم الصحراويّ، وأبلغ مستشاريه الماليّين بأن يتحرّكوا. وبدأت المفاوضات بجدّ وعزم.

رغم أنّ مايك جنسن لم يقابل الأمير رسمياً إلا بعد سنتين أخريين، إلا أنّه كان يتتبّع الأحداث من داخل البنك. ومن الأشياء التي يعرفها اليوم عن الوليد، نظراً لقربه منه، أنّه صانع للصفقات ولا يحب الدوران حولها. ربما يصرف سنوات على الأبحاث، وربما يجلس بصبر وأناة سنوات بانتظار السعر المناسب واللحظة المناسبة للشراء، لكنّه عندما يقرر التحرك فإنّه لا يطيق صبراً على المفاوضات. لكنّ هذه الصفقة، كما أشار جنسن، كبيرة وقد تطلّبت بعض العمل الدقيق والمطوّل: "أجروا مفاوضات لبعض الوقت - وأعتقد أنّنا نتحدّث عن أسابيع. كان الأمير قد اتخذ قراره واستعد للاستثمار، ثمّ ماطل سيتي بنك في المفاوضات - لسبب ما - وقال الأمير، 'لديّ أمور أفضل أقوم بها، إما أنّنا نريد التوصّل إلى اتفاق، وإما أنّنا لا نريد'، لذا كتب رسالة إلى ريد - أو ربما موجّهة إلى بول كولنز - يقول فيها، 'أقدموا أو أحجموا! عليكم التقدّم في هذا الأمر!' وأضاف، 'هل لدينا اتفاق أم لا - وإذا كنّا متفقين فلنتقدّم'"

المفاوضات على نار حامية

مع تصاعد حرارة المفاوضات، استعصى النوم عدّة ليالٍ على بعض الأشخاص الذين كانوا في المعمعة، من أمثال بول كولنز: "عُقدت جلسات المفاوضات الأخيرة في واشنطن بمكاتب محامي الأمير، وقد توجّهنا إلى هناك (من نيويورك)، وكان مورغان ستانلي يعمل معنا في تلك المرحلة، وكان محاموه وموظّفوه موجودين في الغرفة. كان الأمر أشبه بالمفاوضات - اجتماعات مشتركة في الغرف، يخرج أحدهم ويجتمع بالأمير، ثمّ أذهب للتحدّث إلى جون (ريد)، لكنّنا أنجزنا الأمر. أعني أنّ القلق كان موجوداً دائماً، لكنّ الأمور أنجزت باحتراف عالٍ، وكان كلا الجانبين يعرفان أنّنا قريبان جدّاً من الاتفاق وأنّنا سننجزه - وقد أنجزناه"

لكنّ ريد يذكر ضيق صدر الأمير، لا سيما أنّ الوليد يحب الاتفاق وجهاً لوجه، في حين أنّ معظم الحديث والمساومة كان يجري في هذه الحالة عن طريق المستشارين في كلا الجانبين، وكان عليهم التشاور دائماً مع من يمثّلون: "أعتقد أنّ المفاوضات شهدت صعوداً وهبوطاً، كما هي الحال دائماً. وأعتقد أنّنا شعرنا بالإحباط لأنّ مورغان ستانلي كان يحاول التذاكي. المشكلة مع البنوك الاستثماريّة أنّها تريد دائماً الحصول على آخر ثُمن (بالمئة) لأنّهم محترفون ويريدون التطلّع إلى لوحة على الجدار والقول لقد حصلنا على الثُمن. وهذا الثُمن لا يعني شيئاً من وجهة نظر رجل الأعمال. فإما أن تكون الصفقة جيّدة وإما لا تكون - ولن تُحدث هذه الدراهم المعدودة فرقاً كبيراً. لذا أذكر أنّنا شعرنا ببعض الإحباط من أنّنا قد لا نتوصّل إلى اتفاق بالسرعة المطلوبة"

تبيّن أنّه فيما كان الأمير يجري محادثات إيجابيّة مع ريد وكولنز، لم يكن سيتي بنك قد توصّل إلى إغلاق باب الاتفاق مع الحكومة الكويتيّة. كما أنّهم، قبل إكمال تحرّيهم عن ماليّة الوليد، كانوا يشعرون بالقلق من احتمال عدم تمكّنه من الحصول على الموارد اللازمة لدخول هذه المغامرة الكبيرة. فمع أنّه حقّق أموالاً طائلة في المملكة العربيّة السعوديّة، إلا أنّه لم يكن لاعباً مهمّاً على شاشة رادار مجتمع الأعمال الدوليّ. وقد أوضح مايك جنسن بأنّ سيتي بنك لم يكن يعرف أنّه يمتلك المال، وكان لا بدّ من إجراء عدّة تحرّيات من قبل الجهات الرقابيّة في بنك الاحتياطيّ الفيدراليّ قبل الحصول على الترخيص.

كانت الأمور تسير ببطء، ويبدو أنّ رسالة الأمير الصريحة والمباشرة جدّاً إلى رئيس البنك كانت بمثابة الضغط اللازم لتحريك الأمور في النهاية. ورغم نفاد صبر الأمير من الوضع، كان يشعر أنّ موقفه يزداد قوّة: "مع اندلاع حرب الخليج، شهد سعر السهم مزيداً من التراجع، ولم يكن أحد يريد الاستثمار فيه. كنت المستثمر الوحيد المتوفّر - فلن يقدم أحد على الاستثمار في ذلك الوقت. بل إنّ الإعلان عن استثماري تمّ يوم دخلت القوّات الأمريكيّة إلى العراق في سنة 1991. وهكذا تمّ الاتفاق، واليوم وبحمد الله يبلغ العائد المركّب لتلك الصفقة أكثر من 25 بالمئة سنويّاً"

عند التأمّل في الوضع، تجدر الإشارة إلى المفارقة التالية. ففي حين كانت القـوّات الأمريكيّة في المملكة العربيّة السعوديّة تقوم بمساعدة المملكة في مواجهة صدّام حسين، كان هناك أمير سعوديّ يقوم بمساعدة بنك أمريكيّ على مواجهة خطر الإفلاس.

كانت مطالب الأمير التي أفصح عنها أثناء المفاوضات واضـحة ومباشـرة، لكنّها حازمة كما يقول كولنـز: "كنت أرى أنّه يسعى إلى استثمار جيّد. فهـو يريد الحصول على الأرباح. وكان يريد الحصول على مجموعة معتادة من التقـارير لكي يبقى مطلعاً على مجريات الأمور. وأراد حريّة الوصول التامّة إلى الإدارة العليا للشركة، وكان من الممكن أن أكون أنا، لكنّه أصرّ على السيدّ ريد علـى وجـه الخصوص، وهو ما وافقنا عليه بدون أدنى صعوبة. ثمّ جرت المفاوضات المنتظـرة على السعر. لقد كانت أوراقاً ماليّة قابلة للاستبدال كما تعلم، فما هـو السـعر الاسميّ، وما هو العائد الجاري، وما نوع حصص الأرباح التي سنضـعها في هـذا العائد. إنّه يحب التفاوض (قالها ضاحكاً). إنّه مفاوض صلب بالفعل. كان مفاوضاً صلباً حقّاً لامتلاكه كما تعلم معظم الأوراق في تلك المرحلة، لكنّي لا أعتقـد - ولا أزال - أنّه حاد عن الخط. فلم يحاول التعنّت في المساومة بحيث يضعف البنك. كان يدرك قيمة محاولة بناء الثقة، وبناء الامتياز، وتحقيق الربح بسـبب احتفاظـه بحصص الملكيّة التي لديه، وقد نجح الأمر بصورة ممتازة بالنسبة إليه"

يذكر ريد أنّ أساس الاتفاق مع الوليد أنجز كما يلي: "أعتقد أنّه تمّ التوصّـل إلى اتفاق من حيث المبدأ على الشروط في كانون الثاني/يناير (1991)، وكان أساساً على شكل أوراق ماليّة لمدّة خمس سنين قابلة للتحويل، وأعتقدّ أنّنا كنّا ندفع فائدة مقدارها 11% لمدّة 5 سنوات، ثمّ كان يمكن تحويل الورقة الماليّة بسعر 14 أو 16 دولاراً. هـبط سعر السهم إلى 9 دولارات لكن عندما كنّا نتفاوض كان يبلغ نحو 12 دولاراً (يعادل أقل من 2.50 دولار معدّلاً بمستويات سنة 2004)، لذا مثّل ذلك لنا رأس المال الـذي نحتاج إليه. وكان سيصبح الصفقة التي شجّعت الآخرين على الانضمام - وقد حدث ذلك، ومن ثمّ كانت مهمّة جدّاً بالنسبة إلينا"

وأضاف، "عندما تنظر في العدد الإجماليّ للأسهم التي أصـدرناها للأمـير، ولغيره - وقد ألهينا حصص الأرباح تماماً، وكانت نحـو 1.72 دولاراً للسـهم -

نكون قد قلّلنا حصص المساهمين بنحو 35 بالمئة. وخفّضنا نحــو 18 بالمئــة مــن الموظّفين، وحسّنا إيرادات الشركة بنحو 50 بالمئة، ولذلك ما إنّ انحســر الخطــر، حتى ارتفع سعر السهم وحلّق، وحقّق الأمير مكاسب كبيرة".

لكن كانت هناك بعض المنغّصات على الطريق. للوهلة الأولى، أبلغ سيتي بنك الأمير بأنّ الأرباح التي يحصل عليها من السهم الممتاز القابل للاستبدال لن تكــون خاضعة للضرائب، لكن تبيّن أنّ ذلك خطأ. وأتاح ذلك الفرصة للأمير لكي يقوّي موقفه أكثر. كان البنك بحاجة إلى اتفاق، لذا تمكّن الأمير مــن الضــغط علــى المفاوضين لكي يرفعوا نسبته المئويّة وتمكّن من الحصول على معدّل ربح مرتفع.

نظراً لأنّ مستقبل سيتي بنك كان معرّضاً للخطر الشديد، لم يكن أحد يســتطيع النقاش طويلاً مع رجل يحمل شيكاً بمبلغ 590 مليون دولار. ومــع أنّ حــدّة التــوتّر ارتفعت لفترة وجيزة، كان كولنــز يعرف أنّ ذلك لن يفسد الاتفاق: "تبيّن أن مــا كنّا نعتقد بإمكانيّة إنجازه بفعّاليّة من منظور الهيكلة لا يمكن إنجازه ولا يمكن هيكلتــه بدون أن يخضع للضرائب. بل يجب أن يخضع للضريبة، ونتج عن ذلك وجوب رفــع ربح السهم قليلاً للتعويض عن خضوعه للضريبة بدلاً من إعفائه منها، بــدت تلــك مشكلة كبيرة في ذلك الوقت، لكنّها ربما لم تكن كذلك عند تقييم الأمر بعد وقوعه".

أنجزت الصفقة، وشعر الأمير والبنك بالسعادة، رغم أنّ الوليد ربما ســاورته الشكوك عندما هبط سعر السهم العاديّ بنحو 10 بالمئة في تموز/يوليو. لكنّه عاود الصعود في نهاية ذلك العام.

غير أنّ العثرات ظهرت مرة أُخرى، وهذه المرّة لم يكن السبب عائداً إلى أي من طرفي المفاوضات.

مستثمر أجنبيّ

في شباط/فبراير 1991، أدى استثمار الوليد مبلغ 590 مليون دولار لإخراج البنك من مأزقه، كما أدّت الأسهم العاديّة التي كان قد اشتراها بالفعل قبل ســنة، إلى رفع قيمة استثماره الإجماليّ إلى 797 مليون دولار. وأصبح الأمير يمتلــك مــا يقرب من 15 بالمئة من سيتي كورب.

يحتاج أي مستثمر يحصل على 10 بالمئة أو أكثر من أي بنـــك أمريكـــيّ إلى ترخيص من بنك الاحتياطيّ الفيدراليّ. وهكذا تسلّم الأمير تنازلاً مؤقّتاً من بنـــك الاحتياطيّ الفيدراليّ، وفي نهاية سنة 1991، تقدّم رسميّـــاً بطلـــب الســـماح لـــه بالاحتفاظ بحصّته البالغة 14.9 بالمئة بأكملها. في العادة يوافق بنـــك الاحتيـــاطيّ الفيدراليّ على مثل هذه الطلبات خلال 60 يوماً، لكنّ انتظار الوليد طال. وفي سنة 1993، أي بعد 14 شهراً، قال إنّه وصلته الرسالة، وســـحب طلبـــه لأنّ بنـــك الاحتياطيّ لم يمنحه الموافقة بعد. باع الوليد ما يكفي من الأسهم لكي تقل حصّته في البنك عن عتبة العشرة بالمئة. وقد حصل على 364 مليـــون دولار مقابلـــها – محقّقاً ربحاً جيّداً – وحاول ألا يفكّر بشأن ما يمكن أن تصبح عليه قيمتها لو سمـــح له بالاحتفاظ بها مدّة أطول. ولو باعها في سنة 2004، على سبيل المثال، لكانـــت تلك الخمسة بالمئة تساوي أكثر من ملياري دولار. غير أنّ الأمير يشـــير إلى أنّـــه استفاد من الربح الذي حقّقه وأعاد استثماره في مجالات أخرى، لذا فإنّ الفـــارق المحتمل ليس مزعجاً كما يبدو. فقد حقّق أرباحاً كبيرة.

تحرّى بنك الاحتياطيّ الفيدراليّ عن الأمير لكنّه لم يعط سبباً قطّ لعدم الموافقة على احتفاظه بكامل حصّته. أما الأمير نفسه فقد تقبّل القرار بشـــكل براغمـــاتيّ باعتباره جزءاً من تطبيق القوانين في أمريكا.

من المفارقة أنّه في وقت متزامن مع إنقاذ سيتي بنك من مأزقه، صدرت بعض التخمينات بأنّ بنك الاحتياطيّ الفيدراليّ هو الذي فاتح الأمير أوّلاً بالتقدّم لمساعدة البنك بوصفه مساهماً كبيراً، وهو ادّعاء يستبعده الأمير ويصفه بالهراء.

عندما لم يمنح بنك الاحتياطيّ الفيدراليّ موافقته على احتفاظ الأمير بأكثر من 10 بالمئة من البنك، سرى اعتقاد بأنّ الظروف لم تكن تسمح باتخاذ مثـــل هـــذا القرار في أعقاب الكشف عن فضيحة مصرفيّة حظيت بدعايـــة كـــبيرة في ســـنة 1991.

في ذلك الوقت، اهتز العالم الماليّ لانهيار بنك الاعتماد والتجـــارة الـــدوليّ، بخسارة أكثر من 23 مليار دولار. وقبل أن تتكشّف القصّة، كان بنك الاعتمـــاد والتجارة يخضع لإدارة أحد أعضاء النخبة الحاكمة في الإمارات العربيّة المتحـــدة،

رغمّ أنّه مسجّل في لوكسمبورغ ومقرّه لندن. فقد اكتُشف أنّه قام بشـراء غـير قانونيّ لأسهم مصرف فيرست أميركان بنك في سنة 1982، في صفقة ملتوية بدعم من السعوديّين. وارتفعت الشكوك الآن، لا سيما عندما يتعلّـق الأمـر بـالعرب والمال.

يبدو أنّ الأمير كان يتوقّع تقريباً احتمال حدوث بعض المشـاكل: "لكـي أستثمر 590 مليون دولار، كان عليّ أن أحصل على موافقة بنـك الاحتيـاطيّ الفيدراليّ – وقد وافقوا على ذلك إذ لم يكن لديهم شيء ضدّي، لكـنّهم كـانوا يشعرون بقلق شديد. كانوا قلقين من وسائل الإعلام، وقلقين من تغطية الصحافة في أعقاب حادثة بنك الاعتماد والتجارة الدوليّ. ومن سـوء الحـظّ أنّ هنـاك سعوديّين متورّطون في الفضيحة. وفجأة يأتي رجل من العائلة المالكـة السـعوديّة ويستثمر 590 مليون دولار. كان ذلك أمراً مقلقاً جدّاً لهم، لذا كـان علينـا أن نتوجّه إليهم وأن نضع كل شيء فوق الطاولة، وأن نكون شفّافين جـدّاً، بـل أن نفرط في الشفافيّة معهم"

تركت حادثة بنك الاعتماد والتجارة الدوليّ سحابة قاتمة من الشـك علـى المستثمرين الشرق أوسطيّين وغيرهم من المستثمرين الأجانب الذين يظهرون مبالغ كبيرة من المال. ومع أنّ مصدر أموال الوليد برّر بما يرضي هيئة الرقابة الفيدراليّة في الولايات المتحدة، لم يكن المناخ مثاليّاً لكي يحتفظ مستثمر سعوديّ كبير بمثل هذه الحصّة الكبيرة في مصرف أمريكيّ.

تعترف الإدارة العليا في سيتي بنك بأنّه لم يكن لديها أي مخاوف البتّـة تجـاه امتلاك الأمير لأكثر من 10 بالمئة من البنك، ويقول ريد إنّهم ضغطوا لصالحه لكي يتمكّن من الاحتفاظ بالحصّة التي لديه بأكملها: "كان بنك الاحتياطيّ الفيـدراليّ يشعر بالقلق – لا أعرف إذا ما كانوا قلقين حقّاً، لكنّهم تصرفوا كما لـو أنّهـم كذلك – بشأن كونه مستثمراً سعوديّاً وتعاملوا معه بشدّة. جعلوه ينقص حصّـته إلى 10 بالمئة. ولو كان لديه 20 بالمئة لكنت سعيداً ولما أزعجني ذلك بشيء، لكنّ بنك الاحتياطيّ الفيدراليّ قسا عليه. وحاولنا دائماً مساعدته في إقنـاعهم بأنـه لا يجدر بهم القلق البتّة"

يعتقد بول كولنــز أنّهم لم يكونوا قلقين كثيراً من الأمير، أو مــن كونــه سعوديّاً: "أعتقد أنّه كان هناك بعض المشاكل الأخرى في الصناعة المصرفيّة في ذلك الوقت وكانوا قلقين من وجود أشخاص يشكّلون واجهات لائتلافات معيّنة - لا علاقة لها بسيتي كورب وإنّما بمؤسّسات أخرى - لذا ربما كان ثمّة ما يبرّر تــوتّر الهيئة الرقابيّة قليلاً بشأن من هو وما هي هذه الصفقة. لقد دعمناه بقوة. إذا كـــان 15 بالمئة الرقم الصحيح وأنّه هو الذي قدّم لنا رأس المال الذي نحتاج إليه لتصحيح وضعنا، فليبارك الله، لكنّ الأمور لم تمضِ هكذا. لم يكن الأمر شخصيّاً، بل أعتقد أنّ الهيئة الرقابيّة كانت تحاول أداء عملها، وتحاول التعامل مع أنّها لُدغت من قبــل في مؤسّستين أخريين، لذا أرادت أن تكون نسبته دون مستوى العشرة بالمئة. إنــني لا أعتقد أنّه كان مستهدفاً - كان يمكن أن يحدث ذلك لأي شخص آخـــر - ولا ضرورة لأن يكون سعوديّاً بل أي شخص آخر

لا يبدو أنّ النتيجة النهائيّة أحدثت مرارة دائمة. فعندما ذُكّر الأمير كم كان يمكن أن يساوي لو سُمح له بالاحتفاظ بتلك الحصّة الكبيرة من مجموعـــة ســـيتي (Citigroup)، كما هي الآن، أجاب لا يهمّ. وأشار إلى أنّ استمرار سيتي بنك في إصدار الأسهم، أدّى إلى تراجع حصّته إلى ما دون 13.5 بالمئـــة خـــلال الســـنة والنصف التي أمضاها في انتظار قرار الهيئة الرقابيّة. وشعر بأنّه لا يريد أن تســـتمر المماطلة من أجل 3.5 بالمئة، ولم يكن بالطبع يريد تسييس الوضع ومواجهة بنـــك الاحتياطيّ الفيدراليّ. كان يمكن أن يقرّر التراجـــع، لكنّـــه أشـــار إلى أنّ بنـــك الاحتياطيّ الفيدراليّ لم يرفض رسميّاً منحه الترخيص، لكنّه لم يمنحه له فحســـب. ربما يبدو ذلك نظريّاً، لكنّ الأمير يشعر بأنّ ذلك يختلف عن الرفض الصريح. لـــذا تابع الأمير بطريقة فلسفيّة، وما زال يعلن على المـــلأ بـــأنّ مجموعـــة ســـيتي درّة استثماراته - حيث ترتبط بها نصف ثروته تقريباً. ويقول إنّه لن يبيعها دفعة واحدة قطّ لأنّه يشعر أنّ أمامها طريق طويلة. صحيح أنها كانت خبطة واحـــدة بالنســـبة للأمير، إلا أنّ الإعداد لها استغرق عدة سنوات. اجتمعت فيها الدراســـة المتأنّيـــة للأسواق، والتخطيط بعناية وحرص، وجرعة صحيّة من الطموح، وتجاهل الحكمة التقليديّة، في صنع هذه الصفقة الرئيسيّة للوليد.

لا شكّ في أنّها أكسبته احترام رئيس مجلس إدارة سيتي بنك ومديره التنفيذيّ، جون ريد: "تبيّن بالعودة إلى الوراء أنّها ناجحة جدّاً من وجهة نظر الأمير، لكن يجدر بي القول إنّه لم تساورني الشكوك قطّ بأنّه استحقّها عن جدارة لأنّه كان هناك العديد من الأشخاص حولنا، وكان هو أول من أبدى الالتزام، مع آننا كنّا نتحدّث مع أشخاص آخرين غيره. وأعتقد أنّه يستحق الأرباح التي حقّقها من الصفقة بصرف النظر عن قيمتها، وقد كنت سعيداً بالحصول على المال، وسعيداً لأنّه حفز المزيد. وفور إنجازنا الاتفاق مع الأمير، تمكنّا من ترتيب صفقة شاملة خلال 24 ساعة، و لم أعد اذكر عدد المشاركين ولكنّه كان بين 8 و10 مستثمرين. حصل المستثمرون الآخرون على صفقة لم تكن بأهمية ما حصل عليه الأمير لأنّهم كانوا في المرتبة الثانية نوعاً ما لكنّهم حقّقوا نجاحاً منقطع النظير

في الواقع، بعد تجديد الثقة بالبنك وعلى خطى الأمير، جمعت مجموعة ثانية من المستثمرين الدوليّين 600 مليون دولار لإصدار ثان من الأسهم الممتازة خلال أسبوعين.

من المفارقة أنّ الأمير لم يقيّض له الاجتماع برئيس مجلس إدارة البنك وجهاً لوجه إلا بعد اكتمال الصفقة. فالظروف لم توفّر الفرصة ليتعرّف كل منهما على الآخر بصورة رسميّة، كما أنّ القسم الأكبر من المفاوضات تمّ في أثناء حرب الخليج، وكان الأمير مضطراً لإظهار تأييده لبلده. فلم يكن يسافر إلى الخارج كثيراً، وتولّى إدارة المفاوضات عن بعد من الرياض من خلال محاميه ومستشاريه الماليّين.

بعد إنجاز الصفقة وإقرار العلاقة، أصبح ريد والأمير يتشاوران بشكل متكرّر. في سنة 1993، أخذ ريد ابنه لزيارة الأمير في مخيّمه الصحراويّ – موقع اتخاذ القرار بعقد الصفقة – وأتيح للأمريكيّين أن يشاهدا الثقافة البدويّة وبيئة الصحراء الهادئة التي تستهوي الأمير وتفتنه.

بالنسبة إلى ريد، كان من المثير للاهتمام أن يرى تمايز الثقافة العربيّة التي لا يزال يحتفظ بها هذا الرجل الذي يشعر بارتياح كبير إلى الغرب أيضاً. وهذا ما لاحظه بول كولنز أيضاً عندما كان عليه التفاوض مع الأمير بشأن إنقاذ البنك

من مأزقه. وأقرّ بالتأثيرات الغربيّة التي طبعت صناعة قرارات الأعمال عند الوليـد: "ما من شكّ في أنّ تأثير ذلك كان كبيراً. وأقصد بذلك ارتياحه وتآلفه مع المعايير الغربية، وعليك أن تفكر أن لذلك الارتياح علاقة برغبته في القيام بمثل هذا الرهان الكبير جدّاً مع شركة أمريكيّة. وأعتقد أيضاً أنّه كان يدرك أنّها شركة أمريكيّـة فريدة. ولعلها كانت أكثر المؤسّسات الماليّة عالميّة في العالم، كما أنّها تمتلك ذلـك الطابع من التركيز، لذا فإنّ إقامته في أمريكا – وعدم وجوده في أمريكا – كان من الأشياء التي جعلت الأمر يتحقّق"

يشير كولنــز إلى أنّ الصفقة وضعت الوليد على الخريطة بحكم حجمها، وتاريخ البنك المهني – لقد كان بنكاً أمريكيّاً – والعائدات التي حقّقها في فترة وجيزة جدّاً: "لقد نقلته من شخصية غير معروفة إلى شخصيّة معروفة جدّاً، لأنّ هذا الشخص غير المعروف من الأشخاص العاديين برز فجأة، وأصـبح أكـبر مساهم في أكبر مؤسّسة ماليّة في الولايات المتحدة، وفي غضون ذلك، ازدادت تعاملاته مع الكثير من المصارف الاستثماريّة. وفجأة أصبح يتصدّر الصفحات الأولى"

ولعل الأهمّ من ذلك، أنّ هذه الصفقة أعطت الأمير مصداقيّة على المسـرح الدوليّ. ومن هناك تمكّن من استهداف شركات عالميّة أخـرى، وحصـل علـى اعتراف أشخاص يعتدّ بهم، لا سيما أنّه حقّق سمعة بالالتزام بارتباطاته. ويذكر ريد حادثة معيّنة على وجه التحديد: "إنّه مستثمر مثاليّ، وكان مـن المضـحك أنّـني تلقّيت اتصالاً من (مايكل) إيسنر في ديزني، عندما استثمر في يورو ديزني، يقـول فيه إنّه قلق. فقلت، 'الأمير رجل أعمال وهو لا يستثمر لأنّه يحبّك بل لأنّه يعتقـد بأنّ الأرقام صحيحة' أعني أنّه ليس مستثمراً يعتمد على العلاقات، بل إنّه مستثمر يعتمد على الأرقام، ولديه فريق عمل جيّد وهم يعرفون ما يقومون به. إنّه يفعل ما يقول، وهو مخلص عندما يستثمر. لقد مرّت علينا بعض الأوقات العصيبة بعـد أن قام باستثماره وكان ممتازاً، بل محترفاً. أراد أن يعرف ما الذي يجري، وقد أفـادني بوجهة نظره، لكنّه لم ينتفض ويصرخ في وجهي ويقول، 'عليك أن تفعـل كـذا وكذا' لقد كان ممتازاً وهو من المستثمرين الذين تحبّ أن يكونوا معك"

الأمير المخلص

لقد شهد الأمير صعوداً وهبوطاً في السنوات الأخيرة. ففي بداية الألفيّة الجديدة، ضربت فضائح الشركات الأمريكيّة الاقتصاد بشدّة، وكانت مجموعة سيتي ممن تأثّروا بها. يقول الوليد إنّه شاهد سعر السهم ينخفض إلى أدنى من نصف ما كان عليه في مرحلة ما، من نحو 55 دولاراً إلى 24 دولاراً، لكنّه ثبت في مكانه، وعاد السعر إلى الارتفاع.

وينعكس ولعه بأسهم مجموعة سيتي في العلاقات التي نسجها مع قيادة البنك. فما إن أنجز اتفاق إنقاذ البنك من مأزقه، وتمّ اللقاء بين ريد والوليد حتى نمت العلاقة بينهما. ومع أنّ بديل ريد، سانفورد "ساندي" ويل، اصطدم مع سلفة بشدّة – اتخذت مواجهات ريد – ويل سمة أسطوريّة في عالم المصارف – إلا أن الوليد بنى علاقة وثيقة مع الخلف.

في الواقع، أصبح ويل أكثر قرباً إلى الأمير من ريد الذي أبقى العلاقة مهنيّة على الدوام، ولم يتعمّق في الحياة الشخصيّة. فقد احترم ويل في المقام الأول ما فعله الأمير للبنك في العام 1991، حتى قبل أن يصبح ويل جزءاً منه: "أعتقد أنّ الأمير قد نهض للتحدّي في وقت صعب جدّاً، واستثمر ما يكفي من المال لجعل الصفقة قابلة للتصديق. وأعتقد أنّ ما فعله أنقذ البنك"

نما التفاعل بين ويل والوليد على مرّ السنين ليصبح صداقة وطيدة ساعدت في بناء الثقة لدى الجانبين عندما كان الأمر يتعلّق بمشاكل الاستثمار: "أعتقد أنّ علاقتي به رائعة، فأنا معجب به على الصعيد الشخصيّ. وأعتقد أنّه شخص محبّ ويبدي اهتماماً كبيراً بالآخرين. لقد كان داعماً لشركتنا أثناء كل المشاكل التي عصفت بها. إنّه شخصية محفّزة، فقد دفعنا لمزيد من العمل ولإنجاز الأفضل، إنه حقاً مستثمر على المدى الطويل"

يعتقد مايك جنسن، وهو أيضاً ممن يتصلون بويل في مجموعة سيتي، أنّ رئيس مجلس الإدارة والأمير يشتركان في سمة جوهريّة تربط بينهما: "كلاهما يحبّ عقد الصفقات – وقد أجريا صفقات كبيرة معاً، وعقدا صفقة كبيرة منذ لقائهما الأول. ويكنّ الأمير الكثير من الاحترام والإعجاب لساندي، كما أنّ تقدير

ساندي لما فعله الأمير ازداد في السنوات الخمس الماضية، وهو سعيد لوجود شخص يدعمه بقوّة وصراحة، بوصفه أكبر المساهمين"

لقد تبيّن أنّ العلاقة بين الوليد ومجموعة سيتي متوازنة وذات منفعة متبادلـة. فقد أوضح منذ البداية أنّ رغبته في الحصول على مثل هذه الحصّة الكبيرة في بنـك أجنبيّ ليست للسيطرة عليه، وكان ذلك من الاحتمالات التي أخذها كولنـز في الحسبان عند مقابلته للأمير أول مرّة – لا سيما أنّه سيطر على البنـك السـعوديّ التجاريّ المتحد بطريقة غير وديّة قبل أربع سنوات: "كنّا قلقين بالطبع حيال ذلك لأنّه عندما يمتلك أحد المساهمين 10 أو 15 بالمئة من الشركة، عليك أن تتساءل إذا كان هناك احتمال لرفع مساهمته ومحاولة السيطرة. غير أنّ ذلك لم يكن مصدر قلق كبير بوجود المشاكل التنظيميّة وما شابه"

بل إنّ ساندي ويل يشير إلى أنّ الأمير يؤمن بالاسـتثمار في الإدارة الجيّـدة، وهو يتجنّب التدخّل في إدارة الشركة مع أنّه يراقب ما يجري في مجموعـة سـيتي بنشاط: "لا أعتقد أنّه يحاول التأثير على قرارات مجلس الإدارة على الإطلاق. وأظنّ أنّه يتحدّث عن الأمور، ونعرف موقفه الحقيقيّ من بعض المسائل، لكنّه ينتظر منك أن تبلغه موقفك منها أيضاً. وإنني أراه مرناً في مواقفه وليس متشـدّداً، وداعمـاً للإدارة بالفعل. إنّه لا يحاول إدارة المؤسّسة، لكنّه لا يرغب في أن يكـون مجـرّد مساهم، بل مساهم مفيد"

أثناء شغله منصب المدير الماليّ للبنك، يذكر كولنـز بعض المناسبات التي اتصل فيها الأمير للاطلاع على بعض الأمور المتعلقة بالوضع المـاليّ للشـركة: "كان يحقّ له كأي مساهم أن يعرف ما يجري، ولم يكن له أي "موقع مسيطر وأنتم تذكرون في الواقع أنّ الهيئة الرقابيّة الفيدراليّة كانت حريصة جدّاً علـى عدم حصوله على موقع مسيطر. وقد ركّز من وجهة نظري على الابتعاد قليلاً. وكان من الواضح أنّه لا يتحدّث إلينا فقط، بل إلى العديد من الأشخاص الذين يعرفون الشركة، ويعرفون ما الذي يجري – ليس المحلّلين فقط بل العملاء أيضاً. كان يقرأ الواقع بشكل جيّد جدّاً، ولديه مجموعة جيّدة من مصادر المعلومـات التي تبقيه على اطلاع، لكن اهتمامه كان منصبّاً على إذا ما كنّا نقوم بما قلنـا

إنّما سنقوم به. وهل ننفّذ ما وعدنا به، وما هي خطّتنا. وأذكر أنّه دخــل ذات مرّة وقال لنا، 'لا أعتقد أنّكم مقدامون جدّاً بشأن تخفيض التكاليف'، وأنّه عاد وقال، 'ماذا عن هذا، وذاك؟'، وقد أخذنا ما قاله على محمل الجدّ بصــراحة. كنّا نعتقد أنّنا نقوم بعمل جيّد، لكن ربما نستطيع القيام بما هو أفضل، لذا كنّا نستمع ونحاول الاستجابة"

لا يخجل الأمير من الإدلاء ببيانات شاملة، لا سيما عنــدما يتعلّــق الأمــر بتمسّكه بمجموعة سيتي: "إنّها ليست علاقة بل تحالفاً. إنّنا معهم هناك إلى الأبــد. إنّه استثمار لن نبيعه – البتة – بسبب الموقع الذي تحتلّه مجموعة سيتي الآن (2004) امتلاكها 1.3 تريليون دولار من الموجودات، ونحو 110 مليــارات دولار مــن حقوق المساهمين (رأس المال)، وتواجدها في 105 بلدان وتعاملها مع 200 مليــون عميل. وأنا أقول لكم إنّكم لم تروا شيئاً بعد، لأنّ سوق مجموعة سيتي لم يبلغ حدّ الإشباع بعد. إذا ألقيتم نظرة على حصّتها من السوق في كل بلد، تجدون أنّهــا لم تحصل سوى على واحد أو اثنين أو ثلاثة بالمئة حتى الآن. السماء هي حدودها، لذا فإنّ هذا استثمار للأبد"

إنّه أمر مفهوم بالنظر إلى موقعه. فهو يمتلك حصّة كبيرة بحيث تعني تقلّبــات السوق حدوث تغيّرات كبيرة في أرقام حساب الوليد المصــرفيّ – وهــو يقــدّر حدوث تغيّر بمقدار 200 مليون دولار مقابل كل تغيّر بمقدار دولار واحد في سعر السهم: "أحياناً نرتفع بمقدار 600 مليون دولار في اليوم. فإذا ارتفعــت مجموعــة سيتي أو انخفضت بمقدار 3 أو 4 دولارات في اليوم، يمكن أن تخسر أو تربح ورقيّاً 600 أو 700 مليون دولار"!

إنّ تحوّل الملايين إلى مليارات أمر لا يحدث في الغالب.



7

خلف جدران سيتي بنك

"عندما أقوم بانعطافة خاطئة في الأعمال، لا يكون ذلك خطأ، بل خطيئة. فخسارة مئة ألف أو حتى مليون دولار تعني خطأ، أما خسارة مئتين أو ثلاثمئة مليون دولار، فتلك خطيئة"!

الأمير الوليد بن طلال

يعتبر وارن بافيت أكثر المستثمرين نجاحاً في أمريكا.

بل إنه أكثر المستثمرين نجاحاً في العالم.

يدير وارن شركته، بيركشاير هاثاواي، من بلدة صغيرة نسبيّاً هي أوماها، بولاية نبراسكا، وقد أدخله اهتمامه بالصفقات الرابحة وقدرته على انتقاء الأسهم الفائزة إلى لائحة أغنى أثرياء العالم لعقد من الزمن تقريباً. بل إنّه حل ثانياً في لائحة فوربس لأغنى الأشخاص في العالم، حيث لم يسبقه سوى بيل غيتس، مؤسّس مايكروسوفت، الذي تقدّر ثروته بنحو 48 مليار دولار. وبلغت ثروة بافيت 42.9 مليار دولار، في حين احتلّ الأمير الوليد بن طلال المركز الرابع بثروة تقدّر بنحو 21.5 مليار دولار.

سرّ الأمير عندما قرأ مقالة في صحيفة "نيويورك تايمز" في آذار/مارس 1999 تصفه بأنّه "وارن بافيت العربيّ" فبدأ يستشهد بالعبارة في مقابلاته مع وسائل الإعلام، قائلاً إنّ تشبيهه بهذا المستثمر القدير يشرّفه كثيراً. وبعد ذلك أرسل ملاحظة موجزة إلى بافيت بهذا المعنى. وتصوّروا دهشته عندما تسلّم ردّاً من بافيت مفاده أنّ المستثمر الكبير تأثّر بتعليقات الأمير. كتب بافيت في 15 حزيران/يونيو، "إنني معروف في أوماها بأنّني 'الوليد الأمريكي' – وهذا إطراء كبير

وكتب له بافيت أيضاً مرّتين، يهنّئه على نوعيّة فندق بلازا في نيويورك، حيث يمتلك الوليد حصّة تبلغ 50 بالمئة. وبدأت تنشأ صداقة بينهما، كما يقول الأمير، بل إنّ بافيت ذكر أنّه سيكون سعيداً بدراسة أي مشروع يمكن أن يتشاركا فيه. وذلك لعمري فريق رهيب – مستثمران صديقان من أصحاب المليارات.

اغتبط الأمير لأنّ بافيت يسعده أن يحمل لقب "الوليد الأمريكي (وكان في السابق "أوراكل أوماها"). على أنّ الوليد يشعر براحة أكبر عندما يشار إليه بأنّه "وارن بافيت العربيّ"

تقارب حكمة بافيت الماليّة حدّ الأسطورة. فقد أصبح على مرّ السنين معلّماً للعديد من المستثمرين، وبلغ متوسّط عائداته من استثمارات شركته بيركشاير هاثاواي 25 بالمئة على مدى أكثر من 30 عاماً. ويجدر بالذكر أنّ أسهم شركته بعيدة عن متناول النخبة العاديّة بسبب ارتفاع تكلفتها. ففي نهاية سنة 2004، بلغ سعر السهم الواحد 86,000 دولار.

بعد أن سيطر بافيت في البداية على بيركشاير هاثاواي، وهي شركة أنسجة اشتراها بثمن بخس، حوّلها إلى شركة قابضة. وتقول التقارير إنّه شعوراً بالإحساس بالواجب تجاه العمال في الشركة والولاء لهم فحسب، واصل عمليّاتها في مجال النسيج على مستوى متدنّ لأنّ الشركة سرعان ما أصبحت تحقّق مكاسب أعلى بكثير من خلال الاستثمارات في مجالات أخرى. جاء النجاح بسرعة، وخلال عشر سنوات نمت محفظة شراكات بافيت بنحو 1,156 بالمئة، فيما حقّق مؤشّر داو جونز نموّاً بمقدار 122.9 بالمئة. وعن طريق تطبيق مبدأ الذعر عندما يستبدّ الجشع بالآخرين، والجشع عندما يشعر الآخرون بالذعر، حقّق بافيت نجاحات أعظم في شراء أسهم بشركات رئيسيّة عندما تبلغ أسعارها الحد الأدنى.

إذا كان هناك أحد يمكن أن يتنافس معه على المستوى العالميّ، فإنّه الأمير الوليد. ومن المثير للاهتمام أنّ بافيت والوليد لديهما خصال مشتركة ويشتركان في استراتيجيّة استثمارية متماثلة. في الظاهر، كلاهما طموح ويعرف سلطة المال، كما أنهما يستطيعان ممارسة هذه السلطة بشكل فعّال. وفي العمق، يتضح أنهما يؤمنان بقيمة الأبحاث والتأنّي في وضع الاستراتيجيّة. وعلى غرار الأمير، لا يدرس بافيت

شركات بعينها فقط، ولكن صناعات بأكملها. وفي حين أنّ الأمير تطلّع إلى المصارف ولاحقاً إلى وسائل الإعلام، والتكنولوجيا، والفنادق، حقّق بافيت نجاحات في التأمين، والمصارف، والبيع بالتجزئة وغير ذلك. وكلاهما يقدّران حسن الإدارة. كان بافيت أكثر نشاطاً في شركاته على مرّ السنين، في حين أنّ الأمير، بعد إعادة تأهيل القطاع المصرفيّ في المملكة العربيّة السعوديّة، لم يمارس مهارات الإدارة التطبيقيّة إلا في صناعة الفنادق وفي صناعة التلفزة لاحقاً.

تعلّم بافيت من معلّمه، بن غراهام، بجامعة كولومبيا في الخمسينيّات، ألا ينظر إلى الأسواق، بل أن يهتمّ بشراء القيمة الكامنة للأسهم - "قيمتها الحقيقيّة" - وأن يشتري السهم إذا كان يباع دون قيمته. ويبدو أنّ الرجلين يتّبعان مبدأ "الشراء بسعر متدنّ والانتظار"، لكنّ منتقدي الأمير يقولون إنّ نقطة اختلافه عن بافيت هي أنّه أقل منه مهارة وذكاء في معرفة متى يبيع، وأنّه اكتوى بضع مرات بسبب رغبته العنيدة في التمسّك بأسهم تتراجع أسعارها بسرعة على أمل أن تتعافى في نهاية المطاف. وقد استشهدت بضع مقالات بقول الأمير إنّ لديه "خطّة دائمة"، خلافاً للشركات التي لديها خطّة خمسيّة أو عشريّة، وذلك ما لا يلتزم به حتى المستثمرين على المدى الطويل، مثل بافيت.

يعاني بافيت من الانتقاد نفسه في الواقع - أنّه ممن يجدون صعوبة في التخلّي عن استثماراته. وذلك حكم ينبغي أن يتحمّله الكثير من المستثمرين على المدى الطويل، دون وجه حقّ في الغالب، لا سيما عندما يتمّ تفحّص نتائجهم الإجماليّة ويتبيّن أنّها استثنائيّة.

في حالة سيتي بنك، نجح مبدأ "الشراء بسعر متدنّ وانتظار التعافي" مع الوليد، كما كانت الحال في الشركات الرئيسيّة الأخرى التي بدأ الاستثمار فيها في التسعينيّات. لم تنته كل تلك الاستثمارات إلى ما انتهى إليه الاستثمار في سيتي بنك، لكنّ الأمير أمضى العقد التاليّ تقريباً في متابعة استثماراته العالميّة وإثبات خطأ الادّعاءات بأنّ صفقة سيتي بنك كانت بدعة لن تتكرّر: "لن أدافع عن سجلّي. فأنا سعيد به والحمد لله. يقول سجلّي - وذلك معروف عامّة - إنّ العائد الذي حقّقناه عن كل استثماراتنا الدوليّة منذ عشر سنوات - أو منذ عشرين سنة - إلى

الآن بلغ 23.5 بالمئة. وبلغ عائدنا على الصعيد الـوطنيّ والإقليمـيّ (في الشـرق الأوسط) منذ أن توطّدت أقدامنا أكثر من 35 بالمئة. فإذا كانت هاتان النتيجتان لا تقولان بشكل حاسم إنّ لدينا سجل أداء ممتازاً، فلا حاجة بي لأن أضيف شيئاً"

ويقول المصرفيّ الخاصّ للأمير، مايك جنسن، إنّ الأمر يبدو أسهل ممـا هـو عليه: "بصرف النظر عن محفظة استثماراته التجاريّة، وهي باعتقادي الاستثناء، فإنّه لا يعمل على المدى القصير. إنّه ينظر إلى سبع أو عشر سنوات للأمـام، ولـذلك فالهدف صعب. من السهل أن تحقّق عائداً مقداره 20 أو 30 بالمئـة في سـنة أو سنتين، لكن إذا كنت تحاول تحقيق عائد مركّب مقداره 20 أو 30 بالمئة على فترة سبع إلى عشر سنين، فلا بدّ أن تكون استثماراتك استثنائيّة، ولا يمكنـك القيـام بذلك إذا اشتريت في أي وقت من السوق. عليك أن تشتري عندما يكـون ثمـن السهم متدنّياً جدّاً. وإذا كنّا نعتقد أنّ السوق تبخس كثيراً سعر سهم معيّن مقابل تقييمنا له - وإذا كنّا نعتقد أنّ قيمته الحقيقيّة أعلى بكثير مما تقوله السوق - فـإنّ هذا هو ما نبحث عنه"

لذا بدأ الأمير يبحث في الأسواق الدوليّة عن صفقات جيّدة. وأصبح فجـأة لاعباً رئيسياً في عالم المال لأنّ صحافة الأعمال غطّت إنقاذه سيتي بنك من المـأزق بكثير من التفاصيل، لكنّه كان لا يزال غير معروف جدّاً لدى الجمهور والقطاعات الأخرى. وفوق كل ذلك، رغم أنّ استثماره الكبير في سيتي بنك جعل ماليّته تحت المجهر - بما في ذلك تدقيق بنك الاحتياطيّ الفيدراليّ فيما يختص بشراء حصّـته في سيتي بنك - بقي هناك البعض في مجتمع الأعمال العالميّ ممن يتساءلون عن مصدر كل هذه الثروة، وأنّه ربما يكون واجهة لمستثمرين أثرياء آخرين. لا يعط الأمـير اهتماماً لكلّ هذه المزاعم: "لقد سمعت أكثر من ذلك، سمعت أنّني كنـت تـاجر سلاح أيضاً. وأستطيع أن أؤكّد لك أنّني أعمل لنفسي وأنا مصدر كل المال. إنّه لي ولابني وابنتي، ولديّ تراست في جزر كايمان وفي المملكة العربيّة السعوديّة تبيّن أنّني المستفيد مع ابني وابنتي. لذا فإنّني أعمل لنفسي ولا أعمل بأموال الآخرين البتـة، وكفى

كان هناك تقرير إعلاميّ واحد يوحي بأنّ الوليد أداة لوكالة الاسـتخبارات

المركزيّة الأمريكيّة (سي أي إيه)، توصل المال من الوكالة إلى طالبان، عندما كانت الأخيرة لا تزال تحظى برضا الولايات المتحدة، من أجل محاربة القوات الروسيّة الشيوعيّة في أفغانستان. ويتبسّم الأمير عند سماع ذلك ويقول إنّه لن يتلفّظ حتى بعبارة "لا تعليق"، لأنّها قد تعني ضمناً أنّ هناك شيئاً يخفيه، ويرى أنّ من الأنسب طرح السؤال على السي أي إيه.

الاستراتيجيّة ثمّ الاستراتيجيّة، ثمّ الاستراتيجيّة

تبدو محاولة وصف كل صفقة عمل من صفقات الوليد العديدة من بداية التسعينيّات إلى الألفيّة الجديدة وتقديم تحليل لها كأنّها مهمّة لا تنتهي. فهناك العديد منها في مجالات الأعمال العديدة جدّاً، من المصارف إلى الفنادق، إلى العقارات ووسائل الإعلام، بحيث يصعب في الواقع استيعاب كيف تمكّن من إبقائها جميعاً تحت السيطرة. كما أنّه غالباً ما يتمّ التفاوض عليها أو إدارتها على فترات طويلة، حيث يشقّ الأمير طريقه بمهارة من بلد إلى بلد ومن صفقة إلى أخرى.

إنّ أسهل الطرق لإلقاء نظرة واضحة على استثمارات الوليد هي تقسيمها إلى ما يراه استثمارات من مقرّه في السعوديّة – تشمل السوق السعوديّة والشرق أوسطيّة – حيث بدأ ولا يزال الآن قوّة جديّة، وبين السوق الدوليّة، حيث اشترك مع بعض الشركات الكبرى في العالم. ثمّ تقسم مصالحه في السوق الدوليّة إلى استثمارات "أساسيّة" و"غير أساسيّة"

وما يحدّد إذا ما كان الاستثمار أساسيّاً هو مقدار مركزيّته بالنسبة لأعمال الأمير، أو ما هو حجمه، أو ما طول المدّة التي ينوي الاحتفاظ به، أو مقدار انخراطه فيه بنشاط.

وعن طريق تقسيم العدد الكبير لصفقات الوليد في هذه الفئات، يصبح من السهل تفحّص المبادئ الأساسيّة المعنيّة بهذه الاستثمارات، وسماع القصص الرائعة في الغالب التي تكمن خلفها، ثمّ تقييم أدائها على المدى الطويل – أو في حالات نادرة جدّاً على المدى القصير. ويقرّ الأمير نفسه بوجود بعض الدروس الجديّة التي تعلّمها مع حلول الألفيّة الجديدة.

وهكذا تكشّفت الصورة على ما يلي:

1. الاستثمارات الدوليّة الأساسية
2. الاستثمارات الدوليّة غير الأساسية
3. الاستثمارات من المقرّ في السعودية (الاستثمارات في السعوديّة والشرق الأوسط التي تقسّم إلى حيازات عامّة وحيازات خاصّة)

عند تقديم عرض مجمل جدّاً، يمكن رؤية أنّ الاستثمارات الدوليّة الأساسية تتركّز حول المصارف، والفنادق، ووسائل الإعلام، والعقارات، والتكنولوجيا حيث يشمل الفاعلون البارزون مجموعة سيتي (Citigroup)، وفنادق فور سيزنز (Four Seasons)، وفنادق فيرمونت (Fairmont)، ونيوز كوربوريشن (News Corporation)، وتايم وارنر (Time Warner)، وديزني (Disney)، وكناري وارف (Canary Wharf)، وأبل كمبيوترز (Apple Computers)، وموتورولا (Motorola)، ونكتفي بهذا القدر فقط.

وتشمل الاستثمارات غير الأساسية بلانت هوليود (Planet Holywood)، واستثمارات في كوريا، وما يسمّيه "مشكلة الألفيّة"، حيث استثمر في شركات من الاقتصاد القديم والحديث – وبعضها صفقات في شركات الدوت كوم.

وتنقسم الاستثمارات من المقرّ الرئيسيّ في السعوديّة إلى حيازات خاصّة وحيازات عامّة. تتركّز الحيازات الخاصّة بمعظمها على مشاريع شركة "المملكة" التابعة للأمير – استثمارات برج المملكة ومركز المملكة للتسوّق، ومستشفى المملكة، ومدينة المملكة (مجمّع سكنيّ)، ومدرسة المملكة، وفندق فور سيزنز في مركز المملكة، ويتطلّع الأمير إلى أن تصبح شركة عامّة في نهاية المطاف.

وتشمل الحيازات العامّة المصارف، ووسائل الإعلام، والعقارات، والإنشاءات، والأغذية والزراعة، والفنادق. وتضمّ الأسماء التجاريّة تحت تلك الفئة روتانا للموسيقى، ومجموعة صافولا، والبنك السعوديّ الأمريكيّ (سامبا)، وشركة التصنيع الوطنيّة.

رغم أنّ الأمير الوليد وصل إلى القمّة، غير أنّ التسعينيّات كانت فترة بناء صعبة بالنسبة إليه. بدأت بصفقة مصرفيّة عالميّة أصبحت فيما بعد درّة ثروته الضخمة، وانتهت إلى الاستثمار في التكنولوجيا.

وشهد هذا العقد أيضاً بلوغ الأمير السعوديّ مرحلة النضج، حيث كان لا يزال في الثلاثينات من عمره. لم يشهد العقد المؤدّي إلى الألفيّة الجديدة وصوله كمستثمر دوليّ فحسب، وإنّما شهد أيضاً تطوّر إمبراطوريّة عالميّة تنوّعت بسرعة لتشمل بعض أكبر الأسماء التجاريّة في العالم.

راقب مصرفيّ الأمير الخاصّ، مايك جنسن، كيف أصبحت الأسماء الكبيرة الوطيدة هدفاً للوليد على مرّ السنين. وبدأ جنسن يدرك تعليل ذلك، وقال إنّ الأمير كان يدرك قيمتها:

"إنّه يبحث عن شركات ذات أسماء تجاريّة عالميّة - أو إقليميّة على الأقل - وتتمتّع بإدارة ممتازة، وتكون أسعار أسهمها متدنّية جدّاً بسبب توقّعات السوق عن نقاط ضعف فيها. وبعد ذلك يشتري ويحتفظ بحصّته، وهو 'على الدوام صديق الإدارة'"

على سبيل المثال، قد تُفرط شركة ما في الاقتراض بحيث يتراجع سعر سهمها في السوق. وهذا وضع يحبّه الأمير على وجه الخصوص، لأنّه إذا كان يؤمن بقيمة الاسم التجاريّ، ويثق بالإدارة، يمكن أن يكون استثماره - إذا تمّ في أسهم عاديّة أو أوراق ماليّة خاصّة - جزءاً من الحل، وزيادة في أسهم رأس المال. أما فيما يتعلّق بالإدارة، فإنّ الأمير يرى نفسه مساهماً في رأس المال، وليس مديراً. فهو يرى أنّه يقوم بشراء الخبرة الإداريّة، وبالتالي فإنّه يولي جودة إدارة الشركة عناية كبيرة. أما فيما يتعلّق بمسألة الاسم التجاريّ، فإنّه يعتقد بأنّ الاسم التجاريّ العالميّ دليل على امتياز الإدارة في الماضي والحاضر، ويمثّل ذلك حاجزاً أمام دخول منافسين جدد للشركة في تلك الصناعة.

يرى الوليد أنّ المال يتوجّه إلى توطيد الأسماء التجاريّة الكبيرة، وبنائها، والترويج لها لذا فإنّها تتمتّع بمستقبل. وذلك يتوافق مع مبدأ الأمير "بالشراء عند سعر منخفض والانتظار"، عندما يتعلّق الأمر بالاستثمار. ونظراً للجهود الكبيرة المبذولة والتطوير اللذين يقفان خلف الأسماء التجاريّة الكبرى، فإنّها تنظر على المدى الطويل، وتهدف إلى البقاء مدّة طويلة. فإذا كان التوقيت صحيحاً وقيمة الاسم التجاريّ منخفضة، يصبح عندئذ هدفاً مثاليّاً للوليد.

1. الاستثمارات الدوليّة الأساسية

في بعض الحالات، يرى الأمير إمكانية بناء الاسم التجاريّ الجيّد ليصبح اسماً تجاريّاً عظيماً. في هذه الحالات، يتبع استراتيجيّته المعهودة بالشراء بسعر منخفض قدر الإمكان، ثم دفع الشركة، بعد أن يصبح معنيّاً بها، بقوّة لتحقيق تلك الإمكانيّة الكبرى. هكذا وضع يديه على البنك الأمريكيّ - وهو أحد أكثر البنوك رسوخاً وشهرة عالميّة. وكان لديه الثقة التي تجعله يدعمه عندما لم يجرؤ أحد على الاقتراب منه.

ومنذ ذلك، لزم الأمير مجموعة سيتي في السرّاء والضرّاء، وهو يصف علاقته بأنّها زواج. ومثل أي زواج، شهدت تقلّبات صعوداً وهبوطاً، وبخاصّة أنّ الأمور لا تستقرّ على حال لمدّة طويلة في العالم الماليّ.

على سبيل المثال، كانت نهاية سنة 1997 بمثابة فترة اختبار للأمير. فنظراً لكونه أكبر مساهم، فإنّه يعاني من تغيّرات كبيرة في قيمة حصّته كلما تحرّك سعر السهم دولاراً واحداً. ويقول الأمير، لولا أنّه دخل كمستثمر على المدى الطويل - وأنّ سيتي هو استثماره الأهم - لكان من السهل أن يفقد رباطة جأشه عندما شهد انخفاض ثروته بمقدار 640 مليون دولار في يوم واحد في كانون الأول/ديسمبر.

بالمقابل، أثبتت سنة 1998 أنّها سنة مثمرة بالنسبة لمعظم أسهم الوليد المهمّة التي تبلغ قيمتها نحو 5 مليارات دولار في ذلك الوقت. فقد شهدت تلك السنة اندماجاً قيمته 72 مليار دولار بين مجموعة ساندي ويل، ترافلرز غروب (Travelers Group)، مع سيتي كورب لتشكيل مجموعة سيتي، وهي شركة عالميّة تمتلك 100 مليون عميل في 100 بلد.

كان ذلك أشبه بانقلاب بالنسبة إلى ويل، الذي وصفته مجلّة "تايم" في وقت لاحق بأنّه "منجز الصفقات البارع"، لأنّه تمكّن من إقناع المنظّمين الفيدراليّين الأمريكيّين وصانعي القوانين بتخفيف القيود التي تمنع الشركات الأمريكيّة من تقديم الأعمال المصرفيّة التجاريّة والتأمين على حدٍّ سواء. وقد فتح نجاح ذلك الضغط الأبواب على مصراعيها أمام إنشاء الائتلافات الماليّة العالميّة التي تتخذ من الولايات المتحدة مقرّاً لها.

في البداية، أجريت عمليّة جراحيّة مؤلمة في الكيان المندمج. وبين تموز/يوليو وتشرين الأول/أكتوبر، في أعقاب الاندماج، انخفضت أسهم سيتي كورب 56 بالمئة، وكافحت الشركة الجديدة لإعادة التوفيق بين عملها المصرفيّ الاستثماريّ والتجاريّ. ولم تساعدها خسارة 1.33 مليار دولار في وحدة الأوراق الماليّة سالومون سميث بارني (Salomon Smith Barney) التي تراجعت أرباحها 65 بالمئة في الفصل الثالث. راقب الوليد هبوط حسابه بسرعة بمقدار مئات الملايين من الدولارات. وفي مرحلة ما بلغت الخسارة الورقيّة 1.5 مليار دولار، لكنّ الأمير تحلّى بالصبر، مركّزاً على أعماله الكثيرة الأخرى.

لم يلتقِ ساندي بالأمير سوى لمدّة قصيرة في أوائل التسعينيّات، عندما كان لا يزال في شركته الخاصّة، ترافلرز غروب. وقد تحدّثا في ذلك الوقت عن بعض المصالح الاستثماريّة المشتركة. لم يدرك ساندي خبرة الوليد تماماً إلا بعد أن سيطر على مجموعة سيتي بعد الاندماج في العام 1998. لكنّ سمعة الأمير أخذت تتوطّد حتى قبل ذلك كأحد أنشط المستثمرين في الأسواق الماليّة الأمريكيّة. وقد أدرك الذين تعرّفوا عليه بأنّه حقّق ذلك من خلال البحث الدقيق، والتخطيط، وطول الأناة – وهي الخصال التي لاحظها فيه رئيس مجلس إدارة مجموعة سيتي، ساندي ويل، عندما توطّدت العلاقة بين الرجلين: "إنّه مفكّر ممتاز. وهو يصرف وقتاً أطول مما يصرف معظمنا في ذلك، لأنّه لا يحتاج إلى الكثير من النوم – كما أنه مستمع جيّد دائماً، وشريك جيّد للآخرين، وداعم لهم، إنه ينظر للمدى الطويل جدّاً، وهو أمرٌ نادر حقّاً. إنني أستمتع بالعمل معه. فلديه ابتسامة رائعة، وعندما تفعل شيئاً يقدّره، لا يكون عليه أن يصرّح لك لأنّ بوسعك رؤية ذلك على وجهه وفي لغة جسده، وتعرف ما هو شعوره حيال ما تقوم به"

متّسع للنموّ

كانت سنة 1994 حافلة بالنسبة إلى الأمير على الجبهة الدوليّة.

بعد أن استوعب الأرقام في عالم المصارف والمال، أصبح مستعداً لشغل مقعد في عالم الفنادق.

يعتقد بيل فات، الرئيس التنفيذيّ لفنادق فيرمونت، وهي الشركة التي كـــان الأمير يتطلّع إليها كهدف للشراء في وقت ما، أنّ اهتمام الوليد في قطاع الفندقـــة ربما يكون قد تطوّر في وقت مبكّر من حياته: "سمعت العديد من القصص المختلفة، بما في ذلك أنّه أمضى جزءاً كبيراً من سنوات مراهقته الوسطى في فندق جـــورج الخامس مع أسرته في باريس، وأصبح يقدّر هذه الصناعة ويحبّها. ويمكنني أن أقول من تجربتي الشخصيّة إنّ من السهل الوقوع في حبّ هذه الصناعة، لذا أعتقـــد أنّ ذلك جزءاً من القصّة. ومع ذلك، أعتقد بأنّ الأمير لا يسترسل لمشاعره، فلا بـــدّ للاستثمار المحتمل أن يكون مدعوماً بوضع متين يحقّق عوائـــد متوقّعـــة معقولـــة، وأعتقد أنّه تمكّن في صناعة الفنادق من المزاوجة بين كل هذه العوامل معاً. وقـــد كانت النتيجة مرضية جدّاً بالنسبة إليه"

لا شكّ في أنّ الوليد كان يمتلك وجهة نظر واضحة جدّاً عن هذه الصـــناعة. وكان يتطلّع إلى الاستثمار في الإدارة أكثر من الاســـتثمار في العقـــار: "يتضـــرّر أصحاب الفنادق أثناء فترات الكساد. وعن طريق امتلاك نسبة مئويّة من الشـــركة التي تتولّى الإدارة، أواصل تحقيق الأرباح"

يقول سرمد ذوق، المدير التنفيذيّ لشركة المملكة للاستثمارات الفندقيّة التي أنشئت في العام 2002 وكان اسمها في الأصل مجموعـــة المملكـــة للاســـتثمارات الفندقيّة وتشرف على مشاريع الأمير الفندقيّة في الشرق الأوسط: "لم يكـــن أوّل ظهور له في أعمال الفنادق على مستوى العقار. فقد اشترى حصّة في شركة فـــور سيزنز لإدارة الفنادق وفي شركة فيرمونت للإدارة. وكان ذلك مدفوعاً برؤية، ولم تكن الاستراتيجيّة المحيطة بها انتهازيّة أو عرَضيّة، بل كانت محسوبة جيّداً. لقد بـــنى رؤية حول هذا الاستثمار، ثمّ مع توسّع استثماراته في القطاع الفندقيّ وتطورّهـــا، تغيّرت طبيعة تركيب محفظته الاستثماريّة. كان لديـــه اســـتثمارات في شـــركات الإدارة وفي العقار، وأصبحت اليوم محفظة استثماريّة واسعة – إحدى أكبر محـــافظ الاستثمارات في العالم، لكنّها بنيت حول استراتيجيّة ونهج شديد التركيز"

ويتابع سرمد بأنّ ما جعل الأمير يدخل في هذا القطاع لم يكن مشاعر عاطفيّة بقدر ما كان تقييم الفرصة: "تتميّز أعمال الفنادق بخصائص تمتثل كـــثيراً لمعـــايير

الاستثمار التي وضعها الأمير، أي الدخول إلى صناعة ذات اسم تجاريّ قويّ، ونمط توزيع كبير، ومكوّنات تشغيليّة وعقاريّة. وتتوافق صناعة الفنادق مع كل هذه الصفات والمعايير، إنّها أعمال دوليّة جدّاً"

يتميّز سرمد بعينين لامعتين، وحلاوة المعشر، وابتسامة عريضة ودودة وهو بشكّل نموذجاً لنوع الأشخاص الذين يوظّفهم الوليد في شركة المملكة القابضة. إنّه شابّ، ومخلص، وراغب في ركوب التحدّي وكان مستعدّاً لامتطاء الصعاب بعد احتماعه بالأمير في العام 1995. في ذلك الوقت، كان الوليد يبحث عن شخص يتحدّث العربيّة والإنكليزيّة بطلاقة، وعُرض عليه سرمد ذوق: "كنت في الرابعة والعشرين أو الخامسة والعشرين وخبرتي محدودة، لكن كان لديّ خلفيّة عن هذا العمل. فقد درست إدارة الفنادق، ودرست الحقوق، وقانون العقارات، وعملت في مجال حيازة الفنادق ولديّ خلفيّة عن عمليّات الفنادق، لذا كنت أعدّ نفسي لهذا الموقع منذ كنت في الجامعة"

أمنّت جلسة الاستجواب العسيرة التي امتدّت ثلاث ساعات مع الأمير وشملت الاستراتيجيّة والنموّ والحيازة، وغيرها من الأشياء، موقعاً للشابّ سرمد الذي كان يعمل في مجال التنمية لصالح فنادق بريتيش فورت (British Forte) البريطانيّة، التي اشترتها لاحقاً شركة بريطانيّة أخرى، غرانادا.

ومن المثير للاهتمام أنّ شركة فورت هي التي زايدت على الأمير في محاولاته المبكّرة لولوج أعمال الفنادق.

ففي العام 1994، انضم الأمير إلى رئيسي مجموعة أكور (Accor) الفرنسيّة، بول دوبرول وجيرار بليسون، بغية شراء فنادق لو ميريديان من شركة إير فرانس. وكان منافسه الرئيسيّ مجموعة فورت. عرضت فورت 1.8 مليار فرنك فرنسي (323 مليون دولار في ذلك الوقت) ضدّ ائتلاف الأمير الذي عرض 1.6 مليار فرنك (287 مليون دولار).

في التغطية الإعلاميّة لحرب العطاءات، رأى الأمير أنّه كان من مصلحة إير فرانس أن تقبل العرض الذي قدّمته مجموعته، رغم أنّه أدنى من عرض فورت، لأنّ شركة أكور تمتلك الكثير من وكالات السفر التي توفّر لشركة الطيران كثيراً من

العمل وإيرادات مهمّة. وأضاف أنّه بالسماح لشركة أكور بشراء المجموعة، فإنّ لو ميريديان ستبقى تحت العلم الفرنسي.

وفي إحدى المراحل، رغب الوليد برفع قيمة عرضه، لكنّه انسحب بعد التشاور الوثيق مع شركائه. فقد أبلغه بليسون أنّ فنادق لو ميرديان لا تستحق فرنكاً واحداً أكثر من التقييم الذي توصّلوا إليه، واقتنع الأمير بنصيحته بثقة.

كان يتطلّع إلى سلسلة فنادق أخرى شعر أنّها اسم تجاريّ غير مستغلّ تماماً. كانت مجموعة فيرمونت التي يوجد مقرّها في سان فرانسيسكو تفي بمعايير أهدافه الاستثماريّة – شركة ذات إمكانات متينة ولا يبدو أنّها تحرز تقدّماً في نموّها. كانت سلسلة السبع ملكيّات تضمّ 3075 غرفة، وشعر أنّه يمكن رفع الوعي باسمها التجاريّ، ووُضعت المعايير لاستغلال موقعها الفخم.

اشترى الوليد حصّة مسيطرة تبلغ 50 بالمئة في فيرمونت، خفّضت في وقت لاحق إلى 4.9 المئة في الشركة التي بقيت، فيرمونت هوتيلز أند ريزورتس (Fairmont Hotels and Resorts)، عندما اشترت كناديان باسيفيك (Canadian Pacific) شركة فيرمونت وأخذت اسمها.

أوكل الأمير لشخصيّتين مهمّتين، هما تشاك هنري وسايمون تيرنر، الإشراف على صفقات الفنادق في أمريكا الشماليّة وأوروبا. وكلاهما مدير في شركة هوتيل كابيتال أدفيزرز (Hotel Capital Advisers) التي يوجد مقرّها في نيويورك، وهما شخصان متباينان ويجسّدان جنسيّتيهما إلى حدٍّ كبير. كان الأمريكيّ الضخم والمرح، هنري، في السابق مدير العقارات في بنك كريدي سويس فيرست بوسطن. وهو أكثر أنساً ومستعدّ للتعبير عن ملاحظاته، سواء أكانت انتقاديّة أم غير ذلك، أمام الأمير بحسّ من الفكاهة والضحك. أما "الإنكليزيّ في نيويورك" الطويل الممشوق ذو النظّارة، تيرنر، فإنّه يحمل الأسلوب الدمث للرجل المدنيّ البريطانيّ، ويظهر تحفّظاً إنكليزيّاً مساوياً عندما يتعلّق الأمر بالمباحثات، حيث يقدّم الدعم لملاحظات هنري على الأكثر. وقد شهد الرجلان نموّ المحفظة الاستثماريّة الفندقيّة للأمير، وتطوّر اهتمامه النشط في آليّة هذه الصناعة. فالأمير يحبّ أن يعرف كيف تعمل الأشياء، علّه احتاج إلى تفكيكها ثمّ إعادة تركيبها. ويقول هنري إنّه كان

من الطبيعيّ بالنسبة للأمير سلوك الأسلوب التطبيقيّ في الفنادق لأنّ ذلك يلائم شخصيّته، وبخاصّة أنّ الأمير يولي التفاصيل أهميّة شديد.

في أعقاب صفقة فيرمونت، انطلق الوليد وكان مقداماً جدّاً في حيازته الثانية.

أمضى رئيس مجلس إدارة مجموعة فنادق فور سيزنز المرموقة، إيسادور "إيسي شارب، شهر نيسان/أبريل 1994 يتطلّع إلى جمع الأموال. وأعطى تعليمات إلى شركته الماليّة، غولدمان ساكس (Goldman Sachs)، تقضي بمفاتحة أي شركة وفرد ثريّ لديه رغبة في الاستثمار. لذا اتصلوا بفاعلين راسخين ومعروفين من أمثال سلطان بروناي، الذي يمتلك بالفعل محفظة استثماريّة واسعة في قطاعي العقارات والفندقة. ورغم أنّ الوليد لم يكن ممن يضعونه نصب أعينهم، إلا أنّه بادر إلى دعوة شارب إلى اجتماع تمهيديّ. كان الأمير قد أجرى بعض الأبحاث وقرّر التوجّه نحو قطاع الفنادق الفخمة. وعندما اجتمع الرجلان وجهاً لوجه، كان الوليد يمضي شهر آب/أغسطس، على عادته، على متن يخته الراسي مقابل شواطئ كان، جنوب فرنسا. وما إن جلس شارب قبالة الوليد، حتى بسط الأمير القواعد الأساسيّة للنقاش. فهو مستعد لدفع 50 بالمئة أكثر من سعر أسهم فور سيزنز المتداولة في السوق، لكنّه لا يريد أن يعامل مثل مقدّمي العطاءات الآخرين، وإلا يسحب عرضه على الفور.

أصيب شارب، وهو شخصيّة عصاميّة مستقلة وحاسمة يتمتّع بسمعة قويّة في أعمال الفنادق، بالصدمة عندما ووجه بجرأة شديدة من هذا الشابّ الذي كان مستعدّاً بشكل جيّد: "أعتقد أنّ اهتمامه في فور سيزنز بلغ ذروته عندما سمع بأهدافنا، وتركيزنا على تشغيل فنادق متوسّطة الحجم ذات نوعيّة عالية. وأعتقد أنّ الكلمة الأساسيّة التي ذكرتها أمامه هي، أن نكون "الأفضل في كل سوق. في تلك المرحلة، كان اسمنا التجاريّ في طور الصعود، وأعتقد أنّه اعتبر ذلك بداية لشركة يمكن أن تثبت نفسها، وأن تستثمر في الأشخاص. وأعتقد أنّ قدرته على الحكم على الأشخاص والاعتماد عليهم مميّزة جدّاً. وهو يدخل في التفاصيل لكي يفهم ما يريد أن يفهمه، لكن ليس ليتمكّن من إدارة العمل. فهو يترك ذلك إلى الأشخاص الذين يثق بهم والذين من الواضح أنّهم يتقنون مهنتهم"

كانت هذه الثقة في الإدارة الجيّدة هي التي سمحت للرجلين بأن يدركا بسرعة إمكانيّة تطوّر شراكة العمل بينهما، بالإضافة إلى أهداف مشتركة: "إنّه رجل يدخل في التفاصيل بنفسه، ويتخذ قراراته استناداً إلى توقّعاته للمستقبل، وهو مستثمر على المدى الطويل وفقاً لشارب، الذي ناقش الأمير بشكل مباشر في دوافعه. "عندما التقينا لأوّل مرّة قلت، 'ما هي أهدافك من الشراء في هذه الشركة؟ هل هو استثمار تشتريه وتبيعه؟، أجاب، 'لا. إنّه شيء أريد الاحتفاظ به، ولن أتقاسمه مع أحد. إنّه لأسرتي وللمستقبل.' وأعتقد أنّه كان عند كلمته، إنّه فخور به بقدر افتخارنا بأن يكون من أحد مستثمرينا"

لا بدّ أنّ نظرته البعيدة المدى هي التي جعلت الأمير يسعى وراء فور سيزنز بقوّة: "إنّنا نؤمن بصناعة الفنادق، وهي مربحة جدّاً. المشكلة الرئيسيّة أنّنا ندخل بالسعر المناسب. بل إنّنا دخلنا مجموعة سيتي بسعر متدنّ جدّاً. إنّ نقطة الدخول أمر مهمّ جدّاً"

لذا من المستغرب أنّه اشترى حصّته الأولى في مجموعة فور سيزنز بسعر أعلى من معدّل السوق. ومن الواضح أنّ الوليد كان يخطّط لشيء أكثر تعقيداً من مجرّد الشراء في شركة لإدارة الفنادق. كان يفكّر في التآزر المحتمل بين انخراطه مع الذين يديرون الفنادق، وامتلاك كل العقارات نفسها أو جزء منها.

كان لديه فكرة أو اثنتان عن العقارات التي يريد امتلاكها، وأدّى ذلك إلى بعض الاحتكاك بينه وبين شارب، لكنّ الأمير كان مستعداً الآن لتقديم شيك مقداره 120 مليون دولار مقابل 22 بالمئة في ذلك الاسم التجاريّ المرموق. جاء السعر بمثابة مفاجئة لهذه الصناعة، لكنّ الوليد أوضح أنّه كان وشارب يتحدّثان عن خطّة التوسّع النشيطة التي يمكن أن تزيد حيازة الشركة بنحو 50 بالمئة في السنوات الخمس الأولى، ومضاعفتها خلال عشر سنوات. وكما يحدث عادة، ارتفعت قيمة الاستثمار الابتدائيّ البالغ 120 مليون دولار إلى 250 مليون دولار في بداية العام 1998 – تضاعف خلال ثلاث سنوات ونصف فقط – وفي نهاية سنة 2004، أصبحت قيمته أكثر من 600 مليون دولار.

كان الأمير مستمتعاً بجولة تسوّق الفنادق في العام 1994 لدرجة أنّه لم يتوقّف

عند حدّ فيرمونت وفور سيزنز. وقد توصّل بالفعل إلى وضع يديه على مكان مرموق من خلال صفقة مع مستثمر من سنغافورة يدعى كويك لنغ بنغ. اشترك الرجلان في شراء فندق بلازا البارز على حافّة سنترال بارك في نيويورك، وهو المكان الذي لا ترتاده نخبة مانهاتن فحسب، بل الأثرياء والمشاهير من كل أنحاء العالم. وقد أمّن الوليد، في هيكل الصفقة المعقّد الذي جرى الاتفاق عليه في نهاية تلك السنة واستُكمل في بداية سنة 1995، ما يعادل 42 بالمئة من الملكيّة التي قدّرت قيمتها بنحو 325 مليون دولار في ذلك الوقت. أرسل الأمير طائرته الخاصّة إلى لندن لنقل كويك للاجتماع به في الرياض، حيث أقنعه بأن تتولّى فنادق فيرمونت إدارته.

يذكر هنري الخطوة الذكيّة التي أقدم عليها الأمير بإحضار كويك على متن طائرته الخاصّة، حيث وجد السنغافوريّ نفسه أسيراً لدى فريق التفاوض. كانت المفاوضات بشأن الاتفاق عالقة حول تسع نقاط محدّدة أبلغ الأمير فريقه بأن يحلّها قبل أن تهبط الطائرة في الرياض. وترتسم ابتسامة كبيرة على وجه هنري عندما يذكر كيف أدرك كويك أنّه لن يكون بوسعه "التوقّف" عن المحادثات على متن الطائرة، ولم يكن أمامه سوى التوصّل إلى اتفاق. وقد مورس عليه ضغط لكي يفسح الطريق إلى الاتفاق ولا يجعل وقت رحلته يذهب سدى.

في العام 2001، رفع الوليد حصّته في بلازا إلى 50 بالمئة، ثمّ في آب/أغسطس، اتفق هو وكويك على التخلّي عنه مقابل 675 مليون دولار، في صفقة وصفها كويك لوسائل الإعلام بأنّها "جيّدة جدّاً بحيث لا يمكننا رفضها" ويعترف الأمير أنّه كان حيازة أساسيّة بالنسبة إليه، وأنّه لم يكن يعتزم بيعه، لكنّه فوجئ بالعرض. غير أنّه يخطّط للإبقاء على ارتباطه بذلك المعلم البارز في نيويورك عن طريق الاحتفاظ بحصّة فيه.

بعد سنة فحسب، التقى الوليد برئيس شركة فيرمونت، بيل فات، على عشاء متأخرّ في البلازا، وبعد ذلك جال الرجلان على بعض الغرف الفارغة لبحث ما الذي يمكن عمله لتجديد المكان. كانت الغرف بالنسبة لهذا الفندق الفاخر والقديم تعتبر صغيرة جدّاً، وكانت الحمّامات الصغيرة تمثّل مشكلة بالنسبة للوليد الذي

تحدّث عن إمكانيّة هدم الغرف لخفض عدد الأسرّة الإجماليّ، ولكن لجعلها مريحة أكثر. لا شكّ أنّ ذلك مشروع كبير.

أراد الأمير أن يعيد الفندق إلى مجده السابق وأن تقتنع فيرمونت بالفكرة. وكان عليه أن يتحدّث إلى كويك، وشعر بالتشاؤم من موافقته على التكلفة، التي قدّرها هو وفات بنحو 200 مليون دولار لكي يعود بلازا إلى الهيمنة على نيويورك.

أبلغ كويك وسائل الإعلام عندما بيع الفندق في سنة 2004 أنّ الفندق بحاجة إلى تجديد، وأنّه لم يكن يريد إنفاق المزيد عليه. كان يريد رفع قيمة أسهم مجموعته المدرجة في بورصة لندن، مجموعة ميلينيوم أند كوبثورن هوتلز (M&C).

"لماذا أكون عاطفيّاً بشأنه؟" تساءل كويك في الصحف.

انتُقد بيع البلازا، وأنهيت الصفقة في نهاية السنة، حيث بيع إلى شركة تابعة لشركة الاستثمارات العقاريّة الأمريكيّة، إل آد بروبرتيز نيويورك (El Ad Properties NY).

وأضاف كويك أنّه والأمير حصلا بالفعل على الأرباح الهائلة من الفندق.

لم تتأثّر خطط الأمير لدفع الاسم التجاريّ لشركة فيرمونت وحضورها بفقدان تلك الملكيّة الفندقيّة الأهمّ. فما إن تمّ توقيع صفقة فندق بلازا، حتى كان الأمير يتطلّع صوب فندق سافوي المرموق في لندن بمثابة الموقع الأهمّ لفيرمونت. وكانت الصفقة المتعلّقة بتلك الملكيّة كما أنجزت في نهاية سنة 2004، جيّدة بقدر ما كانت دفعة كبيرة لاستثمارات الوليد الفندقيّة التي أعلن عنها في ذلك الوقت.

رتّب الأمير مشروعاً مشتركاً مع فيرمونت غروب وبنك اسكتلندا، تركّز على القطاع المصرفيّ وتقدّر قيمته بنحو 1.5 مليار دولار.

طالما رأى الأمير فيرمونت مجموعة يمكن أن تكبر كثيراً على المستوى الدوليّ من خلال صفقاته العقاريّة. فقد جال على أمريكا اللاتينيّة في العام 1998، وفي أعقاب ذلك أعلن عن خططه التوسّعيّة لمجموعة فنادق فيرمونت. لقد كانت سلسلة الملكيّات السبع التي اشترى فيها متخصّصة أصلاً في الملكيّات التقليديّة التي تضمّ ما بين 400 و600 غرفة. وقال الأمير إنّ ذلك قد يتغيّر لتستوعب عقارات أصغر.

في هذه الأثناء، تابعت فور سيزنز نموّها وارتقاءها، وفي شباط 1998، كان استثماره في المجموعة قد تضاعف منذ شرائه الأوليّ حصّة بقيمة 120 مليون دولار في خريف 1994. ووجد الأمير الوليد أنّ اهتمامه في الفنادق يحقّق نتائج طيّبة. يعتقد المصرفيّ الخاصّ للأمير، مايك جنسن، أنّ الأمر أعمق من ذلك: "أعتقد أنّ الأمير غيّر اتجاه صناعة الفنادق، صناعة الفنادق الفخمة على الأقل. فهو على حدّ علمي أوّل من جاء باستراتيجيّة مختلفة بشأن الفنادق – وكان ذلك في أوائل التسعينيّات – عندما قرّر أنّه يجب ألا يكون الهدف تملّك العقارات، وإنّما تملّك الشركات الإداريّة التي تحقّق عوائدها من الدخل الإجماليّ، مقابل العقار الذي تحصل منه على دخلٍ صاف. لذا حصل على ملكيّة جزئيّة في فور سيزنز، وملكيّة جزئيّة في موفنبيك (Movenpick)، وملكيّة جزئيّة في سلسلة فنادق فيرمونت، فضلاً عن كونه مطوّراً ناشطاً لهذه السلاسل. وقد أخذ هذا التغيّر في الاستراتيجيّة يُحدث تغييراً في الصناعة الفندقيّة. وأخذ أشخاص آخرون في هذه الصناعة ينتقلون إلى أسلوبه الذي حقّق أرباحاً طائلة"

ويضيف جنسن فكرة أخرى. فالأمير في تشابكه الواسع جدّاً مع مجموعة واسعة من الصناعات تمتدّ من العقارات إلى المصارف، يضيف مزيداً من القيمة إلى مجموعة إدارة الفنادق: "إنّه لا يستثمر المال فحسب، بل يستخدم صلاته لكي تكون عاملاً حافزاً من أجل تطوير فنادق جديدة لشركاته"

لقد أثبتت صناعة الفنادق بشكل عامّ أنّها من أقوى الاستثمارات الأساسيّة للأمير، وفي نيسان/أبريل 2004، بلغت القيمة الإجماليّة لحيازاته الفندقيّة أكثر من 1.3 مليار دولار.

أفضل فندق في العالم

ثمة صفقة سعى إليها الوليد جاهداً، رغم بعض الممانعة الأوليّة التي أبداها رئيس فور سيزنز، إيسي شارب، وأشخاص ظنّوا أنّ الأمير قد حاد عن جادّة الصواب.

في قلب العاصمة الفرنسية، ينتصب فندق جار عليه الزمن، ولم يتبقَ منه

سوى الأيام الخوالي، كممثّل مرموق للأناقة الباريسيّة. لقد كان فنـدق جـورج الخامس، بموقعه القريب من الشانزيليزيه وقوس النصر، ملتقى النخبـة العالميّـة في باريس حتى العقدين الأخيرين من القرن العشرين، لكنّه انهار في التسعينيّات وأصبح شبحاً لما كان عليه في الماضي. واستمرّت حال الفندق على هذا النحو حتى سـنة 1996 عندما اشتراه الأمير وأجرى عليه تغييرات جذريّة. يعتقد البعض أن شـراء الفندق كان واحداً من القرارات العاطفيّة القليلة التي اتخذها الأمير. ولا شكّ في أنّه بدا هكذا في ذلك الوقت، رغم أنّ الوليد يمكنه أن يعلن الآن عن احترافية وربحيّـة تلك الصفقة بالذات.

كان الأمير يفكّر ملياً في شراء فندق جورج الخامس، ومع اقتراب سـنة 1996 من نهايتها، ألحّت عليه الفكرة وأخذ يقلّبها في رأسه. كان يريد أن يضع يديه على اسم تجاريّ آخر، ملكيّة بارزة جدّاً يمكنه استخدامها كواجهة لمحفظته الفندقيّة.

يشرح رئيس مجموعة المملكة للاستثمارات الفندقيّة، سـرمد زوق، منطـق الأمير من وراء تأمين مثل هذا الأصل الظاهر للعيان:

"إنّه مهمّ جدّاً. فأعمال الفنادق تشكّل جزءاً مهمّاً من المحفظة الاسـتثمارية الإجماليّة للأمير، لكنّها لا تشكل جزءاً كبيراً من ناحية رأس المال. ولعلّها تمثّل 10 إلى 15 بالمئة من ثروته الإجماليّة الصافية، لكنّها توفّر شهرة كبيرة"

ويقول سرمد إنّ الفنادق، بخلاف حيازات الأمير الأخرى في المصـارف أو وسائل الإعلام أو التكنولوجيا، التي لا يلاحظها الشخص العاديّ بشكل مباشـر، أماكن يقصدها الناس، ويقيمون فيها، ويختبرونها بشكل شخصـيّ. ثمّ إنّ الأمـر يتعلّق بأهمية وقيمة الارتباط باسم تجاريّ مرموق: "الشهرة مهمـة وذلـك يـؤثّر بوضوح على صناعة الاسم التجاريّ، وهكذا يُبنى الاسم التجاريّ، بالحصول على الملكيّات المناسبة ذات الجاذبيّة الملائمة، والإدارة الجيّدة، وعليها العلم الصـحيح. ذلك يضيف قيمة إلى الاسم التجاريّ – قيمة يستفيد منها الأمير لأنّه مسـاهم في ذلك الاسم التجاريّ. لذا فإنّه ينتفع من الجهـتين، العقـار أو الملكيّـة والاسـم التجاريّ"

كانت الشركة البريطانيّة غرانادا تمتلك فندق جورج الخامس، التي سيطرت عليها مجموعة فورت. واشترك في تقديم عطاءات لشراء الفندق المتردّي عدد من المجموعات الفرنسيّة، بالإضافة إلى صديق الوليد والملياردير العالميّ، سلطان بروناي.

رأى الوليد أنّ هذه الملكية الشهيرة الموجودة في قلب باريس، على مقربة من الشانزيليزيه، مثاليّة كفندق تابع لفور سيزنز. لكنّ رئيس مجلس إدارة فور سيزنز ورئيسها التنفيذيّ لم يعتقد ذلك، وقد أحدث ذلك بعض الاحتكاك بينهما: "استمرّ ذلك بعض الوقت. فطالما كانت تحدوه الرغبة في امتلاك ذلك الفندق ووقع بيننا خلاف بسيط في الرأي إذ هل لذلك جدوى ماليّة؟ هل كان شراء الفندق وإصلاحه استثماراً اقتصاديّاً؟ ثم هناك المسار الذي عليك أن تجتازه. لذا أوضحنا ما يجب عليه القيام به لأنّه يريد أن يجعله الأفضل في العالم. كان ذلك هدفه الأساسيّ - 'هل يمكننا إعادة فندق جورج الخامس إلى سابق مجده؟'، وقلت يمكننا ذلك، لكنّه سيكلف كثيراً، فهل تسمح معاييره الاستثماريّة بذلك؟ لكن عليّ أن أعترف له بالفضل. لقد استمع واتخذ قراره ثم دعم ذلك القرار حتى النهاية. وهكذا دفع ثمن شرائه، وجدّده وفقاً لما نعتقد بأنّه ضروريّ - وذلك يعني إغلاق الفندق وإخراج كل ما بداخله ليتجاوز ما كان عليه من مجد سابق. وما تراه اليوم أفضل بكثير مما كان عليه في أي يوم مضى، وقد سمح للإدارة بأن تفعل ما يلزم للتنافس في سوق شديدة التنافسيّة والوصول به إلى القمّة"

للقيام بذلك، دفع الأمير 185 مليون دولار ثمناً للمبنى في كانون الأول/ديسمبر، وانتزعه من مجموعة أودلي (Audley) التي يمتلكها سلطان بروناي ومن المنافسين الآخرين. لقد أهدى نفسه بمناسبة العام الجديد ما يعتبره "أفضل فندق في العالم"

كتب الوليد بعد ذلك شيكاً آخر بقيمة 120 مليون دولار لتجديده. وكان عليه بالإضافة إلى ذلك أن يتحمّل تكلفة الإيرادات الضائعة نتيجة إغلاق الفندق لمدّة سنتين كاملتين، فيما كان يجري تفكيكه وإعادة تركيبه قطعة قطعة. علّق المنتقدون في وسائل الإعلام بقولهم إنّ الأمير دفع أكثر مما يجب ثمناً لفندق بائد. وقد وصفوه بأنه جائزة ترضية لشخص لديه غرور كبير، لكن شارب يمتدح الأمير

على مثابرته وثقته بنصح إدارة فور سيزنز بشأن كيفيّة النظر إلى الفندق على المدى الطويل، ثم على الدعم المالي لذلك التأييد: "لست واثقاً من أنّه يوجد الكثير من الأشخاص الذين لديهم تلك النظرة البعيدة المدى، والرغبة في إنجاحها، ونتيجة لذلك لم يصبح الأفضل في باريس، لكن من أفضل الفنادق في العالم. وتبيّن من الناحية الاقتصاديّة أنّه استثمار رائع بالنسبة له. لذا استحدث قيمة حيث لم يكن أحد غيره يستطيع استحداثها، واعتمد علينا للقيام بذلك"

بالرغم من النزاع الأوليّ الذي نشأ مع الأمير، يعتقد شارب أنّ النتيجة كانت إيجابيّة: "تبيّن أنّه واحد من تلك المواقف غير العادية التي تحوّلت إلى فرصة ذهبيّة لفور سيزنز، بالإضافة إلى كونه استثماراً ممتازاً للأمير الوليد"

غير أنّ الأمير الوليد يحبّ أن يكون له الكلمة الفصل، وقد تمكّن من تحقيق ذلك في إحدى خبطاته الماليّة الأخيرة.

بعدما أنجزت الصفقة في نهاية كانون الأول/ديسمبر 1996 واشترى الأمير الفندق وتولت فور سيزنز إدارته، تصارع الرجلان العنيدان على ما يجب أن تبدو عليه واجهة الفندق. كان الوليد يريد إبراز اسم جورج الخامس باعتباره اسماً تجاريّاً تاريخيّاً وللنخبة. وأراد شارب أن يعرض بوضوح اسم فور سيزنز. ويضحك هذا الكنديّ عندما يتذكّر التوتّر بينهما: "دار بيننا نقاش لأنّ جورج الخامس كان دائماً جزءاً من التاريخ، لكن لكي يتمكّن الفندق من المنافسة على المستوى العالميّ، أوضحنا أهميّة التعرّف على اسمنا التجاريّ - والطريقة الوحيدة للقيام بذلك هي وضعه على المبنى، وأن يكون اسمه أولاً. لذا يجب أن يكون فور سيزنز، جورج الخامس، وقد وافق على ذلك. وبالنتيجة كان ذلك أحد الأسباب التي مكّنتنا من تسويق الفندق بنجاح، لأنّه يحشد القوّة التسويقيّة لفور سيزنز بأكملها لمساعدة الفندق"

في الواقع، أبقي اسم فور سيزنز مرئيّاً ولكن بشكل بارع في مقدّمة الواجهة المزخرفة، واستخدمت المطبوعات التي تروّج للفندق الاسم التجاريّ لفور سيزنز. ومن ناحية الجوهر، تمكّن الأمير من الحصول على ما يريد، بإبقاء جورج الخامس كاسم تجاريّ مميّز أمام كل من يمرّ بقربه.

حاز العقار الذي أعيد افتتاحه في كانون الأول/ديسمبر 1999 بعد تجديده، على كثير من الاستحسان نظراً للخدمة العالية المستوى التي يقدّمها والتجديد الرائع الذي تحقّق. ومنذ سنة 2000، فاز بلقب "أفضل فندق في العالم" في التصويت الذي تجريه المطبوعات المعنيّة بالفنادق، وحقّق المرتبة الأولى غير المسبوقة لمدّة أربع سنوات على التواليّ.

تثير عروض الأزهار غير المألوفة العديد من التعليقات. ولا غرو في ذلك لمعلم يكلّف نحو مليون دولار في السنة، ويجتذب الناس من الشارع لا لشيء إلا للتفرج عليه. وثمة أفلام وثائقية تتناول هذا الموضوع. تصطفّ في الردهة والممرّات زهريّات زجاجيّة يصل ارتفاعها إلى حدود الصدر، وتبرز منها أزهار مرتفعة في تشكيل منتصب ومتقارب، وتضيئها العديد من الشموع فتضفي جوّاً أنيقاً ودافئاً.

وطلب الوليد أيضاً إعادة تجديد الردهة الحجريّة لكي تضمّ حجرين منحنيين بشكل متميّز وزيّنهما بآيتين من القرآن الكريم. ويقول إنّه فعل ذلك إجلالاً لله وشكراً له على ما تمكّن من تحقيقه في حياته:

"أنا مسلم، وعربيّ، وأنا فخور جدّاً بتراثي وثقافتي، وقد اخترت آيتين من القرآن وثيقتي الصلة وقريبتين جدّاً إلى قلبي، ووضعتهما في المدخل الرئيسيّ للبهو. تقول الأولى، ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾، فيما تقول الثانية، ﴿**هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي**﴾.

يحبّ الأمير أن يمارس المشي السريع مسافات طويلة في شوارع باريس عندما يقيم هناك مرتين كل عام، وغالباً ما يتوقّف قليلاً خارج واجهة الفندق تحت مظلّة الفندق الكبيرة التي تحمل اسم جورج الخامس، وترتسم على وجهه ابتسامة اعتداد بالنفس. وهو يشير إلى كيف أنّ اللافتة على الجدار قرب مدخل الفندق تحمل اسم جورج الخامس وتحتها تماماً حروف فور سيزنز – وهو أمر حاربت مجموعة شارب لتأمينه.

"يكلّف ذلك إيسي 27 مليون دولار"، يقول الوليد مازحاً بدهاء قبل أن يبتعد.

أنشودة الكناري

ما الذي يتحدّث عنه أصحاب المليارات عندما يلتقــون علــى الغــداء؟ لا يتحدّثون بالطبع عن مقدار الإكرامية التي سيتركونها للنادل. في الحقيقة، في هـــذه المرّة، كان الوليد يتناول الغداء في بيت أحدهم الكائن في مدينة ميلانو الإيطاليـــة الأنيقة، لذا من غير المحتمل أن يكون موضوع الإكراميّة قد أثير.

كان ذلك في نهاية شهر أيار/مايو، وكان مع أحد أهمّ الرجال النافــذين في وسائل الإعلام في أوروبا. غير أنّ نفوذ سيلفيو بيرلوسكوني تجاوز وسائل الإعلام، حيث تولّى رئاسة الوزارة مرّتين في بلاده.

قبل ذلك بسنتين، بدأ الوليد اهتمامه في وسائل الإعلام بالاستثمار في راديــو وتلفزيون العرب (ART)، وقال إنّها بداية شيء كبير وإنه الآن ينظــر في كيفيّــة مشاركته في المشهد الإعلامي الأوروبيّ.

لا شكّ في أن شيئاً ما في تركيبة بيرلوسكوني أثار إعجابه، لأنّــه انضــمّ في الشهر التالي إلى ائتلاف للشراء في شركة بيرلوسكوني للاتصالات. وأنفق الوليـــد 100 مليون دولار للحصول على حصّة مقدارها 2.3 بالمئة في ميدياست أس.بي.إيه (Mediaset S.P.A)، وهي شركة تابعة لإمبراطوريـــة بيرلوســـكوني الإعلاميّـــة فينيفست (Finivest).

وعندما حل خريف ذلك العام، كانت تلوح في الأفق صفقة كبيرة حظيـــت بدعاية كبيرة جدّاً.

في قلب منطقة دوكلاندز بلندن، إلى الشرق من وسط المدينة، توجد بقايـــا خطّة طموحة وضعها رجل أعمال كنديّ، لتجديد شباب المنطقة وإنشاء منطقـــة مخصصة للمكاتب على مساحة 86 فدّاناً تدعى كناري وارف.

كان أكبر مشروع عقارات وتنمية أراضٍ أوروبيّ في ذلك الوقت، لكن لسوء الحظّ، أنه اكتمل عندما تباطأ الاقتصاد وكثرت المكاتب الفارغة. وفي سنة 1992، فقد بول ريخمان المولود في فيينا المشروع الذي وضع تصوّره، عنـــدما توجّهـــت شركته إلى الإدارة وتركته بين يدي طرف ثالث، وكانت مسؤولية الطرف الثالث

تقضي إما بإدارته وإما إعادة تأهيله، وإما بيعه. وبوجود 1.7 مليون متر من المساحة غير المؤجّرة في دوكلاندز، بدا كناري وارف أكثر من فيل أبيض كارثيّ. لكنّ الحظّ ابتسم لريخمان ثانية في تشرين الأول/أكتوبر 1995 عندما سدّد الأمير الوليد وائتلاف من المستثمرين للمصارف نحو 1.2 مليار دولار للسيطرة على ذلك المشروع، ثمّ استخدموا ريخمان كرئيس لمجلس الإدارة لإدارته، وهو أمر لم يشكّك أحد فيه في ذلك الوقت، لكنّ ساندي ويل، من مجموعة سيتي، يرى الأمر بشكل مختلف: "أعتقد أنّه (أي الوليد) رجل أعمال جيّد جدّاً، وهو عمليّ جدّاً. وقد صنع الاستثمار في كناري وارف، ومد يده إلى بول ريخمان الذي جاء بالفكرة بأكملها وبناه، ثمّ تراكمت عليه الديون وفقده، ثمّ جلب ريخمان لكي يكون شريكاً في ذلك المشروع لأنّه اعتقد أنّه يعرف كل تفاصيل المشروع، ويعرف ويحبّ تشغيله أكثر من أي شخص آخر وكانت تلك الخطوة ذكية جدّاً"

أكسب إنقاذ المشروع العقاريّ مجموعة الوليد الاستثماريّة امتداح المؤسّسة البريطانية التي كانت تعاني من إحراج شديد بشأن هذه المشكلة.

حصل الوليد على 6 بالمئة من الشركة في الصفقة. وأصبحت كناري وارف شركة عامّة في العام 1999 وبلغت أسعار أسهم الشركة ذروتها في العام 2000. ومن حسن حظ الأمير أنّه باع ثلثي استثماره الأوليّ الذي بلغ 63 مليون يورو (66 مليون دولار في ذلك الوقت) بمبلغ 192 مليون يورو في كانون الثاني/يناير 2001 (204 ملايين دولار) - أي يقدّر العائد بنحو 47.7 بالمئة في خمس سنوات. وسرعان ما بدأت تتراجع أسهم الشركة، ونشبت المعركة للسيطرة عليه ثانية في أوائل سنة 2004.

وهكذا، كان توقيت الأمير في الاستثمار في كناري وارف صحيحاً، وحقّق ربحاً كبيراً عندما باعه.

مجموعة من الدرر

منذ أن وضع الأمير الوليد الأسواق الدوليّة نصب عينيه بصورة جدّيّة، في أوائل التسعينيّات، ركّز على الفرص التي تشتمل على أسماء تجاريّة تعاني من أوقات صعبة.

بعد إتمام مغامرة سيتي كورب، وضع الوليد يده على 10 بالمئة من دار مرموقة لبيع الأزياء بالمفرّق في نيويورك، وهي ساكس فيفث أفنيو (Saks Fifth Avenue). كلّفته تلك الصفقة 100 مليون دولار في العام 1993، ومنحته جزءاً من تلك الدار المرموقة. كانت الصفقة جيّدة بالنسبة لساكس أيضاً، إذ إن الأمير فتح فرصاً عظيمة للشركة في مناطق التسوّق الكبرى في الشرق الأوسط، بدءاً بمتجر مميّز في الرياض، عاصمة المملكة العربيّة السعودية.

ومن الصفقات التي لم تحظَ باهتمام كبير من وسائل الإعلام، لكنّها مهمّة، ما حدث بعد سنة في هولندا. فقد شهد شخصيّاً إمكانيّة نموّ البنية التحتيّة في الشرق الأوسط، فضلاً عن ارتفاع أعمال الإنشاءات في مناطق أخرى من العالم. وهو نفسه كان قد كسب عشرات الملايين من الدولارات من عقود الإنشاءات، لذا سعى إلى الحصول على موطئ قدم رسميّ في صناعة الإنشاءات، واشترى في الشركة الأوروبيّة الوطيدة، بالاست نيدام (Ballast Nedam). يوجد مقرّ هذه الشركة قرب روتردام، وهي متخصّصة في المشاريع الواسعة النطاق مثل السدود، والجسور، واستصلاح الأراضي، والمنشآت الرياضيّة الكبيرة. وقد جاءت هذه الشراكة في الوقت المناسب عندما بدأ الأمير في التعاقد مع مطوّرين لمشاريع إنشائيّة مختلفة شرع بها في منطقة الشرق الأوسط وخارجها.

وتشمل الاستثمارات الدولية الأساسيّة في التسعينيّات قطاع تكنولوجيا المعلومات. فقد اختتم الوليد العام 1996 بجولة لمدّة عشرة أيام في الولايات المتحدة متعمّداً تفحّص احتمالات العقارات، لكنّه عندما كان على الساحل الغربيّ، انتهى به المطاف إلى اجتماع في الليل مع مؤسّس أوراكل (Oracle)، لاري إليسون. فأثناء اجتماعه في بيت إليسون قرب سان فرانسيسكو، تحدّث صاحبا المليارات عن عالم المعلوماتيّة، وشركات مثل نتسكيب (Netscape) ومايكروسوفت (Microsoft) ومستقبل الإنترنت. طالما استغلّ الوليد منافع التكنولوجيا بشكل تامّ مع أنّه لم يكن خبيراً بالتكنولوجيا، لكنّ روح الأعمال لديه عادت تلحّ عليه.

ففي آذار/مارس 1997، بدأ بهدوء الشراء في شركة أبل كمبيوترز (Apple Computers)، فيما كان يدير الأعمال من مكتبه في الرياض. لم يكن إليسون يدرك أنّ الأمير يشتري أسهم الشركة، فحاول الاتصال به ليسأله إذا كان مهتمّاً في توحيد قواهما معاً لإطلاق عرض للسيطرة على شركة أبل كمبيوترز المتعثّرة. طلب الأمير بحصافة من محاميه تولّي المكالمة متجنّباً التحدّث مع إليسون بصورة مباشرة، مخافة أن يخرق الأنظمة الأمريكيّة للسيطرة على شركات أمريكيّة.

أفادت المطبوعات التي تراقب الصفقة أنّ الوليد أنفق 115 مليون دولار في شراء 6,23 مليون سهم، ما منحه 5 بالمئة من أبل كمبيوترز- رغم أنّ الأمير لم يتحدّث حتى الآن صراحة بشكل علنيّ عن النسبة المئويّة التي يمتلكها من الشركة. أنجزت صفقته الأوليّة في العام 1997 عندما هبط سعر السهم إلى نحو 18 دولاراً مقابل 50 دولاراً في أواسط العام 1995. وفي كانون الأول/ديسمبر 1999، كان لدى الأمير كل الأسباب التي تجعله يبتسم كلما قرأ الصحف وشاهد أنّ سعر سهم أبل كمبيوترز وصل إلى 96 دولاراً. أفلا يكون ربح 500 مليون دولار في 30 شهراً فقط كافياً لأن يجعل أيّاً كان يبتسم؟

امتدح إليسون لاحقاً الأمير على قراره الذكيّ بشراء 5 بالمئة من أبل كمبيوترز في العام 1997، مشيراً إلى أنّه هو نفسه فكّر في الشراء للسيطرة على الشركة واتخذ قراراً ضدّ ذلك. وانتهى الأمر إلى أن أصبح الأمير أكبر مساهم في شركة أبل كمبيوترز.

وعلى جبهة وسائل الإعلام، في السنة نفسها، استهدف الأمير اسماً كبيراً آخر كان يجري أبحاثاً عنه ويراقبه عن كثب.

كانت إمبراطوريّة روبرت مردوخ الإعلاميّة، نيوز كوربوريشن (News Corporation)، تكافح في ذلك الوقت بعد بداية سيئة في أوائل التسعينيّات، وسعى الوليد للشراء في ما يصفها بأنّها، "المؤسّسة الإعلاميّة العالميّة الوحيدة بحق، حيث تمتلك مصالح في كل بلد من بلاد العالم تقريباً" ولا شكّ في أنّ نيوز كورب تغطّي الكثير وتشرف على 800 شركة لإنتاج الأفلام والصحافة والنشر والتلفزيون، بما في ذلك أسماء بارزة مثل هاربر كولينز

(Harper Collins)، وفوكس (FOX)، وسكاي ت في (Sky TV)، وستار تي في (Star TV)، وجريدة التايمز البريطانيّة المحترمة.

أجرى الوليد دراساته واشترى 5 بالمئة من الشركة، دافعاً 400 مليون دولار مقابل أسهم ممتازة محدودة، ما جعله ثالث أكبر مساهم في نيوز كورب، بعد مردوخ وجون مالون، صاحب ليبرتي ميديا (Liberty Media). وقد نشأت علاقة عمل جيّدة بين الأمير ومردوخ، ويشرح رجل الإعلام الأستراليّ المولد طريقة الأمير السعوديّ المباشرة: "إنّنا أصدقاء. ونلتقي معاً مرّتين أو ثلاث في السنة، وهو أنيس المعشر وودود جدّاً في التعبير عن آرائه. أما فيما يتعلّق به كمساهم، فلا يمكن أن يكون أكثر دعماً"

ويشعر مردوخ بالامتنان لأنّ الأمير بقي مع نيوز كورب في السرّاء والضرّاء بعد أن التزم بها: "لا شكّ في أنهّ شاركنا في الصعود والهبوط ثمّ الصعود ثانية و لم يبع أسهمه قطّ"

بل إنّ الأمير عزّز في العام 1999 حصّته في نيوز كورب بمئتي مليون دولار أخرى، ما جعل الإجماليّ يصل إلى 600 مليون دولار. ورغم أنّ إمبراطوريّة مردوخ الإعلاميّة تضمّ شركات كبيرة في الولايات المتحدة، مثل فوكس تي في (FOX TV)، إلا أنّ الأمير نأى بنفسه عن أي استثمارات مباشرة في سوق الإعلام الأمريكيّة. وقد برّر ذلك بأنّ الأسعار مرتفعة جدّاً، لكن كان لديه حدس ما بأنّه غير واثق من كيفيّة استقبال مستثمر عربيّ في صناعة يعاملها الأمريكيّون بحساسيّة شديدة.

انجذب الوليد أيضاً إلى اسمين تجاريّين آخرين في قطاع التكنولوجيا مرّا ببعض الصعود والهبوط، وكان على الأمير أن يصمد فيهما ليعرف عائداتهما الحقيقيّة.

فقد اشترى في تشرين الثاني/نوفمبر 1997 أقل من واحد بالمئة من شركة عملاقة لصناعة النظم الإلكترونيّة وأجهزة الهاتف الخلوية، موتورولا (Motorola)، بتكلفة 287 مليون دولار، وسلكت هذه الصفقة طريقاً متذبذباً في السنتين الماضيتين. اشترى السهم بسعر 76 دولاراً، وراقبه يتدنّى إلى 38 دولاراً في الأشهر الأحد عشر التالية، ثمّ يرتفع ثانية إلى 90 دولاراً في السنة التالية، مما جعله يربح 82

مليون دولار ويمتلك حصّة مقدارها 538 مليـــون دولار في شـــركة الاتصـــالات اللاسلكيّة. وفي وقت لاحق، تلقّت موتورولا بعض الضربات جعلت الأمير يصـــل إلى حدّ التعادل بدون ربح أو خسارة في العام 2004، وفقاً لمستشاريه الماليّين.

تذبذب أداء سهم نتسكيب صعوداً وهبوطاً بعد أن اشترى الوليد 5 بالمئة منها في الشهر نفسه. فقد أنفق 146 مليون دولار مقابل شراء أربعة ملايين ســـهم في شركة الإنترنت، بعد أن بدأ بالهبوط إلى أنّ تدخّلت شركة إنترنت أخرى. فعندما أعلنت أمريكا أون لاين (America On Line) بعد ذلك بسنة عن عزمها شـــراء نتسكيب ارتفع سعر السهم ثانية في تشرين الثاني/نوفمبر 1998. وجاءت الخطـــوة التالية في مصيرها في كانون الثاني/يناير 2001، عندما تمّت الموافقة على الانـــدماج بين أمريكا أون لاين وعملاق الإعلام، تايم ورنر (Time Warner). وقد أنجزت تلك الصفقة التي أنشأت أكبر شركة إعلامية في العالم على الإنترنت، تدعى أمريكا أون لاين تايم ورنر، في ربيع 1999، وتمّت مبادلة حيازة الأمير في نتســكيب مقابــل أربعة ملايين سهم في أمريكا أون لاين تايم ورنر، وارتفعت قيمتها إلى 600 مليون دولار.

رفع الأمير ذلك الاستثمار في العـــامين 2001 و2002، بمبلـــغ 540 مليـــون دولار، ما رفع حصّته الإجماليّة في الشركة إلى أكثر من مليار دولار.

2. الاستثمارات الدوليّة غير الأساسيّة

يعترف الأمير أنّه ارتكب بضعة أخطاء – بل "خطايا" إذا استخدمنا كلمته – في صفقاته الدوليّة، رغم أنّه يشدّد بشكل دفاعيّ على أنّها لم تؤثّر عليـــه نهائيّـــاً فخسارة الأمير مئة مليون دولار خسارة كبيرة جدّاً، لكنّها لا تمثّل سوى أقل مـــن نصف بالمئة بالنسبة لثروته التي تفوق 20 مليار دولار.

غير أنّ الخطر الذي يتأتّى من الاستثمارات التي تحظى بدعاية كبيرة هو أنهـــا تحظى باهتمام كبير سواء نجحت أم فشلت، ووسائل الإعلام التي تركّز عادة علـــى الجوانب السلبيّة، تنجذب دائماً نحو الإخفاقات وتمنحها تغطية لا تتناســـب مـــع حجمها.

كان هناك استثماران مما يسمّيه الأمير استثمارات "غير أساسـيّة" في كـل محفظته الاستثماريّة. أحد هذين الاستثمارين لم يصل بعد في الواقع إلى خاتمته، لكنّه فاجأ وول ستريت في ذلك الوقت لأنّه بدا مجازفة في رأي بعض الخـبراء الـذين اعتقدوا أنّه محكوم بالفشل.

كان الأمير يدرس بعناية الشركات الممتازة التي تكافح في الولايات المتحـدة وأوروبا أثناء بداية التسعينيّات، في أعقاب صفقة سيتي كورب، ووجد اسماً أمريكياً آخر بحاجة إلى المساعدة، لكنّه كان هذه المرّة بعيداً عن شواطئ الولايات المتحدة.

عالم ديزني الرائع

كان ميكي ماوس يمرّ في أزمة – أو على الأقل نظيره الفرنسيّ.

بعد الافتتاح الكبير في نيسان/أبريل 1992، أخذت حديقة ملاهي يورو ديزني في فال – دو – مارن، المتاخمة لباريس تكافح من أجل البقاء. كان مشروع منتجع ديزني الطموح يتكوّن من سبعة فنادق تضمّ 5000 غرفة. وقد أحضر مصـمّمون عالميّون لإضافة لمساتهم الأنيقة، مثل مايكل غريفز، وروبرت ستيرن، وحتى فرانك غيري، الذي صمّم قرية التسلية في الحديقة. انطلقت يورو ديزني وزارها في العـام الأول 10 ملايين زائر، وهو عدد جيّد نسبيّاً، لكنّها وقعت تحت أعباء ديون ثقيلة فيما بدأ الركود يضرب أوروبا. وفي صيف العام 1994، لم تكن شمـس بـاريس وحدها هي التي جعلت المدراء الكبار في يورو ديزني يتصبّبون عرقاً. فقد كانـت يورو ديزني مدينة بثلاثة مليارات دولار، وبدلاً من الحشود التي تحتـاج إليهـا، لم يتدفّق سوى الانتقاد. ودفاعاً عن النفس، قدّمت الشركة مجموعة من أسباب هـذا الفشل البيّن لحديقة الملاهي، وهي تتراوح بين الركود الذي حل في أوروبا ومعاداة الأمريكيّة في فرنسا. ويعتقد العديدون أنّ اللائمة تقع على موقعها حيث شـيدت على بعد 32 كلم شرق باريس.

جاءت فكرة إنشاء حديقة ملاه في أوروبا بعد نجاح إطلاق مشروع مماثل في طوكيو في العام 1983، لكن حدث في البداية بعض الالتباس بشأن موقعها. كانت إسبانيا بمناخها الدافئ والمتّسق تخضع للدراسة، لكنّ الفرنسيّين حرصاً منهم علـى

تأمين العدد الكبير من الوظائف التي سيستحدثها مثل هذا الاستثمار، قدّموا ما أمكن من شروط مواتية للفوز بالمشروع. فقد بيعت الأرض التي تضمّ الموقع وتبلغ مساحتها نحو 4400 فدان بسعر مغرٍ، وقدّمت قروضاً بفوائد ميسّرة، واتفق على توسيع خطّ قطار مترو باريس لكي يصل إلى الموقع.

غير أنّ العديدين في أوروبا شعروا أنّ المديرين الأمريكيّين الجالسين في مقرّ ديزني في بروبانك، بولاية كاليفورنيا، أساؤوا الحكم تماماً على سوقهم. أولاً، الفرنسيّون ومعظم الأوروبيّين الذي يمضون إجازاتهم يحبّون فترات الغداء الطويلة، التي تمتدّ في الغالب إلى ساعتين، لا خدمة المطاعم السريعة الفعّالة التي تعمل في معظم حدائق الملاهي في الولايات المتحدة. لم تكن مطاعم يورو ديزني مستعدّة للازدحام، فترك للموظّفين المرتبكين أمر تولّي الأعداد الكبيرة من الناس المحبطين والغاضبين. ثانياً، قد يكون عدم تناول الكحول وقت الغداء مقبولاً بالنسبة للأمريكيّين، لكنّ حظر تناول الخمر داخل الحديقة كان بمثابة خطأ كبير بالنسبة للفرنسيّين، صغاراً وكباراً، الذين يستمتعون بالقليل منه مع الغداء.

وخوفاً من أن تكون هذه التجربة غير السارّة بالانتظار في فال – دو – مارن، فضّلت الغالبيّة عدم الابتعاد عن مقاهي الشوارع العصريّة في باريس.

كان أمير الصحراء منشغلاً في موقعه بالصحراء، بعيداً جدّاً عن أضواء الشانزيليزيه في التخطيط لخطوته التالية. ففي مخيّمه الصحراويّ على الرمال خارج الرياض، كان الوليد منهمكاً في تفكير عميق. ففي نهاية العام 1993، تحادث ستيف نوريس، وهو أحد المتموّلين في وول ستريت الذين عملوا على صفقة سيتي كورب، مع الأمير وظهر في أثناء ذلك اسم تجاريّ استرعى انتباهه. فقد التقى نوريس مع الرئيس الماليّ للشركة الأمريكيّة العملاقة، ريتشارد نانيولا، وكان يحاول الربط بين الأموال الاستثماريّة للأمير واحتياجات ديزني. نظر الوليد في الأمر وبدا أنّ كل الظروف المحيطة بهذا الاستثمار ملائمة، لذا في نهاية ربيع 1994، استدعى أقرب مستشاري أعماله في ذلك الوقت، مصطفى الحجيلان، وأبلغه أنّه درس موقف يورو ديزني بعناية وأنّه لا يرى وجود مشاكل كبيرة لا يمكن حلّها: "لم تكن المشاكل دائمة. الأمر لا يتعلّق بأنّ الناس

يكرهون باريس أو الطقس أو ديزني. بل المشكلة هي فرط الاقتراض. فهـــم لا يملكون ما يكفي لتغطية الدين"

بالإضافة إلى ذلك، كان بإمكان الوليد أن يرى مستقبلاً إيجابيّاً ليورو ديـــزني لعدد من الأسباب. أولاً، كان النفق الأوروبيّ يوشك على الافتتاح، وهو يعتقد أنّ ذلك سيشجّع تدفّق البريطانيين الذين يمضون إجازاتهم على عبور القناة لزيارة موقع جذب يماثل إلى حدٍّ ما الموقع الذي أحبّوه كثيراً في الولايات المتحدة، لكنّه أقـــرب بكثير. ثانياً، كانت خدمة القطارات الفرنسيّة تتوقّف الآن خارج يـــورو ديـــزني بالضبط، وثالثاً، أخذت الفنادق تخفّض أسعارها كحافز للنـــزلاء.

طلب الأمير من الحجيلان مواصلة العمل على صفقة شراء كبيرة محتملة، وفي حزيران/يونيو، بدأت المفاوضات. ويقول الحجيلان إنّها كانت أصـــعب وأعقـــد صفقة يشارك في صناعتها. فبعد 16 يوماً من المناقشات الحامية، تمكّن الأمير مـــن تأمين اتفاق محكم يضمّ عدداً من التسويات من جانب يورو ديزني وشركة والـــت ديزني الأمّ في الولايات المتحدة. وكانت ديزني قد أنفقت في الأصل 100 مليـــون دولار مقابل 49 بالمئة من الشركة الجديدة المدرجة في البورصة – لكنّها خفّضـــت إلى 39 بالمئة بعد الصفقة – وحصلت على ترتيب معقّد يضمن لها دخلاً منتظمـــاً من خلال دفعات حقوق الملكيّة ورسوم إدارة تشغيل حديقة الملاهي.

استغلّ الأمير وفريقه موقف يورو ديزني اليائس وتمكّنوا من دفع البنـــوك إلى التخلّي عن مدفوعات الفوائد حتى سنة 1997، ربما يساوي ذلـــك 500 مليـــون دولار بحدّ ذاته، وأقنع ديزني بشطب 70 مليون دولار سنوياً من حقـــوق الملكيّـــة والرسوم حتى سنة 1999 على الأقلّ.

تمّ ترتيب مكالمة هاتفيّة عبر الأقمار الاصطناعيّة بين رئيس ديـــزني الصـــلب، مايكل إيسنر، في كاليفورنيا، والأمير الجالس قرب النار تحت سماء الصحراء. وقـــد وصفت المكالمة بأنّها بدأت بداية غير متقنة لأنّ الاتصال انقطع عدّة مـــرّات، وإلى حدّ ما لأنّ إيسنر لم يستطع أن يتقبّل لماذا يجب عليه اتباع البروتوكول الذي يقضي بمناداة الأمير بلقب "صاحب السمّو الملكيّ"، فهو ليس تعبيراً يـــتعين اســـتخدامه بشكل منتظم في بوربانك بولاية كاليفورنيا.

و لم يمضِ وقت طويل على التعديلات النهائيّة حتى اشترى الوليد حصّة مقدارها 24 بالمئة في يورو ديزني بمبلغ 345 مليون دولار.

نشرت وسائل الإعلام كل العناوين المعتادة على الصفحات الأولى، ومعظمها أشار إلى الوليد باعتباره "أميراً في رواية" يقوم بإنقاذ يورو ديزني التي كانت على وشك الإفلاس، على طريقة "حكايات الخيال"

كان الأمير بصرف النظر عن "حكايات الخيال" يتحدّث عن النجاح الكبير الذي ستصيبه الصفقة: "كل مستثمر يشترك بـ 10 فرنكات اليوم (1.8 دولار في ذلك الوقت) سيسرّ كثيراً بعد ثلاث أو خمس سنوات"، وأعلن عن ثقته في المضاربة على الصعود. كان الأمير ينظر إلى المدى البعيد كالمعتاد.

أجرت ديزني بعض التنازلات الثقافية. فقد تمّ تغيير أعلى قلعة "الجميلة النائمة"، العلامة البارزة لحدائق ملاهي ديزني، بحيث يشبه التصميم الفرنسي في القرن الخامس عشر، بدلاً من المظهر البافاريّ المستخدم في الولايات المتحدة. كما سُمح للفرنسيّين الآن بالتأمّل بمثل هذه المتع الثقافيّة وهم يحملون كأساً من النبيذ. لم يسترضِ ذلك كل النقاد، فأشارت إحدى الصحف التي تخشى من تغلغل النفوذ الأمريكيّ، إلى يورو ديزني بأنّها "تشيرنوبيل ثقافيّة"، في حين لقّبتها مجلّة بريطانيّة ساخرة باسم "يورو درينكي" لسماحها بتقديم الكحول.

أما بالنسبة لديزني، فقد بدا أنّ الأمور أخذت تنقلب، وعن طريق الإدارة المتشدّدة، والتسويق الجديد، وأسعار التذاكر المخفّضة، وتجهيز قاعات الطعام بشكل أفضل، تمكّنت الشركة من إظهار أول أرباحها في الربع الماليّ الثاني من العام 1995، وضاعف الوليد استثماره. وفي أواخر التسعينيّات، أصبحت حديقة الملاهي أكثر أماكن الجذب السياحيّ شهرة في أوروبا، وأعيدت تسميتها لتصبح ديزني لاند ريزورت باريس (Disneyland Resort Paris). تشجّعت الشركة الأمريكيّة العملاقة وقرّرت بناء حديقة ثانية خارج باريس، استناداً إلى النجاح الذي شهدته استراتيجيّة حدائق الملاهي المتعدّدة في الولايات المتحدة. وكان الأمل يحدوها بأن يقيم الزوّار مدّة أطول ويأكلون أكثر وينفقون مزيداً من الأموال.

افتُتحت استوديوهات والت ديزني في يورو ديزني في آذار/مارس 2002، بعد

ستّة أشهر فقط على وقوع هجمات 11 أيلول/سبتمبر الإرهابيّة. ووسط قلق الجميع وخوفهم، عادت إلى المربّع الأول - لا سيما المشكلة الخطيرة للنقص في عدد الزائرين. هذه المرّة ألقت ديزني باللائمة على عوامل أخرى، بما فيها الإضراب العمّاليّ في فرنسا الذي أدّى إلى مشاكل حادّة في المواصلات نتيجة لإضراب العمّال، ثمّ ظروف الطقس الشديدة التي جعلت التخطيط للرحلات مزعجاً ولا يمكن التوقع به. وبالإضافة إلى ذلك، لم يكن الافتتاح بعد مرور وقت طويل على تلاشي الحركة من آسيا بسبب الخوف من مرض سارس (المتلازمة التنفسيّة الحادّة الوخيمة) وتراجع سفر الأمريكيّين والشرق أوسطيّين بسبب الحرب في العراق. ويقول الذين يراقبون الوضع عن كثب إنّ المشروع الثاني كان مفرط التسعير. صحيح أنّ تكلفة التذاكر واحدة في الحديقتين، لكن بدلاً من 45 نقطة جذب يزورها المشتري، كان هناك 8 معالم رئيسيّة فقط في استديوهات والت ديزني.

في العام 2004، تدهور وضع الشركة ثانية. وبعد مرور عقد كامل على عمليّة الإنقاذ الأولى في العام 1994، وتناقص الحصّة التي يملكها الوليد الآن إلى 17 بالمئة من الشركة، لا تزال يورو ديزني تكافح لخدمة الديون التي تزيد على الملياري دولار. وقد شهدت ارتفاعاً عارضاً في الزوّار، وسجّل الرقم القياسيّ البالغ 13.1 مليون زائر في العام 2002، لكنّها تحتاج إلى ما يقرب من 16 مليون زائر، ولا يبدو أنّ أرقام الزوّار في ارتفاع.

يبدو أنّ المقالات التي تنتقد إخلاص الأمير العنيد للمشروع لا تدرك لماذا يتمسّك به. لكنّه يقول: "إنّ يورو ديزني استثمار يستحقّ هذا العناء وأكثر. إنّه مكان الجذب الأول للسيّاح - لا في فرنسا فحسب وإنّما في أوروبا أيضاً. يقصده نحو 13 مليون سائح سنويّاً، وهو تطوّر سابق جدّاً لعصره. من الواضح أنّ هناك مشكلة في هيكل رأس المال لأنّه يعاني من ارتفاع ديونه. يورو ديزني قوّة يعتدّ بها، وهو لم يشهد أفضل أيامه بعد"

أما مايكل إيسنر، رئيس ديزني منذ مدّة طويلة، والرجل الذي خاض كفاحاً للسيطرة على الشركة الأم، فإنّه يشعر بالامتنان لدعم الأمير: "لقد كان مخلصاً بشكل مدهش، وهو لم يكتف بقول ذلك لي فحسب، بل قاله أمام الصحافة"

عندما تبيّن أنّ هذا الاستثمار من أكثر استثماراته إثارة للتساؤلات، وفقاً للصحافة على الأقل، تطلّع الأمير إلى مزيد من الدعم والتوجيه من الشركة الأمّ في بوربانك بولاية كاليفورنيا. فقد استثمر الوليد الوقت في بناء أواصر العلاقة مع الرئيس التنفيذيّ لديزني على مدى السنين التي انقضت منذ ضخّ الاستثمار الأول. ومع أنّ الرجلين صريحان – غالباً ما يوصف إيسنر بأنّه قاس وديكتاتوريّ – ألا أنّهما يتواصلان بطريقة وديّة. بل إنّ الأمير أثبت أنّه مصدر مفيد لإيسنر عند نهاية القرن الماضي، عندما كان هناك مشكلة توشك أن تقع بشأن تصميم جناح للعرض في أحد حدائق ملاهي ديزني في الولايات المتحدة: "لم ألتقِ به كثيراً، ويمكنني القول إنّ أكثر الأمور إثارة للاهتمام هي النصيحة التلقائيّة التي قدّمها بشأن هذا الجناح الذي كنّا نقيمه في فلوريدا. ربما لم يكن هذا الجناح حسّاساً تماماً لشعور العالم العربيّ، وربّما لم يكن حساساً تماماً للإسرائيليّين، لكن كان لدينا مشكلة دبلوماسيّة صغرى في هذا المسألة. كان مسعفاً ومفيداً جدّاً. فسرعان ما اتصل بي وقال، 'دعني أشرح لك ما الذي عليك أن تفعله،' ثم أوضح لي ما كان ضروريّاً"

وفقاً لبعض التقارير، تعرّض الوليد لضغوط من أجل التدخّل واستخدام صلاته في قمّة إمبراطوريّة ديزني لمحاولة إدخال تغيير على الجناح، لأنّه كان سيعرض القدس كعاصمة لإسرائيل، وهو ما أثار خوف العرب. بل إنّ القضيّة وصلت إلى جامعة الدول العربيّة التي دعت إلى اجتماع في الأمم المتحدة لبحث مقاطعة ديزني. وقال الوليد إنّ إيسنر طمأنه بأنّ ديزني "لا دين" لها، وأنّه مرّر تلك الرسالة إلى الزعيم الفلسطينيّ ياسر عرفات، مضيفاً بأنّ أي مقاطعة عربيّة لديزني سينظر إليها بمثابة "ميكي ماوس (تافهة). ويقول الأمير إنّ عرفات طلب منه التدخّل شخصيّاً لحلّ المشكلة، لذا اتصل بعدد من الشخصيّات الكبيرة في المنطقة، بمن فيهم الأمين العامّ للجامعة العربيّة، ووزير خارجيّة مصر، لشرح الموقف ثمّ بدّد التوتّر القائم"

ودعم الأمير إيسنر أيضاً في كانون الثاني/يناير 2004، عندما تورّط في صراع للسيطرة على الشركة التي يرأسها منذ عقدين. فقد استقال روي ديزني، حفيد مؤسّس الشركة، والت ديزني، من مجلس الإدارة بعدما اختلف مع إيسنر، الذي يجمع بين منصبي رئيس مجلس الإدارة والمدير التنفيذيّ. وشنّ عضو مجلس الإدارة

السابق حملة تشكّك في مقدرة إيسنر وحاول إزاحته عن منصبه.

"إنّني صديق وحليف لإيسنر، ولست روي ديزني"، صاح الأمير على الهاتف في وجه مراسل صحافيّ تعقّبه أثناء إجازته في جاكسون هول، وايومنغ، في الولايات المتحدة، في الشهر الأول من العام 2004.

وفي المعركة التي تلت في مجلس الإدارة، فقد إيسنر رئاسة مجلس الإدارة في آذار/مارس، لكنّه احتفظ بمنصبه كمدير تنفيذي، ليعلن في أيلول/سبتمبر 2004 أنّه سيتخلّى عن منصب الرئيس التنفيذيّ عند انتهاء عقده في سنة 2006.

مع نهاية العام 2004، كان مستقبل يورو ديزني لا يزال معلّقاً في الميزان. فكّر الأمير في عدد من الاحتمالات لإحياء نجاحها وإعادة الازدهار إليها. كان إنقاذ الشركة بضخّ مزيد من الأموال محتملاً، لكنّ الأمير يتطلّع إلى دعم من مستثمرين آخرين، وربما من الحكومة الفرنسيّة، التي يتعيّن عليها المشاركة، حتى بصورة غير مباشرة، من أجل عدم إغضاب الجمهور الفرنسيّ بشأن استخدام أي من أموال الضرائب. ومن الخيارات الأفضل أمام الوليد التفكير في شراء بعض فنادق ديزني الفرنسيّة بحسم كبير. فذلك يمكن أن يعطيه بعض الملكيّات الفخمة التي تتلاءم بشكل ممتاز مع محفظته الاستثماريّة في الفنادق، ويتيح له الفرصة لإحضار فور سيزنز وفيرمونت إلى ديزني ريزورت - وهو احتمال بدأ يناقشه مع فريقه الفندقيّ.

خلال تلك السنوات العشر، تراجعت قيمة الاستثمار بنحو الثلث، لكنّ تفاؤله لا يزال على مستواه. وهو ينظر إلى الأمر على النحو التالي، "واجهنا الأزمة الأولى، وعلينا الآن أن نواجه الأزمة الثانية"

اختبار الصفقات

عقد الأمير الوليد بعض الصفقات التي حظيت بدعاية كبيرة في أواخر التسعينيّات لكن لم يكن لها تأثير كبير عليه من الناحية الماليّة.

قفز منحنى تعلّم الأمير في نيسان/أبريل 1997 عندما اتخذ في ذلك الشهر قراراً سبّب له إزعاجاً لعدّة سنوات تالية، رغم النجاحات التي حقّقها في العديد من المجالات الأخرى.

أنفق الوليد 57 مليون دولار للحصول على حصّة تبلغ 4 بالمئة من سلسلة مطاعم بلانيت هوليود المرتبطة بنجوم الأفلام السينمائيّة أرنولد شوارتزينغر، وسيلفستر ستالون، وبروس ويليس. وعندما هوى السهم، قدّم الأمير التزاماً آخر بعد ثمانية عشر شهراً، في تشرين الثاني/نوفمبر 1998، قام بشراء 16 بالمئة من الشركة مقابل 45 مليون دولار، ثمّ عندما صرحت الشركة أنّها بحاجة إلى مزيد من المال لإعادة الهيكلة في آب/أغسطس 1999، امتدّت يده إلى جيبه ثانية، و لم تكد تمضي بضعة أشهر حتى تقدّمت الشركة بطلب إشهار إفلاسها، عند حلول عيد الميلاد. لا شكّ في أنّ نجم بلانيت هوليود قد خبا وكلّف ذلك الوليد نحو 80 مليون دولار من مجمل المبلغ الذي استثمره للحصول على حصّة 20 بالمئة، بقيمة 112 مليون دولار.

يقول الوليد إنّه وقف إلى جانب الشركة لأنّه آمن بها، ووصفها بأنّها اسم تجاريّ ممتاز يمتلك إمكانات كبيرة، وأمامه العديد من الأسواق غير المستغلّة التي يمكن استكشافها. لقد كانت بلانيت هوليود استثماراً منخفض التكلفة نسبيّاً بالنسبة إليه، لكنّه حظي بتغطية عالميّة حرصت وسائل الإعلام على استغلالها.

وعند نهاية القرن الماضي، أدرجت موسوعة غينس للأرقام القياسيّة العالميّة لعام 2000 الأمير الوليد باعتباره "أغنى رجل أعمال في آسيا"

لم يكن ذلك سيّئاً بالنسبة لرجل في الخامسة والأربعين.

كانت تلك آخر مرّة ينفق فيها مقداراً كبيراً من المال للاستثمار في منطقة غير مجرّبة إلى حدّ كبير.

أنفق الأمير ما يقرب من ملياري دولار على مجموعة من أسهم "الاقتصاد القديم" و"الاقتصاد الجديد"، بما في ذلك وورلد كوم (WorldCom) وبرايس لاين دوت كوم (Priceline.com) من جهة، وكوكا كولا وفورد موتور كومباني من جهة أخرى. لقد كانت سلّة مختلطة تضمّ بعض الشركات الشهيرة التي لديها سجلّات متينة، وبعض النجوم اللامعة في سماء فورة الإنترنت. وكانت النتائج مختلطة أيضاً.

يعتقد الوليد أنّ هذا الفيض من الاستثمارات هو بمثابة "علّة ألفيّـة"، حيـث ابتعد بالفعل عن استراتيجيّته المعتادة الصلبة للاستثمار على المدى الطويل. ربما كان هناك عنصر يدعوه إلى عدم تفويت فورة الدوت كوم، وهو ما يفسّر لماذا وضـع جانباً أبحاثه وتحرّياته المفصّلة قبل الالتزام بأمواله.

كانت هذه الاستثمارات صغيرة جدّاً بالنسبة لرجل تزيد محفظته الاستثماريّة على 20 مليار دولار. ومع مرور الوقت ربح في بعض الاستثمارات وخسـر في استثمارات أخرى، لكنّه تعلّم بضعة دروس في أثناء ذلك.

تسديد الدين

رغم أنّ مجموعة شركات الوليد المتنوّعة تضمّ الآن استثمارات فعليّة في كـل أنحاء العالم، إلا أنّه لم يركّز حقّاً على شرق آسيا حتى 1998.

تغيّر ذلك عندما توجّه إلى الأسواق الآسيويّة في مهمّة استثماريّة، بعـدما تعرّضت تلك المنطقة لأزمة ماليّة. وفي حين كان الجميع يخرجـون أمـوالهم مـن المنطقة، وكانت الأسهم تتراجع بسرعة، والعملات تنهار، توجّه الأمير في اتجـاه معاكس لاتجاه المستثمرين المذعورين، معلناً عن استثماره الأول في سلسـلة مـن الاستثمارات التي ستلي في تلك المنطقة، لأنّ ثقته بها كبيرة.

هناك شيء في القصّة لا يعرفه الناس.

كان الأمير متلهّفاً للاستثمار في كوريا على وجه الخصوص لأسباب ترجـع إلى بداية سيرته في عالم الأعمال في أوائل الثمانينيّات.

عندما عاد الوليد إلى الرياض بعد إنهاء دراسته في الولايات المتحدة، كان في الواقع لاعباً مغموراً يحاول تأمين عقود أعمـال. وكـان الكوريّـون أوّل من أعطاه الفرصـة عنـدما أخـذوا يتطلّعـون إلى مشـروع إنشـائيّ في العاصمة السعوديّة. وعندما منحه المقاولون الكوريّون الفرصة ليثبـت نفسـه كهمزة وصل متحمّس ويتمتّع بالكفاءة، كانوا في واقع الحال يصادقون علـى قدرات الوليد.

وفيما كانت آسيا تكافح أثناء أزمتها الماليّة في عامي ١٩٩٧ و١٩٩٨، تعرّضت

كوريا لمشكلة خطيرة، وأدرك الأمير أنّ بوسعه أن يظهر علناً أنّ لديه الثقة في كوريا عن طريق القيام ببعض الاستثمارات التي تحظى باهتمام كبير هناك وفي أماكن أخرى من آسيا.

بدأ في أوائل تشرين الأول/أكتوبر بإنفاق 50 مليون دولار لشراء سندات قابلة للتحويل في مجموعة دايوو (Daewoo)، مؤمّناً لنفسه 5.9 بالمئة من الشركة الكوريّة المصنّعة للسيّارات فيما كان الاقتصاد الكوريّ يكافح للخروج من أزمته. ورُفعت تلك الحصّة ليصل مجموعها إلى 18 بالمئة عندما تعهّد بدفع 100 مليون دولار أخرى.

وشهد تشرين الثاني/نوفمبر إنفاق 46 مليون دولار للحصول على حصّة مقدارها 3 بالمئة في شركة صناعة السيّارات الماليزيّة، بيروسهان أوتوموبيل ناسيونال - بروتون (Perusahaan Otomobile Nasional-Proton)، وفي وقت متأخّر من كانون الأول/ديسمبر، اشترى 3 بالمئة من شركة هوتيل بربرتيز ليمتد (Hotel Properties Ltd)، وهي شركة عقاريّة سنغافوريّة يسيطر عليها رجل أعمال محليّ يدعى أونغ بنغ سنغ، وكان أيضاً مساهماً في بلانيت هوليود.

وبعد شهرين، استثمر 50 مليون دولار لشراء سندات قابلة للتحويل في شركة هيونداي موتورز (Hyundai Motors).

في هذا الوقت، ثار فضول عالم الأعمال تجاه الموقف الذي اتخذه الأمير من الاستثمار في آسيا. وكانوا بانتظار أن يثبت أنّه مستثمر استراتيجيّ يتمتّع برؤية ثاقبة، أو يكتوي بنيران الإخفاق.

كان من الواضح أنّ الوليد استثمر في كوريا والاقتصادات الآسيويّة الأخرى لاعتقاده الراسخ بأنّها ستستعيد عافيتها، وهو ما تحقّق فعلاً.

ووفقاً للأمير، أثبتت استثماراته في سنة 2004 أنّها مشروع رابح لا خاسر. لم تكن تهافتاً على "الذهب في الشرق" كما توقّع البعض، لكنّها لم تترك آثاراً واضحة على حساب الوليد المصرفيّ. ويقول الوليد بطريقة فلسفيّة، إنّه حقّق هدفه في كلا الحالين، حقّق هدفه في ردّ الجميل إلى الكوريّين... وهو دين كان عليه أنّ يوفّيه.

صفقات غير مناسبة

بحث الوليد عدّة سنوات عن صفقة كبيرة في قطاع التكنولوجيا. وفي نيسان/أبريل 1998، وسط كثير من الضوضاء التي أثارتها وسائل الإعلام، استثمر الوليد 200 مليون دولار للحصول على 13.7 بالمئة من تليديسيك (Teledesic)، وهي شركة أسّسها مستثمرون، منهم رائد الهاتف الخلويّ، كريغ ماكّو، وبيل غيتس مؤسّس مايكروسوفت، وعملاق صناعة الفضاء الجويّ بوينغ. وكان الوليد قد اكتشف تليديسيك من خلال مقالة قرأها قبل ذلك ببضعة أشهر في إحدى مجلاّت الأعمال، وفيها تقييم لرئيس الشركة راسل داغات. خمّنت وسائل الإعلام أنّ الوليد تخامره فكرة الاتصال بكل أنحاء العالم، من خلال الهواتف، والتلفزيونات، والإنترنت، والفاكسات وما إلى ذلك، وأنّ هذه "الإنترنت في السماء" كما أسميت، هي الاستثمار المثاليّ بالنسبة إليه. أعلنت تليديسيك أنّها ستقدّم خدمة عالميّة للوصول إلى الإنترنت، وعقد المؤتمرات الفيديويّة، والشبكات الحاسوبيّة من خلال 288 قمراً اصطناعيّاً منخفض المدار. وقبل ذلك بسنة واحدة، دفعت بوينغ 100 مليون دولار للحصول على حصّة تبلغ 10 بالمئة، ما يعني أنّ الوليد يدفع سعراً اسمياً لحصّة تبلغ 43 بالمئة، لكنّه رأى أنّ الأمر يستحقّ ذلك، وسيكون مثاليّاً كخدمة جديدة ومتقدّمة يدخلها إلى الشرق الأوسط.

لم يثق المحلّلون في صناعة الاتصالات بذلك، لكن الوقت كان مبكّراً في هذا المجال الرائد، والوليد راغب في دخوله. ومن المؤسف بالنسبة للوليد أنّ المحلّلين كانوا محقّين و لم تنجح تلك الصناعة الرائدة بأكملها.

أثبتت الاستثمارات في وسائل الإعلام نجاحها بالنسبة للوليد، لا سيما في حالة نيوز كورب، لكنّه تجنّب الاستثمار المباشر في سوق وسائل الإعلام الأمريكيّة، ويرجع ذلك إلى حدّ كبير إلى اعتقاده بأنّ الأسعار جدّ مرتفعة.

وبدلاً من ذلك، ساعد الأمير في نهاية سنة 1999 في التوسّط لمشروع مشترك يهدف إلى إنشاء أول شبكة تلفزيونيّة أوروبيّة. وبامتلاكه حصّة تبلغ 3 بالمئة في شركة ميديا ست التي يمتلكها سيلفيو بيرلوسكوني وحصّة كبيرة في نيوز كورب، وافق على شراء 3.19 بالمئة من كيرش ميديا (Kirchmedia) مقابل 200 مليون

دولار. وقابلتها ميديا ست بحصّة أكبر وعزّزها نيوز كورب باستثمار أكبر من سابقيه.

انضمّت ميديا ست، شركة التلفزيون التجاريّة الأولى في إيطاليا إلى الشركة الإعلاميّة الثانية في ألمانيا، التي يمتلكها القطب البافاري ليو كيرش، لجمع أصول تفوق المليار دولار.

كان ذلك زواجاً مشؤوماً، إذ لم تمضِ سنتان حتى أجبر ليو كيرش على إعلان إفلاس كيرش ميديا التي استثمر فيها الأمير، في نيسان/أبريل 2002. وبعد شهر انهار تلفزيون كيرش باي تي في (Pay TV)، بُعيد أن شارك فيه الأمير بمبلغ 150 مليون دولار أخرى أو نحو ذلك لشراء 3.3 بالمئة من أسهمه.

لكن لم تكن كلّ الاستثمارات غير الأساسيّة فاشلة.

فقد وعد الأمير بالاستثمار في إفريقيا، ووفى بوعده في العام 1998.

صرف بعض الوقت للقيام بجولة في إفريقيا جنوب الصحراء، واقترح استثمار 500 مليون دولار هناك على فترة من الزمن. وفي زيارات لاحقة إلى تلك القارّة، واصل الأمير التدقيق بعناية ليعي تماماً ما الذي يعتزم الدخول فيه. فقد وجد أنّ هناك بعض البلدان التي تقدّم فرصاً عظيمة، لكنّ الاستثمار فيها يحتاج إلى الصبر وممارسات أعمال قاسية لكي تنتظم الأمور.

ومن خلال اكتتاب عامّ أوليّ، اشترى حصّة من الأسهم تبلغ 10 بالمئة من مشغّل الاتصالات الوطنيّ في السنغال، سوناتل (Sonatel)، حيث تمتلك شركة فرنسيّة 33 بالمئة من الأسهم.

وأصبح إكوبنك (EcoBank)، وهو مصرف لديه العديد من الفروع في غرب إفريقيا، هدفاً لخطط الوليد الاستثماريّة في القارّة، فاشترى 10 بالمئة من تلك المؤسّسة الماليّة.

وسرعان ما أصبح الأمير أكبر مساهم في مصرف نيجيريان يونايتد بنك فور أفريكا (Nigerian United Bank for Africa) بحصوله على 13.7 بالمئة من أسهمه. وأكمل مصالحه في القطاع الماليّ في إفريقيا بعد عام عندما اشترى 14 بالمئة من سي إيه أل ميرشنت بنك ليمتد (CAL Merchant Bank Limited) في غانا.

وفي العام 2004، بلغ إجماليّ استثماراته هناك 50 مليون دولار، رغم أنّه واصل تبرّعه بأضعاف ذلك المبلغ لغايات خيريّة في عدد من البلدان الإفريقيّة. وكان الوليد في صدد إنشاء شركة إدارة ماليّة إفريقيّة وشركة استثماريّة مشتركة لتوسيع استثماراته في تلك المنطقة.

3. الاستثمارات في السعوديّة

كانت الرياض في أواسط التسعينيّات ولا تزال مدينة مزدهرة. فقد تفوّقت على مدينة جدّة التي كانت محور الأعمال الرئيسيّ في المملكة العربيّة السعوديّة. ورغم أنّ الرياض تبدو نائية وتقع في وسط الصحراء، إلا أنّ مناخها أقلّ رطوبة وأكثر لطفاً حيال سكّانها – الذين بدؤوا بالاستقرار هناك بأعداد كبيرة. ووفقاً للحكومة، ارتفع سكّان المدينة عشرة أضعاف منذ الازدهار النفطيّ قبل 20 عاماً في أواسط السبعينيّات. فقد تطوّر العدد من بضع مئات من الآلاف إلى 3.5 مليون نسمة الآن، وتقدّر الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض بأنّ الرقم سيرتفع أكثر من ثلاثة أضعاف في العشرين سنة القادمة. ولا شكّ في أنّ تواجد العائلة المالكة ضمن لها أن تكون مركز السلطة، وليس فقط العاصمة الرسميّة للمملكة.

بصرف النظر عن جولات الأمير الوليد حول العالم في طائراته الخاصّة التي يمتلكها الآن، فإنّ الرياض هي موطنه، وقد راقبها وهي تنمو وينمو معها.

يفخر الأمير في جعل المملكة وعاصمتها مقرّاً له.

والرياض إلى حدّ ما هي مدينته التي يتواجد فيها كثيراً.

يوجد مقرّ شركته شركة المملكة القابضة فيها، وهي التي تتولّى استثماراته من المقرّ في السعوديّة، وتغطّي في الواقع الأعمال التي يقوم بها في موطنه وفي منطقة الشرق الأوسط.

تدار هذه الاستثمارات بفعّاليّة كمجموعتين فرعيتين – استثمارات خاصّة واستثمارات عامّة. وكلاهما كان ناجحاً جداً بالنسبة للوليد، لا سيّما أنّ السوق السعوديّة تشهد ازدهاراً وطيداً.

وتتركّز الاستثمارات الخاصّة إلى حدّ كبير حول مشاريع شركة المملكة الطموحة التي تحظى بتغطية إعلاميّة كبيرة.

بناء "مملكة"

لعبت الأرض والأعمال الإنشائيّة دوراً بارزاً في تحقيق الوليد للثروة والنفوذ، وهو لا يزال يرى إمكانيّة متاحة للمزيد. فقد لمح قطعة أرض كبيرة غير مطوّرة في منطقة العُليّا، وهي منطقة غير متطوّرة تجاريّاً من المدينة، وتتناثر فيها القليل من الدكاكين الصغيرة التي تبيع أي شيء من الأجهزة الكهربائيّة إلى أدوات الزينة. وعندما فاتح أصحابها بشأن شرائها في نهاية الثمانينيّات، دُهش عند سماعه سعر 6000 ريال (1600 دولار) للمتر المربّع. انصرف الوليد، لكنّه كان دائم البحث عن صفقة مغرية. فأبقاها نصب عينيه، وعندما احتلّت الكويت إثر الغزو العراقيّ في العام 1990، أعاد التفكير في شراء الأرض. كان رأس المال يتدفّق إلى خارج البلد، حيث خشي السعوديّون والوافدون من أن تكون المملكة الهدف التالي للهجوم. فأصبح أصحابها مستعدّين الآن للتخلّي عن الأرض مقابل 2000 ريال (533 دولار). أي ثلث السعر الأصليّ، وكانت الفرصة مواتية للأمير.

ويتذكّر الأمير أنّها "كانت مثاليّة لنا. وكانت مغرية، فاشتريناها"

"إنّني أبحث دائماً عن نقطة ضعف ثمّ أنقضّ لاتمم الصفقة"

وهذا ما فعله بالضبط. وبعد جرف الأرض الخاليّة، قرّر تطوير نصفها، واحتفظ بالباقي للتطوّرات المستقبليّة. وقد باع بعضها في الواقع، عندما حلّق السعر عالياً.

خدمت الأزمة أغراض الأمير، فأمّن صفقة رخيصة، لكنّه عندما يفكّر في ردّ فعل مالكي الأرض يشعر بالحيرة:

"ماذا كانوا يظنّون - أنّ أمريكا لن تتمكّن من هزيمة صدّام"؟!

واستناداً إلى أنّ المملكة صديقة لأمريكا، أقدم على المجازفة المحسوبة للالتزام بالشراء، معتقداً، وهو محقّ في ذلك، أنّ أمريكا ستتخذ إجراء حاسماً خلال فترة وجيزة.

تلك الأرض في منطقة العُليّا هي الآن الأغلى ثمناً في الرياض، وموقع أحد أكثر مشاريع الوليد طموحاً. فهناك انتصب برج المملكة ليعانق السماء على ارتفاع 303 أمتار ويدخل تغييراً على خط الأفق في العاصمة. فالرياض تمتدّ على مساحة

713 ميلاً مربّعاً وتنتشر فيها أبنية غير مرتفعة ذات سطوح منبسطة وألوان بيضاء أو مائلة إلى البياض. وتفرض المدينة قوانين تخطيط محليّة متشدّدة تحدّ ارتفاع المباني بثلاثين طبقة مشغولة، ولا يوجد الكثير من هذه الأبنية هناك. وكان ذلك من شأنه أن يحدّد مصدر فخر الأمير ومتعته بارتفاع 180 متراً فقط.

رفض الوليد أكثر من 100 تصميم تقدّم به معماريّون دوليّون إذ لم يعزف أي منها على الوتر الصحيح بالنسبة له. استبعدها جميعاً وأزال كل النماذج التي أرسلت له، والتي أجبر على تخزينها في ملعب كرة السلة في القصر إذ لم يعد هناك مكان شاغر يستوعبها في مكتبه.

طلب الوليد بعد ذلك من ثلاث شركات متخصّصة في ناطحات السحاب تقديم تصميماتها. وعندما وقعت عيناه على أحدها، وهو المقدّم من الشركة الأمريكية إيليرب بيكيت (Ellerbe Becket)، ضمّ الرسومات إلى صدره وقال، "هذا هو برجي

كان التصميم الأصليّ مكوناً من الحجر والزجاج، لكنّ الأمير أصرّ على أنّ ذلك يمثّل الطراز العربيّ القديم، وأراد شيئاً أكثر تعبيراً عن المستقبل وتطلّعاً إلى الأمام. وألحّ على أن يشيّد بأكمله من الحديد والزجاج. وقد وصف المدير الإداري للشركة، ويليام تشيلتون، الأمير بأنّه يمتلك عيناً ناقدة، لكنّ براعته تجلّت عندما التفّ حول قوانين التخطيط. إذا كان 180 متراً من الطبقات المشغولة هي كل ما يستطيع أن يحصل عليه، فهذا كل ما سيحصل عليه - لكنّ ما تبقّى منه سيكون فارغاً. 120 متراً كاملة.

لذا فإنّ الثلث العلويّ من البرج إطار حديدي فارغ لا يشمل سوى الزجاج العاكس الذي يغلّف المبنى بأكمله. ويبدو الخمس العلويّ شبيهاً بعين الإبرة، أو بفتّاحة القناني بحسب بعض المعلّقين. وثمة "جسر للمشي في قمّة المبنى، يضمّ سطحاً للمراقبة يقدّم مشاهد للرياض لا نظير لها.

عندما كان البناء قيد التشييد في أواخر التسعينيّات، قال الوليد مازحاً إنّه صمّم برجه بفتحة كبيرة تسمح لطائرة بوينغ 727 بأنّ تطير عبرها. وسرعان ما كبتت مثل هذه الاحتمالات بعد 11 أيلول/سبتمبر 2001.

من الصعب ألا نجد تصميم برج المملكة الحائز على جائزة التصميم مدهشاً، ومن حسن طالع من وضع فكرته أنّ معظم الناس يعتبرونه جميلاً جدّاً أيضاً. فهو يلتقط الأضواء بطريقة رائعة تبعاً للوقت أثناء النهار، وغالباً ما يعكس تشكيلات الغيوم كأنماط سرياليّة مرسومة على هيكله. وفي المساء، يكون العقد المضاء بأضواء خافتة حول القسم المشقوق، الذي يعلوه جسر المشي الرفيع، مرئيّاً على بعد أميال، حيث تتبدّل ألوانه وتتغيّر في دورة دائمة.

لا يجد الوليد معلماً أكثر تميّزاً. ففي ضوء النهار الساطع، تبدو الإبرة العريضة المكوّنة من الزجاج والكروم كأنّها قُدّت من الفضاء الخارجيّ وزُرعت هناك. ويدعم تلك الفكرة تقريباً أنّ المبنى الوحيد الآخر المرتفع، برج الفيصليّة، موجود على مقربة منه، ويبدو مثل صاروخ فضائيّ. وإذا ما هبطت كائنات من الفضاء الخارجيّ في منطقة العليّا، فإنّ عليها أن تجتمع مع الأمير الوليد لتتداول معه في صفقات عقاريّة أخرى متوقّعة.

كلّف برج المملكة ومركز المملكة المحيط بقاعدته 1.7 مليار ريال (453 مليون دولار)، لكنّه لم يكن المبنى الوحيد الذي أعلن عنه الوليد في العام 1995.

كان لديه خطط كبرى لتوطيد اسم شركته في المدينة، وكسب الأرباح في أثناء ذلك. وقد أعلن عن أربعة مشاريع في الوقت نفسه تقريباً.

يلعب مركز وبرج المملكة دور المعلم البارز، وهو دون شكّ المبنى الأكثر بروزاً. وقد سمح تصميم مركز التسوّق بوجود طريق مستقلّ للسيدّات تنزل فيه من السيّارات وتركب فيها، مع طريق للنفاذ إلى طابق مخصّص لتسوّق السيدّات في أوقات محدّدة. وكان ذلك ضروريّاً للانسجام مع الحساسيّات الثقافيّة في المملكة حيث من النادر أن يختلط الرجال والنساء في الأماكن العامّة.

شيّدت مستشفى المملكة بتكلفة 400 مليون ريال (107 ملايين دولار)، وهي نموذج عن مستشفى مايو كلينك في الولايات المتحدة وتضمّ بعض أفضل المرافق في البلاد، وتتّسع لمئة وعشرين سريراً في المرحلة الأولى.

أما مدرسة المملكة فهي مشروع كلّف 330 مليون ريال (88 مليون دولار)،

وتنافس أرقى المدارس الخاصّة الثلاث في الرياض، وتخدم احتياجات 4000 طالب لقاء رسم دراسيّ يبلغ 5350 دولاراً في الفصل. وقد دفع خلوّ المناهج الدراسيّة الأهليّة من اللغة الإنكليزيّة والتكنولوجيا الوليد إلى اتخاذ قرار بأن تشدّد هذه المدرسة على هذين الموضوعين. وأشار الوليد أيضاً إلى أنّ مدارس الرياض الخاصّة ترفض طلبات 5000 – 6000 طالب في السنة بسبب عدم وجود شواغر، لذا فإنّ هناك طلباً كبيراً على مشروع مثل مشروعه.

أخيراً، مدينة المملكة، وهي مجمّع سكنيّ بتكلفة 400 مليون ريال (107 ملايين دولار) يبدأ بـ 333 وحدة ذات خصائص عصريّة رفيعة، مع وجود مرافق مركز مجتمع شاملة.

تعلن المخطّطات أنّ الحيازات النسبيّة للأمير هي 32.5 بالمئة في مركز المملكة، و39 بالمئة في مدينة المملكة، و36.4 بالمئة في مستشفى المملكة، و30 بالمئة في مدرسة المملكة.

عندما أعلن عن هذه المشاريع على الملأ في العام 1995، كان الوليد يخطّط بالفعل لكيفيّة جمع أسمائه التجاريّة. على سبيل المثال، أن تكون مدينة المملكة ومدرسة المملكة ومستشفى المملكة قريبة بعضها من بعض لإنشاء ضاحية مصغّرة. وقد أجّرت 65 بالمئة من مدينة المملكة مسبقاً لشركات كبرى مثل بالاست نيدام، وللعاملين أيضاً في مستشفى المملكة. وستكون المدرسة مثاليّة وملائمة للقاطنين في مدينة الرياض، وبخاصّة أنّ بوسعهم تحمّل تكاليف إرسال أبنائهم إليها. وستخدم المستشفى احتياجاتهم أيضاً، حيث لا يمكنهم العلاج في المستشفيات الخاصّة. وفوق كل ذلك، دعيت شركة أبل كمبيوترز لتجهيز المدرسة بالمعدّات. وفي وسط المدينة، كان الأمير يخطّط لإشراك اثنين من أسمائه التجاريّة في مركز المدينة. حيث ستدير فور سيزنز الفندق الموجود في البرج، وستكون ساكس فيفث أفنيو درّة متاجر البيع بالمفرّق الموجودة في مركز التسوّق في الطبقات السفلى المحيطة بالبرج. والتزم البنك السعوديّ المتحد، الذي كان الأمير رئيس مجلس إدارته في ذلك الوقت، بشغل مكاتب في البرج (رغم أنّه عندما انتقل البنك إلى هناك كان قد أصبح البنك السعوديّ الأمريكيّ).

كان الوليد يعمل على أن تتفاعل الشركات التي ساهم بها بعضها مع بعض، كمن يركبّ لعبة صور مقطّعة معاً.

توسيع إمبراطوريّة الأعمال

كانت العقارات ولا تزال مهمّة بالنسبة إلى الوليد، وقد حفزه نموّ محفظته الاستثماريّة في الفنادق إلى هيكلة استراتيجيّته بشكل رسميّ أكثر، في الشرق الأوسط على الأقل.

في آذار/مارس 2002، أنشأ مجموعة المملكة للاستثمارات الفندقيّة، برأسمال قدره 211 مليون دولار، وقائمة من 14 ملكيّة فندقيّة قائمة أو قيد الإنشاء، وتساوي قيمتها جميعاً نحو مليار دولار. وكجزء من خطّة التوسّع، سافر الوليد إلى ليبيا، حيث دخل في شراكة لبدء مجموعة فندقيّة. قدّر رأس المال الابتدائيّ بنحو 20 مليون دولار، وأوّل مشروع على الورق كان إنشاء منتجع موفنبيك في ليبيا. وكان الرئيس القذافي يتطلّع إلى تحسين موقفه الدوليّ ويريد إنهاء عزلته عن الأعمال، والشركات الأجنبيّة، ويريد إتاحة الفرصة بالتالي أمام إمكانات استثماريّة ضخمة في ليبيا.

بدأ اهتمام الوليد بشركة موفنبيك (Movenpick) التي تتخذ من سويسرا مقرّاً لها في تشرين الأول/أكتوبر 1997. فبعد أن اشترى بالفعل في مجموعة فنادق أمريكيّة وكنديّة، وضع الأمير هذه الشركة الأوروبيّة نصب عينيه. كانت موفنبيك تفتقر إلى التركيز، من وجهة نظر الأمير، لكنّها تتوافق تماماً مع خططه للاستثمار في مجموعة مختلفة من أنواع الفنادق. كان يريد اسماً تجاريّاً ينسجم تماماً مع شريحة الخدمة الكاملة، لكنّه لم يكن يريد تكرار حيازاته القائمة أو التنافس معها. فلديه أكبر الأسماء في الفخامة والترف، فور سيزنز، وما يقرب منها فخامة، فيرمونت، لذا قدّم له موفنبيك اسماً تجاريّاً مرناً يمكن أن يتراوح بين ثلاث وخمس نجوم، تبعاً للعقار وموقعه. وبما أنّ الشركة صغيرة ومقدامة، فقد كان من المناسب تماماً أن تتوسّع في الشرق الأوسط وإفريقيا، لأنّ بوسعها دخول مختلف المدن التي تسيطر عليها الأسماء الفاخرة.

قام الأمير بزيارة صاحب أغلبية أسهم السلسلة، البارون فون فينك، في ميونيخ، ألمانيا، وأفيد عن أنّه قال له، "إنّ مجموعتك تراوح مكانها ولا تتقدّم"

لم يكن الأمير يلف أو يدور حول الموضوع، ولا شكّ في أنّه حظي باهتمام رجل الأعمال الألمانيّ الذي اقتنع بعد نقاش طويل بمحاجّة الرجل الشابّ. وكبادرة حسن نيّة، وقعّ الوليد، إلى جانب الاتفاق على تملّك 27 بالمئة من السلسلة، على عقد بإنشاء فندق في بيروت بإدارة موفنبيك.

وسرعان ما برّ بوعده بشراء 50 بالمئة من فندق ميريديان في العاصمة اللبنانيّة، وحوّله إلى موفنبيك. واستخدم الاسم التجاريّ بجرأة وإقدام في السنوات التالية، واستقدم المجموعة الإداريّة لتدير فنادق في المملكة العربيّة السعوديّة، والأردن، ومصر، وقطر، والمغرب، وتونس، وليبيا. وفي العام 2003، رفع الوليد حصّته في موفنبيك إلى 33 بالمئة.

لاحظ الأمير أيضاً فرصاً عظيمة لنموّ أسماء شركاته التجاريّة الأخرى، ومن بينها فور سيزنز وفيرمونت. وقد أوفى بما تعهّد به بدفع فور سيزنز بجرأة وإقدام. فأمّن تمويلاً بقيمة 70 مليون دولار بالاشتراك مع بنك الاستثمار العربيّ الأردنيّ لتطوير فندق فور سيزنز عمّان، في موقع ممتاز بالعاصمة الأردنيّة. أقيم الفندق الفخم فوق تلّة صغيرة تشرف على المدينة المترامية الأطراف، وهو يضمّ 175 غرفة، ومطاعم، ومرافق واسعة لإقامة المآدب.

وأمّن له شيك كبير آخر في تلك السنة 50 بالمئة من مجمّع النيل بلازا في القاهرة، وهو مركز فندقيّ مرموق لا يضمّ فندق فور سيزنز فقط، وإنّما شققاً فخمة أيضاً. وتطلّع أيضاً إلى إقامة منتجع فور سيزنز بمدينة شرم الشيخ الشهيرة على البحر الأحمر، وقد تحقّق ذلك لاحقاً في العام 2002 بتكلفة بلغت 120 مليون دولار.

بدأ اهتمام الوليد بوسائل الإعلام وهو في منتصف الثلاثينات من العمر.

فأثناء حرب الخليج في العام 1990 - 1991، كان ملياردير سعوديّ آخر، الشيخ صالح كامل، يكبر الوليد بخمس عشرة سنة، منهمكاً في بناء إمبراطوريّة إعلاميّة. وكان واحداً ممن ساعدوا في إنشاء شركة الشرق الأوسط للإرسال إم بي

سي (MBC). وفي العام 1993، توصل هو والأمير الوليد إلى اتفاق يشتري بموجبه الرجل الشابّ حصّة في العربيّة للإعلام إيه إم سي (AMC)، التي تمتلكها مجموعة دلة البركة. وتسيطر إيه أم سي على شبكة راديو وتلفزيون العرب إيه آر تي (ART) التي يوجد مقرّها في ضاحية روما. وتبثّ إيه آر تي باقة من خمس قنوات ترضي أذواق المشاهدين العرب من استديو تبلغ مساحته 7000 متر مربّع. وقد حصلت الشبكة أيضاً على 50 بالمئة تقريباً من الشركة اللبنانيّة للإرسال أل بي سي - سات (LBC-Sat).

دفع الأمير 240 مليون دولار، مقابل حصّة في إيه آر تي تبلغ 30 بالمئة ونشط في الإشراف على أجزاء منها. وكان مهتمّاً على وجه الخصوص بقناة الموسيقى في الشبكة، وأثناء إشرافه عليها، استمتع بالاختلاط مع كبار الفنّانين الذين تعرض المحطة أعمالهم بانتظام والتعرّف عليهم. وفي ذلك الوقت، بدأ الوليد يشير إلى أنّ هذه الخطوة في وسائل الإعلام هي مقدّمة لشيء أكبر بكثير، وهو ما حدث في نهاية الأمر، لكنّه بقي الآن يراقب إيه آر تي وهي توطّد موقعها كشبكة تلفزيونيّة إقليميّة ناجحة.

غير أنّه زرع مواطئ أقدام في مجالات أخرى من هذه الصناعة في السنة التالية أو نحو ذلك، ومنها شراؤه 100 بالمئة من شركة روتانا للصوتيّات والمرئيّات. وكانت أكبر اسم تجاريّ لتسجيل الموسيقى في المملكة العربيّة السعوديّة، حيث يتعامل معها كبار الفنّانين العرب، وكان عددهم على الورق يبلغ المئة في ذلك الوقت.

حرص الأمير السعوديّ التقدّميّ، لا سيما بخلفيّته اللبنانيّة، على تحقيق فتوحات جديدة في مجال الإعلام، لكن كان عليه المحاذرة من المسائل التي قد تتعارض مع الحساسيّات المحليّة والإقليميّة.

في العام 2002، نما اهتمامه بروتانا بشكل كبير، حيث استثمر مزيداً من الأموال من أجل زيادة حصّته إلى 48 في المئة. وفي السنة التالية، اتخذ خطوة السيطرة على ذلك الاسم بنسبة 100 بالمئة.

في العام 2003، لم يعد الأمير راضياً عن عدم تقدّم شبكة إيه آر تي فاتّفق مع

الشيخ صالح كامل على خفض مساهمته في إيه آر تي إلى 5 بالمئة فقط، لكنّه أخـــذ حصّة تبلغ 49 بالمئة في أل بي سي، وحوّل قناة الموسيقى في إيـــه آر تي إلى قنـــاة روتانا موسيقى خاضعة لسيطرته التامّة. وسرعان ما تطوّرت قناة روتانا موســـيقى كمحطّة تبثّ على الهواء 24 ساعة وتقدّم أحدث الأغانيّ المصوّرة التي يغنّيها فنّانو روتانا. ومرّة أخرى ظهرت فعّالية التآزر بين الأسماء التجاريّة. فاستناداً إلى النجاح السريع الذي حقّقته قناة الموسيقى الأولى، افتتحت خلال ثلاثة أشهر روتانا الثانية، المعروفة باسم روتانا كليب، وقد أضافت الميزة الفريدة لخدمة رســـائل أس أم أس التي يرسلها المشاهدون من خلال الاتفاق مع شبكات الهاتف المحمول أو الجـــوّال. وبعد أشهر، افتتحت روتانا الثالثة، روتانا الطرب - التي تبثّ الموســـيقى العربيّـــة الكلاسيكيّة.

"تغطّي القناة تكاليفها من رسائل أس أم أس والإعلانات فحســـب"، قـــال الأمير مشيراً إلى شريط يتحرّك بسرعة في أسفل الشاشة، ليس سطراً واحـــداً بـــل سطرين من التعليقات والملاحظات التي يرسلها مشاهدو روتانا بعضهم إلى بعض. وسرعان ما بدأ الأمير يخطّط لباقة متخصّصة من قنوات روتانا. فانطلقت روتانـــا للأفلام بعد روتانا الثالثة، وقرّبته أكثر إلى هدفه - الآن - بإنشاء ســـتّ قنـــوات لروتانا.

كان الوليد منهمكاً باستثماراته الإعلاميّة في المنطقة، لكنّه لم يرفع عينه قـــطّ عن شركة سعوديّة أخرى. ففي العام 1993، كانت بنـــده ســـوبر مـــاركتس في الرياض معروفة جيّداً، لكنّها تعاني من خسائر سنويّة. اشترى الأمير غالبيّة الأسهم في السلسلة، وسيطر عليها، وبدأ بتطبيق مهارات إعادة التأهيل نفسها التي أظهرها في البنك السعوديّ التجاريّ المتحد في العام 1986. ولاحظ الوليد بعد ذلك وجود تآزر بين هذا الاسم التجاريّ ووحداتها، ووحدات أخـــرى في سلســـلة كـــبيرة، العزيزيّة سوبر ماركتس. فدمج بين الاثنين وضخّ رأسمال يبلغ 267 مليـــون دولار منشئاً شركة العزيزيّة بنده، وسيطر على 49 بالمئة من مبيعـــات متـــاجر الســـوبر ماركت في البلاد.

أدرك الوليد القوّة في دمج الشركات، ورأى أنّ ثمة خطوات أخـــرى يمكـــن

اتخاذها لتطوير الاسم التجاريّ والأصول. فاستثمرت شركة العزيزيّة بنده في هرفي، وهي سلسلة تمتلك عشرات المطاعم وتهيمن على سوق الوجبات السريعة.

كانت سنة 1995 حافلة بالنسبة للوليد، حيث أخذ ينظّم مشاريع شركته **المملكة** في المملكة العربيّة السعوديّة، ويخطّط لشراء إحدى أكبر الشركات في السعوديّة. وفي أيار/مايو من تلك السنة، اشترى حصّة الأغلبيّة في شركة التصنيع الوطنيّة، وهي ائتلاف مساهم يضمّ 45 شركة تابعة تعمل معظمها في مشاريع صناعيّة. وعيّن الأمير مجلس إدارة جديداً وأجرى إعادة هيكلة كبرى للشركة.

وفي آذار/مارس 1996، استثمر 133 مليون دولار - نصف مليار ريال سعوديّ - لإنشاء شركة العزيزيّة للاستثمارات التجاريّة كأداة لتولّي الاستثمارات العقاريّة وصفقات الأسهم في المملكة العربيّة السعوديّة.

في هذه الأثناء كان يطوّر كلمته الشهيرة التي سيحملها معه إلى مشاريع أخرى: "الاندماجات هي المستقبل

وهكذا في العام 1998 كان الأمير مستعدّاً لعمليّة اندماج أخرى، وهي أكبر عمليّة اندماج في ذلك القطاع في المملكة حتى الآن. فقد عمدت العزيزيّة بنده، وهي الشركة التي انبثقت عن الدمج الأول الذي أجراه بين متاجر السوبر ماركت، إلى تشكيل فريق مع شركة صافولا، بحيث جمعا بين المنتجين الكبار للمواد الغذائيّة في المملكة في كيان واحد، صافولا - العزيزيّة، أو مجموعة صافولا، كما اشتهرت بعد ذلك. وصار الوليد يسيطر الآن على أكبر ائتلاف لإنتاج المواد الغذائيّة وخدماتها في المملكة العربيّة السعوديّة.

التعويل على النجاح

بعد النشاط المحموم الذي مارسه الوليد لمدة عقدين من الزمن تقريباً، بدا أنّه يبتعد عن الصفقات الكبيرة في العام 1999 - إلى أنّ أنشأ أكبر بنك في منطقة الخليج.

قبل سنتين، اتخذ الوليد خطوات في القطاع المصرفيّ في المملكة ولقيت صدى طيّباً في أوساط مجتمع المال والأعمال هناك. ومكّنه نجاحه الكبير في تحويل البنك

السعوديّ التجاريّ المتحد إلى بنك يحقّق الأرباح من تكوين فكرة جيّدة عن كيفيّة إعادة الربحيّة إلى المؤسّسات المصرفيّة، في المملكة العربيّة السعوديّة على الأقل. وأقنعته مراقبة البنك السعوديّ التجاريّ المتحد في السوق بأنّ منافسه بنك القاهرة السعوديّ أصبح جاهزاً للاندماج لأنّه يعاني من قروض متعثّرة تقدّر بنحو 400 مليون دولار. ومن الاتفاق الذي جمع بين المصرفين معاً، انبثق البنك السعوديّ المتحد.

لبث الأمير يراقب من موقعه كرئيس للبنك الجديد منافسه القويّ البنك السعوديّ الأمريكيّ، ورأى أنّه يتمتّع بفريق إداريّ ممتاز. لذا قرّر أنّه مرشّح مثاليّ للاندماج مع مصرفه.

وفي العام 1999، عمد إلى تحقيق تلك الفكرة بالضبط. وهكذا اندمج البنك السعوديّ المتحدّ مع البنك السعوديّ الأمريكيّ، وهو بالمناسبة لديه تاريخ وصلة بسيتي بنك. ففي السبعينيّات، تأمّم نظام فروع سيتي بنك بشكل جزئيّ، واحتفظ سيتي بنك بحصة تبلغ 30 بالمئة من الكيان الجديد، بالإضافة إلى إدارته.

شهد الأمير تضاؤل نسبته المئويّة مع كل اندماج، لكنّه حقّق عائدات هائلة من استثماره الأولي، وشعر بالفخر مما أنجزه في صناعة لم يكن يمتلك فيها معرفة شاملة في البداية. احتفظ البنك الناتج عن الاندماج الثاني، البنك السعوديّ الأمريكيّ، باسمه وتنازل الأمير عن منصبه كرئيس لمجلس الإدارة طوعاً. وقال في ذلك الوقت إنّه سعيد جدّاً للقيام بذلك.

كان تنوّع استثمارات الوليد في الشرق الأوسط يحقّق نتائج طيّبة. وقد شمل العديد من الصناعات المختلفة، وبرع الأمير في نسج التفاعل فيما بينها من أجل توجيه مزيد من العائدات إلى مجموعته الاستثماريّة. وهو الآن يمتلك حصصاً كبيرة في صناعات رئيسيّة تشمل العقارات، والبناء، والمشاريع الغذائيّة والزراعيّة، والبيع بالتجزئة، والمصارف بطبيعة الحال. ومع أنّ حجم العائدات على المسرح الدوليّ كان أكبر بكثير، إلا أنّ الوليد لم يتوقّف عن الاستثمار في الأسواق الوطنيّة والإقليميّة للعالم العربيّ. ورغم ذلك، كان هناك من يخشى أن يفقد الأمير اهتمامه بموطنه بعد أن وضع الشركات المتعدّدة الجنسيّات نصب عينيه. وهذا أمر يستبعده

ماهر العوجان، الذي أدار البنك السعوديّ المتحـــدّ برئاســـة الأمـــير في أواخـــر الثمانينيّات: "لم يتخلَّ عن مجتمع الأعمال السعوديّ، لأنّه استثمر في العديد مـــن الشركات العامّة المدرجة في البورصة السعوديّة. استثمر في أعمال البيع بالتجزئـــة، في العزيزيّة بنده، واستثمر في صافولا، واستثمر في شركة التصـــنيع الوطنيّـــة، إلى جانب استثماراته الخاصّة في برج (المملكة) ومدرسة (المملكة) ومدينة (المملكـــة) ومستشفى (المملكة)، لذا كان توزيعه جيّداً. وهو لم يهجر السعوديّة ولم يقلّل من ظهوره فيها"

على الصعيد الإقليميّ، قفزت مصر إلى الواجهة. اشترى الوليـــد 100,000 هكتار من الأرض في توشكي، بجنوب مصر، على مقربة مـــن أســـوان. وتزيـــد المساحة الإجماليّة للمشروع هناك عن مساحة كل من البحرين وقطر و13 دولـــة أخرى. ومن خلال شركته المملكة للتنمية الزراعيّة، كادكو، كان يتطلّع إلى البدء بمشاريع زراعيّة تبلغ قيمتها 500 مليون دولار. ووفقاً للوليد، وكحافز ومكافـــأة على استصلاح مساحات واسعة من الأراضي، قدّمت المياه والطاقـــة إلى كـــادكو بدون مقابل. وأضاف بأنّ المشروع يوفّر فرص عمل لآلاف المصريّين، وهو يتطلّع إلى خدمة مصر. وقد أبرز الأمير ذلك كمثال على أن المشروع ليس مهمّـــاً علـــى الصعيد الزراعيّ فحسب، وإنّما أيضاً على الصـــعد السياســـيّة والاجتماعيّـــة - الاقتصاديّة والديموغرافيّة، إذ إنّه يهدف إلى توفير بيئة مستدامة يمكن أن ينتقل إليها ملايين المصريّين من الدلتا في الشمال. إنّه مشروع يجمع معاً، كما يقول الوليـــد، بين قوّة الحكومة المصريّة والشركات الخاصّة.

في صيف العام 1997، ركّز الوليد جهوده على الشرق الأوسط. وطالمـــا قدّم الدعم للشعب الفلسطينيّ، لا سيّما أنّه نشأ على مقربة من منازل اللاجئين الفلسطينيّين أثناء سنوات طفولته في لبنان. وقد أقام علاقات وثيقة مع الـــزعيم الفلسطينيّ الراحل، ياسر عرفات، لكن بدلاً من التورّط في السياسة، ركّز على الوضع الاقتصاديّ الذي يواجهه الفلسطينيّون نتيجة لنـــزاعهم الطويـــل مـــع إسرائيل.

شهد تموز/يوليو أوّل استثماراته الفلسطينيّة بشرائه حصّة تبلـــغ قيمتـــها 10

ملايين دولار في الشركة الفلسطينيّة للاستثمار والتنمية (باديكو) التي تعمل في مشاريع التنمية والبناء في الضفة الغربيّة وقطاع غزّة.

كما شارك في إنشاء شركة القدس للتنمية والاستثمار (جديكو)، لتعزيز الحضور الفلسطينيّ في مدينة القدس وتقويته، عن طريق مشاريع الإسكان والسياحة على الأغلب.

خطايا لا أخطاء

يتطلّب لعب دور المحفّز في عالم الأعمال جهوداً كبيرة من شخص لديه انتشار كبير في كثير من المصالح في العديد من البلدان. ومن تأثيرات تزايد سرعة استثمارات الوليد في التسعينيّات، تعرّضه لمزيد من الضغوط واضطراره للعمل ساعات طوال، إذ ما إن تغلق إحدى الأسواق حتى تفتح سوق أخرى في الطرف الآخر من العالم. وقد أفادت قدرة الوليد - واندفاعه - على مواصلة العمل بدون توقّف أثناء ذلك الوقت الحافل بالعمل. وكان يمضي معظم الليل في القراءة، بحيث يستطيع التركيز على جمع المعلومات والتقاط الأخبار الدوليّة.

إذا لم يكن الوليد يشغل نفسه بما فيه الكفاية بالعقارات، والفنادق، وصناعة الأغذية، والزراعة، والمصارف حتى الآن، فلا شك في أنّه سيسرّع الخطى في العام 1997. وقد كشف أنّ عدّاد طائرته الخاصّة سجّل أكثر من 250.000 ميل خلال ذلك العام فحسب. ويقول الوليد أيضاً إنّ فاتورة الهاتف الخاصّة بالأعمال التي يمارسها تفوق الآن 80.000 دولار شهريّاً. فعندما يريد الأمير معلومات، فإنّه يريدها الآن، في أي وقت سواء في الليل أم النهار (وفي الليل غالباً) وفي أي مكان - على متن طائرته الخاصّة أو يخته أو حتى في وسط الصحراء. فإذا كان الوقت يساوي المال، فلا شكّ في أنّ الوليد يجني الأموال بتوفير الوقت.

غير أنّه كان يختلس الوقت من فترات النوم ومما يعتبر وقت الراحة عند الأناس العاديّين.

لا يفاجأ ابن خالته، رياض الأسعد، الذي نشأ معه في بيروت، عندما يسمع أنّه يأوي إلى فراشه عند الفجر: "طالما كان كذلك. ولا أذكر قطّ أنّه نام أكثر من خمس أو ست ساعات. كان ذلك وهو صغير. ولا أعرف ما كان عليه حاله في الولايات المتحدة، ولا أعرف عنه في المملكة، لكنّه عندما يتواجد هنا... يكون مفرط النشاط، مفرطاً جدّاً في النشاط"

لاحظ إيسي شارب، رئيس فور سيزنز للفنادق، ذلك على الوليد منذ اليوم الأول: "إنّه دائماً ما يقوم بعدّة أشياء في الوقت نفسه، وهذا الأمر ملحوظ جدّاً جدّاً، فاهتماماته متنوعة. لكنّه يمتلك القدرة على فهم ما يسمع أو يقرأ وأن يحتفظ بذلك في عقله. إذا حصل على مقالة في مجلّة، يسطّر تحتها ويرسلها إليك، ويقول إنّك قد تكون مهتماً في بعض ما جاء فيها. إنّه قارئ ممتاز، أي أنّه يدرك بسرعة ما الذي يقرأه، وأعتقد أنّ قدرته على الفهم ثمّ اتخاذ القرار تشكّل جزءاً من ألمعيّته"

غالباً ما يقول الذين يتعاملون مع الوليد إنّه مفكّر استراتيجيّ، يمارس الأعمال كمن يحرّك القطع على لوحة لعب كبيرة. وعلّق المستشار الماليّ للأمير لسنوات طوال، مصطفى الحجيلان، على ذلك ذات يوم بقوله، "الأمر مع الوليد يشبه لعب المونوبولي ولكن بأموال حقيقيّة"

إنّه تشبيه مثير للاهتمام عندما يتذكّر المرء كيف كان الأمير يمارس اللعبة بتنافسيّة شديدة مع ابن خالته رياض في بيروت عندما كانا يافعين.

تبيّن استثمارات الأمير، نجاحاته وإخفاقاته على السواء، أنّه مستعدّ للمجازفة في الأعمال. "على كل مستثمر أن يجازف، ولكن يجب أن يكون مجازفاً حكيماً... وإذا أفرطت في المجازفة تصبح مقامراً. أنا لست مقامراً، وإنّما مجازفاً - مجازفاً كثير الحساب بالطبع"

لهذا السبب، يعتقد جنسن أنّ من الخطأ الافتراض بأنّ الأمير حقّق خبطة واحدة مع سيتي بنك، و لم ينجح في خطواته الأخرى: "لقد ارتكب أخطاء تناولها النقّاد كما ينبغي، لكنّه [illegible] نجاحات عظيمة عديدة، يمكن لأي منها أن

تضعه في صدارة العناوين ثانية – لكنّها تتقزّم أمام النجاح الهائل الذي تحقّق في سيتي بنك. حقّق مشروع كناري وارف نجاحاً باهراً وفقاً لكل المعايير، وينطبق الأمر نفسه على نيوز كورب واستثماراته الفندقيّة. لكنّها لم تظهر لأنّ المبـالغ الفعليّة التي استثمرها في تلك الشركات لم تعلن على الملأ، لكنّه نجح نجاحاً باهراً"

يشير الأمير إلى صدور العديد من المقالات الإيجابيّة جدّاً عن استثماراته وذكائه في الأعمال طوال ربع قرن من الزمن، وإلى مقالة واحدة سلبيّة في أسلوبها على وجه الخصوص.

فعند تقييم أدائه في مقالة نقديّة واستكشافيّة صدرت في شباط/فبراير 1999، خلصت مجلة "الإيكونومست" إلى أنّه باستثناء مجموعة سيتي، حقّق الوليد معظم ثروته من صفقاته العقاريّة، وتمنح استثماراته في أسواق الأسهم بين 1992 و1999 درجة دون المعيار المقبول. بل إنّها دعته "التاجر الذكيّ للعقارات على المدى القصير الذي أصبح مستثمراً عاديّاً في أسواق الأسهم على المدى الطويل

رغم أنّ الوليد شعر بالانزعاج في البداية من مزاعم المجلّة، إلا أنّه يتعامل معها بعقليّة فلسفيّة. فهو يقول إنّه تناول تلك القضايا بشكل واضح في رسالة إلى المحرّر، وإنّه لم يسمع شيئاً آخر منذ نشرها. والأهمّ من ذلك، أنّه رأى ثروته تنمو باطراد، ويتقدّم في لائحة فوربس لأغنى أغنياء العالم.

بل إنّ الأمير يجد التأمّل في خسائره مسلّياً إلى حدٍّ ما. ويذكر أنّ أحد الصحافيين أجرى معه مقابلة وسأله، "هل ارتكبت أخطاء قطّ"؟

ويقول إنّه أجاب "لا" بشكل جازم!

وعندما نظر إليه الصحافيّ مندهشاً وقال، "أليس في ذلك شيء من العجرفة"؟ أجاب الأمير، "لا، لا أرتكب أخطاء... بل أرتكب خطايا! عندما أقوم بانعطافة خاطئة في الأعمال، لا يكون ذلك خطأ، بل خطيئة. فخسارة مئة ألف أو حتى مليون دولار خطأ، أما خسارة مئتين أو ثلاثمئة مليون دولار، فتلك خطيئة"!

الدروس المستقاة

إذا وضعنا الخطايا جانباً، يعتقد جنسن أنّ النجاح والفشل يشكّلان جزءاً مهمّاً من منحنى التعلّم. "في السنين الأولى كان هناك حديث عن "الملك ميداس"، حيث كل ما يلمسه (الوليد) يتحوّل ذهباً، وأعتقد الآن أنّ الحال لم تعد كذلك. فقد أصاب بعض الفشل، سواء في بلانيت هوليود أو يورو ديزني – التي لا تزال استثماراً لا نظير له من وجهة نظر الأمير. إنّنا نرتكب الأخطاء، وأعتقد أنّ الأمر الجيّد أنّه يتعلّم من أخطائه"

لقد كان منحنى التعلّم جزءاً من عقد التسعينيّات بالنسبة إلى الوليد.

يجمل جنسن الأمر، من منظور التقييم، كما يلي: كانت الاستثمارات الأساسيّة، الدوليّة والإقليميّة رائعة، باستثناء يورو ديزني وتايم ورنر اللذين لم يصلا إلى المستوى المطلوب بعد، رغم أنّ الوليد يعتقد أنّ لديهما إمكانات كبيرة.

الاستثمارات غير الأساسيّة – وهي متوسّطة وصغيرة بالإجمال، حيث قلّلت النجاحات الكبيرة في مجالات أخرى من وقع بعض الخسائر، وبالتالي لم يكن لها تأثير كبير على سجل الأمير الدوليّ والإقليميّ.

ويشير جنسن أيضاً إلى أنّ الأمير أدرك أنّ أخطاءه بمعظمها وقعت عندما ابتعد عن استراتيجيّته المتينة بدراسة الأسماء الكبيرة التي تمرّ في ضائقة وعدم التقدّم إلا عندما يتمّ الوصول إلى الهدف المحدّد للشراء. لم تحقّق مغامرته في شرق آسيا النتائج التي يرجوها لكنّه لم يخسر، ويشعر الوليد بأنّه ساعد كوريا الجنوبيّة بالخروج من الركود الذي أصابها.

يبدو أنّ الابتعاد عن استراتيجيّة "الشراء والانتظار هو الشيء الوحيد الذي جعل الأمير يتكبّد بعض الخسائر.

ويقول الوليد إنّه محظوظ لأنّه تعلّم دروساً كبرى، ولم يضعف ماليّاً بسبب خسائره على أي حال. والخلاصة هي:

1. لا تلاحق السوق.

2. لا تقم باستثمارات "جيّدة" تحلّ بالصبر ولا تقــدم إلا علــى اســتثمارات استثنائيّة. تحلّ بالصبر ولا تشترِ إلا بسعر زهيد – أو لا تشترِ البتّة.
3. أعط أولويّة كبيرة للسيولة، وبخاصّة في الاستثمارات الكبيرة.
4. يجب أن يعادل أي استثمار جديد واحد بالمئة على الأقل من القيمة الصــافية لموجودات الأمير وصناديقه الاستثماريّة. وبتلك الطريقة يحدث فرقاً نوعيّــاً في محفظته الاستثماريّة الإجماليّة.

عندما يسمع رئيس مجموعة سيتي (Citigroup)، ساندي ويل، أي انتقاد لاستراتيجيّة الأمير الاستثماريّة، يسارع للدفاع عن صديقه والمستثمر الأكــبر لديه بشكل مباشر. وهو يقول، "لا يمكنك أن تحاجج في النتائج"، وحــتى إذا كان محظوظاً في الماضي، فإنّ الوضع الحاليّ للوليد يتحدّث عن نفسه: "أعتقــد بأنّ وقوف الحظّ إلى جانبك أمر جيّد جدّاً، ولا يهمّ كيــف. لقــد أقــدم في استثمار سيتي كورب على خطوة كبيرة جــداً. لكنّــه حقّــق الكــثير مــن الاستثمارات الكبيرة وجنى الكثير من الأربــاح في كنــاري وارف، وكــان استثماره في فور سيزنز رائعاً. وتمسّك باستثمارات كبيرة مثل أبل كمبيــوترز التي عادت إلى النهوض ثانية. أعني الجميع غير معصومين من الخطأ، ولن تصبح مستثمراً كبيراً ما لم تكن راغباً في المجازفة ومتقبّلاً لارتكاب الأخطاء. فما من أحد كامل

يقول مايك جنسن إنّ الأمير منظّم جدّاً في التخطيط للاستثمارات، ونتيجــة لذلك لم يحقّق ثروة هائلة فحسب، وإنّما أضفى الصفة المؤسّساتية علــى أعمالــه أيضاً، ونوّعها جغرافيّاً وبحسب الصناعات. ويضيف، رغم أنّ ثروة الوليد الصافية واستراتيجيّته اتسمتا بالمرونة الكافية لاجتياز العواصف والانهيــارات الــتي ألّمــت بالأسواق في العام 1998 و2000 – 2001، فإنّ الوليــد ومحفظتــه الاســتثماريّة مستعدّان بشكل أفضل الآن للمستقبل.

يقرّ جنسن بأنّ طبيعة الأمير الوليد العنيدة تفيده جيّداً في بعض الأحيــان، وأحياناً تعرّض عائداته للخطر، لكنّها ليست خصلة موجودة لدى الأمير فقط: "إذا نظرت إلى أنجح مستثمرين في العالم يرى البعض أنّهمــا وارن بافيــت

وصاحب السموّ الملكيّ الأمير الوليد بن طلال- ترى أنّهما لا يخرجان (من استثمار ما) بسرعة. وكلاهما مستثمر عنيد كما يرى العديد من الأشخاص

اشتدّت أواصر العلاقة بين أقوى مستثمرين في العالم وأوسعهما نفوذاً في كانون الأول/ديسمبر 1999. فقد نشرت مجلّة "فوربس غلوبال" مقالة بعنوان، "بافيت: ما هو الخطأ الذي حدث؟"، وكانت هذه المقالة تشكّك في المهارات الاستثماريّة "للوليد أمريكا" وتوحي بأنّه ليس الرجل الذي يحسبه الناس. وسرعان ما انبرى "وارن بافيت العربيّ" لمساعدته، فردّ في رسالة مقتضبة موجّهة إلى المجلّة بأنّ المقالة تفتقر إلى سعة الأفق وأنّ تقييمها غير منصف. وأنهى الأمير، وهو نفسه يألف الأسئلة الدقيقة والتحليل النقديّ، بهذه الملاحظة، "بعد كل ما قيل وجرى، لا يزال بافيت عظيماً"

بعد يومين، وصل فاكس من شركة بيركشاير هاثاواي (Berkshire Hathaway) يبدأ بالجملة التالية، "إنّك رائع"!. وعبّر معلّم الاستثمار المقيم في أوماها عن امتنانه للأمير الذي انبرى للدفاع عنه وتعهّد له بالقول، "إذا ما هاجمتك الصحافة في المملكة العربيّة السعوديّة ذات يوم – وأنا أشكّ في ذلك – يمكنك أن تدعوني للردّ عليها"

من قال إنّ أصحاب المليارات لا يقدّرون الأصدقاء؟



8

وقت للأسرة

"كنت أقود مزلجة مائيّة نفاثة 'جت سكي' فقمت بإحدى الحركات الحمقاء... أدّى ذلك إلى تحطّم جمجمتي وحدوث شلل في جانبي الأيمن".

الأمير خالد بن الوليد بن طلال آل سعود

"ما أفضل الأشياء التي تشعرين بها كونك أميرة"؟

تجيب الأميرة ريم بدون تفكير: "لا شيء"!

ثم بعد لحظة من التأمّل، تظهر لمحة من المكر على وجهها الساحر، وتضيف:

"عندما أرتدي قميص تي شيرت كتب عليه 'أنا أميرة' يكون ذلك صحيحاً"!

ماذا إذاً عن أسوأ ما في أن تكوني أميرة؟

"ليس لديّ دقيقة واحدة مخصّصة لنفسي. والوقت الوحيد الذي أخلو بنفسي هو عندما أكون في الحمّام"

بدت بعض الكآبة على ريم عندما قالت ذلك، لكن سرعان ما عادت إليها رزانتها المعتادة. تبدو هذه الفتاة التي تبلغ الحادية والعشرين من عمرها للمراقب الذي لا يدرك مكانتها الملكيّة رصينة بشكل غير عاديّ وتتجاوز سنّها إلى حدٍّ ما. ويعكس طبعها ميلها إلى كثرة التفكير وعدم البوح إلا بما عليها البوح به. يتميّز وجهها النحيف الرائع الجمال بعينيها اللوزيّتين السوداوين والمتكتّمتين. لكن بالنسبة لفتاة مثلها، تتمتّع بخصوصيّة ورصانة شديدتين، فإنّ تواجد الناس حولها على الدوام، لا سيما الحضور الدائم لرجال الأمن، يسلب منها طمأنينتها: "كأنّما هناك

عيون مسلطة عليك على الدوام، وحرّاس شخصيّون من حولك دائماً. من الصعب أن تحيا حياة خاصّة عاديّة، كالحياة الأسريّة. إنّنا نعيشها، لكن مع الناس

تتوقّف ريم قليلاً وتتأمّل برهة في أنّ ذلك هو الثمن الذي عليها أن تدفعه لتكون ما هي عليه وتتمتّع بالمزايا الممنوحة لها. وتقول إنّها مستعدّة لتقبّل ذلك الثمن.

بعد أن تدرك أنّها ربما استفاضت في الإجابة، تغيّر الموضوع بابتسامة ذكيّة، وتبدأ الحديث عن والدها الجالس بقربها.

كان يوماً رائعاً وحارّاً من أيام آب/أغسطس 2003، وكانت الأرصفة الضيّقة المطلّة على البحر في كان تستقبل سيلاً من المشاة الذين يسيرون جيئة وذهاباً، ويحاولون رؤية وجوه شهيرة على أرصفة المقاهي المكشوفة. ونظراً لوجود عدد كبير من الزوّار من الشرق الأوسط في وسط هذا الموكب، تُسمع بين الحين والآخر تمتمة عندما يلاحظ الناس الأمير. وتنطلق عادة كلمة واحدة: "الوليد"

في العالم العربيّ، يعلم الجميع من المقصود عندما يقول أحدهم "الوليد" وفي كل صيف يمضي الوليد إجازته في ذلك الجزء من الكوت دا زور، إلى جانب نصف النخبة العربية التي ترتاد هذه الشواطئ منذ عقود.

احتلّ الأمير ومرافقوه القسم الأماميّ من المقهى، وتركوا مجالاً صغيراً للآخرين، إذ كانت المجموعة تتكوّن من أكثر من 30 شخصاً. جلس الوليد وابنته في وسط المجموعة الطويلة من الطاولات التي دُمجت معاً لكي تتسع لنحو عشرة أشخاص في كل جانب. وجلس الباقون في مواقع تابعة حول الطاولة الرئيسيّة.

لإبعاد الموضوع عنها، كشفت ريم كيف يبعد والدها أي شيء موضوع أمامه على المآدب إلى الجانبين. وتقول ريم إنّه يفعل ذلك بطريقة لا شعوريّة، مشيرة إلى أنّ الواقع سيثبت صحّة ما تقول عمّا قريب.

"لننظر كم سيمضي من وقت قبل أن يبعد هذه الأشياء"، قالت وهي تنظر إلى ساعتها، ثمّ إلى الآنية الفضيّة، والتوابل، والمناديل الورقيّة، والأكواب التي وضعتها النادلة أمام الأمير للتوّ. وعندما يلتفت إليها، تشيح بنظرها راسمة تعبيراً من

البراءة على وجهها، فيما تنتظره لكي يعود إلى حديثه مع أحد مستشاريه الجالسين إلى جانبه. وما إن يعود إلى نقاشه، حتى تنظر إلى ساعتها لتبدأ التوقيت.

ولمعرفتها بوالدها، ترتسم ابتسامة عريضة على وجهها عندما يبدأ نقل الأطباق، والسكاكين، والشوك، والمرطّبات وينتهي في أقل من 30 ثانية، حيث يقوم الوليد الشارد الذهن بدفع الأشياء إلى الجانبين، أثناء التشديد على النقاط التي يثيرها بيديه.

انتهت اللعبة. تبتسم ريم. كان ذلك أمراً سهلاً جدّاً.

وقبل أن تبدأ في تسليط الضوء على عادة غريبة أخرى لدى والدها، بدأ الطعام بالوصول. أخذت تشكيلة واسعة من السلطات تملأ الحيّز الفارغ على شرشف الطاولة الأبيض. أمسك الوليد بأوّل صنفين قريبين منه، وتناول ملعقة من كل منهما، ثمّ توقّف قليلاً للتأمّل في طعمهما، وبعد ذلك دفع الأطباق جانباً... أمام ابنته. نظرت ريم حولها نحو الذين شهدوا توقّعاتها من قبل، كما لو أنّها تقول، "أرايتم"!؟

اثنان صفر.

ابتسمت سوزان ونهلة، وصيفتاها، بهدوء. فهما تعرفان الأميرة جيّداً، ورغم أنّهما موظّفتان لديها، إلا أنّهما يكنّان لها صداقة ناضجة حيث تسارعان إلى مدّ يد العون عندما تحتاج إليه ريم. وهما هنا رأتا شيئاً شهدتاه مئات المرّات من قبل، لكن نادراً ما سمعتا الأميرة الصغيرة تعلّق عليه علناً.

إنّ الصلة الوثيقة بين الوليد وابنيه هي التي تتيح لهما المزاح بهذه الطريقة. ويشعر الأمير بأنّه تمكّن من بناء الثقة بالسماح بالتفاعل فيما بينهم بطريقة مسترخيّة وناضجة: "من المهمّ جدّاً بالنسبة إليّ أن أكون على علاقة وثيقة بابني وابنتي. إنّها تقوم حقّاً على الصداقة الآن بعد أن تجاوزا العشرين. إنني أمنحهما الكثير من حريّة التصرّف في عمل ما يريدانه، لأنّني أعتقد أنهما يمتلكان الأساس الذي بنيت عليه الصداقة معهما في العقدين الماضيين"

بالمقابل، يقول إنّ طفولته كانت مختلفة بسبب الافتقار إلى الاستمراريّة والبعد الذي شعر به عن والده في بعض الأحيان. لقد أمضى القسم المبكّر من شبابه في

التنقّل جيئة وذهاباً بين بيت والدته في بيروت، وبيت والده في الرياض. "كانت علاقتي بأمي وأبي جيّدة أيضاً، لكن تُرك إليّ أن أتولّى شؤوني بنفسي. فسافرت إلى الولايات المتحدة، وكنت لا أزال يافعاً، لذا أعتقد أنّ سياسة والدي معي كانت تقوم على منحي حرّية التصرّف، حيث تعوّدت الاعتماد على نفسي كثيراً"

لكن من الأمور التي يشعر الوليد أنّه تعلّمها أثناء الوقت الذي كان يمضيه مع الأمير طلال هي قيمة الدين في تعليم الأخلاق للصغار وفرضها عليهم: "إذا لقّنتهم أسس الاستقامة ومبادئ السلوك والأخلاق، وغرستها فيهم، فإنّهم يستطيعون التصرّف بشكل جيّد، وأعتقد أنّ ذلك ما يحدث حتى الآن"

الأميرة الصغيرة

تختزن ريم الكثير من الطاقة الكامنة التي تخفّ حدّتها في حضور والدها. ويرجع ذلك إلى الاحترام من جهة، ولأنّها تربّت على أن تكون رزينة، فالأميرة تبقى رصينة على العموم أمام الأمير الوليد. وهو بدوره يلتفت إليها بانتظام أثناء الغداء للمزاح، وطرح الأسئلة، والتعليق ليحصل في الغالب على إيماءات بالرأس من ابنته وأحياناً على ردّ لطيف.

ترتبط ريم بصداقة وطيدة مع والدها، وتجلس إلى جانبه حيث يظهر عليها الإحساس بالأمن والراحة: "إنّه أب مدهش. وهو قريب جدّاً منّي ومن أخي. ونحن نتحدّث بصراحة بعضنا مع بعض بدون وجود حواجز. أحياناً من الصعب التفكير في ذلك، أعني أنّه دائم الانشغال ويعمل كثيراً، لكنّه يخصّص في الواقع وقتاً لأسرته، ويقدّم لنا الكثير

يحرص الوليد على تناول الغداء مع ولديه كل يوم إذا أمكن ذلك. وتجدر الإشارة إلى أنّ الغداء يتمّ في العادة بين الخامسة والسابعة بعد الظهر. وما لم تكن ريم أو أخاها خالد على سفر أو يدرسان في الخارج، فإنّهما يجلسان إلى المائدة يوميّاً لتناول الطعام مع والدهما.

وعندما كان الجميع يقوم بتناول المقبّلات، ظهر الأمير خالد مع مجموعة مرافقة صغيرة. لقد كانوا يتسوّقون في المدينة لذا تأخّروا. تقدّم خالد إلى والده

وقدّم واجب الاحترام واعتذر عن تأخّره، ثمّ جلس إلى طاولة منفصلة قريبة مع مجموعته، بدلاً من الجلوس إلى الطاولة الرئيسيّة مع والده. وذلك شيء يفعله بين الحين والآخر، ويدلّ على نموّه وإحساسه بالاستقلاليّة بعض الشيء كشابّ في منتصف العشرينات من العمر - بلغ الخامسة والعشرين في العام 2003. مع ذلك فإنّ علاقته الوثيقة بأبيه تبدو جليّة، وهو يرجع ذلك إلى حسن التواصل: "أكثر الخصال التي أحبّها فيه هي الإنصات. إنّه مستمع ممتاز جدّاً، ربما لا يظهر ذلك، لكنّه مستمع جيّد. ربما ينظر إلى مكان آخر، وربما يتابع حديثه بحيث تعتقد أنّه لا يستمع إليك، لكنّه في النهاية يلاحظ حتى سعالك أو رمش عينك... وينتبه إليه. الاهتمام ناحية مهمّة حتماً، وأعني هنا القيم التي أظهرها لنا في الحياة. هناك الاحترام للكبار، وهناك الاحترام لأفراد العائلة، وهناك الإسلام. لقد علّمني أسس كل شيء. وعندما كنت صغيراً، كنت أصلّي إلى جانبه، ثمّ نتوجّه إلى الغداء، و لم نكن نتناول الغداء إلا بعد الصلاة. إنّه قدوة ممتازة لي"

ريم هي من جعلت والدها يعتاد إرسال رسائل SMS (خدمة الرسائل القصيرة) بالهاتف المحمول، عندما بيّنت له أنّها ملائمة للاتصال السريع والقصير، والبقاء على اتصال دون أن يكون عليه إجراء مكالمة فعليّة. لم يكن الأمير يحمل شخصيّاً هاتفاً محمولاً إلا نادراً حتى العام 2004، وكان ينادي مدير اتصالاته لإعطائه الهاتف عندما يحتاج إليه. وعندما استحوذت عليه عادة إرسال النصوص بالهاتف، صار يضع هاتفه الخلويّ من طراز موتورولا في حزامه، ويبقيه معه، وغالباً ما يفتحه لإرسال الرسائل أو الردّ على الرسائل التي ترده - غالباً من ابنته أو ابنه. وكان من المعتاد قبل ذلك مشاهدة الوليد منحنياً فوق هاتفه المحمول، مبتسماً في سرّه عندما يستغرق في محاورات الرسائل القصيرة بالهاتف. وقد أصبح يستمتع بالرسائل الهاتفيّة ملء قلبه.

يصعب على الكثير من الأشخاص التوفيق بين فكرة رجل الأعمال الحاذق والمقدام الذي حقّق الكثير في 25 سنة، وفكرة الأب الحنون واللطيف الذي يبقى مخلصاً لابنيه، لكنّ الوليد في الواقع دائم الاهتمام بشؤون حياة ابنيه اليوميّة. ويجب أن يرى المرء ذلك لكي يصدّقه.

ويحرص أيضاً على ألا تظهر ابنته في وسائل الإعلام كثيراً. ويرجع ذلك إلى حدّ كبير إلى احترام الثقافة السعوديّة حيث توجد حساسيّة تجاه التقاط صور فوتوغرافيّة للنساء أو تصوير أفلام عنهن، وهو ما يحرص عليه بالنسبة لكل النساء من حوله، بمن فيهنّ أمه وأخته. لكنّه يقول إنّ الخيار عائد إليهن في النهاية.

كانت سنة 2004 بمثابة نقطة تحوّل حيث جعل نفسه نصيراً لحقوق المرأة في المملكة العربيّة السعوديّة، قائلاً إنّه ما من سبب يحول دون أن تمتلك النساء اللواتي يعملن لديه ويتزايد عددهنّ الحريّة في التحدّث إلى وسائل الإعلام في مجالات اختصاصهنّ. لكنّه يسألهنّ أولاً، فقد تكون لديهنّ حساسيّة تجاه هذا النوع من الظهور.

تشكّل أسرة الوليد محور حياته. ونظراً لوجود موارد ماليّة ضخمة في متناوله، فإنّه بطبيعة الحال قادر على قضاء أعماله حول المناسبات العائليّة أو العكس. فهو يحرص بشدّة على حدوث ذلك بإدارة مواعيده بشكل محكم. ففي عيد ميلاد ريم الحادي والعشرين، قبل شهرين في حزيران/يونيو، سافر الأمير بالطائرة إلى بيزا، إيطاليا، ونقل مجموعته بأكملها بالحافلة إلى فلورنس، لزيارة ابنته التي تقوم برحلة إلى المدينة كجزء من دراستها. وقد نسّق الوليد المرحلة الأخيرة من رحلة أعماله بحيث يتمكّن من زيارة ابنته ريم يوم عيد ميلادها، قبل عودته إلى الرياض.

رغم أنّ الأميرة كانت تعرف أنّه قادم لرؤيتها، بدت الإثارة على وجهها عندما دخل الفندق في منتصف الليل تماماً، مبتسماً للتوقيت الدقيق لكي يتمنّى لها عيداً سعيداً. كان الموقع يذكّر بفيلم إيطاليّ كئيب ولكن رومانسيّ. كان فندقاً قديماً جميل الزخرفة، جوّه فريد، ويقع في وسط فلورنس، وقد انضمّ الأمير إلى ريم ومجموعة من صديقاتها في فناء المبنى المبلّط قرب نافورة مرتفعة جيّدة الإضاءة. وكان هناك شبّان تبدو عليهم الأناقة الشديدة مجتمعين في الخلفيّة قرب المقصف، ومن بينهم الممثّل، أدريان برودي، الذي حاز على التصفيق على أدائه الرائع في الفيلم الشهير، "عازف البيانو"

جلس الأمير ومازح ابنته وقدّم إليها هديّة عيد ميلادها، وهي ساعة ثمينة انتقاها أثناء توقّفه في لندن قبل يوم واحد. وبدا أنّها تقدّر تجشّمه عناء السفر كل

تلك المسافة لكي يراها، وإن لساعتين. وبدت رفيقات الأميرة سعيدات بلقاء الوليد الأسطوريّ، واستمتعت ريم بذلك أيضاً.

تدرك ريم مدى اندفاع والدها والتزامه بإدارة أعماله ومصالحه، لذا لا تزال تشعر بالمفاجأة والسرور عندما يقطع والدها كل ما يقوم به في الطرف الآخر من العالم لكي يقضي بعض الوقت معها: "أذكر قبل ستّ أو سبع سنوات، عندما كنت لا أزال أرتاد المدرسة الثانويّة، وجاء والدي متأخّراً من مزرعة عمّي عبد الله (ملك المملكة العربية السعودية الحالي). وصل في السابعة صباحاً وكنت قد استيقظت للتوجّه إلى المدرسة، فقال، 'أنت ذاهبة إلى المدرسة، كم الساعة الآن'، وما إلى هنالك. على أي حال، قال إنّه سيوصلني إلى المدرسة - للمرّة الأولى. شعرت بفرح شديد، 'والدي سيوصلني إلى المدرسة'"

وتمضي الأميرة في رواية كيف عندما دخلا السيّارة، غطّى الأمير وجهه بلفّ الغترة العربيّة التقليديّة حوله، ولم يبدُ منه سوى النظارة الشمسيّة، على أمل ألا يلحظه أحد. وكان النظام في المدرسة يقضي بأنّ تتقدّم السيّارة التي تقل التلامذة إلى خطّ إنزالهن، وإتاحة الفرصة لهنّ للخروج من السيّارة، ثمّ التحرّك بسرعة للسماح للسيّارة التاليّة بالتقدّم والقيام بالشيء نفسه، للحفاظ على التدفّق السلس للسيّارات. وتذكر ريم أنّ والدها كان مشغولاً جدّاً بها: "كنت أتقدّم نحو البوّابة ونظرت خلفي وكانت السيّارة لا تزال موجودة، فتقدّمت إلى الأمام ونظرت ورائي، وكان لا يزال موجوداً هناك. دخلت من البوّابة واسترقت النظر إلى الخارج، ورأيت سيّارته متوقّفة، وعندئذ فتح نافذة السيّارة ولوّح بيده مطمئنّاً إلى أنّني صرت في الداخل. كنت أريد القول 'هناك نحو 200 سيّارة تنتظر خلفك'، لكنّه كان حريصاً على التأكّد من دخولي المدرسة. ظننت أنّ ذلك أمر مضحك، لكنّ المضحك حقّاً أنّ كل صديقاتي شعرن بالانفعال، ولم يصدّقن حقّاً أنّ والدي أوصلني إلى المدرسة"

باحت الأميرة بأنّها كانت تفكّر في هديّة لعيد ميلادها، لكنّها تحرّجت من أن تطلبها من والدها. فبدلاً من الهديّة الماديّة، كانت تريده أن يأخذها في عيد ميلادها إلى مطعم بيتزا هت وأن يتناولا عشاء بسيطاً وهادئاً هناك. إنّه لا يشعر بالعجرفة

بمثل هذه الأفكار، وغالباً ما نزل عند طلبات مرافقيه عندما يريدون التوقّف عند مكدونالدز أو غيره من أماكن وجبات سريعة أخرى، رغمّ أنّه توقّف عن تناول أي نوع من المقالي قبل عشرين سنة. لكنّ الأميرة لم تتمكّن حتى الآن من طلب هذه الهديّة منه.

من المفارقة، أنّ والدها عندما نهض في النهاية وهمّ بمغادرة الفندق في فلورنس يوم عيد ميلاد ريم، ربّما فكّر في أنّه جاء للقاء ابنته في الأرض التي تزعم حقّاً أنّها موطن البيتزا.

الأولاد هم الأولاد

يبدو جنوب فرنسا مبهرجاً قليلاً وفقاً لبعض النقّاد.

لقد تراجع السحر الأصليّ للمنتجع الخاصّ بالنخبة أمام حشود الناس الذين يعرضون أنفسهم، وأحياناً سيّاراتهم وإكسسواراتهم الثمينة، في واجهة البحر المزدحمة. وتبدو كثير من الفنادق والمقاهي كأنّها شهدت أياماً أفضل في الماضي، ونسيتها. وغرق صوت النخبة الأنيقة وسط النوعيّة المتوسّطة لأسماء المصمّمين الجدد المبتدئين.

ثمّة شيء غامض في السبب الذي يدفع الوليد إلى مواصلة رحلاته القصيرة إلى كان وسان تروبيز وغيرهما من المنتجعات، مع أنّه يستطيع التوجّه إلى أي مكان في العالم لقضاء إجازاته. ففي آب/أغسطس من كل عام، يتحرّك يخت الأمير من مرساه خارج ساحل كان، وينتقل بين الشاطئ واليخت يوميّاً. لا شكّ في أنّ المنطقة تحمل ذكريات عديدة للوليد، ترجع إلى أيام مبكّرة عندما كان يأخذه والده إلى هناك في الإجازات الصيفيّة، حيث تتاح له الفرصة لقضاء بعض الوقت النوعيّ مع رجل يعجب به ويحترمه بهدوء.

ربما يريد تذكّر أيام الطفولة هناك على الشاطئ، لكن ثمّة رحلة واحدة إلى هناك يفضّل الأمير أن ينساها. غير أنّ طبيبه الشخصيّ يتذكرها بوضوح. فقد لازم الدكتور جهاد عوكل الأمير الوليد منذ أن كان في أواخر العشرينات من العمر "في سانت تروبيز سمعنا سيّارة إسعاف تمرّ بقربنا، وأقسم بالله أنّ الوليد قال 'أدعو

الله ألا يكون وقع لأحدهم حادث أو أي سوء' وبعد عشر دقائق، تلقّيت مكالمة من قبطان اليخت يبلغني فيها أنّ الأمير خالد تعرّض لحادث وهو يقود الجت سكي، وأنّه على شاطئ سان تروبيز الآن. لذا أبلغت الأمير 'يا صاحب السمو، لقد تعرّض الأمير خالد لحادث' توجّهنا إلى هناك ورأينا الأمير خالد ممدّداً على نقّالة، فقال، 'لا أستطيع تحريك ذراعي، لا يمكنني تحريك ساقي'"

كان صديق الوليد الكاليفورني، تشاك غولان، يزور أيضاً الوليد أثناء إجازته عندما تعرّض الأمير للحادث: "كان الأمر مأساويّاً جدّاً. توجّهنا إلى الشاطئ وترجّلنا من السيّارة، وكانوا في تلك الأثناء ينقلون الأمير خالد على نقّالة. كان خالد ممدّداً بدون ألم ومبتسماً بعض الشيء، لكنّه كان مضرّجاً بدمائه. كان على وشك أن يقتل. كنّا معاً في غرفة المستشفى وطلبت منه ألا يقلق، لأنّ الله سيلطف بابنه ويلطف به وقلت إنّ كل شيء سيكون على ما يرام. لقد كان بينه وبين الموت مليمترات"

من الصعب تصوّر وقوع مثل هذا الحادث مع خالد، فهو أطول قليلاً من أبيه، لكنّه يبدو أضخم وأقوى بنية نظراً لاهتماماته المبكّرة في الرياضة. وجه خالد الوسيم واللطيف أكثر استدارة من وجه أخته، وهو أكثر ميلاً للابتسام والضحك، حيث يوجد بداخله شقاوة تلميذ المدرسة، فيسلّم بالخمس ويرتدي ثياباً واسعة عندما لا يظهر بالثوب السعوديّ التقليديّ، ويبدي عناصر من الثقافة المدنيّة الأمريكيّة. بل إنّ لحيته الصغيرة المشذّبة وشاربه يشبهان لحى وشوارب الشبان في الغرب، رغم أنّه يطلقهما من باب احترام القيم الإسلاميّة التي توصي بالمحافظة على شعر الوجه على الأقل. ويستطيع خالد التفوّق على أي شابّ أمريكي باللكنة وحبّه لفريق كرة القدم الأمريكيّة دالاس كاوبويز (كان يحبّ في السابق سان فرانسيسكو فورتي داينرز، لكنّه تحوّل عندما انتقل لاعبه المفضّل، ديون ساندرز، من الفورتي داينرز إلى الكاوبويز). أنظر إليه نظرة أعمق وسترى شخصاً لطيفاً، وطيّب القلب يمتلك قيماً ثقافيّة قوية، يوازن بعناية بين المتطلّبات الصارمة لكونه أميراً من العائلة المالكة السعوديّة، والانجذاب المغنطيسيّ لنمط الحياة الغربيّ الحرّ والمعبّر

تبدو طبيعته الطيّبة جليّة من الاجتماع الأول معه، حيث يبدو أصيلاً، وودوداً، ويوزّع الابتسامات الدافئة بسخاء، وتتّضح طبيعته الفلسفيّة عندما يتحدّث عن الحادث. ورغم أنّه خلّف له عرجاً خفيفاً وبضعة ندوب في فروة رأسه، إلا أنّه يضحك الآن: "كنت أقود مزلجة مائيّة نفّاثة (جت سكي)، وقمت بتنفيذ إحدى تلك الحركات الحمقاء التي كانت تنجح جيّداً من قبل. ولا أدري لماذا لم تنجح هذه المرّة، على أي حال انتهى بي الأمر إلى تحطّم جمجمتي وحدوث شلل في جانبي الأيمن، والسقوط في الماء. انتشلني أحد أصدقائي من الماء ونقلني إلى القارب. كانت شقيقتي أول من شاهدني عندما خرجت من الماء والدم يغطّي وجهي وكل شيء، ولم يكن منظراً جميلاً. رأتني وأصيبت بالرعب وجنّ جنونها"

تشعر ريم بالقشعريرة عندما تتذكّر الحادثة: "عندما رأيته، كان قد فقد وعيه في الماء لبعض الوقت، فجنّ جنوني. لم أصدّق ما رأيت، وتحدّث إلي رفاقه وأعادوني إلى القارب. كان يرتدي قميص تي شيرت بيضاء، وهذا ما زاد الأمر سوءاً، حيث كان الدم يغطّيها بأكملها. لم أستطع التفكير لساعات. لقد كانت نجاته أعجوبة... توقّفت قليلاً، وانزعجت من فكرة كيف كان يمكن أن تنتهي الأمور.

رغم أنّه كان حادثاً، فإنّها تشعر بالذنب وتلوم نفسها إلى حدٍّ ما على ما حدث لخالد: "ركبت مزلجته الآليّة وطلب منه أن يسرع بحيث أقفز عنها، وهذا ما حدث. لذا فكّر في نفسه، 'إذا كانت شقيقتي الصغيرة تستطيع القيام بذلك، يجب عليّ أن أنفّذ ذلك بطريقة أكثر جرأة' وهكذا ركب المزلجة وأسرع وأراد أن يقفز إلى الماء على أن يغطس برأسه أولا. كان في ذلك الوقت واقفاً على المزلجة، وعندما قفز إلى الماء، تباطأت المزلجة قليلاً فارتطم رأسه بالمقبض الخلفيّ للمزلجة"

في ذلك الوقت لم يكن خالد يعرف مدى خطورة أصابته، ووجد نفسه يحاول أن يهدّئ أسرته، رغم أنّه كان مصاباً. لم يكن بوسعه تحريك جانبه الأيمن عندما سحبوه إلى شاطئ سان تروبيز. وبعد نحو عشر دقائق، بدأ يعود إليه الإحساس بيده، لكنّ ساقه بقيت مشلولة. نقل إلى المستشفى المحليّ على عجل وتبعه والده ومعه جهاد، طبيب العائلة. قال الطبيب المحليّ الذي فحص الأمير

الجريح إنّ المرافق في سان تروبيز ليست ملائمة، لذا لا بدّ من نقل خالد إلى مرسيليا أو باريس، حيث يمكن أن يحظى بعناية أفضل. كان الوليد يشعر بالقلق الشديد والكرب لرؤية ابنه على نقّالة مغطّى بالدماء، ففكّر في نقل ابنه على عجل إلى اختصاصيّين في الولايات المتحدة، لكن أبلغ بوجوب عدم تضييع الوقت لأنّ جمجمة الصبيّ قد كُسرت. طلب الوليد من جهاد العودة إلى اليخت لإعداد حقيبة من الملابس لأنّه سيأخذ ابنه إلى مستشفى هوبيتال دو لا تيمون في مرسيليا بالمروحيّة. كانت والدة خالد، الأميرة دلال موجودة في اليخت، وطلب الوليد من الطبيب ألا يبلغها بتفاصيل الإصابة: "رجعت إلى القارب، وكانت والدة خالد تستقبل بعض الأقرباء. طلب منّي الوليد ألا أجعلها تقلق لأنّ القارب يلزمه اثنتي عشرة ساعة للوصول إلى مرسيليا. فقلت، 'يا سموّ الأميرة'، لا بأس، سوف ننقله إلى مرسيليا، إنّه حادث بسيط. أخذت أغراض الأمير وتوجّهت بالسيّارة إلى مرسيليا واستغرقت الرحلة أربع ساعات"

وهناك وجد الأمير الوليد القلق إلى جانب سرير ابنه في المستشفى. وفي لحظة هدوء، توجّه الأمير إلى طبيبه وسأله إذا كان يعتقد بأنّ خالد سيمشي ثانية. فقال جهاد إنّه سيمشي إذا كانت تلك مشيئة الله.

وعرف خالد لاحقاً مقدار الضرر الذي أحدثته الإصابة: "كانت الإصابة عبارة عن ارتجاج وكسر في الجمجمة، حيث استقرّت قطعة منها في دماغي وأحدثت بعض الضرر في الأعصاب، لدرجة أنّها شلّت جانبي الأيمن من خلال القسم الأيسر من دماغي. بقيت ساقي مشلولة لمدّة أسبوع على ما أعتقد، ثمّ أجريت لي عمليّة جراحيّة. وقد منّ الله عليّ ببركة دعاء والدي. لم تعرف والدتي بأمر الجراحة ودقّتها إلا في اليوم التالي. فقد أخبرها والدي بعد أن خرجت من الجراحة"

تعتقد ريم أنّ والدها اضطر إلى تحمّل عبء كبير من جراء تجنّب إبلاغ زوجته بالمخاطر المحتملة، والتخطيط لما سيقوم به بمفرده: "لقد اتخذ قراراً كبيراً جدّاً، إذ كان هناك طبيب يقول إنّه يتعيّن إجراء هذه الجراحة. فلم يسأل والدتي، بل اتخذ القرار قال، 'أجروا له الجراحة' وأظهر قوّة وجلداً. لقد كانت أوقاتاً عصيبة...

قال الوليد إنّه لم يكن بوسعه أن يتخيّل أنّ ابنه لن يتمكّن من المشي وأن يبقى حبيس الكرسيّ المدولب. وبعد ذلك أمضى ساعات الصباح الأولى في الصلاة.

شهد تشاك مقدار تركيز الأمير: "لم يكن أي شيء آخر يهمّ، فقد بقي هناك، وظل تفكيره محصوراً هناك، إنني متيقن من أنّه ناجى ربّه وطلب منه أن يمنّ عليه وعلى ابنه بالمساعدة. وأعتقد أنّه كان خائفاً جدّاً في ذلك الوقت"

بعد ذلك تولّى جهاد السهر على خالد، وأمضى أسبوعاً معه، فيما كان الوليد يأتي ويغادر يوميّاً. لقد بذل الجرّاحون المحليّون أفضل ما لديهم في إجراء العمليّة لخالد، لكنّ الوليد أراد أن يفحص اختصاصيّون من كل أنحاء العالم ابنه. فطلب من طبيبه الاتصال بأطبّاء في بلدان مختلفة: "أحضرنا اثنين من ألمانيا، وستّة من بريطانيا، ونحو أربعة أو خمسة من الولايات المتحدة. وقال معظمهم إنّه لن يتمكّن من السير بعد الآن، إلا طبيب واحد من بيتسبيرغ - وهو جرّاح أعصاب - قال بعد أن فحص خالد، "يا صاحب السموّ، هناك احتمال يبلغ 95 بالمئة أن يتمكّن ابنك من المشي

كانت إعادة التأهيل قاسية على الصبيّ المراهق في البداية. فقد بقي غير قادر على تحريك ساقه اليمنى في العشرة أيام الأولى بعد الجراحة. وبدت تلك الأيام كأنّها دهر، وبدأ أمله يتلاشى، لكنّ الاختصاصيّين في العلاج الطبيعيّ اللذين أفردا له ثابراً.

قدّمت ريم دعمها لشقيقها، وهي تعتقد بأنّ قوّة إرادته ساعدته على التعافي: "قال كل الأطبّاء إنّه لن يتمكّن من المشي، وما من طريقة لعودة الأمور إلى ما كانت عليه، لكنّه فكّر في الأمر، 'كيف يمكن أن يحدث ذلك يا ربّ؟ لن أتمكّن من لعب كرة القدم، ولا المشي'، لذا اشتدّت عزيمته وبعد مرور شهرين أصبح في وضع أفضل من ذي قبل. وبدأ يتمرّن وبذل مجهوداً كبيراً جدّاً لكي يتعافى"

كان جهاد، الذي أمضى 20 يوماً كاملة إلى جانب سرير خالد، أول من زفّ النبأ إلى الوليد بأنّ ابنه أخذ يحرز بعض التقدّم، وأنّ هناك أملاً في الشفاء التامّ: "أثناء العلاج الفيزيائيّ، كنت أجلس معهم، فحرّك أحد أصابع قدمه فقفزت وتوجّهت إلى الأمير على الفور، وكان عندئذ في اجتماع مهمّ، لكنّني دخلت،

وقلت، 'يا صاحب السموّ، لقد حرّك الأمير خالد أحد أصابع قدمه'، فقال، 'الحمد لله'، لأنّهم أخبرونا أنّه إذا حرّك إصبعاً واحداً فسيحرّك الأصابع الأخرى وسيتمكّن من المشي ثانية"

حزم الأمير والحاشية أغراضهم وانتقلوا إلى باريس، على عادتهم كل عام عندما ينتقلون من جنوب فرنسا، وأخذوا معهم اختصاصيّاً في العلاج الطبيعيّ للعمل بشكل دائم مع الأمير المصاب. وعندما انتقلت الأسرة إلى الرياض، استخدم الأمير اختصاصيّاً آخر ليمضي سنة كاملة مع ابنه.

بناء الروابط

لقد لاحظ معظم أفراد العائلة والأصدقاء المقرّبين أن الحادثة أظهرت الجانب الرقيق من الأمير الوليد. فقد تعوّد الأمير أن يحافظ على تعابير وجهه العاديّة أثناء أكثر الظروف تحدّياً، وكان يباهي بعدم إظهار ردود أفعاله أثناء عقد صفقات الأعمال.

عندما مشى ابنه خطواته الأولى بعد الحادثة التي شلّت ساقه اليمنى، كان الانفعال شديداً جدّاً على الوليد. فقويت الأواصر بين الوالد وابنه، ولأنّ خالداً متفائل بطبعه، فقد رأى نتائج إيجابيّة بالتأكيد: "من المفارقة أنّ تلك الحادثة هي أفضل ما حدثّ لي. إنني أعرف الآن قيمة الحياة، وأقدّرها أكثر، إنني الآن أكثر قرباً من أسرتي، وأكثر قرباً إلى نفسي. أعرف قيمة الدمعة - تلك التي ذرفها والدي، وكانت تلك المرّة الأولى التي أراه فيها يبكي. أذكر ذلك كما لو حدث بالأمس. عندما مشيت لأوّل مرّة - وكنت ممسكاً بعكّاز - رأيت والدي يسير مبتعداً وتساءلت ما الذي جعل والدي يبتعد؟ لقد مضى إلى وراء الممر، وأمسك بوجهه وأجهش بالبكاء"

أصيب خالد بالذهول لأنّه وبالرغم من ارتكاز علاقته بأبيه على الصراحة والثقة، إلا أنّه لم يشعر قطّ بأنّها رقيقة إلى هذا الحدّ، وبخاصّة أنّه يعرف كم كان والده يكره أن يراه الآخرون مبدياً أي ردّ فعل، ولا سيما رد الفعل الانفعاليّ: "بعد أن رأيت ذلك و لم يسبق لي أن رأيت والدي يبكي من قبل - كان الأمر بمثابة

اختراق بالنسبة لي. وفكّرت، 'إنّ أبي إنسان'، إنّه عاطفيّ، بل لقد بكى من أجلي. لذا تقرّبت كثيراً إلى والدي ووالدتي. لقد أظهرت والدتي ووالدي كثيراً من الحبّ والتأثّر، وقد منحاني الدافع للمشي من جديد، وذلك ما قمت به والحمد لله"

كما أنّ الحادثة نقلت علاقة خالد بشقيقته إلى مستوى آخر، لا سيّما أنّها شهدت تسلسل الأحداث الرهيب: "بعد أن تعرّض للحادث توثّقت الصلة فيما بيننا، ونظرنا حقاً إلى الحياة كشيء علينا أن نعيشه يوماً بيوم وألا نقوم بأشياء تضيعها سدى"

ومن حسن الحظّ أنّ الصلة بينهما كانت وثيقة بالفعل، إذ حرص الوليد ودلال على ألا يؤثّر طلاقهما سلباً على العلاقة بينهما وبين ولديهما، أو بين الولدين نفسيهما. وقد شجّع الوالدان صغيريهما على تمضية الوقت معهما سويّاً وأبقيا على التواصل بينهما بحيث أظهرا لولديهما عدم وجود غضب أو ضغينة. ولم يكن عليهما أن يتخذا موقفاً إلى جانب أحدهما أو إظهار الولاء لأحدهما أكثر من الآخر.

تعتقد ريم أنّ ذلك كان أمراً حيويّاً في المساعدة على بناء اللحمة بين الأخ وشقيقته: "من الأمور المدهشة... أنّ أحدنا لا يغار من الآخر. أعني أنّ وجود ولدين – نحن الاثنين فقط – يمكن أن يؤدّي إلى أن يغار أحدهما من الآخر، لكنّ والدينا عاملانا دائماً بشكل متساوٍ...

كان تشاك يراقب خالد وهو يتماثل للشفاء، وهو يقول إنّه كان بوسعه أن يرى تصميم الوليد على تجاوز هذه التجربة الصعبة وإعادة الأسرة إلى ما كانت عليه. ويضيف بأنّ الوليد حرص على إعادة ابنه إلى سابق قوّته وقدرته بعد تلك التجربة المؤلمة: "في النهاية، وصلت الأمور إلى خواتيمها، حيث بذل كل ما بوسعه لبعث الحياة في ابنه من جديد وإعادته إلى ما كان عليه – وهو اليوم يقف حيث هو

الزواج من العمل

تجيب قدرة الوليد على التركيز على احتياجات ابنه في زمن الشدّة على كل النقّاد الذين يقولون إنّه لا يهتمّ سوى بعمله. ويتجلّى تفانيه من أجل ولديه في إيلائه انتباهاً دائماً إلى جدول مواعيده لضمان توفّر الوقت لقضاء الوقت معاً ما أمكن ذلك.

بالعودة إلى الوراء، كانت علاقة الأمير الوليد مع خالد وريم أنجح بكثير من زيجاته. عندما تزوّج الأميرة دلال في العام 1976، كان في الحادية والعشرين من العمر، ويعني ذلك أنّه أنجب ولديه وهو شابّ صغير. أما الآن فيقترب الوليد من سنّ الخمسين فيما خالد وريم راشدان في العشرينات من العمر وناضجان بحيث تمكّنا من تكوين علاقة صداقة معه. بالمقابل، فإنّ علاقته بدلال، وهي ابنة عمّه وتكبره بسنتين، عانت بشكل تدريجيّ طوال الأعوام الثمانيّة عشر التالية أو نحو ذلك، لكنّ الوليد يدحض أنّ زواجه فشل لأنّه كان صغيراً جدّا عندما التزم به: "ليس بالضرورة لأنّني بقيت معها فترة طويلة من الوقت، وقد قضينا وقتاً ممتعاً في أمريكا ووقتاً جيد جداً عندما عدنا إلى المملكة. لا أعتقد أنّ السبب يعود لأنّني تزوّجت عندما كنت يافعاً. بل إنّ ذلك ساعدني جدّاً عندما وصلت إلى الولايات المتحدة، لأنّني تزوّجتها بعد فصل واحد من دخولي الجامعة، لذا ساعدني ذلك في الاستقرار كثيراً، وفي أن أكون بيتيّاً ومحبّاً أكثر للعائلة"

ويشير الأمير إلى أنّهما كثنائيّ شابّ قدّما دعماً كبيراً أحدهما للآخر. وعندما عقد العزم على إثبات نفسه كرجل أعمال عصاميّ، رغم خلفيّته الملكيّة وصلاته، كانت زوجته تقف خلفه. ويذكر الوليد أنّه تأثّر كثيراً بلفتة أبدتها دلال بعد مرور أربع سنوات على زواجهما، حيث كانت أموال شركته شحيحة. وكان الوليد عنيداً ولا يميل إلى طلب المساعدة من أقربائه الأثرياء أو قبولها، لذا باعت عقداً ثميناً قدّم إليها كهديّة لكي توفّر لزوجها بعض السيولة.

ويبدي الوليد احترامه لها عندما يتذكّر أنّ العقد الرائع كان يساوي نحو مليون ريال (ما يقرب من 300.000 دولار في ذلك الوقت)، لكنّها لم تتردّد في التخلّي عنه لمساعدته. ويبتسم وهو يضيف إنّه كان مسروراً جدّاً لاستبداله بمجموعة من المجوهرات التي تزيد قيمتها عن الضعفين عندما أصاب النجاح.

وعندما يرجع الوليد إلى الوراء، يقول إنّ علاقته بزوجته أضافت الكثير من الاستقرار إلى حياته، وساعدت في تصاعد منحنى النضوج لديه بسرعة، لكنّه يُمسك عن ذكر الأسباب التي دعت إلى الطلاق قائلاً، "هناك أحياناً أسرار تبقى بين الرجل وزوجته"

وتصف الأميرة ريم كيف ترى الاختلاف بين شخصيّتي والديها، وكيف تُقبل والدها على الحياة: "إنّها عنيدة وقويّة، وتنظر كثيراً إلى المستقبل. وهي تعاملنا حقّاً كأصدقاء، أعني ليس كأمّ عاديّة كأن تقول، 'افعلي هذا وذاك'، وما يماثلـــها مـــن أمور

يتعارض نمط حياة الأميرة دلال الذي يميل إلى العشوائيّة بصورة واضحة مـــع الروتين اليوميّ الذي يتبعه الوليد: والدي نظاميّ جدّاً فهو يخطّط لكل شيء مسبقاً. وأنا واثقة من أنّ عليه القيام بذلك بسبب ما هو عليه، لكنّ طريقة أمـــي مختلفـــة. فهي لا تحب القيام بأشياء كهذه، ولا تحبّ التخطيط للأشياء، ولا تحبّ أن يكون كل شيء مضبوطاً جدّاً، بل تحب أن تحيا الحياة ببساطة"

يعبّر الوليد عن اعتقاده بأنّ ذلك لم يكن عاملاً من العوامـــل الـــتي أدّت إلى الفراق بينهما.

كان تشاك غولان، وهو الشخص الذي صادقه الأمير بعد انتقاله إلى الولايات المتحدة للدراسة، شاهداً على الأيام الأولى من زواج الأمير. فقد شـــاهد الثنـــائيّ الشابّ يبنيان حياتهما معاً، ويتعاملان مع مصاعب وجودهما في ثقافة مختلفة جـــدّاً عن تلك التي اعتادا عليها في الشرق الأوسط. وهو يخلص مما كان بوسعه أن يـــراه إلى أنّ الوليد ودلال كانا متحابّين ومتفانيين. ويذكر تشاك كيف تلقّى مكالمـــة في الصباح الباكر من الأمير طالباً منه الحضور على عجل. غادر الكاليفورنيّ الضـــخم بيته مسرعاً، وعندما دخل مرآب الأمير، لاحظ أنّ الوليد واقف على درج الرواق. لقد طلب حضور تشاك لأنّه فرح جدّاً من نتائج فحص طبيّ يظهـــر أنّ الأمـــيرة حامل: "تلقيّا النبأ بأنّها حامل. وقد سرّ بذلك أيّما سرور! وعندما ولـــد خالـــد بمستشفى جامعة ستانفورد، كنت هناك. وكان لديه غرفة أعدّت خصّيصاً لـــه – وهو أمر لم يفعلوه من قبل – وكانت والدة الأمير موجودة، ثمّ جاء الصغير

بالنسبة للأمريكيّ المتساهل، كان الجزء الوحيد الغريب في العلاقة بين الأمـــير وزوجته عدم إظهار الحبّ والمودّة في العلن. فهو معتاد على السلوك التعبيريّ بـــين المتحابّين الشبّان، كونه من كاليفورنيا، ولم يكن يقدّر تماماً أنّ الثقافة الســـعوديّة، وكونهما من العائلة المالكة، يفرضان القليل من التحفّظ. وكان يجد ذلـــك مســـليّاً

بعض الشيء، وبخاصّة من شخصيّتين قويّتين مثلهما: "كان أكثر سيطرة منها بطبيعة الحال، لكن الأمر المضحك بالنسبة إليّ، هو أنّه كنّا نحن الثلاثة، بين الحين والآخر، نستقلّ سيّارة ليموزين متوجّهين لتناول الطعام ثمّ نعود إلى المنزل، وكنت أجلس في المقعد الأماميّ وهما في المقعد الخلفيّ، وعندما لا يكون أحدهما ممسكاً بيد الآخر أو نحو ذلك، كنت أقول، 'هيا، لَمَ لا يقبّل أحدكما الآخر من حين إلى آخر'، لكنّهما يشعران بالخجل ولا يبديان أي تقارب، وكنت أندهش مما يجري. لم أستطع أن أفهم ذلك، لكنّهما على أي حال كانا منسجمين جدّاً معاً على حدّ علمي"

يحجم الأمير عن كشف مصدر الخلافات التي نشأت لاحقاً في حياتهما، ولماذا افترقا في نهاية المطاف: "لا أستطيع أن أكشف عن كل الأسرار بيني وبين زوجتي الأولى، لكن في نهاية الزواج، قرّرنا أنّ الوقت قد حان للانفصال وأن نبقى أصدقاء، وأنا لا أزال ألتقي بها أحياناً بطبيعة الحال. تأتي لزيارتي وأزورها، ونتبادل الاتصال – ربما ليس شهرياً، لكن مرّتين أو ثلاث في السنة، لذا العلاقة وديّة بيننا على الأقل. في بعض الأحيان يكون من السهل الانفصال والاحتفاظ بعلاقة جيّدة بدلاً من الضغوط والتوتّر وسوء العلاقة. وقد اخترنا الانفصال والحفاظ على حسن العلاقة، خاصّة أنّ لدينا ولداً وبنتاً جميلين"

بعد مضيّ ثماني عشرة سنة على الزواج، انفصل الأمير الوليد عن الأميرة دلال. كان ذلك في كانون الأول/ديسمبر 1994، بعد وقت غير طويل على توقيع الوليد على الصفقة المهمّة مع ديزني للحصول على حصّة كبيرة في يورو ديزني. فبينما كان الأمير كما في "القصص الخياليّة" يركب على حصانه لإنقاذ ميكي ماوس، كان الوليد وأميرته يسيران باتجاه نهاية مخالفة لنهايات " القصص الخياليّة"

غير أنّ الوليد استفاد من التجربة التي مرّ بها في طفولته وطبّق الخبرة التي اكتسبها على طريقة تعاطيه مع طلاقه من دلال. لم يشأ أن يكرّر الوضع الذي واجهه عند انفصال والديه، والصعوبة التي أحدثها ذلك له ولشقيقيه. فقد انشطروا بين أمهم وأبيهم وثقافتي المملكة ولبنان. وقد حرص الوليد على بقاء خالد وريم على مقربة من والدهما واستفاد إلى أقصى درجة من أنّه وزوجته السابقة مقيمان

في المدينة نفسها، ولا تفصل بينهما مسافة كبيرة. ويقضي الولدان أوقاتاً طويلة مع والديهما.

عندما تخرّجت الأميرة ريم من جامعة نيو هافن، في كونتيكيت، في 17 كانون الثاني/يناير 2004، كان رئيس مجلس إدارة مجموعة سيتي، ساندي ويل، ضيف الشرف والمتحدّث في حفل التخرّج. وعندما اعتلى صديق الوليد المنصّة، كان الأمير يجلس في مقابله تماماً، في الصفّ الأول، فيما خالد عن يساره والأميرة دلال بجوار ابنها. كانت بأناقتها الناضجة ومظهرها الشابّ تكمل قسمات الأمير الشابّة. وكان يمكن بسهولة أن يكون هذا المشهد قبل عشر سنوات، عندما كان الثنائيّ لا يزال معاً. ورغم أنّهما لا يكثران الحديث بينهما، لكن بدا من الواضح أنّهما صنعا السلام فيما بينهما من أجل ولديهما، ونتيجة لذلك، حصل ولداهما على السلام.

عقد القران ثانية

في أعقاب الانفصال عن الأميرة دلال، بقي الوليد عازباً لمدّة سنتين، لكن في العام 1996، غاص في بحر الزواج ثانية، وسرعان ما أصبحت الأميرة إيمان السديريّ إلى جانبه. وهذه المرّة لم يُقدّر للزواج أن يدوم أكثر من سنة واحدة. وبدا تقريباً أنّ هذا الزواج بدأ وانتهى بدون ضجيج.

وفي العام 1999، قرّر الوليد أن يعيد الكرّة. وكانت هذه المرّة الشابة الفاتنة خلود هي التي استرعت انتباهه. كانت في الثانية والعشرين، أي أكبر من ابنه خالد، عندما انضمت إلى الدائرة الملكيّة لتصبح الأميرة خلود، وتحتل مكانها إلى جانب الأمير. ورغم أنّها لا تمتّ بصلة إلى العائلة المالكة، إلا أنّها تعتبر من خلفيّة تحظى باحترام كاف لكي يرتبط الأمير بها.

لقد أصبحت خلود جزءاً من حياة الأمير في أصعب الأوقات إلى حدٍّ ما. فقد تزوّجا عندما كانت صفقاته التجاريّة تتصاعد، وكان يوسّع إمبراطوريّته بسرعة في كل أنحاء العالم. كانت الزوجة الشابّة تسافر مع الوليد في رحلاته المضغوطة بالاجتماعات والمواعيد من بلد إلى آخر، ومن مدينة إلى أخرى، ورغم أنّه كانت

لديها حاشية صغيرة تضمّ ثلاث وصيفات وحارسين شخصيّين، وجدت خلود أنّ مجاراة هذا الدينامو البشريّ الذي تزوّجته أخذ يزداد صعوبة.

فعلت ما بوسعها لكي تلعب دور المرافق الملكيّ، وكانت دائماً تظهر بصحبة الوليد في اللحظات المناسبة. ولأنّها تعلم عادات زوجها في المحافظة الصارمة على المواعيد، وحاجته إلى تنظيم وقته بدقّة شديدة، فقد كانت حذرة جدّاً في تخطيط وقتها بحيث يتوافق مع وقته. في الواقع، كان غالباً ما يخطّطه لها بطريقته المنظّمة المعهودة. وعندما كانا يظهران معاً في العلن أمام الآخرين، كانت تمازحه وتغيظه قليلاً، قائلة إنّه ليس شخصاً عاديّاً، حيث لا ينام سوى أربع أو خمس ساعات في الليل، فيما جدول مواعيده مضغوط دائماً على مدار السنة.

لا شكّ في أنّه لم يكن لعدم انتمائها إلى العائلة المالكة دور في كيفيّة تقدّم العلاقة بينهما. وكانت المرّة الوحيدة التي بدت فيها غير مرتاحة، على متن يخت الوليد ذات صيف فيما كان راسياً مقابل كان.

كان الأمير الوليد يتناول عشاءه الخفيف، في ساعات الصباح الأولى، قرابة الساعة الرابعة فجراً، على السطح الكبير المكشوف ليخته الضخم. وكالعادة، كان هناك عدد كبير من الجالسين إلى الطاولة الكبيرة عند طرف السطح، وبينهم زائر أو اثنان. كان العديد من الأشخاص يأتون لمقابلة الأمير على متن اليخت يوميّاً، إما للعمل أو للاجتماعيّات. وكان العشاء هو الوقت المعتاد الذي يوزّع فيه فريق سفريّات الأمير جدول المواعيد لليوم التالي، لا سيما أنّ معظم الأشخاص الرئيسيّين الذين يحتاجون إلى نسخة يكونون جالسين إلى طاولة الوليد. وفي هذه المناسبة، تفحّص أحد الزوّار الورقة ولاحظ الأقسام المنفصلة التي تبرز مواعيد الأمير خالد والأميرة ريم والأميرة خلود. وعلّق الزائر ببراءة بأنّ اللقب الذي يسبق أسماء الوليد وولديه هو "صاحب أو صاحبة السموّ الملكيّ"، في حين أنّ لقب خلود هو "صاحبة السموّ"، وسأل إذا كان ذلك مقصوداً أو أنّه خطأ طباعيّ. تململ الوليد وتحرّك في مقعده، وكان يدرك أنّ خلود تراقبه عن كثب، وبعد غمغمة تنمّ عن عدم ارتياح صرف الأنظار عن الموضوع باعتباره مسألة بروتوكول ملكيّ. واستغرق الأمر قليلاً من الوقت لكي يعود الحديث إلى مساره السابق على الطاولة.

مع ذلك، كان يبدو أنّ الأمير يستمتع برفقة خلود، ويعتبرها امـرأة شـديدة الصبر، لكن بعد خمس سنوات من الزواج بالأمير بدأت طاقتـها بالنضـوب. في السادسة صباحاً في ردهة فندق جورج الخامس بباريس، كان يمكن رؤية خلـود تحاول إظهار ولاءها لزوجها بالبقاء مستيقظة، لكنّها تكافح لتبدي الاهتمام بنمط حياته الليليّ. ويبدو أنّ الوليد كان يلاحظ ذلك: "الحياة معي ليست سهلة – ليس لأنني رجل صعب، بل لأنّني منظّم. فالطريقة التي أتابع فيهـا حيـاتي، وطريقـة استعدادي للعمل طوال 24 ساعة، وطريقة انغماسي في كثير من جوانب الحياة – سواء أكانت أعمالاً، أم اقتصاديّة أم ماليّة، أم سياسيّة، أم خيريّة... لا تترك الكثير من الوقت للزواج – ناهيك عن إنجاب طفل آخر

ربما تكون تلك نقطة يجدر التوقّف عندها في العلاقة بينهما. فللوليد ولـدان يحبّهما، وقد أوضح لخلود أنّه يريد إبقاء الأمر على ما هو عليه: "إنّه قرار اتخذتـه بعدما رزقت بابنتي ريم، قبل أكثر من 20 سنة. قرّرت ألا أنجب المزيد من الأولاد، وكنت متّسقاً مع نفسي ولا أزال مثابراً على هذا الموضوع، لذا لا أرى نفسي أنّني مستعدّ لإنجاب مزيد من الأولاد. لا أدري لماذا، لكنّني أعارض ذلك تماماً"

يفاجأ كثير من الأشخاص عندما يعلمون أنّ هذا الأمير السعوديّ البارز لديه ولدان فقط وأنّه قرّر عدم إنجاب المزيد. ففي ثقافة الشرق الأوسط، كما في العديد من الثقافات الأخرى، يعتبر الأولاد نعمة بشكل تقليديّ، وتشير كثرة عدد الأولاد إلى القوّة والعزوة. صحيح أنّ السعوديّين العصريّين لا يميلـون إلى الـتفكير بهـذه الطريقة، وأنّ التقدّميّين منهم يتّبعون الاتجاه الغربيّ بالاكتفاء بولدين أو ثلاثة علـى الأكثر. وقد يكون هناك اعتبار آخر بالنسبة للوليد، حيث يمكن أن يؤدّي إنجـاب مزيد من الأولاد من أمّ أخرى إلى نشوء توتّرات بين أفراد العائلة.

أياً يكن الأمر، ففي أوائل سنة 2004، لم يعد سجلّ سفر الأمير يضمّ قسـماً مخصّصاً لصاحبة السموّ الأميرة خلود.

بدا مزاج الأمير أكثر مرحاً، بل ماكراً إلى حدٍّ ما عندما كان يقضي إجازتـه الشتويّة في منتجع التزلّج الأمريكيّ جاكسـون هـول في وايومنـغ، في كـانون الثاني/يناير كان معه ابنه وابنته فقط، إلى جانب الحاشية المعتادة، وكانت معنويّاته

جيّدة على وجه الخصوص. لاحظ واحد أو اثنان من فريقه التغيّر الدقيق الذي طرأ على الأمير وردّوا ذلك إلى عدم اضطراره إلى تحمّل مسؤوليّة العناية بزوجته والاهتمام باحتياجاتها. فالوليد يميل إلى الشعور بالمسؤوليّة عن الأشخاص المحيطين به، ويحرص على الاهتمام بهم والتحقّق من مشاركة الجميع واستمتاعهم. ومن الواضح أنّ الساعات الطويلة والجلسات الليليّة شكّلت إرهاقاً لزوجته السابقة. وقد يكون ثمة عنصر من المسؤوليّة لديه يدفعه إلى الشعور بأنّه إذا لم يقم بتنظيم الرحلة بشكل جيّد بأحداثها المرحة، فإنّه لا يكون مضيفاً جيّداً، وهي صفة مهمّة جدّاً في الثقافة العربيّة. أيّاً يكن الأمر، فإنّه كثير التطلّب كرئيس، وأب، وزوج، وصديق ويدرك أنّ الضغط الذي يمارسه على الآخرين يسبّب الإرهاق. وبالتأمّل في آخر زواج لم يكتب له النجاح، يقدّم الأمير تقييماً صريحاً وشيئاً من الاعتراف: "أعتقد أنّني لعبت دوراً كبيراً إلى حدٍّ ما، في عدم نجاح الزواجين الأخيرين. وربما تمنعني طريقة تنظيمي الدقيق، وطريقة تقدّم حياتي من الزواج مرّة أخرى"

لا يستبعد الوليد الأمر برمّته، وهو يتأمّل في لحظات اللهفة في حاجة الرجل إلى زوجة، لكنّه يشعر بوجوب أن تكون العلاقة آمنة، وهو الأمر الذي لا يبدو واثقاً من تمكّنه من تحقيقه بالنظر إلى طبيعة نمط حياته: "إنّني أمرّ في مرحلة من حياتي وأبحث الأمر مع نفسي وأقيّمه. وأعتقد أنّ سرعة الخطى التي أنتهجها قد تتعارض مع الزواج المستقرّ، لكنّني لم أتوصّل بعد إلى قرار نهائيّ. إنّني أجري تقييماً لذلك، وأحاول أن أكون صادقاً مع نفسي في هذا الموضوع"

عندما تزوّج الوليد من خلود في العام 1999، ذكر سطر في إحدى الصحف أنّها أنهت عهده كأهمّ عازب مرغوب في الزواج منه في العالم. ويبدو أنّه بدءاً من العام 2004 استعاد ذلك اللقب.

الجيل التالي

"من الذي سيتولّى هذه الأعمال"؟

إنّه سؤال يزعج أي شركة أو مؤسّسة ناجحة.

في حالة الأمير الوليد، يوجد الكثير على المحكّ. فشركته، شركة المملكة

القابضة، إمبراطوريّة عالميّة هائلة من الاستثمارات التي يمكن أن تؤثّر بشكل جذريّ على الأسواق الماليّة إذا ما قرّر الأمير شراء كميّات كبيرة من الأسهم أو بيعها. وقد أمضى العقدين الماضيين يدير الإمبراطوريّة بدقائقها، لذا من الطبيعيّ أن يبرز السؤال عما يمكن أن يحدث عندما ينقل زمام الأمور إلى خليفته. ومن يمكن أن يكون ذلك الخليفة؟ ابنه أم ابنته أم كلاهما؟

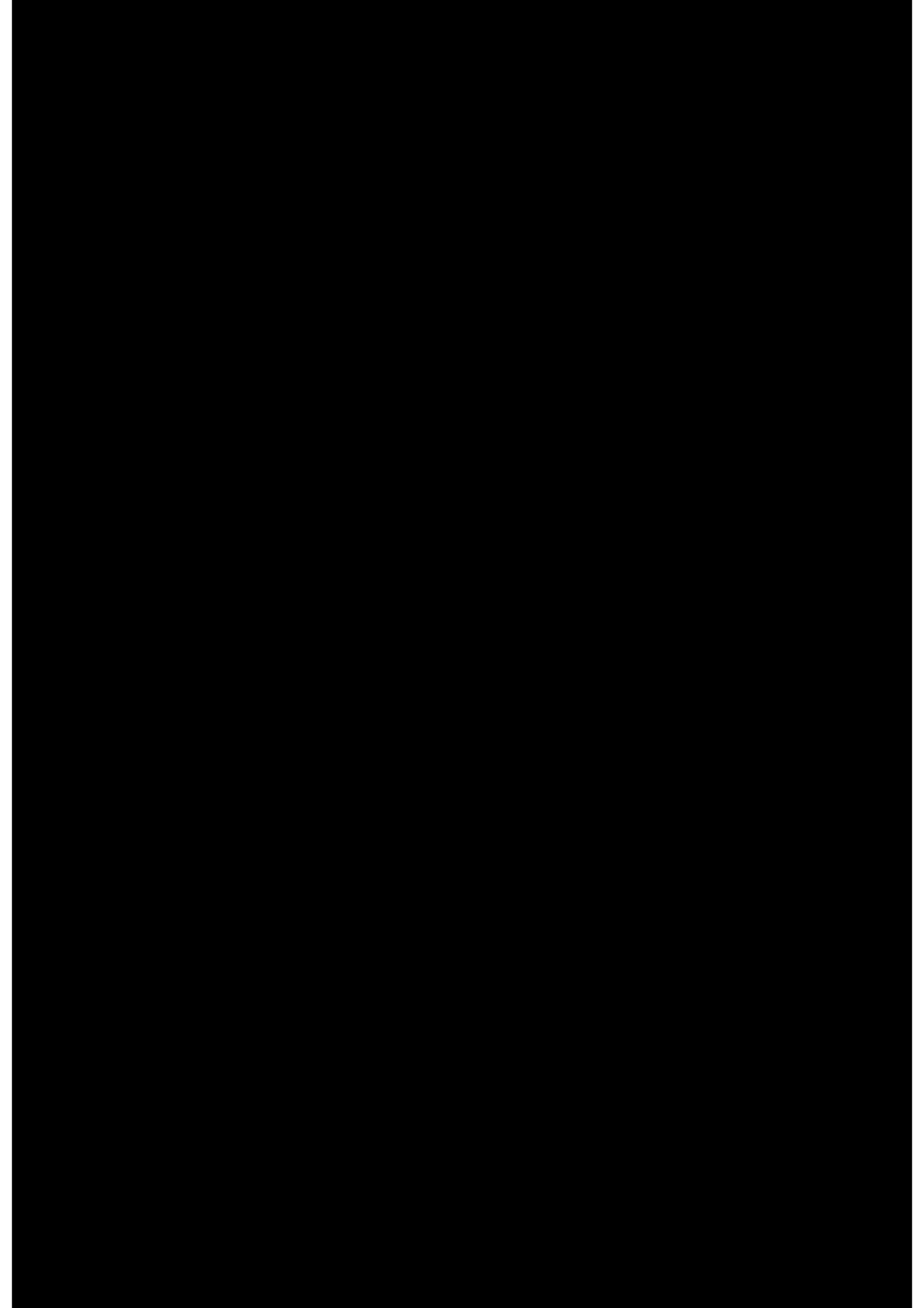
يبدو أن كفّة الرجحان تميل إلى الخيار الثالث، وقد أصبح الوليد أكثر صراحة بشأن الدور الذي سيلعبه ولداه في تطوير شركة المملكة القابضة في المستقبل. فقد بدأ الأمير خالد في أواخر العام 2004، على سبيل المثال، يتولّى إدارة مشاريع أكبر، وقد تولّى تلك المسؤوليّة بموقف جادّ ومحترف.

وبدأت الأميرة ريم تجد طريقها في أرجاء الشركة بسرعة بعد تخرّجها في كانون الثاني/يناير 2004، رغم أنّ هدفها المباشر هو اتباع الخطى التي سار عليها أخوها قبل سنتين، وضمان الحصول على خبرة عالميّة كافية.

ونظراً للهمّة العالية الاستثنائيّة التي لا يزال الوليد يتمتّع بها، فمن المرجّح أن يتقدّم العمر بمعظم الأشخاص الذين يطرحون أسئلة عن الخلافة الكاملة الآن بحيث يفقدون اهتمامهم عندما يحدث ذلك بالفعل. فلا تزال هذه المسألة عديمة التأثير على طريقة إدخال الأمير ولديه إلى أعمال العائلة وتفويضهم بالصلاحيّات في السنوات القادمة. لقد كانت تربيتهم مختلفة اختلافاً جذريّاً عن تربيته، ولا شكّ في أنّ ذلك صاغ آمالهم وطموحاتهم بطريقته الخاصّة.

تطوّرت اندفاعة الأمير في وقت مبكّر باعترافه: "كنت ملتزماً جدّاً في سنّ مبكّرة جدّاً، وكنت دائماً أريد الفوز وأن أكون في الطليعة، وطالما أحببت أن أكون الرقم واحد. وأعتقد أنّ ذلك جزء منّي. وأعتقد أنّ الاعتماد على نفسي لعب دوراً في جعلي مستقلاً جدّاً ووفّر لي الدافع"

يثير ذلك القلق من أن تفرض تطلّعاته الشخصيّة على ولديه، ويضغط عليهم للنجاح بالمستوى المرتفع نفسه الذي حققه. ويقول الأمير إنّه سعى جاهداً إلى عدم التدخّل في تحديد أهدافهم وطموحاتهم: "لقد قمت بواجبي تجاههما وأنا سعيد جدّاً بطريقة تربيتي لهما. فهما متديّنان ويتمتّعان بأخلاق رفيعة، وذلك كاف جدّاً





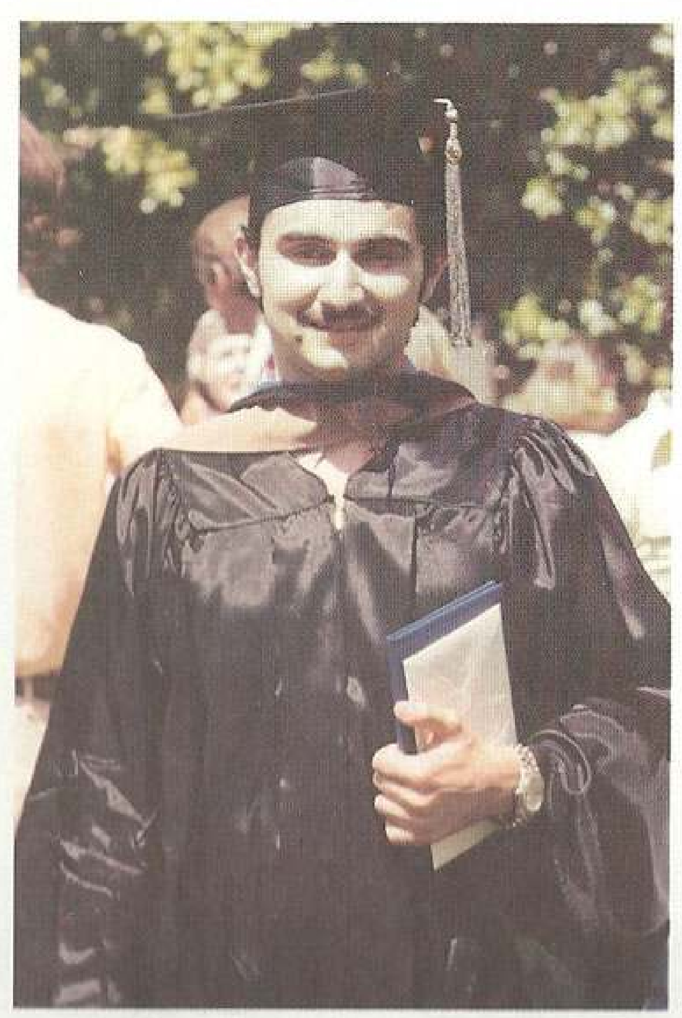
الأمير الوليد بلباسه التقليديّ مصحوباً بأمّه، فيما تحمل خالته ليلى الصلح شقيقته، الأميرة ريما.
وتدير خالته اليوم مؤسسة الوليد بن طلال الإنسانيّة في بيروت.



غالباً ما كان يلتمّ شمل الأشقاء الثلاثة في لبنان. هنا في سنة 1960،
هنا الوليد في سنّ الخامسة يمسك بيد شقيقته، الأميرة ريما، فيما تقود أمّه شقيقه الأصغر الأمير خالد.



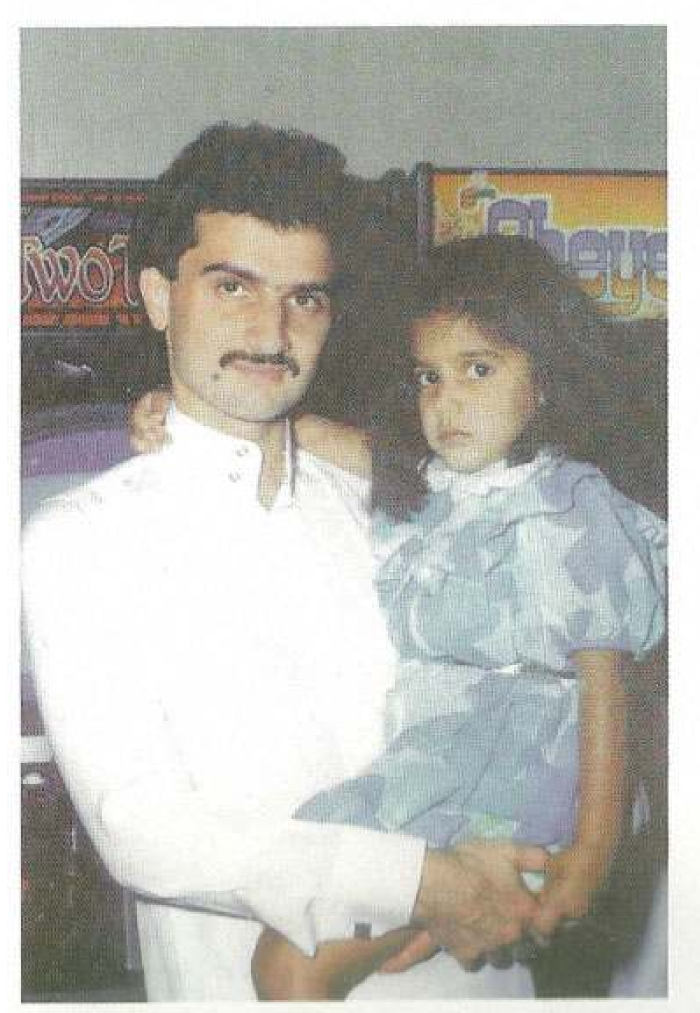
الأمير ملتحقاً بكليّة الملك عبد العزيز الحربية في المملكة العربيّة السعوديّة 1968 ـ 1973. يصف الأمير الول
تلك المرحلة بأنّها: "إحدى مراحل التحوّل في حياتي، حيث أصبحت شديد الاعتماد على الذات".



التخرّج من منلو كولدج، في كاليفورنيا، بشهادة في إدارة الأعمال في حزيران/يونيو 1979.



الأجيال الثلاثة معاً: الأمير طلال مع ابنه، الأمير الوليد وحفيده، الأمير خالد،
أثناء الاحتفال بعيد ميلاد الصغير الرابع في 21 نيسان/أبريل 1982.





ليس هناك أحد أقرب إلى الأمير الوليد [illegible] (إلى [illegible]) والأميرة ريم، ويبدون هنا صغيرين.

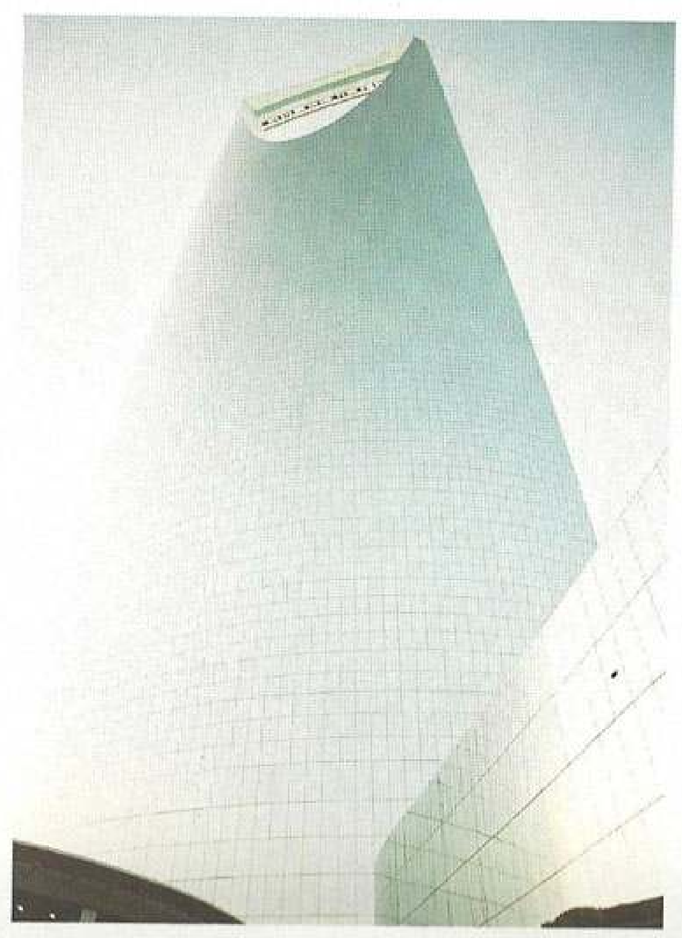


الإجازة الصيفيّة في سنة 2000، ويبدو الأمير مع ولديه،
الأميرة ريم والأمير خالد، في ريعان الشباب.



يقع المنزل في قلب العاصمة السعوديّة، الرياض، وتبلغ مساحته 460,000 قدم مربّع. يتقاسم الأمير الوليد عقاراً يتكوّن من 370 غرفة مع ولديه اللذين يعيشان في جناحين منفصلين على جانبي القسم المركزي.

بنيت الإمبراطوريّة الاستثماريّة العالميّة لشركة المملكة القابضة من هذا المكتب الكائن في مبنى من دورين قرب وسط مدينة الرياض، التقطت الصورة في شباط/فبراير 2004.



يهيمن برج المدينة الجذّاب على خطّ الأفق حيث يبلغ ارتفاعه 303 أمتار.
عندما افتُتح في تشرين الأول/أكتوبر 2003، أصبح أعلى مبنى في المملكة العربيّة السعوديّة.

نمت علاقة وثيقة بين الأمير الوليد ورئيس مجلس إدارة مجموعة سيتي، ساندي ويل، وهما هنا أثناء اجتماع في مقرّ البنك بنيويورك.

الأمير الوليد ومعه ابنه الأمير خالد، أثناء تجديد فندق جورج الخامس في باريس سنة 2000. اهتمّ الوليد شخصياً في العديد من تفاصيل التجديد.

الأمير الوليد يقود مجموعة من زعماء العالم في جولة حول فندق فور سيزنز في مدينة شرم الشيخ المصريّة في سنة 2003. (من اليسار إلى اليمين: رئيس الوزراء الفلسطينيّ محمود عبّاس، الرئيس المصريّ حسني مبارك، الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود (الملك الحالي)، ملك البحرين حمد بن عيسى آل خليفة، الأمير الوليد، ملك الأردن عبد الله بن الحسين، الرئيس الأميركيّ جورج دبليو بوش).



عمدة مدينة نيويورك رودولف جيولياني يتسلّم شيكاً بمبلغ 10 ملايين دولار من الأمير الوليد بعد مضيّ شهر على وقوع الهجمات الإرهابيّة في 11 أيلول/سبتمبر 2001. وكان رفض الشيك فيما بعد بمثابة حدث دوليّ



أقام الأمير الوليد بن طلال علاقة وثيقة مع معظم قادة بلدان الشرق الأوسط،
بمن فيهم الرئيس السوريّ بشّار الأسد. ويشاهد الرجلان هنا في اجتماع عقد في سنة 2004.



الأمير الوليد يتسلّم ميداليّة بيت لحم، وهي أعلى وسام تمنحه السلطة الفلسطينيّة
من الزعيم الراحل ياسر عرفات في غزة سنة 2000. ويعتبر الأمير ثاني أكبر مساهم في معونة السلطة
الفلسطينيّة بعد المملكة العربيّة السعوديّة



الأمير الوليد يهنّئ ولي العهد البريطانيّ في أعقاب مباراة في البولو جرت في ويندسور بحضور الملكة إليزابيت وبرعاية شركة المملكة القابضة. إنكلترا، 2003.

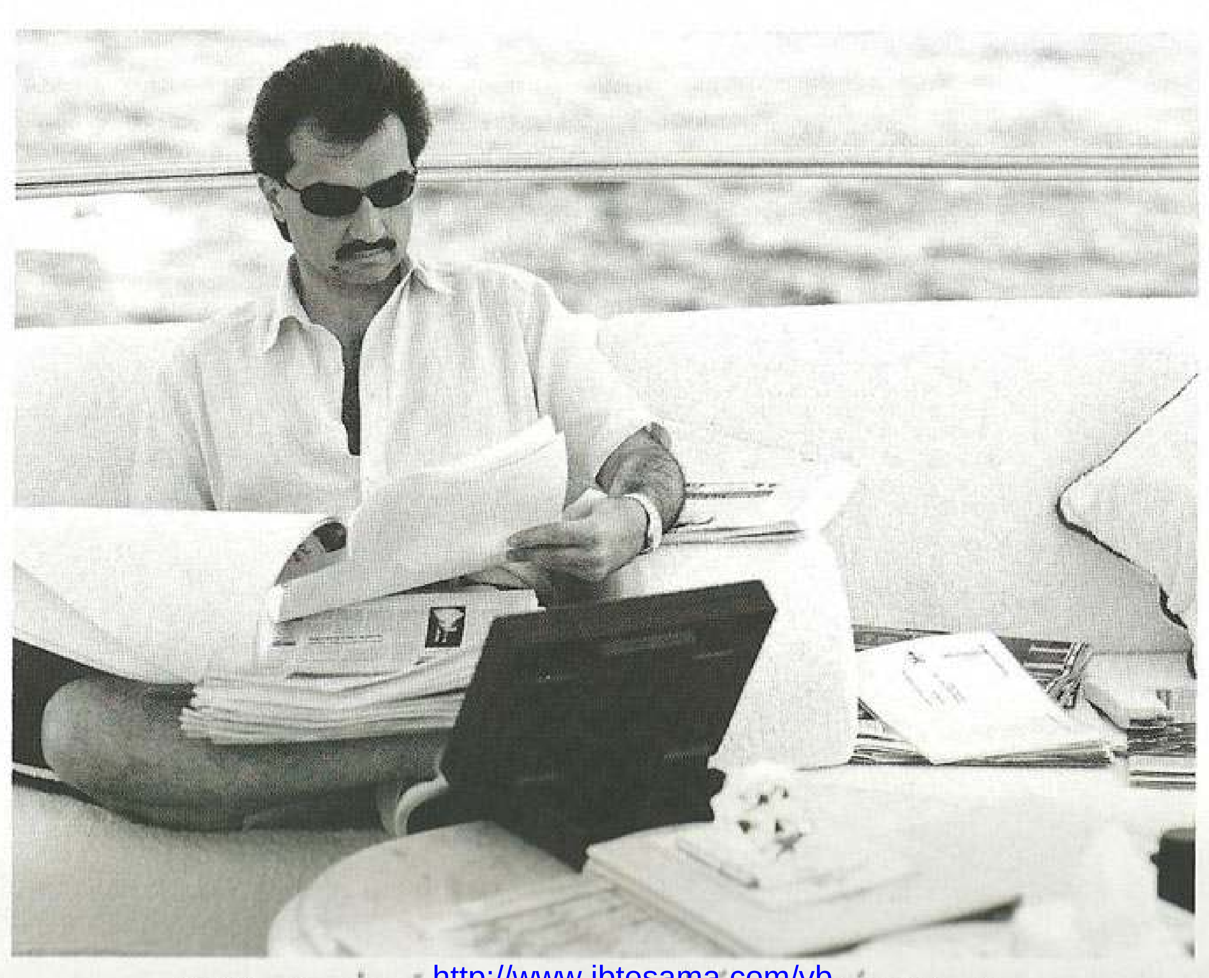
ركوب طائرته الخاصّة من طراز بوينغ 767 أثناء توجّهه لقضاء إجازته الصيفيّة في جنوب فرنسا في سنة 2003. في هذه الأثناء، يعيد الأمير تجهيز طائرة بوينغ 747 جمبو جت لتحل محل هذه الطائرة.

إجراء مكالمات أعمال أثناء رحلة إلى باريس، آب/أغسطس 2003.



طائرة الوليد الخاصّة من طراز بوينغ 747 جمبو جت أثناء رحلة تجريبيّة في سنة 2004،
قبل أن ت[illegible] 2005.

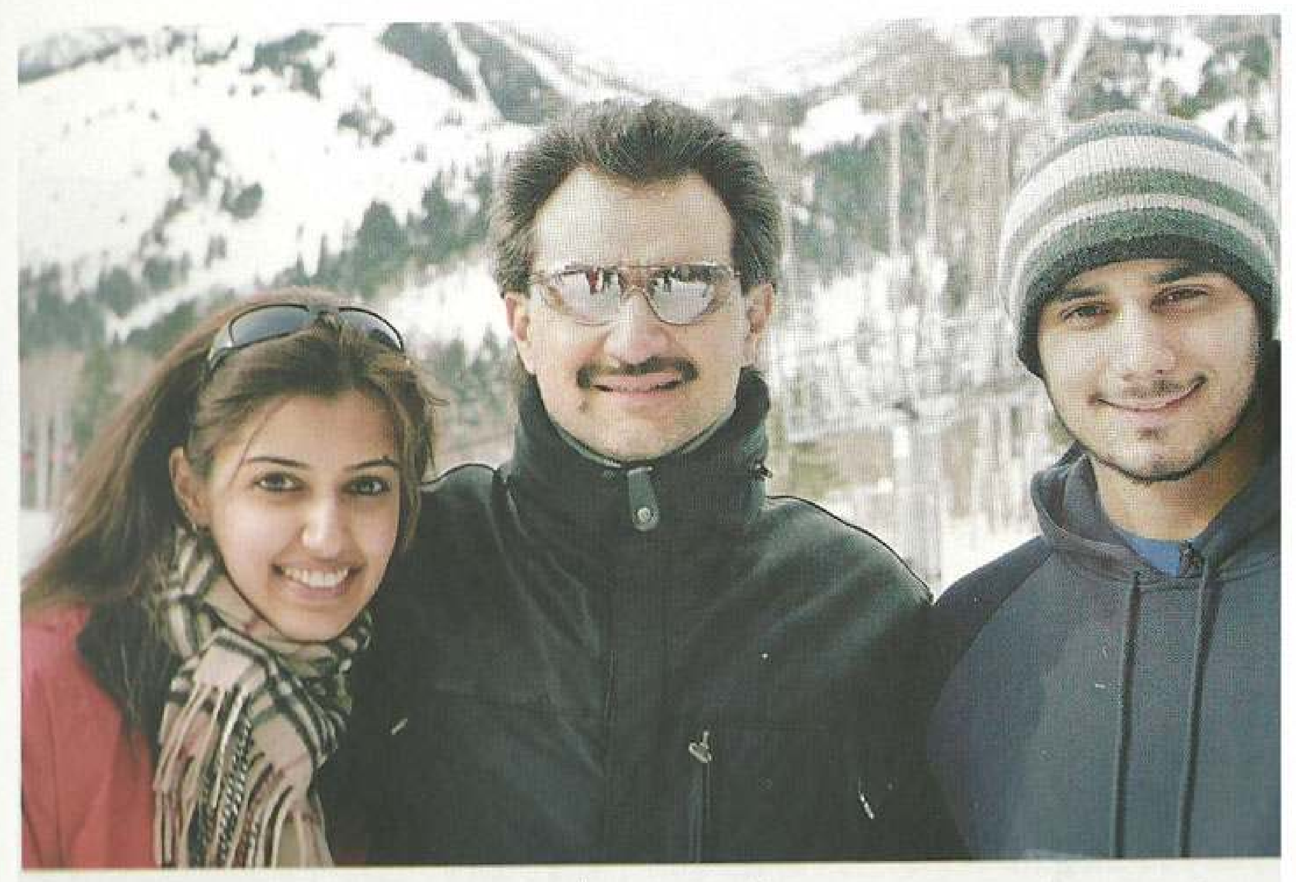
يستخدم الأمير الوليد اليخت Kingdom 5-KR الذي يبلغ طوله 83 متراً أثناء إجازاته الصيفيّة. وقد أسمي بالحرفين الأولين من اسمي ابنيه، الأمير خالد والأميرة ريم. كان هذا اليخت ملكاً لعدنان الخاشقجي ودونالد ترامب قبل أن تنتقل ملكيته إلى الأمير، وسيتمّ استبداله بواحد يزيد حجمه على الضعفين.



متابعة التطوّرات المالية أثناء قضاء الإجازة، آب/أغسطس 2003.



بدأ الأمير هواية التزلّج على الثلج في الأربعينات من عمره ليتمكّن من الاستمتاع بالإجازات الشتويّة مع ولديه. وبفضل التدريب المكثّف صار يتقن هذه الهواية أثناء رحلته إلى جاكسون هول، بوايومنغ، في كانون الثاني/يناير 2004. ويظهر الأمير هنا مع مصرفيّه الخاصّ مايك جنسن.



على منحدرات جاكسون هو[illegible]يم، كانون الثاني/يناير 2004.

يوجد لدى الأمير ميل شديد إلى ثقافة الصحراء وتراثها، وهو يمضي عطلات نهاية كل أسبوع في مخيّمه الصحراويّ خارج مدينة الرياض.



اعتادت حاشية الأمير على مسيراته الطويلة في الصحراء في عطلات نهاية الأسبوع، وتبدو هنا الخضرة والعشب بعد هطول أمطار غزيرة في شباط/فبراير 2004.

الحديث عن ازدهار الإنترنت لأنّنا نعرف ماذا حدث هناك"!

نظراً لكونه شاباً متواضعاً، بل وحتى خجولاً فيما يتعلّق بقدراته، فإنّ الأمير خالد يقسو قليلاً على نفسه. فقد أبلى بلاء حسناً في الواقع في تلهّيه بالتجارة على الإنترنت في مرحلة ما. فقد استخدم من أمواله الخاصّة 66,000 دولار لفتح حساب متاجرة مع إي تريد، وبالاشتراك مع أحد أصدقائه ارتفعت الأموال المستثمرة إلى 100,000 دولار. وبعد ذلك اقترض 50,000 دولار من خلال خدمة التجارة بهامش ربح محدّد، وهكذا استثمر خالد 150,000 دولار في المجمل. كان آنذاك في الحادية والعشرين، ويجرّب شيئاً بدأ كهواية. كان بعد تناول الغداء يقصد غرفته كل مساء ويشغّل حاسوبه المحمول، مفضلاً مرونة تمكّنه من التمدّد على سريره، بدلاً من الجلوس إلى المكتب. يتصل بالإنترنت ويبدأ التجارة، فيما يبدأ رجال الأعمال في الولايات المتحدة بتناول قهوة الصباح. في تلك الأثناء لم يكن والده قد دخل بقوّة في مجال أسهم الإنترنت والتكنولوجيا، لذا كان خالد متقدّماً في إغارته على الأسهم أمريكا أون لاين، ولوسنت، وإنتل، وكومباك، ودل، وغيرها. ويقول إنّه لم يكن يتاجر في النهار بسبب بطء وصلة الإنترنت في المملكة، وبعد تعرّضه لبضع لسعات، وضع قاعدة الخمسة بالمئة الثابتة، حيث يقدم على بيع السهم إذا ربح أو خسر بمقدار خمسة بالمئة، كما أنّه كان يحتفظ بأسهم الشركة ثلاثة أسابيع على الأكثر.

بعد فتح حساب مع إي تريد في كانون الأول/ديسمبر 1998، تمكّن من مضاعفة المبلغ الذي استثمره خلال 8 أشهر. ووفقاً للإحصائيّات الصادرة في ذلك الوقت، كسب والده 21 بالمئة من استثماراته في الفترة نفسها، وقد تفوّق كلاهما على متوسّط داو جونز الصناعيّ الذي ارتفع 18 بالمئة. بعد قول ذلك، نشير إلى أنّ حساب الوليد ازداد بنحو 2.5 مليار دولار خلال تلك الأشهر الثمانية من العام 1999.

كان من الطبيعي بعد مرور سنتين واقتراب خالد من منتصف العشرينات أن ينضمّ إلى شركة المملكة القابضة للعمل مع والده: "حاولت القيام ببعض الأشياء بمفردي وفي النهاية كبرت، وفكّرت في أنّ لديّ أفضل معلّم يمكن أن أحصل عليه، وعملاً مثيراً للتحدّي، لذا ما الذي أقوم به"؟

يقدّم خالد تقييماً مبكّراً لعلاقة العمل مع والده: "إنّها تعمل بشـــكل عظـــيم الآن لأنّه لا يوجد تقاطع طرق بين شخصيّة الوالد وشخصيّة الــرئيس، وهـــو في المكتب رئيسي وأنا أعمل لديه، وهو يدرك ذلك. لذا إذا أسأت في أداء أي شيء، يتمّ التعامل مع ذلك بمهنيّة وبشكل صحيح. لذا أشعر بارتياح وأشعر بتحدٍّ كبير، وهو ما أردت الشعور به في السنوات الثلاث الماضية. أعني أنّني واجهت تحـــدّيات مختلفة في عملي السابق، لكنّني أشعر بمزيد من التحدّي للعمـــل لديـــه في مجـــال الاستثمارات المحليّة، وهو المكان الذي أعمل فيه اليوم"

لقد وجدت الأميرة ريم نفسها في موقف مماثل لموقف أخيها عندما تخرّجـــت في شباط/فبراير 2004. كانت تريد أيضاً الحصول على خـــبرة في الخـــارج أولاً، وكانت تعرف أنّ العمل مع والدها هو الخيار الأفضل حتماً. وفي حالتـــها، قـــد يكون ذلك في قسم الشركة الخيريّ الذي يتولّى توزيع 100 مليون دولار أو نحـــو ذلك يتبرّع بها الوليد كل عام.

في العام 2004، لم يكن من الواضح أين تريد الأميرة أن تعمل للحصـــول على الخبرة الدوليّة العريضة التي تسعى إليها، لكنّها لم تشعر بأنّها مكرهة على الانضمام إلى شركة المملكة القابضة. وعلى غرار شقيقها، تشعر أن تلك خطوة تودّ أن تخطوها لأنّها تستطيع اكتساب خبرة قيّمة مستفيدة من ذكاء والدها في الأعمال. بالإضافة إلى ذلك، تقول إنّها تدرك تماماً ما الذي ســـتقدم عليـــه في العمل معه: "إنّني واثقة من أنّه سيرشدني في كل ما أريد فعله. وبعد التحـــدّث إلى شقيقي وكيف يتعامل معه والدي، أعرف أنّها لن تكون علاقة أب بابنتـــه عندما أعمل معه، وآمل ألا تكون كذلك، بل أريـــدها أن تكـــون في البيـــت فحسب – فأنا ابنته في النهاية"

بعد أن شرحت اختلاف شخصيّة أمّها عن شخصيّة أبيهـــا، قـــدّمت ريم تقييماً أوليّاً بأنّها تشبه أمّها وأنّ خالد يشبه أبيه، لكن عندما ووجهت بتقيـــيم خالد المعاكس، سلّمت بالأمر: "من وجهة نظر شقيقي، يمكنني أن أعرف لماذا يعتقد أنّه أكثر شبهاً بوالدتي وأنا أكثر شبهاً بوالدي وأعتقد أنّ ذلك صـــحيح تماماً"

غير أنّها تختلف اختلافاً كبيراً واحداً عن والدها، وهو المستثمر والمخطّط البارع على المدى الطويل: "من الصعب عليّ أن ألتزم بشيء، أعني أنّني إذا بدأت شيئاً فمن السهل جدّاً أن أضجر منه، كما أنّني متساهلة، وهادئة جدّاً. لا أحبّ حقّاً التخطيط للأمور كما يفعل والدي، بل أحبّ أداء الأشياء يوماً بيوم"

يصل خالد وريم إلى الاستنتاج نفسه عند تقديم رأيهما الصريح فيما يتعلّق بسرعة نمط حياة والدهما. ويبدو أنّه يزداد سرعة واندفاعاً مع تقدّمه في العمر، ومع أنّه لم يظهر أي علامات على ضعف مستويات الطاقة هذه، إلا أن الولدين يخشيان من أن ينال ذلك من صحته في النهاية.

ويشترك في هذه النظرة بعض الأشخاص الذين يعملون مع الوليد منذ فترة طويلة، وهم يعتقدون بأنّ السرعة المتزايدة والضغط قد زاد التقلّص اللاإرادي الذي يظهر على وجه الوليد بين الحين والآخر. فتحت الضغط، وأثناء صناعة الصفقات الكبرى، يزداد اختلاج العضلات في وجهه، ويسكن أثناء الاسترخاء. غير أنّ الطبيب الشخصيّ للأمير الدكتور جهاد عوكل، يقلّل من القلق بشأن حالة الأمير الصحيّة، وهو يحضر الفحوصات الدوريّة التي تجرى على الأمير في بعض أهمّ المؤسّسات الطبيّة في العالم. فوفقاً للطبيب، لا يمكن أن يكون الوليد في حال صحيّة أفضل، فمؤشّراته الحيويّة، مثل ضغط الدم ومستويات الكولستيرول دون أي من العتبات المهمّة. والأمير يتمتّع ببنية صحيّة جيدة جدّاً تنسجم مع مظهره الشابّ.

ومما يساعد أنّ الأمير يمارس التمارين الرياضيّة بانتظام، وهو كثير التدقيق فيما يأكل.

مع ذلك، لا يزال ولداه يفضّلان أن يخفّف قليلاً من سرعته. وتجد ريم أحياناً أن من الصعب تفهّم تلك السرعة على الإطلاق: "أحياناً يقسو على نفسه كثيراً. فهو يكاد لا ينام، ويقرأ طوال الوقت، ويتحدّث على الهاتف للعمل... في بعض الأحيان أودّ أن أطلب منه الاسترخاء، كأن أقول، 'دع عنك كل شيء، واخرج وتناول بعض الطعام' أعتقد أنّه سيسعد أكثر إذا

حاول الاسترخاء. إنّه عنيد، لا يفكّر البتّة في النوم مدّة أطول، ولن يفكّر البتّة بشأن الاسترخاء"

يعبّر خالد عن رغبة مماثلة. ويزعجه إصرار والده على محاولة تحدّي حاجة بدنه إلى الراحة. ويروي قصّة أخبرته شقيقته بها في رحلة العودة إلى الرياض بعد قضاء إجازتهم في جاكسون هول، وايومنغ، بالولايات المتحدة، في كانون الثاني/يناير 2004. كانوا في طائرة البوينغ 767 في رحلة طويلة عبر الأطلسيّ. استسلم خالد للنوم على أرض غرفة النوم في الطائرة، فيما تمدّدت ريم مستيقظة في سريرها. فجاء والدها وتمدّد بقربها، محاولاً أخذ قسط من الراحة في الظاهر، لكنّها لاحظت أنّه غفا بضع دقائق. فجأة فتح عينيه وتنهّد ونهض وهو يظهر استياءه المسموع لأنّه سمح للنوم أن يسرق منه بعض الوقت. ويقول خالد إنّه يودّ أن يدرج القدرة على الاسترخاء كإحدى صفات والده: "لا يوجد أحد كامل في العالم، لكنّني أحبّ أن يسترخي أكثر. إنّه مجدّ في العمل، ومتفانٍ في اكتساب المعرفة والقراءة. إنّه يتعلّم دائماً، ويسعى دائماً نحو الأفضل. ومع أنّه يصل إلى هناك، لا يكتفي البتّة بل يتابع التقدّم. لا يكفي وقت الراحة الذي يقضيه في الصحراء (في عطلات نهاية الأسبوع)، لذا أقول له مزيداً من التسلية، ومزيداً من المتعة، ومزيداً من الاسترخاء، واصرف مزيداً من الوقت مع نفسك، وبعض الوقت مع الأصدقاء"

وتضيف ريم: "لديه هدف، ولديه غاية وعليه الوصول مهما كلّف الأمر. لا أعرف ما هو هدفه، إن هدفه ليس أن يكون الأفضل أو الرقم واحد، بل أن يتقن كل ما يقوم به"

بالنسبة لموضوع طاقته وسرعة خطاه واندفاعه، يتخذ الأمير موقفاً دفاعيّاً إلى حدٍّ ما: "إنّه سريع لكن لا يخرج عن السيطرة البتّة. إنّه سريع جدّاً، والواقع أنّنا (شركة المملكة القابضة) نتبع هذا المنوال في السنوات العشر الماضية، هنا يحدث التسارع، لكنّنا قادرون على العمل على عدّة جبهات لأنّ لدينا موظّفين ممتازين. كل واحد في مجال اختصاصه، لذا فكل ذلك يشكّل أساساً جيّداً. لا أعتقد أنّني ساهداً أو أسترخي لأنّني أعتقد أنّ ما أقوم به هو الصواب، وهو

يحقّق الفائدة لي ولمجتمعي، وأعتقد أنّني سأتابع ما أقوم به لمدّة طويلة"

على الوليد أن يصبح جدّاً، والكثيرون في أوساط العائلة والأصدقاء ينتظرون أن يروا تأثير ذلك عليه. من جهة، يسرّه أن يشجّع خالد وريم على استكشاف العالم، والانخراط في المهن، لا سيّما عبر شركة المملكة القابضة، لكنّه يحرص من جهة أخرى على أن يراهما مستقرّين في اتجاهات أخرى. ويقول الوليد إنّه يحتفظ بمنزله السابق لكي ينتقل إليه ولده عندما يستقرّ. ويعيش الأمير الشاب الآن في أحد أجنحة القصر الجديد: "إنّه يحبّ أن يعيش بجواري وجوار شقيقته، لذا فإنّنا أسرة متقاربة جدّاً. لقد احتفظت بالمنزل من أجله، وعندما يتزوّج يستطيع أن يجدّده كما يشاء"

إنّ هذا القرب طوال الوقت، من حيث اجتماعهم معاً يوميّاً تقريباً وانفتاحهم عاطفيّاً بعضهم على بعض يمكن أن يترك شيئاً من الألم عندما يتزوّج الأمير والأميرة الشابة في النهاية. والمعايير الوحيدة التي يصرّ عليها الوليد لإعطاء موافقته على الزواج أن يكون زوج وزوجة ولديه مسلمين ممارسين للتعاليم الإسلاميّة وسعوديّين. قد يقول البعض إنّ في ذلك بعض المفارقة نظراً لأنّ أمّه لبنانيّة. أما بالنسبة لزواج خالد وريم عضوين من العائلة المالكة، فإنّ الأمير يقول إنّه لا يهتمّ لهذا الأمر. بل إنّه يفضّل ألا يتزوّجا من العائلة المالكة لأنّ حياتهما الجديدة قد لا تنسجم مع ما تعوّدا عليه في البيت من حريّة وانفتاح.

مع ذلك فإنّه يمنح ولديه حقّ اتخاذ القرار إلى حدّ ما ويمنحهما استقلالهما.

يعتقد صديق الأمير القديم، تشاك غولان، وهو الذي شهد ولادة طفلي الأمير، أنّ الوالد مهيّأ ذهنيّاً لأن يرى ابنه وابنته يتخذان الخطوة التالية في حياتهما ومستعدّ لاستقلالهما عنه بالزواج: "أنت كوالد لا ترغب البتّة في أن ترى أولادك يغادرون، لكن يجب أن يستقلّوا في النهاية. ولا أعتقد أنّ الأمير يكره حدوث ذلك - أي أنّهما سيتزوّجان ويغادران البيت، ويعتمدان على نفسيهما - لكنّه يعرف أنّ ذلك سيحدث وأنّه يأمل أن يحدث كل شيء بالطريقة الصحيحة عندما يحدث"

عندما اقتربت سنة 2004 من نهايتها، شهد الأمير ابنه وهو يخطـــو الخطـــوة التالية ويخطب.

تعرّف الخطيبان أحدهما على الآخر عن طريق الأميرة ريم، التي تربطها صداقة بالشابة منيرة إبراهيم العسّاف.

إنّ الصلة الوثيقة التي تربط بين ريم وخالد كشقيقين تجعل أحدهما يعتمد على الآخر في كل جوانب الحياة تقريباً.

9

العائلة الموسّعة

"إنها أسرة. وأنا أشعر بالأمان عندما أكون معه".

الدكتور جهاد عوكل،

الطبيب الشخصي للأمير الوليد

كانت الساعة تدقّ معلنة انتصاف النهار، وفي الوقت المناسب ظهر الوليد في أعلى الدرج الواسع، ونزل إلى الأسفل بسرعة، يتبعه مرافقان خاصّان يحملان الحاجيات التي قد يطلبها الأمير دون إشعار مسبق. صندوق يحتوي على نظّارات شمسيّة مختلفة الألوان، وعدّة التأنّق، وأي شيء صغير يحجم الأمير عن وضعه في جيوبه لأنّ ذلك يفسد الشكل الأنيق لبدلته المكلفة المفصّلة. ولا شكّ في أنّ من الترف ألا يكون عليك حمل أي شيء معك. لا محفظة أو مشط أو أقلام أو مفاتيح أو هاتف محمول. تبدو الملابس أفضل بدون الانتفاخات التي تحدثها هذه الأدوات.

عندما وصل الأمير إلى أسفل الدرج، كان الحشد الذي يبلغ عدده اثني عشر شخصاً أو نحوه منتظماً في نصف دائرة ويقفون بحسب ما يتطلّبه البروتوكول، فحيّوا الأمير بتحيّة السلام عليكم. وتابعت عيونهم الأمير الذي جلس على الكرسي الأوسط مشيراً إلى الآخرين بجواز الجلوس.

تقدّم مدير أسفاره روبير الحاج بوقار إلى جانب الأمير على مقربة منه من الخلف، وانحنى نحوه وسلّمه بصمت قطعة ورق تحتوي على جدول اليوم. ألقى الأمير نظرة سريعة عليها وهو يفتل بطرف شاربه، ثمّ أعاد الورقة إلى روبير، وهز برأسه. وفجأة نهض الوليد واقفاً وقال، "جاهزون؟"

فوجئ الآخرون بذلك وأسرعوا إلى النهوض وإصلاح ملابسهم عندما وقفوا.

خرج الأمير عن الدائرة وتقدّم نحو مدخل قصره، حيث كان يقف رجـلان طويلان وينتظران بصبر. كان أحدهما يحمل مبخرة، يتصاعد منها دخـان رقيـق رماديّ وتفوح منه رائحة عطرة. وكان الآخر يحمل صينيّة صغيرة مزيّنة بقناني عطر صغيرة تحتوي على سائل بنيّ اللون (دهن العود).

تقدّم الأمير من الصينيّة، وانتقى إحدى القناني، فتح غطاءها وأخرج منها عود الدهن المغلّف بسائل كثيف، ومسح به رسغيه. ثم أغلق القنّينة وأعادها إلى الصينيّة. وانتقل الوليد نحو الرجل الذي يحمل البخور فمال إلى الأمام مبعـداً وجهـه 20 سنتيمتراً عن البخور المحترق، ثمّ دفع السحابة الرمادية بيده نحو وجهه وجذعه.

بعد ذلك تقدّم نحو الليموزين الداكنة اللون المتوقّفة في الفناء الأماميّ.

قام الآخرون بنفس الطقس. دهن العطر العربيّ الغنيّ "العود" علـى معاصـم أيديهم – وبعضهم فرك معصميه وخلف أذنيه لينشر الرائحة إلى رقبته – ثم دفعـوا الدخان الذي يعبق بالرائحة نحوهم لإضافة رائحة مبهمة ولكن ذكيّة على ملابسهم وشعرهم.

وخلال لحظات، تحرّكت سيّارة الليموزين وعدد من السيّارات المتوقّفة خلفها خرجت من البوّابة الخارجيّة.

كانت رحلة نموذجيّة للوليد وهو يغـادر المملكـة بعـد ظهـر يـوم 14 حزيران/يونيو 2003، ومن المقرّر أن تعـود في السـاعات الأولى مـن يـوم 20 حزيران/يونيو. خمسة أيام فقط، ولكن دون لحظة واحدة من الوقت غير المستغلّ في مسار الرحلة.

منذ أن ركب الوليد طائرة البوينغ 767 الخاصّة الجاثمة في مطار الرياض عنـد مدخل الصالة الملكيّة، إلى أن حطّ في باريس في تلك الليلة، كان جـلّ اهتمامـه منصبّاً على الأيام التالية. فرحلاته إلى الخارج أخذت تصبح أكثر طموحاً من حيث الجدولة ومسار السفر.

تدار شركته، المملكة القابضة، من قبل بضعة أشخاص يعملون ضمن طاقتهم القصوى، وأي زيادة في ضغط العمل سيكون لها وقع شديد عليهم. لذا اسـتخدم الوليد موظّفين إضافيّين لإدراكه ضرورة تخفيف عبء ذلك الضغط، مرافق خاصّ

للتعامل مع ساعات العمل الطويلة التي يعمل فيها الآن، والآخر عضو إضافيّ في فريق السفر لمعاونة روبير ومساعده، في جدول المواعيد المضغوط. بدأت الطائرة الآن تصبح مزدحمة مع توسّع الفريق، لكنّ الوليد تعامل مع هذا الأمر. فقد اشترى طائرة بوينغ 747، يبلغ حجمها نحو ثلاثة أضعاف حجم الطائرة الحاليّة، لكي يرتاح الجميع أكثر في الرحلات الطويلة. ومن المنتظر أن يعاد تجهيز الطائرة الكبيرة وفقاً للتصميم الداخليّ الذي وضعه الوليد وأولويّاته، وتطلى بلوني شركة المملكة البيج والأخضر.

أما الآن فإنّ معظم المقاعد يشغلها الأمير وزوجته خلود وحاشيتهما المتوجّهين إلى أوروبا. و لم يكن غائباً سوى شخصين رئيسيّين، الأمير خالد الذي كان مسافراً، وشقيقته الأميرة ريم، التي كانت في رحلة دراسيّة إلى فلورنس، إيطاليا، لمدّة أسبوعين.

ومع ذلك، بلغ عدد المسافرين مع الوليد 30 شخصاً.

وجوه مألوفة

هناك بعض أعضاء فريقي الوليد للشؤون الشخصيّة وشؤون الشركة الذين يسافرون دائماً معه.

الدكتور جهاد سعد عوكل رجل طويل ونحيل القامة، فاتح البشرة في أوائل الخمسينات من العمر، غزا الشيب شعره، وخفّت كثافته في أعلاه. يعكس شاربه المهذّب بأناقة لون شعره فيمنحه مظهراً أينشتاينيّاً إلى حدٍّ ما. التقى بالأمير لأوّل مرّة بعد انتقاله من لبنان إلى المملكة العربيّة السعوديّة في العام 1987 للعمل كطبيب خاص لشركة تعمل هناك. فقد اتّفق أنّ الوليد كان يبحث عن طبيب يعتني بأسرته، ويسافر معهم عند الحاجة. اتّصل مكتب الأمير بجهاد بعد أن سمع عنه من خلال أحد المعارف من المواطنين. لم تكن المقابلة الأولى التي استغرقت 15 دقيقة حافلة بالأحداث، وأبلغ الطبيب بأنّهم سيتصلون به عما قريب. ومضى شهران قبل أن يتصل به لمقابلة الأمير.

هذه المرّة جلس الوليد وتحادث معه، ثم أخرج ورقة وناولها إلى الطبيب قائلاً

له إنّها لائحة أطبّاء، وسأله إذا كان يعرف أحداً منهم. لاحظ الطبيب اسمه بين الأسماء: "قلت، 'نعم، أعرف واحداً' فسأل، 'من؟'، وأجبت 'الرقم 25' فقال، 'ما اسمه؟' قلت، 'جهاد' فقال، 'إنّه اسمك!'، فقلت 'نعم' قال لي، 'أنت تتمتّع بحسّ فكاهيّ، وقد أعجبني'، فأجبت، 'أعرف ذلك، ويعجبني أيضاً'"

بعد ذلك دعا الوليد جهاد إلى إحدى 'الرحلات الصحراويّة الكبرى'، حيث يتوجّه إلى مخيّم ناء في الصحراء لمدّة أسبوعين. وفّر ذلك الوقت لكي يتعرّف الرجلان أحدهما إلى الآخر، ولكي تألفه زوجة الأمير وابنه وابنته. وبعد العودة إلى الرياض، اتّصل موظّف في قصر الأمير بالطبيب. وأبلغ بأنّ الوليد يريده أن يتابع عمله الحاليّ مع الشركة في الوقت الحاليّ، مع العناية بعائلته في الوقت نفسه، ويقتصر ذلك عادة على السفر في رحلات نهاية الأسبوع إلى المخيّم الصحراويّ في كل نهاية أسبوع.

وهكذا ظلّ جهاد لمدّة ثمانية أشهر يقسّم وقته بين العمل مع الشركة في الرياض، ورحلات الوليد إلى الصحراء في نهاية الأسبوع. وبعد تلك المدّة، دعا الأمير الطبيب إلى العشاء معه مساء أحد أيام الجمعة وأبلغه أنّه ضيّق لائحة الأطبّاء المحتملين لأسرته إلى ثلاثة أسماء. ولإغاظته قال الوليد دون أن يبدي أي تعبير إنّ أحد موظّفيه سيتّصل به غداً ويبلغه باسم الطبيب المنتقى. فأجاب جهاد ببساطة، "حسناً يا صاحب السموّ"

دُهش الوليد من عدم اكتراث الطبيب وسأله، "ألا تريد أن تعرف من هو"؟

ومرّة ثانية ردّ الطبيب بشكل محيّر، "الأمر عائد إليك يا صاحب السموّ"

احتار الأمير قليلاً بموقف جهاد المسترخي، لكنّه أعجب في الوقت نفسه بطبيعته الهادئة.

في اليوم التالي أبلغ الطبيب بأنّ عليه الاستقالة من الشركة والتفرّغ للعمل مع الأمير. ومنذ ذلك الوقت في أواخر سنة 1987، شهد العديد من التقلّبات والتحوّلات في حياة الأمير، وأصبح صديقاً للأمير بقدر ما هو طبيبه: "إنّها أسرة، وأنا أشعر بالأمان عندما أكون معه. وأصارحك القول بأنّي عندما آخذ إجازات في بعض الأحيان، أشعر بالملل بعد مرور أربعة أو خمسة أيام. عندما أكون معه

أتحرّك دائماً ولا أجلس ساكناً، وأكون مستعداً على الدوام. لا يمكنني الاسترخاء كما في الإجازة، عندما أستطيع الجلوس ساعتين أو ثلاث ساعات دون أن أفعل شيئاً، لكن معه، نفعل هذا ونفعل ذاك، ونذهب إلى هناك... معه توجد الحركة"

في بعض الأحيان، عندما ينتهي يوم الأمير في ساعات الصباح الأولى، وتتفرّق الحاشية بأكملها، يتعجّب الطبيب من الحيويّة التي يظهرها الوليد، لا سيّما أنّه يكافح هو وسواه لمجاراته. غير أنّ الفحوص التي يرتّبها جهاد سنويّاً تكشف أنّ الأمير بصحّة ممتازة، لذا يعتقد بأنّ الوليد درّب نفسه إلى حدٍّ ما على قلّة النوم. "النوم أربع أو خمس ساعات بالنسبة إليه كأنّها نوم ثماني أو تسع ساعات بالنسبة إليك. لقد تكيّف جسمه مع هذه المدّة من النوم، وثمّة إحساس في فترة الساعات الخمس من النوم أنّه نام ثماني ساعات أو تسعاً أو عشراً"

لكن عندما يشعر بالضغط الذي يتعرّض له جسمه فيما يحاول مجاراة جدول مواعيد الأمير المضغوط، يدرك الطبيب مقدار ما يتطلّبه ذلك المجهود من الجسم. وكطبيب الأمير الخاصّ، يشعر فعلاً بالقلق عندما يشهد اللحظات النادرة للإجهاد عليه: "أحياناً يرهق نفسه وأستطيع أن أشعر بأنّه تعب وبحاجة إلى الاسترخاء أو النوم، لكنّه يدفع نفسه إلى حدود قصوى. وهو يشعر بذلك في بعض الأحيان فيتوقّف، لكنّه في أحيان أخر يفرط في العمل، كما في أثناء الرحلات، عندما يخرج من السادسة صباحاً إلى الحادية عشرة أو منتصف الليل، ثم يعود إلى الفندق ويبقى في الردهة حتى الرابعة صباحاً. إنّه يريد قراءة الجرائد، والاطلاع على المجلاّت، وتناول بعض الطعام، ويريد أن يكون الناس حوله"

ومن باب الاحترام، يجد المرافقون أنفسهم مضطرين للبقاء مع الأمير إلى أن يأوي إلى الفراش، لذا يشقّ الأمر على الذين لا يستطيعون احتمال أيّام العمل التي تمتدّ 18 ساعة، وهي أمر شائع أثناء رحلات الأمير.

أثناء تلك السفرات، من النادر أن يشاهد جهاد بدون رفقة شخص آخر قريب من الدائرة الداخليّة للأسرة.

محمّد الأمين، وهو عضو آخر من الجالية اللبنانيّة الكبيرة في مرافقي الأمير، هو حلاق الأمير الشخصيّ ومصفّف شعره. إنّه رجل رياضيّ متوسّط الطول، أقصر

قليلاً من الطبيب ويصغره ببضع سنوات، يسرّح شعره المتموّج والمدهون بالهلام إلى الوراء في الغالب، ويتركه طويلاً قليلاً من الخلف بما يذكّر بالموضة التي كانت سائدة في الثمانينيّات. وهو يشذّب شاربه الشيب فيضفي عليه ذلك شبهاً عابراً بعمر الشريف، لا سيما أنّ ابتسامته شبيهة بابتسامة الممثّل. يبدأ الوليد صباحه كل يومين بالمنشفة التقليديّة الساخنة والفرشاة والرغوة، وبعد ذلك يحلق الأمين له ذقنه، على طريقة أفلام الغرب الأمريكيّ والعرّاب. يترك الوليد عادة ذقنه لمدّة يومين دون حلاقة، وهو يفضّل ألا يحلق يوميّاً إلا إذا كان لديه موعد مهمّ. كما أنّ الأمين يهذّب شعر الأمير كل أسبوع أو نحو ذلك، محافظاً على التسريحة التي اعتاد الوليد الظهور بها في العقدين الماضيين. يرجع تاريخ الأمين إلى حين كان مصفّف شعر زوجة الوليد الأولى، الأميرة دلال، التي يصفها أمين بأنّها من أكثر السيّدات اللواتي التقى بهنّ أناقة ورقيّاً. وهو مخلص جدّاً للأسرة، ودائماً في الجوار لتقديم يد المساعدة، فضلاً عن أنّه يتميّز بالهدوء واللطافة. كما أنّه يلتهم كميّات من الطعام دون أن يزيد وزنه أوقيّة. بالمقابل، يحسب الوليد السعرات الحراريّة التي يتناولها ويتمرّن يوميّاً، ويدرك تماماً مخاطر حبّه للحلوى. ويروي الوليد أنّه راقب الأمين ذات يوم يلتهم أربعة سندويشات همبرغر ويواصل الشكوى من أنّه لا يزال جائعاً، فقال له، "أليس من المزعج أنّني لا أستطيع أن أنظر إلى الطعام دون أن أكتسب بعض الوزن، فيما أنت تأكل قدر ما تريد ولا يتغيّر مظهر جسمك"؟

ابتسم مصفّف الشعر فيما كان يبلع حفنة من البطاطا المقليّة ومازح الأمير قائلاً، "يا صاحب السموّ، إذا منحتني 10 ملايين دولار، فسيسعدني أن أكسب بعض الوزن عنك"

منذ أن تخلّص الأمير من 28 كيلوغراماً أثناء سنوات دراسته في كاليفورنيا، فإنّه يتوخّى الحذر في كل لقمة تجد طريقها إلى معدته. ويعمد الطهاة الذين يعملون لديه في الرياض إلى طبخ الأطعمة القليلة الدسم له، بل إنّهم يكادون لا يستخدمون الزيت في الطهي، ويصنعون الحلوى الخالية من السكّر. وعندما يكون مسافراً، تعرف مطابخ الأماكن التي يتردّد عليها ما يفضّله الأمير، ويُدخل فندق جورج الخامس وغيره طعام الوليد في قائمته من أجل الأمير ومرافقيه. وغالباً ما يهدّئ

الأمير جوعه ببدء وجبته بتوست الملبا منخفض السعرات الحراريّة الذي يحمله مرافقوه الشخصيّون معهم عندما يتناول الطعام في الخارج. وفي العام 2004، اكتشف منتجاً آخر أضافه إلى التشكيلة التي يحملها المرافق الشخصيّ، وهو كاتشاب البندورة منخفض النشويّات. فطالما أحبّ الوليد الكاتشاب، لكنّه اشتكى من محتواه المرتفع من السكّر والنشويّات. وقد كان عثوره على النوع منخفض النشويّات - وجيّد المذاق - الجواب المثاليّ. ولديه الآن ذلك الكاتشاب قريباً منه على الطاولة. بالإضافة إلى ذلك، اضطره النظام الغذائيّ الذي يتبعه إلى الالتزام بالسلَطات، حيث يتناول كميّات صغيرة منها، ويتخيّر من الأطباق الأخرى، مثل السمك المشويّ، لأنّه لا يأكل اللحم على الإطلاق.

استسلم الأمير إلى حبّه لفطيرة التفّاح، لكنّه يطلبها خالية من السكّر، مفضّلاً منتجات السكّر الخاص بالريجيم، مثل سبلندا. وهو يتّبع روتيناً معيّناً مع هذه الحلوى التي يطلب صنعها في الفندق ويتمّ تسليمها إلى أي مطعم يرتاده. يتناول الوليد شريحة من فطيرة التفاح، فيرفع القشرة العليا ويأكل الحشوة، ثم يعيد القشرة إلى مكانها ولا يأكلها. وعندما سئل لماذا لا يطلب التفّاح المطبوخ الذي تملأ به الفطيرة، بدون القشرة، أجاب: "لكنّ ذلك لن يكون فطيرة تفّاح"

وسيراً على هدى الرئيس، يتّبع الآن كثير من أفراد الحاشية الأمر نفسه، فيتركون النّدّال في المطعم في حيرة من أمرهم حيث تمتلئ الأطباق بالقشرة المتناثرة عليها في أعقاب الوجبة التي يتناولونها في ضيافة الوليد بن طلال.

يشير جهاد إلى أن الأمير يهتمّ كثيراً بشأن عادات طعامه منذ كان في العشرينات: "قبل أن أعرفه، وقبل أن أعمل معه، كان يعرف كل شيء عن الطعام. وهو يحسب كل سعرة حراريّة (كالوري) في كل الأكلات. أن تكون طبيباً لا يعني بالضرورة أن تكون مختصّاً بعلم التغذية، لكنّك تعرف الكثير عن الصحّة والمنتجات الصحيّة - لكنّه كان يبلغني بذلك. 'هذا يحتوي على كذا كالوري وذاك على كذا'، وكنت أدهش لأنّه يعرف الكثير

تحتاج المجموعة الكبيرة التي تسافر مع الأمير إلى إدارة، لا سيما فيما يتعلّق بالبروتوكول مثل ترتيب الجلوس، والدخول على الأمير في مختلف الأوقات.

والرجل المسؤول عن كل ذلك هو حسن مختار. وهو سعودي داكن البشرة معتدل الطول والبنية، ويعمل مع الأمير منذ نحو عقدين من الزمن. لا يكثر حسن من الكلام، لكنّه يراقب سلوك الحاشية عن كثب، ويحرص على توافر من يريده الوليد دون إبطاء.

تمرّ تحقيقات وسائل الإعلام من خلال إدارة العلاقات والإعلام في شركة المملكة القابضة. فقبل سنة 1997، لم يكن يوجد هناك دائرة رسميّة للعلاقات العامّة أو الاتصالات فيما كان يعرف باسم مؤسّسة المملكة للتجارة والمقاولات. وقد اكتملت إعادة هيكلة الشركة بإشراف شركة استشاريّة، وأعيدت تسميتها لتصبح شركة المملكة القابضة. ومن الثغرات التي حدّدها المحلّلون الذين يعملون مع الشركة الاستشاريّة الافتقار إلى العلاقات العامّة داخل شركة المملكة القابضة.

من الغسق إلى الفَلَق

بدأ الاجتماع الأول في 15 حزيران/يونيو 2003 في الصباح الباكر على غير المعتاد، في الثامنة والنصف.

عندما يكون الأمير مسافراً فإنّه يحدّد مواعيد الاجتماعات بدءاً من الثانية عشرة ظهراً، وهو الوقت الذي يترل فيه من غرفته في الطبقة الأولى من فندق جورج الخامس إلى الردهة الخلفيّة التي تخصّص له حصراً عندما ينزل هناك.

في تلك الصبيحة، كان الوقت مبكّراً لكي يلعب عازف البيانو الألحان في الخلفيّة البعيدة. في العادة، يترل الأمير عند منتصف النهار على أنغام عازف البيانو المحترف الذي يضفي على الردهة المزخرفه بذوق وأناقة جوّاً من البهجة بألحانه الشجيّة والرخيمة. منذ بعض الوقت يمارس عزف البيانو عند الظهيرة جان كلود أورفلي، وهو رجل طويل ودمث الأخلاق من أصول مصريّة، في الخمسينات من العمر، حليق الذقن ذو شعر أسود مسرّح إلى الخلف.

خلال الزيارات السابقة، كان الأورفلي يسارع كل يوم، أثناء نزول الأمير على الدرج، إلى عزف مقطوعة من فيلم "مهمّة مستحيلة"، وكان يقدّمها بأسلوب رائع ومهارة عالية.

بعد أن تكرّر ذلك عدّة مرّات، شعر الأمير ببعض الحيرة وتوجّه إليه وقال بنبرة قويّة، "لماذا مهمّة مستحيلة؟ إنّها ليست مستحيلة – فكل شيء ممكن"!

رغم أنّ التأنيب على اختيار أغنية ذات عنوان متشائم صدر بروح مرحة، فقد قرّر عازف البيانو المتوتّر ألا يلعب تلك القطعة على مسامع الأمير ثانية.

وبالعودة إلى تلك الصبيحة المميّزة في حزيران/يونيو، لم يكن الأمير متوجّهاً إلى الردهة من أجل اجتماعه الأول. فقد كان رئيس مجلس إدارة مجموعة سيتي (Citigroup) ورئيسها التنفيذيّ، ساندي ويل، ماراً لفترة وجيزة بباريس، ومن المنتظر أن يغادر عند الظهيرة، والأمير يريد أن يراه قبل أن يغادر إلى المطار. التقى الوليد بويل في جناحه الفاخر، بعد أن تحقّق أولاً من أنّ الفندق يعطي لضيفه المميّز الأولوية والخدمة التي تليق به. عندما رحّب ويل بصديقه وأكبر مساهم لديه، علّق على حسن المعاملة التي لقيها من العاملين في هذا الفندق المميّز الذي تديره فور سيزنز. وكان يجب ألا يدهشه ذلك بالنظر إلى أنّه سيتناول الفطور مع صاحب الفندق.

بعد أن ودّع أحدهما الآخر، أمضى الأمير بقيّة الصباح يراجع ملاحظاته والتقارير الموجزة المرفوعة إليه إلى أن بدأت المجموعة الأولى من الاجتماعات في وقت مبكّر من بعد الظهر.

كان الوليد قد طلب من فريق الملاحة لديه، بقيادة الطيّار دونكان غيلسباي، ومستشار التصميم، برت ليندساي، تقييم المفاوضات الدقيقة التي أُجريت. كانت هناك أربع مجموعات تقدّمت بعطاءات لإعادة تجهيز طائرة البوينغ 747 التي اشتراها الأمير مؤخّراً. وكانت العروض تتراوح بين 90 مليون دولار وأكثر من 120 مليون دولار. وخلال ساعتين مقسّمتين على أربع فترات مدّتها نصف ساعة، كل منها مخصّصة لإحدى المجموعات لكي تشرح ما الذي تقترحه وتبرّر المبلغ المطلوب في العرض.

تقدّمت المجموعة الأولى بمحاذاة الأريكة التي اعتاد الوليد الجلوس عليها، وإلى جانبه شاشة التلفزيون الدائمة الحضور مضبوطة على قناة سي إن بي سي (CNBC).

كان الأورفلي قد بدأ يعزف لحناً شجيّاً يصاحب عصر ذلك اليوم المشرق الذي يمكن رؤيته من النوافذ الزجاجيّة التي تشرف على فناء الفندق المركزيّ.

طلب الأمير من الرجال الجلوس وقرّر أن يمضي وقته بإجراءات جديّة. أرسلت الشركة "أ" – دون أن نكشف هويّتها – مدراءها الكبار بالطبع للقاء هذا العميل المهمّ. لقد اقترحوا عرضاً متوسّطاً يقرب من 100 مليون دولار للقيام بالعمل. وبعد قليل من المحادثة غير الرسميّة والترحاب، فاجأهم الأمير تماماً بسؤالهم عن مقدار الربح الذي أضافوه إلى العرض. ارتبكت المجموعة وتردّدت وتلعثمت ونظر أحدهم إلى الآخر علّه يجد المساعدة. لم يكن أي منهم يتوقّع الاضطرار إلى التعامل مع مثل هذه السؤال. وبعد أن أتاح بعض الوقت الذي تفاقم فيه قلقهم، قدّم الوليد اقتراحاً، "20 مليون دولار... 25 مليون دولار"؟

بدا المدراء الأربعة، وأحدهم يحمل محفظة للخرائط التصميميّة لم يفتحها بعد، أكثر خجلاً وارتباكاً.

وقبل أن يتمكّنوا من التحدّث ثانية، عرض الأمير سعراً، "ما رأيكم في أن تنفّذوا العمل مقابل 80 مليون دولار"؟

وأجاب الأمير بثقة، "إنّه مقبول، لكن عليكم أن تبلغوا الجميع على الأقل بأنكم تعملون على أفضل وأغلى طائرة خاصّة يمتلكها أي إنسان في العالم. تصوّروا مقدار العمل الإضافيّ الذي ستجلبونه إلى شركتكم، ومقدار الدعاية التي يمكن أن تولّدها لكم"

لم تكد تتح الفرصة لمناقشة القضيّة، أو تفسير تفاصيل العرض، حتى وجد فريق الشركة "أ" نفسه في موقف بالغ الصعوبة.

في أعقاب لحظة من الصمت، تدخّل الأمير وقال، "لِمَ لا تذهبوا إلى هناك وتفكّروا في الأمر وسنبحثه بعد قليل"، وأشار إلى ركن بعيد في الردهة.

وبكل براءة، بدأ الأورفلي، الذي يجلس أمام البيانو في الخلفية، يعزف أغنية "ماتيلدا الراقصة"(*)، فيما قاد غيلسباي وليندساي المدراء المرتبكين إلى الطاولة

(*) أغنية أستراليّة شهيرة كتبها أ. ب. باترسون في العام 1895، ولفظة ماتيلدا تعني رزمة ممتلكات المتشرّد الذي يتنقّل حاملاً ممتلكاته" المترجم.

الموضوعة في الركن، وأومأ إلى أحد الموظّفين الذين يقفون على الخدمة إلى تقديم ما يحتاجون إليه من طلبات.

عندما عاد غيلسباي وليندساي إلى الأمير، طلب منهما أن يحضرا المجموعة الثانية. كان فريق الشركة "ب" ينتظر في الردهة الأماميّة، متلهّفاً للقاء الوليد. ولعلّهم قابعون في الخارج منذ الصباح الباكر، علّ وعسى.

بعد تبادل الابتسامات، والترحاب والمصافحة، واجه الأمير مجموعة المديرين الجالسين وسرعان أنّبهم لأنّ عرضهم هو الأعلى، ويزيد قليلاً عن 120 مليون دولار.

قال، "أستطيع الحصول عليه مقابل 80 مليون دولار"، فيما بدت وجوه المجموعة مشكّكة فيما سمعت.

"يجب أن تكونوا قادرين على الوصول إلى ذلك الرقم"

كان تعليله مشابهاً – أنّهم سيعملون على هذا المشروع المرموق، ويجدر هم التعامل معه بمثابة عرض ترويجيّ، والتطلّع إلى المنافع التي ستعود عليهم على المدى الطويل، بما في ذلك عقد صيانة الطائرة.

تردّدت أصداء "ماتيلدا الراقصة" فيما اقتيدت هذه المجموعة إلى ركن آخر كانت الشركة "ج" محظوظة، أو مشؤومة كما تبيّن، لأنّها عملت على طائرة البوينغ 767 الحاليّة. لم يكن الأمير سعيداً تماماً بطريقة إتمامهم للعمل، بنوعيّة الإنهاء، مع أنّه اعترف لاحقاً أنّ عملهم لم يكن سيّئاً بالقدر الذي أظهره. فميزة الأمير أنّه لا يفوته أي تفصيل، حتى البرغيّ في غير مكانه، وسيذكره وفق ما يتطلّب الشرح. كان هذا العرض هو الأدنى، يقرب من 90 مليون دولار، ربما لأنّ هؤلاء المدراء لا يزالون يحملون الندوب التي أحدثتها المفاوضات الأخيرة مع الوليد، وأدركوا أنّ عليهم أن يظهروا له أنّهم يحسنون العمل ويقدّرون المال حقّ قدره.

"يجب أن تنفّذوا هذا العمل مجّاناً لي بسبب الأخطاء التي ارتكبتموها في طائرة 767"

كان الوقت بعد الظهر، ولم يحن وقت النعاس بالنسبة للمدراء في صناعة الطيران.

"لقد حقّقتم أرباحاً طائلة في المرّة الأخيرة، وكسبتم الكثير من المال من عقـــد الصيانة. فكّروا في الأمر

لم يعد في ردهة فندق جورج الخامس مزيداً من الزوايــا لتســتقبل رجــال الأعمال المتكدّرين.

كانت المجموعة الأخيرة، الشركة "د" صاحبة ثاني أغلى عرض، حيث وصــل إلى 110 ملايين دولار، لكنّها تتمتّع بسمعة طيّبة جدّاً. كان أوّل ما استرعى انتباه الأمير نموذج طائرة جمبو جت كبير تحت ذراع أحد المديرين. كانت مطليّة بألوان شركة المملكة، وتلك خطوة حكيمة. ووجد الأمير عينيه تتابعان لونا شركته البيج والأخضر على النموذج الذي وضعه المدراء في موقع استراتيجيّ أمامه.

وبعد أن اختبر قدراتهم بالمحاجّات نفسها التي اتّبعها مع الآخـــرين، أجـــبرت الشركة "د" على التنحّي جانباً تاركة النموذج وراءها. إلى جانب استمتاع الأمير برؤية ما ستبدو عليه الطائرة، أراد أن يلاحظه المديرون العائدون مـــن الشـــركات الأخرى بحيث يستطيع التشديد على المنافسة التي يواجهونها، وأنّهـــم لم يكونـــوا أذكياء جدّاً بحيث يحضرون معهم نموذجاً للطائرة.

عقد اجتماع قصير مع غيلسباي وليندساي لبحث المكان الذي تقف عنـــده الأمور الآن، والوقوف على رأيهم بشأن الطرق الأخرى التي يمكـــن أن يســـتغلّها الأمير لخفض الثمن.

"هل أنا الوحيد الذي يعتقد أنّهم يطلبون الكثير"؟ سأل الوليد، وهو يضطجع على الأريكة ويفتح ذراعيه للتشديد.

"هل أنا الوحيد"؟

كان عازف البيانو يعزف "أو سول ميو"

هل هي مصادفة، أم حسن التقادير؟

أياً يكن الأمر، فقد انقضت الساعة الثانيـــة أو نحوهـــا في التفـــاوض مـــع المجموعات على أفضل سعر. لم يكشف الأمير عن أفضل عرض في النهاية، لكـــن كان من الواضح أنّه أمّن سعراً أفضل بكثير من أي من تلك التي عرضت عليـــه في الأمل.

أنجزت شؤون الطيران بمقابلتين مع مضيفتين محتملتين. وكان ذلك شيئاً شبه مريح بعد المعركة التي دارت رحاها بشأن العروض. من الأسئلة التي طرحها الأمير على الشابّتين، الغربيّتين القوقازيّتين، إذا ما كانتا مستعدّتين لأن يكون مقرّهما الرياض. كانت الإجراءات الأمنيّة مشدّدة في المملكة في الأشهر الأخيرة، وكان الوليد متشدّداً في إظهار دعمه لبلده بعدم نقل عمليّاته أو موظّفيه إلى خارج المملكة.

تبيّن أنّه ليس هناك تحفّظات لدى المرشّحتين، فكلتاهما عاشتا في الشرق الأوسط في أوقات مختلفة في الماضي.

اقترب الوقت الآن من المساء، وحان موعد الغداء. نظراً لكثرة عدد أفراد الحاشية في ذلك اليوم، آثر الأمير عدم التوجّه مشياً إلى أحد المطاعم القريبة في الشانزيليزيه كما كان يعتزم. وقرر البقاء وتدبير الغداء للفريق في فندق جورج الخامس. فذلك يختصر وقت الوجبة ويتيح له مزيداً من الوقت للاجتماع في السادسة مساء مع نيل بوش.

كان هذا الشابّ شديد الشبه بأخيه الرئيس جورج دبليو بوش، لكنّه لا يمتلك سيرة سياسيّة، خلافاً لرئيس الولايات المتحدة أو أخيه الآخر حاكم ولاية فلوريدا. جاء بوش إلى باريس لبحث مشاريع الأعمال المحتملة مع الوليد، الذي اختتم الاجتماع بالقول إنّه سيدرس أي فكرة محدّدة إذا ما عرضها عليه بوش.

بعد نصف ساعة، كان موعد رئيس تحرير صحيفة الوطن العربيّ، وليد أبو ظهر، من أجل اجتماع مجاملة غير رسميّ، وتلاه نقاش أكثر حدّة مع رئيس قنوات روتانا الموسيقية المعيّن مؤخّراً، ميشال المرّ. لم تكن نصف ساعة كافية لبحث التقدّم الذي حقّقته روتانا مع المرّ، لذا دعاه الأمير إلى متابعة النقاش فيما يقوم بجولة المشي المسائيّة في شوارع باريس.

وسرعان ما ظهر أن المرّ الذي يتميّز بنعومة الصوت ونبله، يكافح لمجاراة الأمير في سرعة الخطى والحديث في الوقت نفسه.

في هذه الليلة بالذات لم تكن الجولة المعهودة لمسافة ميلين ذهاباً إلى الشانزيليزيه وجيئة. وبدلاً من ذلك، رغب الأمير في التوجّه سيراً على الأقدام إلى

موعده التالي، في منـــزل خالته علياء الصلح، في الثامنة والنصف مساء.

تقيم خالته قسماً من السنة في بيت خاصّ بقلب الحي الدبلوماسيّ بباريس. وهو منـــزل شديد الزخرفة على نمط الروكوكو الرومانسيّ، وتكثر فيه التحف التي جمعت طوال سنوات من التنقّل والسفر. وبعد تناول فنجان من الشاي، عاد الوليد إلى المشي في الشوارع بسرعة تقرب من خمسة أميال في الساعة، متابعاً تمرينه اليوميّ، ومتوجّهاً إلى غومان مارينيان، وهي إحدى دور السينما في الشانزيليزيه. وهناك كان ينتظره أعضاء الحاشية الذين لم يكونوا مدرجين في برنامج المشي أو زيارة منـــزل علياء الصلح.

وفيما كانت الساعة نحو العاشرة مساء الآن، فقد كان الوقت مناسباً للحاق بعرض السينما المعتاد في ذلك الوقت. كان على روبير وهاني، عند إعداد جدول المواعيد، أن يجريا أيضاً ترتيبات مثل الحجز في المطعم لهذه المجموعة الكبيرة، أو تأمين ثمانية أو عشرة صفوف في مؤخّر صالة السينما لتوفير الخصوصيّة والأمن للأمير وفريقه.

انتهى الفيلم نحو منتصف الليل وأفرغت السينما روّادها في الشارع، وتوجّه الأمير وصبحه إلى أحد الأماكن المفضّلة التي يتردّد إليها في العاصمة الفرنسيّة.

ثمة ركن ممتاز محجوز للوليد في مقهى فوكيه (Fouquet) الشهير عالميّاً في الشانزيليزيه قرب فندق جورج الخامس. هناك الكثيرون ممن يعتبرون أنّ فوكيه تراجع وخبت صورته، لكنّه لا يزال أحد معالم المشهد الليليّ الباريسيّ، والمكان الذي يقصده العديد من أفراد النخبة عندما يزورون باريس.

من هذه النقطة المشرفة بجانب نافذة مفتوحة كبيرة، يراقب الوليد كيف يتحرّك العالم ويجري اجتماعاته المسائيّة غير الرسميّة.

في الساعة الثانية بعد منتصف الليل، كان المقهى يشرف على الإغلاق، وحان الآن موعد العودة إلى الركن الكنين في ردهة فندق جورج الخامس من أجل جلسة القراءة المكثّفة.

وكما هو معتاد، كانت الصحف، بما فيها نيويورك تايمز، وواشنطن بوست، وإنترناشيونال هيرالد تريبيون، ووول ستريت جورنال، ومجموعة من الصحف

العربيّة، مطبوعة عن الإنترنت وبانتظار عودة الأمير إلى الفندق، وقد أمضى الساعتين التاليتين إلى حدّ ما صامتاً ومستغرقاً فيها.

في الساعة الرابعة تقريباً حان وقت العشاء، وقد اختار الأمير الحساء والسلطات المعتادة. ثمّ عاد إلى القراءة.

والآن حان موعد النوم وذلك بعد مرور وقت طويل على قيام المخابز بتسليم الكرواسون إلى معظم الأماكن. في الواقع كان ذلك اليوم من المناسبات النادرة التي لا يقرّر فيها الأمير المشي ثانية في السادسة صباحاً قبل الذهاب إلى الفراش. وربما يرجع ذلك إلى البداية المبكرة لذلك اليوم – لقد انقضت أربع وعشرون ساعة تقريباً.

كان ذلك يوماً واحداً فحسب.

مراقبة الساعة

يشكّل إعداد جدول المواعيد عبئاً شديداً على فريق السفر الذي عليه أن ينسّق جدول المواعيد المحكم الذي يضعه الأمير.

ولعل روبير الحاج وهاني الآغا هما من أوائل من يستيقظون في الصباح وآخر من يخلدون إلى النوم في المساء. بدأت آثار التعب والإرهاق تظهر على هذين الرجلين بعد مرور أسبوعين على هذه الرحلة، رغم أنّ روبير يشرح كيف يحاول أن يجد طرقاً للتعامل مع الطلبات: "لقد عوّدت نفسي، وأعرف كيف أتعامل بنجاح مع صاحب السموّ الملكيّ. أعرف متى آخذ عشر دقائق من النوم للتمكّن من الاستمرار. إذا كان أمامي ساعتان من العمل المتواصل، أعرف مقدار ما آكله، ومتى أنام – إذا كان لديّ الوقت للنوم – وأعرف كيف أحافظ على طاقتي"

يؤكّد روبير أنّ عليهم الحرص على أخذ كل دقيقة في الحسبان كل يوم، وبخاصّة أنّ الأمير متشدّد في دقّة المواعيد، ولا يحبّ هدر الوقت: "ينطوي ذلك على الكثير من الجهد، وبخاصّة لأنّ الأمير ينشد الكمال ويريد تنفيذ كل شيء بدقة متناهية. ولكي تتعامل معه بنجاح، عليك أن تبذل الكثير من الجهد. ويتطلّب ذلك الكثير من التركيز والنظام"

يشتمل ذلك النظام على القيام برحلات استكشافيّة مسبقة إلى المواقع للتحقّق من أنّ كل شيء في مكانه الصحيح بانتظار وصول الأمير وصحبه. وغالباً ما يجوب روبير أو هاني العالم عندما يمضي الأمير بعض الوقت في الرياض، بحثاً عن الأماكن المثاليّة التي يزورها أو يقيم فيها. وعليهما التدقيق في المواصلات والأمن بل وحتى التنسيق مع السفير أو القنصل العامّ السعودي في ذلك المكان لإشعاره بقرب وصول الأمير. وعند العودة إلى المقرّ، يكتبان تقريراً مفصّلاً عن أسفارهما والخيارات المتاحة أمام الأمير إذا ما اختار المكان. وهما يعرفان أنّه سيقرأه بعناية. وأحياناً، كما يقول روبير، يذهب كل ذلك التخطيط الدقيق هباء: "أسوأ ما يواجهني في عمليّ وقوع خطأ ما لأنّني أنشد الكمال أيضاً. وتتملّكني المفاجأة عندما يحدث ذلك بعد كل التحضيرات التي قمت بها. عندئذ عليّ أن أتحلّى بالسرعة والمبادرة لحل المشكلة في مكانها"

ثمة أشياء كثيرة على المحكّ بالنسبة لهذا الثنائيّ اللبنانيّ. فإذا سرّ الأمير بطريقة تنفيذ الرحلة من الناحية اللوجستيّة، فقد يعني ذلك مكافأة كبيرة. وإذا لم يسرّ، هنا تكمن المشكلة. فمن المعروف أنّ الوليد يخفّض المكافآت الفصليّة للإشارة إلى استيائه – وهو لا ينسى أي حادثة، حسنة كانت أم رديئة، وهذا ما يوضحه المسؤول عن العلاقات والإعلام: "إنّه يولي ما يحدث حوله الكثير من الانتباه، ولديه ذاكرة فوتوغرافيّة إلى حدٍّ ما، فهو لا ينسى أي شيء، وأنا أعني ما أقول. لا شيء يفوته، حتى أدقّ التفاصيل، يدوّن كل شيء في عقله وعندما تتراكم الأمور الحسنة تحصل فجأة على مكافأة – راتب ثلاثة أشهر أو ستة أشهر أو سنة كمكافأة، أو مبلغ إجماليّ، تحصل على ذلك لقيامك بعمل ممتاز ومميّز"

ويعتقد الكثيرون في الشركة، أنّه بعد أن أنجز روبير شبه معجزة في ترتيب زيارة الأمير عشرة بلدان إفريقيّة في خمسة أيام، في ربيع العام 2003، حصل على مكافأة تبلغ راتب سنة كاملة.

لكن عندما حدث خطأ في الحجز في أحد مطاعم كان، في صيف العام نفسه، علا التجهّم وجه روبير. وكان بوسعه أن يشعر بتآكل مكافأته فيما يزداد إحباط الأمير

التخطيط هو كل شيء، لكنّ روبير وهاني يعرفان جيّداً أن الشيء الأكيد في هذه الحياة هو أنّ كل شيء غير أكيد.

بدأ اليوم التالي على عادة الأمير عند منتصف النهار، وفي هذا الوقت يتوقّع من الموظّفين أن يكونوا قد تناولوا الفطور واستعدّوا للذهاب - دون توقّف حتى الفجر.

بعد جلسة سريعة لمتابعة النقاش مع مدير قنوات روتانا الموسيقية، ميشال المرّ، جمع فريقه الفندقيّ في الشرق الأوسط، سرمد زوق، ورمزي منكاريوس، وتيم هانسنغ، وهو فريق متفان آخر لديه دافع كبير للنجاح. لقد حضروا خصيّصاً للاجتماع مع ممثّلين عن مجموعة فنادق موفنبيك، بمن فيهم الشابّ لويتبولد فون فينك من العائلة المؤسّسة، وجان غبريال بيريز، الرئيس التنفيذيّ للشركة. كان الأمير يريد التعبير عن استيائه عما اعتبره رداءة نوعية الفندق الذي أخذته سلسلة الفنادق في جدّة بالمملكة العربيّة السعوديّة. وقد أبلغ المجموعة المجتمعة أنّه مهتم بشأن الجودة الممتازة وبناء اسم موفنبيك التجاريّ، وليس تحقيق الإيرادات بسرعة فحسب.

انتهى الاجتماع بعد نحو ساعة، وعمد الأمير إلى إعادة ترتيب جدول مواعيده لتبديل بندين فيه. ونتيجة لذلك جاء الغداء باكراً، نحو الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر، في مطعم صينيّ على مقربة من الشارع الرئيسي في الشانزليزيه. كان غداء عمل بالدرجة الأولى، لأنّ الوليد مشغول بالأحداث المتعلّقة بالفنادق، وكان هذه المرّة مجتمعاً مع المستشارين الفندقيين المقيمين في الولايات المتحدة، تشاك هنري وسايمون تيرنر.

بُعَيد عودة الأمير إلى فندق جورج الخامس، قرابة السادسة مساء، وجلوسه على أريكته، لمح رئيس أمريكا أون لاين تايم ورنر (AOL Time Warner)، دك بارسونز، في ردهة الفندق. فأسرع إلى إرسال أحد أعضاء فريقه ليسأل بارسونز إن كان لديه الوقت لإلقاء التحيّة على عجل. نظراً لأنّ الأمير مساهم كبير جداً في الشركة، فقد كان رجل الإعلام الأمريكيّ من أصول إفريقيّة يدرك جيّداً أهميّة الوليد. فقال الرجل الضخم والدمث الأخلاق إنّه سيكون أكثر من سعيد للقاء به، وأشار إلى أنّه سيأتي بعد لحظات.

فيما كان بارسونز يتقدّم من المنطقة المحجوزة للأمير في الردهة الخلفيّة، أسرع الأمير إلى إدارة ظهره له وحاول كبس أزرار أداة التحكّم من بعد بالتلفزيون لتغيير القناة من "سي إن بي سي (CNBC) إلى "سي إن إن" (CNN)، وهي القناة التابعة للشركة التي يرأسها بارسونز.

كان أوّل ما قاله بارسونز مبتسماً ابتسامة عريضة، "لقد رأيتك"!

تركّز الحديث حول النقلة التي يأمل بارسونز أن يحدثها في أمريكا أون لاين تايم وارنر على المدى القصير والطويل. فقد شهدت هذه الشركة العملاقة انخفاضاً كبيراً في سعر أسهمها في السنتين الماضيتين. لم يطل النقاش، لكنّ الرجلين اتفقا على الاجتماع معاً في أوائل السنة الجديدة. وعندما نهض بارسونز وغادر إلى غرفته، أمر الوليد روبير أن يحرص على أن تقيّد فاتورة رئيس أمريكا أون لاين تايم ورنر على حساب الأمير. وبعد أسبوع أو نحو ذلك، تلقى الأمير رسالة شكر مهذّبة من بارسونز.

لم يحدث اللقاء العفويّ تغييراً كبيراً في مسار اليوم، وسرعان ما كان الوليد يتحدّث مع القسم البحريّ الذي يعمل حاليّاً على خطط ليخت جديد طلبه الأمير. من الصعب في الواقع إطلاق اسم يخت عليه عندما يقال إنّه سيكون ضعف حجم اليخت الذي لديه الآن ويحمل على متنه مروحيّتين (اليخت الحاليّ Kingdom 5-KR يحمل واحدة فقط). التصاميم الأوليّة لليخت تلحظ هبوط إحدى المروحيّتين على سطح بارز من أحد جانبي اليخت، مما يسمح بعد ذلك بسحبها إلى داخل البدن.

يريده الأمير أن يكون أكبر اليخوت وأكثرها فخامة في العالم.

يشرف الوليد على كافّة التفاصيل بنفسه، وتسترعي أصغر الأشياء انتباهه، مثل نوع خشب الدرابزين ونوع الزجاج المستخدم، ويبقي فريق التصميم دائم اليقظة والانتباه. وقد حاول مدير المشروع مارك بيني، وهو الرجل الذي يرعى اليخت الحاليّ للأمير Kingdom 5-KR، طمأنة الأمير إلى أنّه لا يزال في مراحله الأولى، وأنّه سيلبّي كل طلبات الأمير. ويبدو أنّ الوليد يتلمّس أدقّ العيوب أمام المصمّمين. وفي وقت لاحق، التفت إلى مستشاريه وأوضح لهم أنّ تكتيكه يقوم على التشدّد في العقود الصغيرة لكي تحدّد الإطار الصحيح للعقود الكبيرة، لا سيما إذا كان سيتمّ

التفاوض على عقد كبير مع الشركة نفسها في وقت لاحق. وبهذه الطريقة يستطيع أن يسيطر على توقّعاهم منذ البداية ويحصل على القيمة المضافة.

بعد طيّ الطبعات الزرقاء الكبيرة والتصاميم، ومغادرة مجموعة الأشخاص المسؤولين عن التصميم، استرخى الوليد قليلاً، وهو راضٍ عن يومه حتى الان. وعندما كان يحيط به مستشاروه المقرّبون فقط، أعلن قائلاً، "لقد خلقت لأحصل على كل شيء بثمن زهيد"

تلك عبارة يحبّ أن يستعملها بين الحين والآخر للتشديد على ثقته بمهاراته التفاوضيّة، وإيضاح أنّه يحبّ أيضاً توفير المال. في الواقع، عندما يكلّف بناء اليخت مئات الملايين من الدولارات، يمكن أن تصل قيمة الأموال الموفرة إلى عشرات الملايين... لكن "زهيد الثمن" تبقى كلمة نسبيّة عند بناء قصر عائم فاخر.

في الثامنة مساء، لم يكن اليوم قد بلغ منتصفه بعد وفقاً لتوقيت الوليد القياسيّ. ولا يزال يتمتّع بالقوّة والحيويّة.

في النصف ساعة السابقة، تمكّن من حشر لقاء مع مساعد رئيس الوزراء الفرنسيّ، إلى جانب اثنين من مستشاريه الاستثماريّين من شركة المملكة القابضة، لبحث مسألة ركود وضع يورو ديزني ومعاناتها من المصاعب الماليّة ثانية، إلى جانب قضايا أخرى. كان الأمير يتطلّع إلى بعض الدعم الضمنيّ من الحكومة الفرنسيّة، لأنّها ضغطت بشدّة لإقامة المشروع على التراب الفرنسيّ، بدلاً من بلد أوروبيّ آخر مثل إسبانيا. والمشكلة التي تواجهها الحكومة الفرنسيّة هي أنّها تعرف أنّ الرأي العامّ الناشط سياسيّاً لديها لن يتساهل مع إنقاذ الشركة من مأزقها الماليّ بأموال دافعي الضرائب. وسيتطلّب الأمر من الرئيس جاك شيراك استعمال كل مهاراته الدبلوماسيّة للتمكّن من تقديم المساعدة بدون أي إحراج سياسي. و لم يتمّ التوصّل إلى حلّ محدّد في ذلك الاجتماع، لكن تمكّن الوليد من إضفاء أهميّة على موقفه المراقب للوضع عن كثب، وبخاصّة أنّه يتوقّع أن تلتفت إليه يورو ديزني عمّا قريب من أجل مزيد من الاستثمار الماليّ.

في الساعة الثامنة تماماً، كان الوليد حاضراً لاستقبال زوجة رئيس السنغال وابنه، كريم واد. فقد أطلقت رحلة الوليد الناجحة في وقت مبكّر من العام بعض

فرص العمل في البلاد، لا سيما في قطاع الفنادق، كما أنّه حظي بمكانة كبيرة لدى السيّدة الأولى للبلاد بتبرّعه بمليون دولار إلى مشروع التعليم الأثير عندها. وقد أبلغ الأمير بأنّ تبرّعه خصّص لتمويل بناء نحو عشر مدارس في السنغال.

كان الوليد مسروراً لأنّه يحقّق تقدّماً كبيراً في بلد إفريقيّ واحد على الأقل من البلدان التي زارها، ويتطلّع إلى لقاء الوفد السنغاليّ، لكن لا يزال أمامه بند واحـد سريع على جدول مواعيده قبل أن يتمكّن من ممارسة الرياضة.

حرص الوليد على اختصار اجتماعه مع كبير محاميه، مارك مازو، من مكتب هوغان أند هارتسون (Hogan and Hartson)، ومدير العلاقات والإعلام لديـه، فيما يتعلّق بخطّة لإطلاق حملة دعائيّة لشركة المملكة القابضة. كان الأمير يريـد أن يتمكن من استخدام شعارات الشركات الكبرى التي لديه فيها استثمارات كبيرة، كجزء من حملة تجاريّة مطبوعة ومتلفزة توضح النجاحات التي أحرزها شـركة المملكة في مساندة الأسماء العالميّة مثل فور سـيزنز (Four Seasons)، وسـاكس فيفث أفنيو (Saks Fifth Avenue)، وأبـل كمبيـوترز (Apple Computers)، ومجموعة سيتي (Citigroup)، وما إلى هنالك. وهو لهذه الغاية بحاجة إلى الحصول على إذن من الشركات المختلفة، لأنّ شعاراتها علامات تجاريّة لديها تحظى بحقوق ملكية. ولأنّه كان متلهّفاً للبدء في جولة المشي المسائيّة، قرّر مواصلة البحث في هذا الموضوع لاحقاً في تلك الليلة، في مقهى فوكيه.

حرّاس شخصيّون وبدو

ليس من غير المعتاد أن يسير الناس في مواكب جيئة وذهاباً في الشـانزيليزيه، للتسوّق، أو التمرّن، أو للتفرّج وعرض أنفسهم. لكن عندما تخرج حاشية الوليـد من فندق جورج الخامس كل ليلة، يكون المشهد مختلفاً عن كـل مـا عـداه في الشارع.

رغم أنّ الوليد لا يتمتّع بساقين طويلتين، إلا أنّ أطول مرافقيه يلهثون وهـم يحاولون مجاراته في المشي. ونظراً لأنّ ما يقرب من 20 شخصـاً يمشـون خلـف الوليد، فإنّه يكون مشهداً واضحاً في أفخم جادّات باريس. وعندما يزور المدينة في

آب/أغسطس وأيلول/سبتمبر، يحظى الأمير أيضاً بنظرات مواطنية الذين يتدفّقون على العاصمة الفرنسيّة لقضاء جزء من إجازتهم الصيفيّة ويعرفونه. وفي بعض الأحيان تختصر جولته السريعة عند لقاء عضو آخر في العائلة المالكة، مثل أحد أبناء الملك فهد، أو أبناء أحد أعمامه، لكن بخلاف ذلك، يمرّ عبر الحشود كما تتدحرج كرة البولنغ.

يؤدّي الحرّاس الشخصيّون واجبهم بالتحقّق من بقاء مسار الأمير خالياً قدر الإمكان. وهي مهمّة صعبة عندما لا يكون لدى معظم الناس الوقت لرؤية الأمير وهو قادم، ناهيك عن الاستجابة بإفساح الطريق.

يوجّه ناصر العتيبي، أحد أقرب الحرّاس الشخصيّين إلى الأمير، والرجل الذي يرافقه في معظم سفراته إلى الخارج، أعضاء الأمن الآخرين إلى ما يقومون به. وكتعبير عن المجاملة الدبلوماسيّة، تقدّم الحكومة الفرنسيّة حارساً شخصياً للأمير وآخر لكل من ابنه وابنته، عندما تكون أسرة الأمير في البلد. ولا يتغيّر أفراد الأمن عادة للإبقاء على الإلفة والاستمراريّة. ونتيجة لذلك، يرحّب الحرّاس الشخصيّون السعوديّون كل سنة بنظرائهم الفرنسيّين بدفء وصداقة... ولا شكّ في أنّهم يقارنون بين الأسلحة التي لديهم عندما يحظون بقليل من وقت الفراغ.

يسير ناصر إلى جانب الأمير، متقدّماً عليه ببضع أقدام، لكنّه يبقى على مقربة، ويتبعه على بعد قليل منه، ولكن أمام الوليد أيضاً، الحارس الشخصيّ الفرنسيّ. يستبق الاثنان العقبات مثل حشود الناس الذين يختلطون بعضهم ببعض في وسط الدرب، أو تغيّر إشارات المرور عند تقاطعات الطرق، والأهمّ من ذلك، التهديدات المحتملة لسلامة الأمير. يحمل الحرّاس الشخصيّون مسدّساتهم المرخّصة في قرابات على الخصر، ويبدون دائماً مشدودي الأعصاب. وربما يجب توقّع ذلك عندما يكون المسدّس محشوّاً.

على الوليد أن يأخذ في الحسبان عدداً من القضايا الأمنيّة بالنسبة لرجل بمثل مكانته وأهميّته، لكنّه يتجاهلها ولا يعبأ بها كثيراً: "ثمة ثمن علينا أن ندفعه في النهاية، وهو ثمن أدفعه بطبيعة الحال. أنا أحب أن أكون بمفردي، وأحبّ أن أكون حرّاً، لكنّ ذلك هو ثمن ما أنا عليه الآن. عليّ أن أدفع مقابل كوني عضواً في العائلة

المالكة، وكوني سعوديّاً، وأمتلك ثروة حباني الله بها. علينا أن ندفع ضـــريبة لقـــاء ذلك، وهو ثمن لا أمانع في دفعه"

لكن ماذا إذا جعلته ثروته هدفاً لعمليّات اختطاف ودفــع فديــة، أو كـــان لجنسيّته وأصوله الملكيّة نتائجها السياسيّة المميتة؟ يجيب الوليد بأنّ فكرة الحمايـــة الشخصيّة لا تستحوذ عليه: "لديّ حارس أمنيّ واحد من المملكة العربيّة السعوديّة، وتزوّدني الحكومة الفرنسيّة ببعض رجال الأمن، لذا لا يشكّل الأمر هاجساً لي على الإطلاق. إنّني أؤمن بالله، وأنا أفعل أفضل ما بوسعي من أجل مجتمعي ومـــنطقتي، وأفضل ما لديّ بين العالم العربيّ والعالم الغربيّ، لذا لا أعتقد بأنّني مستهدف"

لا يوافقه صديقه الأمريكيّ منذ 25 سنة، تشاك غولان، الرأي ويصرّ علـــى ضرورة الحرّاس الشخصيّين للوليد: "يجب أن يكونوا لديه، أعني أنّـــه لم يعـــد في الظلّ. إنّه شخصيّة مهمّة، ويجب أن يحظى بالحمايّة لأنّها ضروريّة. فأنت لا تريـــد أن يحصل أي مكروه لهذا الرجل، أو لأي رجل يحظى بأهميّته، لأنّ ذلك ســـيلحق الضرر بالكثيرين"

إنّ وجهة نظر تشاك مثيرة للاهتمام، حيث يوحي بأنّ ذلك الرجل لديه مـــا يكفي من الاستثمارات لتحريك الأسواق يجب أن تتوفّر له الحماية لا مـــن أجـــل شخصه فقط، بل من أجل راحة بال الآخرين الذين لا يريدون أن يزعج أي شيء استقرارهم.

لقد كان الأمن جزءاً من حياة الأمير مذ كان طفلاً. ومع أنّ أيامه في لبنـــان كانت حرّة وسهلة، إلا أنّ حياته في السعوديّة منسوجة في التقاليد البدويّة، حيـــث السلاح يعني القوّة، وتفرض الاحتكاكات القبليّة الحاجة إلى المحاربين المســـلّحين في الصحراء لحماية الخيام. بل إنّ الأمير عندما يكون في الصـــحراء، حـــتى في هـــذه الأوقات، يكون محاطاً بالبدو بلباسهم التقليديّ، وكثير منـــهم يرتـــدون أحزمـــة الرصاص المتقاطعة على الصدر، ويحملون مسدّســـات أو بنـــادق مزخرفـــة. وفي حالات كثيرة، تحمل الأسلحة كجزء من التراث أكثر مما تحمل للأمن، وغالباً مـــا تبدو مثل التحف التي تشكّل مسؤوليّة على من يحاول استخدامها أكثر مما تشـــكّل خطراً على أي هدف محتمل.

مع ذلك فإنّها تشكّل رمزاً وتتعلّق بالتراث، وهو أمر يقدّره الأمير ويجلّه.

عندما يكون ناصر العتيبي في المخيّم الصحراويّ لا يعود ملحوظاً بثوبه وغترته، لكنّ وقفته وقربه من الأمير تبوح بأنّه حارسه. عندما يسافر مع الأمير، يرتدي بدلات وثياباً غربيّة، لكنّ وقفته تبقى نفسها. لا يستطيع ناصر، وهو عسكريّ سابق متوسّط الطول لكنّه ذو بنية عضليّة، تحمل أي مجازفة. فلا يسمح باقتراب أحد من الأمير بشكل عشوائيّ في الشارع، ما لم ير إشارة من الأمير للسماح له. وهو يرتدي نظارة شمسيّة داكنة طوال الوقت، ومع ذلك يبدو عليه أنّه يواصل النظر حوله باستمرار. وهو يحمل أي جهاز يسمح له بحمله، إلى جانب المسدّس، تبعاً للبلد أو الموقع. ومن أكثر الأجهزة المفيدة التي يحبّها، جهاز بحجم علبة السجائر، قادر على إصدار شحنة كهربائيّة بقوّة آلاف الفولتات قادرة على إفقاد أي مهاجم محتمل وعيه. ويقول بصوت حذر فيما يشير إلى الجهاز إنّ هذا المسدّس الصاعق قادر على إسقاط أضخم رجل إلى الأرض دون حراك لمدّة عدّة دقائق على الأقلّ.

في المناسبة غير المألوفة عندما يضطر الحارس الشخصيّ إلى ارتداء الشورت، مثلاً، اقتداء بالأمير عندما يمارس المشي على شاطئ البحر في كان، من الممكن رؤية ندوب كبيرة على ركبتي ناصر. وعندما سئل عنها، ظهرت نصف ابتسامة على خلفيّة لحيته وشاربه المهذّبين: "القفز بالمظلّة أثناء الخدمة العسكريّة، والهبوط الرديء"

عندما يتوقّف الأمير للتحدّث إلى الناس في الشارع، يقترب ناصر ويديه قريبتين من قراب المسدّس على خصره، ويراقب كل حركة حول الوليد بشكل مباشر، في حين يقف الحارس الشخصيّ الفرنسيّ ذي الشعر الأشقر القصير، والأطول والأكثر نحافة، أبعد قليلاً إلى الوراء ويراقب المحيط.

في العادة يكونون خليطاً من العرب الذين يتوقّفون لإلقاء التحيّة، وعيونهم تلتمع رهبة، أو أقرباء بعيدين يضطرون لإظهار الاحترام. تبقى هذه التفاعلات قصيرة، لأنّ الأمير لا يرغب في فقد استمراريّة المشي، ولأنّ الساعة لا تنفك تتقدّم مقتربة من الموعد التالي على الجدول.

في هذه الأمسية، اتخذ الأمير قرار مشاهدة فيلم سينمائيّ. في العـادة تحـدّد مواعيد السينما ليلة بعد ليلة عندما يكون الوليد مسافراً، لكن ربما قـرّر انتـهاز الفرصة للاسترخاء قليلاً بعد أن أمضى أياماً طويلة من الاجتماعات الكثيرة منـذ وصوله إلى باريس.

عندما وصلت المجموعة التي تسير على أقدامها إلى السينما، كان عددها قـد ارتفع. أوّلاً، لأنّ أعضاء الحاشية الذين لم ينضمّوا إلى المسيرة من الفنـدق، لحـوا الأمير مارّاً في الشانزيليزيه، وانضمّوا إلى الركب. ثانياً، لأنّ بعضهم اختار الالتقاء بالمجموعة التي تمارس الرياضة عند سينما غومان مارينيان مباشرة. وكانت المجموعة الأخيرة تضمّ بدواً أكبر سنّاً في الحاشية.

من المثير للاهتمام أن يتفحّص المشاهد العاديّ صـفّ الأشـخاص الـذين يلازمون الأمير باستمرار. يحيط به دائماً إلى جانب الطبيب والحـلاّق والمـوظّفين الوثيقي الصلة، حشد غريب من الرجال المسنّين الـذين ذوت بشـرهم ومـلأت التجاعيد وجوههم. يبدو هؤلاء الستّة أو نحو ذلك من البدو الذين يسافرون مـع الأمير في غير محلّهم. ملابسهم الغربيّة غير مريحة لهم، لا سيما البدلات الرسميّـة – التي يرتدونها دون تكلّف كالسترة العاديّة. عندما يسأل الزوّار عن هؤلاء الرجال، وما غاية وجودهم، يكون التفسير المعطى هو أنّ التراث السعوديّ يبقـي العائلـة المالكة قريبة من الخويا من أبناء البادية. وبصرف النظر عن الجذور العميقـة لهـذه العلاقة بين البدو وأصحاب السموّ الملكيّ الأمـراء، مثـل الوليـد، في التـراث السعوديّ، فإنّها تستند إلى احترام انتقال المعرفة والقيم والثقافة. وقد يكون لها أهميّة أعمق، مثل توفير علاقة وثيقة ومباشرة مع أنسبائهم الصـحراويّين، والحمايـة في الأيام المتقلّبة، لكنّهم أساساً جزء مهمّ من العائلة السعوديّة الموسّعة الآن. وغالباً ما يقدّم هؤلاء البدو المسنّون منظوراً مختلفاً للأشياء ويسدون النصح أو المشورة، لكن نظراً لأنّهم يألفون روح الدعابة الخبيثة عند الوليد، فإنّ هذه العصبة من الرجـال تحبّ المزاح والهزل مع الأمير الشابّ نسبيّاً. وكثير منهم في أواخـر السـتينات أو أواسط السبعينات، وواحد أو اثنان يقتربان من الثمانين، رغم أنّه لا يبدو علـيهم ذلك بالنظر إلى حيويّتهم البدنيّة والعقليّة. وخلافاً للعديد من نظـرائهم الغـربيّين

المسنّين، عاش هؤلاء الرجال حياة نشطة، وتناولوا أطعمة طبيعيّة في الغالب، وبقوا قريبين من الطبيعة نسبيّاً. ونتيجة لذلك، يبدو أنّهم يتمتّعون بحماية من الأمراض الحديثة الشائعة في كل مكان. وهم يستطيعون بطريقة أو بأخرى مجاراة جدول مواعيد الأمير السريع ويحافظون على مستوى مرتفع من الطاقة والظرف. والوليد يقدّرهم كثيراً لقدرتهم على المحافظة على مزاج الحاشية وإيجابيّته، ولحسّ الدعابة الطبيعيّ لديهم ونظرتهم إلى نمط حياته الكثير التطلّب.

بعضهم ينادونه بلقب أبي خالد، احتراماً، حيث من المعتاد في الشرق الأوسط أن يكنّى الرجل باسم ابنه البكر.

يبرز أحد هؤلاء البدو على وجه الخصوص في حاشية الأمير - غصين الشيبانيّ. وهو يقترب من نهاية العقد الثامن، ولا يزال ما تبقّى من شعره الأشيب، وشاربه الكثّ، وبشرته القاسية التي حفرت فيها السنين التجاعيد، عاجزة عن إخفاء البريق الذي يلتمع في عينيه. إنّه يحمل آثار من تعرّض لضربات الشمس باستمرار، ومع ذلك خرج منتصراً عليها. ويقول واحد أو اثنان من أفراد الحاشية عن طريق الدعابة إنّه يشبه نسخة قديمة من الرسّام السورياليّ الراحل سلفادور دالي. ولعلّها نسخة جففتها الشمس.

لا يبدو أنّ هناك شيئاً يقلق غصين. وهو يطلق قهقهته المنشرحة على اتساع فمه مظهراً افتقاده التامّ إلى الأسنان، فيما يشبه الضحكة المرحة التي يطلقها الرضيع. ولا يبدو أنّه يخشى شيئاً. وفي إحدى المرّات في كان، ركب مزلجة مائيّة نفّاثة (جت سكي) مسرعة، وكانت تلك المرّة الأولى التي يركب فيها هذه الآلة. ورغم أنّه لا يحسن السباحة، فقد كان سعيداً في إدارتها والاتجاه نحو عمق الأزرق الواسع. ومن حسن الحظّ أن اثنين من العاملين في اليخت تمكّنا من تثبيت سترة النجاة عليه، وبعد ذلك تبعه آخرون في قارب بخاريّ وقادوه ثانية إلى اليخت. وقد نزل عن الجت سكي فرحاً برحلته الأولى، واحتفل بأولى رحلاته البحريّة مع من كانوا يراقبونه من على متن اليخت برسم ابتسامة عريضة على وجهه.

يقدّم غصين ورفاقه تسلية كبيرة للأمير بمجادلاتهم المنتحلة وسخرية بعضهم من بعض، والسيل المتواصل من تعليقاتهم المرحة، التي غالباً ما يصاحبها الفلكلور

والأمثال العربيّة. والأهمّ من ذلك أنّهم، بعد قضاء مدّة طويلة جدّاً مع الأمـــير - وبعضهم انضمّ إلى أسرة الأمير قبل أن يولد - يعرفون مزاجه من خـــلال الحاسّـــة السادسة. وبناء على ذلك يحافظون على هدوئهم للسماح له بالتركيز، أو ينطلقون على سجيّتهم لإضفاء بعض الطراوة على الجوّ عندما يبدو فاتراً.

يقرّ الوليد بقيمة إسهامهم في مزاج الحاشية، ويقول إنّهم مهمّون جدّاً لإضفاء نوع من المرح: "إنّني أتعرّض إلى ضغوط هائلة، وما من شكّ في ذلك، وأنا أعترف بذلك صراحة، لذا من المهمّ بالنسبة إليّ أن أتعامل مع الأشياء بشكل منفصل وألا أسمح لمشكلة أو قضيّة في مجال ما بأن تنتقل بالعدوى إلى الجوانب الأخـــرى مـــن حياتي. وهي متنوّعة جدّاً، لذا أحاول أن آخذ كل شـــيء بالابتســـام، والمـــرح، والاستمتاع وألاّ أحمّل نفسي فوق طاقتها"

ومن خلال المراقبة على مرّ السنين، يقدّم تشاك هذا التفسير لذلك: "أعتقد أنّه يحرص على أن يكون الجميع راضين أكثر منه - ربما تكون تلك عبـــارة مجنونـــة، لكنّه يحرص على أن يكون الجميع مسرورين بالطعام الذي يتناولونه، وبما يفعلونه، وبالفيلم الذي يشاهدونه، ولن يسرّ إلا إذا كان الجميع سعداء. لذا فإنه سخيّ جدّاً من تلك الناحية - إنّه يريد أن يرى السعادة في وجوه المجموعة بأكملها"

لقد شاهد الطبيب الخاصّ للأمير، جهاد عوكل، المناسبات النادرة التي ينـــال فيها الضغط من الأمير، أو يشغل باله شيء ما: "عندما يكون مزاجه سيّئاً لا أقترب منه. أعرف أنّ مزاجه سيئ، لذا أبقى بعيداً عنه ما لم يطلب منّي البقاء والجلـــوس، ولأنّني أعرف أنّك لا تستطيع النقاش معه أو قول أي شيء له عندما يكون مزاجه سيّئاً"

ويقول تشاك إنّ الأمير تعلّم الفصل بين العمل واللعب من أجل السيطرة على أي توتّر: "لديه حس الدعابة. وعندما يكون الوقت للعمل، فإنّه للعمل، وهنـــاك دائماً وقت للمرح، ووقت للعائلة. لكن عندما يحين موعد العمل أو الجدّ، لا مجال للهزل"

وهكذا عندما اجتمعت المجموعة خارج دار السينما في بـــاريس في العاشـــرة والنصف في تلك الليلة الحارّة من ليالي حزيران/يونيو وفي هذه المناسبة طلب الأمير

من هاني حجز الصالة بأكملها من أجل تقديم عرض إضافيّ للفيلم، لأنّهم لن يتمكّنوا من الوصول في الوقت المعتاد للعرض.

من الأمور التي يتميّز بها الأمير أنّه يقدّم الوقت على المال. أو بالأحرى، يعرف أنّ الوقت يساوي المال، لذا يصرف المال لكسب الوقت من أجل الشؤون الماليّة. وإذا ما شعرتم بالارتباك، فربّما يستطيع روبير أن يشرح ذلك: "لا نقوم بذلك دائماً، فإذا كان العرض يبدأ في وقت مناسب لنا، نذهب مع الآخرين ونشاهد الفيلم، لكن إذا لم يكن كذلك، ويودّ سموّ الأمير المشاهدة رغم ذلك، يمكننا حجز الصالة بأكملها. ورغم أنّه من أصحاب المليارات، فإنّه لا ينفق سنتاً واحداً دون أن يحصل على شيء بالمقابل. فهو لا يبدّد ماله. يمكن أن يساعد أحدهم بمليون دولار، لكنّه من ناحية أخرى قد يرفض إنفاق عشرة دولارات سدى"

عندما يعرف أنّ اجتماعاته ستمتدّ إلى ما بعد أوقات العرض المعتادة، يجد الأمير أنّ من الملائم متابعة جدول مواعيده المهمّة، وعندئذ ينفق المبلغ الإضافيّ من المال لحجز صالة السينما بأكملها لمشاهدة الفيلم في الوقت الذي يلائم جدول مواعيده.

وعندما احتشدت المجموعة بأكملها في الخارج، دخل الأمير وحاشيته الصالة الفارغة. لم تبدُ الدهشة على عيون الموظّفين المتعبة الذين لبثوا لإبقاء السينما مفتوحة لعرض إضافيّ. فذلك شيء يفعله الأمير بانتظام عندما يكون في باريس.

إذا كان راغباً في الدفع، فإنّهم مستعدّون للعمل.

الليل في مقهى فوكيه

كان الندُل في مقهى فوكيه على الطريق من السينما إلى فندق جورج الخامس يألفون احتياجات الأمير. وقد بنى روبير وهاني علاقة مع إدارات معظم المؤسّسات التي يفضّلها الأمير في رحلاته. وكانت الزاوية الأساسيّة في مقدّمة المقهى موضوعة بتصرّف الأمير. بل إنّه في الواقع شغل الغرفة الصغيرة التي تشكّل ذلك القسم من المقهى بأكملها. ومع ذلك، كانت الطاولات متقاربة بعضها إلى بعض. وزاد الندُل

من جوّ الحياء – الذي تشتهر به الخدمة الفرنسيّة – مثلما فعلت محتويات القائمة المحدودة. ويبقى مقهى فوكيه حيّاً في ذاكرة الأغنياء الذين لا يزالون يرعونه، وهو يعتبر تجربة للسياح أكثر من أي شيء آخر بالنسبة لمعظم الناس. وهو بالنسبة للوليد يحظى بموقع استراتيجيّ من حيث قربه إلى الفندق، كما أنّه مليء بذكريات الطفولة، لذا تغاضى بسهولة عن الأخطاء المصاحبة لهذه المؤسّسة القديمة، وأقام معسكره الليليّ المعتاد هناك.

وقف أحد الحارسين الشخصيّين في الخارج، قرب النافذة التي جلس الأمير بقربها مكشوفاً أمام الطريق، فيما جلس الآخر على إحدى الطاولات التابعة القريبة. وعندما يتواجد الأمير في المقهى مع ابنيه، يمكن رؤية الحرس المختلفين مجتمعين معاً، يتحدّثون عن أحداث اليوم ويقارنون بدون شكّ الأوضاع الخطرة التي شهدوها هنا وهناك.

يبدو أنّ الوليد استمتع بالفيلم، خلافاً لبعض أفلام الخيال العلميّ أو المغامرات التي شاهدها. فلديه نظام يطلب بموجبه من روبير أو هاني الحصول على لائحة بكافّة الأفلام المعروضة في السينما، مع موجز عن كل منها. ثم يطلب منهما تمريرها على أعضاء الحاشية للاختيار. وينتقى الفيلم الذي يحظى بأكبر عدد من الأصوات بطريقة ديمقراطيّة. ولا يستشار البدو عادة لأنّهم لا يتحدّثون الإنكليزيّة، وغالباً ما يفوّتون الفيلم – وبخاصّة لأنّهم ربما يشعرون بالخيبة لعدم وجود فيلم "لورنس العرب" في القائمة.

كان فيلم "إدارة الغضب" (آنغر مانجمنت) لآدم ساندلر وجاك نيكولسون من الأفلام التي تتناسب مع ذوق الأمير. وقد وجده مسلّياً، لا لأنّ الأمير بحاجة إلى أي إرشادات من موضوع الفيلم... ولعل محتواه أكثر صلة بمديري الطيران الذين عنّفهم في اليوم السابق.

جلس الأمير في مقهى فوكيه يشرب ماء بيرييه بعد الفيلم، وبدأ بحصوله على تقرير عن وضع طائرة البوينغ 747 من الكابتن دنكان غيلسباي ومستشاره للتصميم برت ليندساي. ويبدو أنّ الضغط الذي مارسه أثمر، وأنّهم أصبحوا على وشك اتخاذ القرار وإعداد العقود. وسيزوّد الأمير بكل جديد في الموضوع.

بعد ذلك تابع النظر في الحملة الدعائيّة مع المحامي مارك مازو وشريكه دان ماكوبي، الذي يوجد مقرّه في مكتب هوغان وهارتسون بلندن. وتقرّر أن يبدآ بإرسال رسائل تطلب الإذن باستخدام شعارات الشركات المختلفة في إعلانات شركة المملكة القابضة. وسيلتقون بالأشخاص الرئيسيّين في الشركات المختلفة، مثل ساكس فيفث أفنيو، وأبل كمبيوترز، وأمريكا أون لاين تايم ورنر، ولربما ساعد لقاء الأمير برئيسها، ديك بارسونز، في وقت سابق في هذا المجال.

أما بالنسبة للطلب من مجموعة سيتي، الاستثمار المميّز للأمير، حيث يحتفظ بنحو نصف ثروته، فسيترك ذلك في عهدة الرجل الجالس بقربه، مايك جنسن.

الرجل الذي يراقب الأموال

أوضحت إحدى المجلات الماليّة ذات مرّة أنّ بإمكان مايك جنسن إبلاغك الكثير عن الأمير... لكنّه سيقتلك قبل ذلك. فرغم كونه مهذّباً جدّاً للتفكير في ارتكاب جريمة قتل، فإنّ هذا المصرفيّ الخاصّ الطويل والدمث الأخلاق يخضع لحكم أشدّ الأنظمة الماليّة في العالم. ويمكن أن يقضي عقوبة طويلة في السجن، ونظراً لأنّ فترة الحبس الطويلة ليست واحدة من أهدافه في الحياة... من الأسهل عليه أن يقتلك على أن يبوح لك بأي سرّ ماليّ عن الأمير.

ثمة أكثر من شبه بين جنسن وشكل جيمس بوند، من حيث الأناقة والنحافة واتباع الموضة في اللبس، وقد أمضى عقداً من الزمن في العمل عن قرب مع الأمير وقد بدأ ذلك بلقاء تعارفيّ لمدة دقيقتين في نيسان/أبريل 1993، عندما كان الأمير يقوم بزيارة لمصرفيّه الخاصّ، سيدريك غرانت، في سيتي بنك. كان غرانت على علاقة صداقة طويلة وفريدة مع الوليد، في حين كان جنسن يمارس عمله في الخدمات المصرفيّة للشركات لحساب سيتي بنك في ذلك الوقت، لذا لم يكن لديه الكثير مما يقدّمه للعميل الأمير في ذلك الوقت: "في نيسان/أبريل 1994 طرح الأمير بعض الأسئلة التقنيّة على سيدريك، ولأنّ سيدريك لم يستطع الإجابة عنها لأنّه

مصرفيّ خاصّ، فقد جاءني بتلك الأسئلة وأجبت عنها وقدّمت الإجابات للأمـير بناء على طلب سيدريك. ثم عاد الأمير ببعض الأسئلة التقنيّة الأخـرى وأجبـت عنها، وهكذا أدّى ذلك إلى قيامي ببعض العمل لحساب الأمير في بعض القضـايا المتعلّقة بالشركات. وخلال تلك السنة، أصبحت وسيدريك نشكّل فريق عمـل للأمير – كان سيدريك المسؤول عن الحساب والمصرفيّ الخاصّ وأنا الخبير الـتقنيّ بماليّة الشركات، وكنت أستدعى بشكل دوريّ"

وبما أنّ أعمال الأمير تختصّ أساساً بماليّة الشركات لا بالشؤون المصرفيّة، نمت العلاقة بين جنسن والأمير بسرعة. ومن الأمور المهمّة قدرته على التلاؤم مع خطى الأمير السريعة في الأعمال والحياة الشخصيّة.

أولاً يتمتّع جنسن بلياقة بدنيّة ملحوظة، رغم اقترابه من سـنّ السـتين، ويشترك مع الأمير في حماسته للتمارين المنتظمة والنظام الغذائيّ الخاص. وهـو طيّار مدرّب، ومن هواة السيّارات الرياضيّة، ويستمتع بـالقفز بالمظلّـة مـن الطائرات والقيام بمهامّ صعبة من الناحية البدنيّة. غير أنّ الأمير أكثر اهتمامـاً بعقله التحليليّ الثاقب، وقدرته على تقييم فرص الاستثمار بسرعة. ويتقاسـم جنسن مع الوليد ولعه بالمعلومات والأبحاث، ما يسمح له بتكوين أساس صلب ينطلق منه في العمل. ومع ذلك لا يخلو الأمر من الدقّة، لأنّ جنسن يعرف بأنّه عندما يقدّم بعض الموادّ للأمير، غالباً ما يكون عميله مطّلعاً بشكل جيّد علـى التفاصيل بقدر فريق سيتي بنك الماليّ: "على المرء توخّي الحذر. فرغم أنّنا نجري الكثير من الأبحاث للأمير – وذلك جزء من دورنا، أن نجري الأبحاث له ونحللها لحسابه – فإنّ لديه مصادر أخرى. لكنّنا مصدر رئيسـيّ، ونقـوم بإرسـال البيانات الأوليّة له فضلاً عن موجز عنها، ثمّ أقدّم له رأيي استناداً إلى التحليل، حيث يستطيع الأمير الموافقة عليه أو رفضه"

وكما هو معهود عن الأمير، فقد لزمه وقت طويل للوثوق بالمصرفيّ: "أعتقد أنّ الأمير أسهل اليوم مما كان عليه في السابق. فقد كان جزء من عملي في السابق، عندما كنت أعمل رئيس ماليّة الشركات مع سيدريك – وهو المسؤول عن العلاقة بالأمير أن أُبلغ الوليد بالأشياء التي ربما لا يريدها لكن يجب أن يطلع عليها. لذا

أدّى ذلك بمرور الوقت إلى اكتساب الأمير بعض الثقة بي، لأنّنا كنّا على العموم أقرب إلى الصواب من الخطأ"

وبمرور الوقت أصبح جنسن وفريقه المكوّن من خمسة أشخاص يشرفون على استثمارات الأمير العالميّة بالاسهم ويديرون حساباته الماليّة - التي تزيد في الغالب على مليار دولار. وهم يساعدون في مراقبة الترست العائليّة للوليد التي وضع فيها معظم موجوداته.

عندما التقى الوليد بجنسن في العام 1993، كان لديه الكثير من الخبرة المصرفيّة في ذلك الوقت. فهو كان يعمل منذ 26 سنة مع سيتي بنك، حيث بدأ بعد تخرّجه من جامعة ولاية كاليفورنيا في لوس أنجلس (UCLA)، وسرعان ما انتقل إلى المناصب العليا، بما في ذلك في ساو باولو، ومانيلا، وسيول، وبوغوتا، وطوكيو قبل أن يتوجّه أخيراً إلى لندن ثمّ إلى جنيف.

أفاده ذلك كثيراً، ولا يبدو أنّ هذا السفر المطوّل قد أثّر عليه. فشعره الأبيض الكثيف لا ينتقص من وجهه الطفوليّ وابتسامته الحاضرة، لكنّ أسلوبه المنهجيّ وقدرته على معرفة متى ينهمك في العمل الجديّ، هي التي تتيح له أن يكون المصفاة المثاليّة للأمير. فهو يتسلّم المقترحات، والتقارير، والعروض من البيوتات المصرفيّة الاستثماريّة الكبيرة، فيغربلها ثمّ يمرّر إلى الوليد ما يعتقد بأنّه يجدر به أن ينظر فيه. ويقول جنسن إنّه يدقّق في الأبحاث التي يجريها عن صفقات الشراء المحتملة للأمير في وضع الشركة ثمّ يحدّد نقطة دخول متلائمة مع متطلّبات العوائد الاستثماريّة لدى الوليد، وتكون في العادة وفقاً للمصرفيّ معدّل عائد داخليّ يبلغ 20 بالمئة على الأقل.

إنّ عمل جنسن الرئيسيّ في سيتي بنك، وهو الاهتمام بهذا العميل المهمّ، يجعله في الموقع المثاليّ الذي يسمح له بمفاتحة رؤسائه للحصول على إذن باستخدام شعارهم في حملة شركة المملكة، كما يريده الأمير الآن.

بعد الاتفاق على خطة العمل، غادرت مجموعة الأمير مقهى فوكيه لأنّ المقهى يغلق في الثانية صباحاً، وقفلت عائدة إلى فندق جورج الخامس على بعد خمس دقائق من هناك. وتكون هناك جلسة قراءة خفيفة للجرائد، وعشاء خفيف "مبكّر لأنّ ثمة يوماً حافلاً بانتظاره.

مشدود للعمل

لن ينام رؤوف عبّود في تلك الليلة قط.

غرفته في الطابق الأول من الفندق تبدو خليطاً من محل للطباعة ومخزن للإلكترونيّات. الطاولات في الصالة مليئة بأجهزة الإرسال والاستقبال القابعة على قواعدها الشاحنة في صفوف منتظمة، فضلاً عن الهواتف المحمولة والحواسيب المتصلة بالإنترنت. وإلى جانب الحائط، توجد طابعة كبيرة مهنيّة ساكنة على غير العادة. فهي في العادة تعمل على طباعة الجرائد والمجلات على ورق كبير بحجم A3.

وفي غرفة النوم بجوار الصالة، يوجد القليل من الحيّز الفارغ الذي يكفي فقط للتحرّك، إذ تتكوّم فيها نحو اثنتي عشرة حقيبة سفر صلبة فارغة.

تشكّل غرفة رؤوف العصب المركزيّ لاتصالات الأمير وفريقه.

يصعب الحديث مع هذا الجزائريّ الطويل إذ يرنّ أحد هواتفه بين الحين والآخر، فيتلمّس جيوبه لتناول الهاتف الصحيح. وعندما يتصل الأمير، تمتد يده تلقائيّاً إلى الهاتف المشبوك في حزام بنطلونه من الأمام. فلا وقت لديه للتلمّس بحثاً عن ذلك الهاتف.

يعطي رأس رؤوف الحليق واللمّاع وسحنته السمراء انطباعاً بأنّه شبيه بالأتباع المخلصين في أفلام جيمس بوند، ويزداد ذلك الشبه عندما يكون قريباً من جنسن، لكنّ ابتسامته العريضة الوادعة تكشف عن الجانب اللطيف لهذا الخبير في الاتصالات والمنهمك على الدوام.

ويمتلك رؤوف كل نوع من أدوات الاتصال التي يمكن التفكير بها، بما في ذلك مجموعة من الهواتف التي تعمل بنظام جي أس أم (النظام العالميّ للهاتف الجوّال)، والهواتف المتصلة بالأقمار الاصطناعيّة وأجهزة الإرسال والاستقبال. ومهمّته الحرص على إمكانيّة الاتصال بالأمير أينما كان في العالم، والأهم من ذلك، أنه يمكنه إجراء الاتصالات ومتابعة الأعمال. ويشكّل رؤوف نفسه صلة الوصل، لذا فإنّه دائم الاتصال بالأمير ويستجيب بسرعة. وعندما يتمّ الوصول إلى أي موقع جديد، يستبدل

رؤوف جهاز الهاتف الموجود في جناح الأمير بالفندق بجهاز مماثل لذلك الموجود في منزله أو مكتبه في الرياض، حيث الأزرار مبرمجة مسبقاً وموسومة للسماح له بسهولة الاتصال. فعندما يضغط على الزر رقم 1، يتصل مباشرة بقصره في الرياض. وهناك أيضاً أزرار مبرمجة مسبقاً للاتصال بأسرته، والأمن، ورؤوف، والمسؤولين عن السفر وأي موظّفين رئيسيّين آخرين. وفي معظم الأحيان يتصل الوليد برؤوف ويطلب منه تحديد موقع الشخص الذي يكون بحاجة إليه.

الاتصال الهاتفيّ، وفقاً لرؤوف، مهمّ جدّاً بالنسبة للأمير، وكذا التلفزيون: "أينما جلس الأمير، نركّب له تلفزيوناً وهاتفاً - وأينما كان موجوداً، يجب أن يكون لديه هاتف وأن يكون التلفزيون في متناوله" عندما لا يكون الأمير جالساً قبالة التلفزيون، فإنّه يبقى على اتصال غير مباشر به، كما يقول رؤوف: "عندما يمشي الأمير يكون على اتصال بواسطة الهاتف، ولدينا شخص في الرياض يشاهد التلفزيون طوال اليوم، وإذا ما حدث شيء على التلفزيون، يبلغنا بالأمر ويمكننا بعد ذلك تسجيله أو يمكنهم إرساله لنا"

لقد طلب الأمير من رؤوف تفحّص نظام جديد يستخدم القمر الاصطناعي والإنترنت لإرسال الفيديو بنسق MPEG4، ويتيح للوليد استقبال الفيديو وإرساله أينما كان في العالم.

ويقول رؤوف إنّه دائم الانشغال عندما يكون الأمير مسافراً بعيداً عن مقرّه في الرياض: "إنّه يتصل بالناس طوال اليوم، وأحياناً يقوم بمكالمتين مشتركتين أو ثلاث عندما يمارس المشي. يقول لي إنّني أريد مكالمة مشتركة مع هذا الشخص وهذا الشخص، فأجمع له كل الأشخاص على الخطّ ويتحدّث إليهم ويعقد الصفقات"

لم تنجح استثمارات الوليد المكثّفة في قطاع التكنولوجيا والاتصالات في جعله مولعاً بالأجهزة الإلكترونيّة. فهو لا يزال يفضّل استخدام بطاقات الفهرسة الصغيرة التي يحدّد عليها جدول أعماله ومواعيده مرمّزاً بألوان مختلفة. ويجري الوليد طوال اليوم عليها تصحيحات بقلم ملوّن. وهو يفضّل الحبر الأخضر، لأنّ الأخضر هو اللون الذي يرمز إلى الإسلام.

وقد اعتمد هذا الأسلوب منذ عدّة سنوات، عندما كان في مقتبل العمر. ويذكر ابن خالته رياض الأسعد أنّ الوليد طالما استخدم بطاقات الفهرسة. وذات مرّة عندما التقيا مصادفة في المملكة في العام 1992، طرح عليه رياض سؤالاً: "قلت، 'ماذا حلّ بمقدار ثروتك اليوم؟'، فقال، 'أمهلني دقيقة' وبعد ذلك أخرج هذه البطاقات وقال، 'لدي... في سيتي بنك...' ثم التقيت به بعد ثلاث سنوات، وسألته، 'ماذا حلّ ببطاقات الفهرسة؟' 'آسف بطاقات الفهرسة' وأخرج البطاقات ثانية وتحدّثنا عن بطاقتين منهما دوّنهما بخطّ يده"

رغم تمسّك الوليد بالبطاقات بعناد، إلا أنّه يطلب آخر ما توصّلت إليه التكنولوجيا ليبقى على اتصال مع العالم، ومهمّة رؤوف الوقوف على ذلك: "تندهش عندما تتحدّث مع الأمير عن كل هذه التكنولوجيا، إذ مع أنّني مختصّ في الاتصالات، لا أستطيع أن أخبره بشيء جديد لأنّه يقرأ كثيراً، ويعرف كيف يعمل كل شيء. وكل أسبوع أتلقّى مقالات من صاحب السموّ الملكيّ عن تكنولوجيا جديدة ويسأل، أين هذا ولماذا لم تخبرني عن ذاك، ويجب أن تطلعني عليه. بل إنّه يتابع التكنولوجيا والاتصالات الفضائيّة"

ويقول رؤوف، لا تمرّ لحظة واحدة بدون أن يكون الوليد على اتصال بمكان ما: "لا يحدث ذلك قطّ – 24 ساعة في اليوم، و365 يوماً في السنة. إنّه يزاول الأعمال أينما كان موجوداً، بل إنّه يزاولها أثناء نومه"

في تلك الليلة الحاسمة، كان على رؤوف البقاء مستيقظاً لتوضيب مجموعته الواسعة من الأجهزة من أجل النهار التالي المحموم.

الأمير المظليّ

ربما يكون مايك جنسن الوحيد من بين المجموعة المحيطة بالأمير الخبير بالقفز بالمظلّة من ارتفاعات شاهقة، (إلى جانب الحراس الشخصيّين)، لكنّ الوليد يعرف بالتأكيد كيف يدخل البلدان ويغادرها بالمظلّة على سبيل المجاز.

كان يوم الثلاثاء 17 حزيران/يونيو يوماً محموماً بالنسبة لمدير سفريّات الأمير، روبير الحاج، منذ أن استيقظ في السابعة صباحاً، بعد ثلاث ساعات من النوم فقط،

إلى أن أسند رأسه إلى المخدّة أخيراً بعد أربع وعشرين ساعة تقريباً.

كان هذا يوماً مميّزاً للوليد، ففيه سينتقل إلى ستّ مدن في أربعة بلـــدان في يوم واحد.

وسيكون روبير في عداد فريق الأمير في التاسعة صباحاً، في حين يرافق هـــاني زوجة الوليد في ذلك الوقت، الأميرة خلود، إلى جانب حاشيته من البدو، والطبيب جهاد، عندما يغادرون لاحقاً في ذلك اليوم، في الثالثة بعد الظهـــر متـــوجّهين إلى قطار يورو ستار الذي ينقلهم مباشرة من باريس إلى لندن، المقصد الأخير للأمير.

كانت طائرة البوينغ 767 جاهزة للمغادرة ما إن يصعد إليها الوليد وفريـــق صغير نسبيّاً من عشرة أشخاص في مطار لو بورجيه بضواحي باريس. وذلك هـــو الموقع الذي تستخدمه معظم الطائرات الخاصّة، وهو أيضاً المكان الـــذي يشـــهد المعرض الجويّ في باريس كل سنتين.

في العاشرة والنصف صباحاً، كان الكابتن غيلسباي يرتفع بالطائرة إلى علـــوّ 32,000 قدم في طريقه إلى مطار أمستردام. وما إن استوت الطائرة، حـــتى قفـــز الوليد من مقعده وتوجّه إلى أحد نوافذ الطائرة والحيرة بادية على وجهه. ثم أومـــأ إلى رؤوف وسأله إذا كانت "الطائرة الثانية" في الخلف.

قال رؤوف إنّه سيتحقّق من الأمر مع الكابتن، وعاد بعض لحظات ليؤكّد أنّ "الطائرة الأخرى" في مسارها على مقربة من الوراء، وأنّ الأمير لم يستطع رؤيتـــها بسبب موقعها النسبيّ.

وتبيّن أنّ الوليد استأجر طائرة صغيرة خاصّة تتسع لثمانية ركّـــاب لتلحـــق بالبوينغ 767 في تنقّلاتها في ذلك اليوم. وأوضح أنّه فعل ذلك من باب "التـــأمين"، فيما لو واجهت طائرة البوينغ أي مشاكل، حتى لا تفسد عليه جدوله المليء بكل تلك الاجتماعات المهمّة. وفي هذه الحالة يمكنه ركوب الطائرة الصغيرة مع نـــواة فريقه الأساسيّة.

30,000 دولار، إنّه تأمين مكلف جدّاً ليوم واحد فقط.

وبعد رحلة قصيرة من باريس دامت أقلّ من ساعة واحدة، كـــان السفير السعوديّ في هولندا، وليد الخريجي، في استقبال الأمير، وسرعان ما انطلق الركب

معه في قافلة من سيّارات الليموزين إلى قصر سوسدجيك، للاجتماع مع برنـــارد أمير هولندا.

وبعد منتصف النهار بقليل، خرج الأمير من القصر الفخم وتوجّـــه بـــرّاً إلى نيوويغين (Nieuwegein)، قرب روتردام، للقيام بزيارة مجاملة لكبار المدراء في شـــركة البناء الهولنديّة العالميّة، بالاست نيدام (Ballast Nedam)، الـــتي يوجـــد للوليـــد استثمارات ضخمة فيها.

لم تكن زيارة طويلة أيضاً، إذ كان على الوليد بعد ذلك التوجّه بالسيّارة إلى لاهاي، حيث ستقلّده وزيرة الإسكان، باسم ملكة هولندا، وسام فـــان أورانـــج ناساو من رتبة ضابط. وبعد أن قامت بتقديم الوسام، فتحت الوزيرة قنّينـــة مـــن الشمبانيا احتفالاً بالمناسبة، لكن الأمير اعتذر، موضحاً بأنّه لا يشرب الكحـــول، وطلب كوباً من الماء بدلاً من ذلك. وفيما كانت الصور توشك أن تلتقط للأمـــير والوزراء معاً وهم يحملون الكؤوس بأيديهم، تردّد الوليد فجأة، ثمّ طلب أن يوضع الماء في كوب عاديّ، بدلاً من الكأس التي خصّصت له أصلاً.

شعرت الوزيرة بالحيرة، لكنّها سرعان ما رتّبت الأمر، فيما شرح الوليد بـــأنّ الصور ستطبع بالأبيض والأسود، وربما يبدو كأنّه يحمل في يده كأساً من النبيـــذ الأبيض، لأنّ شكل الكأس يشير إلى محتواه. ولأنّه لا يريد الإيحاء برسالة خاطئـــة، اختار كوباً عادياً مستقيماً من الماء.

وعندما كان الأمير وفريقه يتنقّلون جيئة وذهاباً بسيّارات الليموزين السوداء الفارهة، انتقلت البوينغ 767 و"الطائرة الأخرى" إلى روتردام وكانتـــا تنتظـــران قدومه في الرابعة إلا ربع بعد الظهر. وكما هو متوقّع، حافظ الوليد على مواعيـــده وكان في الجوّ في الساعة الرابعة بعد الظهر متوجّهاً إلى مطـــار دبلـــن للاجتمـــاع برئيسة جمهوريّة أيرلندا، ماري ماك أليس.

كان الأمير هادئاً ومسترخياً عندما جلس مع زعيمة أيرلندا، رغـــم محافظتـــه على جدول مواعيده الدقيق والحافل. وقد فاجأها ببحث التغيّرات التي طرأت على الاقتصاد الأيرلنديّ بالتفصيل، وموقع البلد داخل أوروبا الآن، بل تبادل الاثنـــان بعض القصص المرحة. وبعد نصف ساعة، في الخامسة والنصـــف بعـــد الظهـــر،

غادرت سيّارات الليموزين القصر الرئاسي واختلطت بحركة المرور في دبلن في وقت الذروة، مهدّدة بإفساد مواعيد الأمير الدقيقة.

قال سائق الليموزين بطريقته الأيرلنديّة المسترخيّة أن لا داعي للقلق لأنّ الأمور ستسير على ما يرام. لكنّ الوليد لم يكن واثقاً من ذلك عندما نظر إلى السيّارات المتزاحمة في شوارع العاصمة الأيرلنديّة الضيّقة.

الحفاظ على المواعيد

الحفاظ على المواعيد مهمّ جدّاً بالنسبة إلى الأمير، لدرجة أنّه إذا بكّر في الحضور إلى مكان ما، فإنّه يبقى في السيّارة، أو يفضّل المشي بسرعة، إلى أن يحين الوقت الصحيح، وأحياناً يتساءل كيف حصل هذا.

في إحدى المناسبات، عندما كان لديه اجتماع مع ستيف جوبز، رئيس أبل كمبيوترز، قرب سان خوسيه في كاليفورنيا، وصل الأمير وفريقه قبل الموعد بعشرين دقيقة. وبدون تردّد سار الأمير بأقصى سرعة في المبنى الذي يشبه حرم الجامعة، إلى أن حان موعد الاجتماع. وعندما دخل الباب الأمامي متوجّهاً نحو الشخص الذي كان ينتظر الترحيب به عند المدخل، نظر حوله إلى أعضاء الحاشية، ونقر على ساعته وابتسم، قبل أن يصعد الدرج للقاء جوبز.

وفي قصّة مرحة أخرى حدثت في أطلنطا، جورجيا، عندما كان في طريقه لمقابلة الرئيس الأمريكيّ الأسبق جيمي كارتر، وجد الوليد ومايك جنسن وشخصان آخران من الفريق أنفسهم عالقين في سيّارة ليموزين فارهة متوقّفة وسط حركة مرور بطيئة في الطريق المؤدّي إلى وسط المدينة. صاح الوليد على السائق الأمريكيّ من أصل إفريقيّ قائلاً إنّه سيعطيه 300 دولار إذا استطاع الوصول إلى مركز كارتر في الخامسة والنصف بعد الظهر، في الموعد المحدّد. نظر السائق في البداية إلى الراكب في المرآة، فاتحاً عينيه ومشكّكاً فيما سمع. فذلك المبلغ يساوي راتب أسبوع كامل يحصل عليه في عصر يوم واحد كإكراميّة.

"هل تمزح معي"؟ سأل السائق بلكنة أطلنطا الثقيلة والبطيئة، دون أن يبعد عينيه عن الوليد، فيما السيارة تتقدّم ببطء والساعة تركض مسرعة.

بدا الوليد محتاراً: "لِمَ تضيع الوقت؟ لم يبقَ أمامك سوى ثـلاث عشـرة دقيقة"!

وسرعان ما التفّ السائق بالسيارة الطويلة وخرج من رتل السيّارات باتجـاه أحد المخارج بعيداً عن الطرق السريع: "أرجو أن تكون عند كلامك يا رجل. إنّني رجل يحافظ على كلمته، وأرجو أن تكون كذلك"

وخلال لحظات، وجدت السيّارة الكبيرة طريقها إلى شوارع المدينـة الخلفيّـة، وتقدّمت بسرعة نحو مكتب جيمي كارتر الكائن في حديقة إلى الشرق مـن وسـط المدينة.

أدرك الوليد أنّ الضغط لم يعد مسلطاً عليه فيما لاح مركز كارتر، فمـازح الوليد السائق قائلاً: "إنّه يوم سعدك. سوف تحصل على مئة دولار

كادت عينا السائق تخترقان المرآة حيث رأى أنّ الوليد يحاول الحفـاظ علـى تعابير وجهه. وتوجّه إلى الأمير قائلاً: "قلتَ 300 دولار، لقد وفيـت بكلمـتي. وأرجو أن تحافظ على كلمتك وألا تلعب معي

وعندما ترجّل الوليد أمام فريق المستقبلين عند مركز كارتر، قبـل الموعـد بثلاثين ثانية، التفت إلى روبير وأبلغه أن يحرص على إعطائه 300 دولار.

وسواء أكان عبر التخطيط أم الحظّ، أم عبر الحوافز الإضافيّة التي يقدّمها بـين الحين والآخر، نادراً ما يتخلّف الوليد عن مواعيده الدقيقة، وقد تمكّن بالطبع مـن الوصول إلى طائرته المتوقّفة في مطار دبلن في الموعد المحدّد للانطلاق في السادسـة والربع مساء.

كانت المحطّة التالية مدينة إكزتر في غرب إنكلترا. وقد هبطـت الطـائرة في السابعة مساء، وانتقل الوليد دون إبطاء بالسيّارة إلى جامعة إكزتر، حيـث كـان سيجتمع بنائب رئيس الجامعة لحضور ندوة في معهد الدراسات العربيّة والإسلاميّة، الذي يقدّم له دعماً ماليّاً، وحضور حفل استقبال مختصر يشتمل على مقابلة مـع صحافيّ محليّ.

أمضى الوليد نحو ساعتين في إكزتر بدتا بمثابة راحة له مقارنـة بـالتنقّلات المحمومة في القسم السابق من اليوم. شعر الأمير بمزيد من الاسـترخاء. فقـد أوفى

بالتزاماته الرفيعة المستوى، وبوسعه الآن أن يدع "الطائرة الأخرى" تغادر لأنّه لم يعد بحاجة إلى التأمين.

كانت الساعة تقترب من التاسعة والنصف مساء، عندما أقلعت طائرة البوينغ 767 من مطار إكزتر إلى مطار ستانستد في لندن. لم يكن ذلك الموقع المثالي، كما أنّه ينطوي على رحلة طويلة بالسيّارة للوصول إلى وسط المدينة، لكنّه المطار الأكثر ملاءمة حيث يستطيع الحصول على إذن بالتحليق بطائرته الخاصّة الكبيرة.

كانت الساعة الحادية عشرة والربع مساء عندما دخل الوليد فندق فور سيزنز القريب من باركلين في قلب مدينة لندن، ولم يتبقَّ أمامه سوى اجتماعين، بدءاً من منتصف الليل ويضمّان ممثّلاً عن جمعيّة خيريّة وصحافيّاً في إحدى المجلاّت.

قبل وصوله، اتصل بهاني وسأل عن آخر موعد للعروض السينمائيّة، وما المعروض على وجه الدقّة، ثم طلب أخذ آراء المرافقين في هذا الصدد.

عاد هاني بعد بضع دقائق وأبلغه بالخيارات المفضّلة، لكنّه أشار إلى أنّ العرض الأخير قد بدأ بالفعل.

"حسناً"، قال الوليد بعد أن تفحّص بطاقة مواعيده، "أبلغهم أنّنا سنكون هناك في الواحدة والنصف"

لو نام روبير وهاني أثناء عرض الفيلم وأصدرا شخيراً، لما سمعهما أحد، ولما وجّه إليهما اللوم أحد. لقد مضى اليوم دون أن تشوبه شائبة، وكان رئيسهما راضياً عن ذلك.

وفيما التمع ضوء الشاشة الخافت على وجوه نحو أربعة وعشرين شخصاً يشغلون صالة سينما إمباير ليسستر سكوير الضخمة، كان واضحاً أن العديد منهم أغمض عينيه غافلاً عن مغامرات الممثّل البريطانيّ روان أتكنسون، في دور الجاسوس الهازل، "جوني إنغليش" كان سيخيب ظنّ هذا الممثّل الكوميديّ المعروف عالميّاً باسم "مستر بِين" إذا ما نظر عبر الشاشة ليشاهد صالة شبه فارغة يحاول فيها النفر القليل من الجالسين التعويض عن الوقت الذي فاتهم من

النوم. غير أنّ جوني إنغليش لحسن الحظّ كان مشغولاً جدّاً بإنقاذ العالم.

لم ينته الأمر عند هذا الحدّ. لقد كان الأمير في كامل نشـاطه بعـد يومـه الناجح، وطلب من هاني حجز صالة سينما في الجوار بحيـث يسـتطيع مرافقـوه مشاهدة فيلم آخر من اختيارهم، "ماتريكس 2" كان بعضهم يقظاً مـا يكفـي ليستمتع بالفيلم، لكنّه لم يلاحظ أن الأمير غادر بُعيد بدء الفيلم. لم يكـن ذلـك الفيلم من النوع المفضّل لديه، لذا تسلّل عائداً إلى الفندق حيث يمكنه القراءة قليلاً، لكي لا يلحظه المرافقون ويتبعونه من باب الاحترام والتقيّد بالبروتوكول.

يقرأ الأمير كثيراً. فهناك الجرعة اليوميّة من الصحف التي يطبعها رؤوف عـن الإنترنت، ويضع أحدث طبعات نيويورك تايمز، وول ستريت جورنال، وواشنطن بوست، وإنترناشيونال هيرالد تيربيون أمام رئيسه كل ليلة. ويقـول رؤوف إنّـه باستخراجها من الإنترنت، يتمكّن من تقديمها إلى الأمير قبـل أن يضـع معظـم النيويوركيّين أيديهم عليها. وهناك أيضاً المجلاّت الشهيرة مثل نيوزويـك، وتـايم وبيزنس، ويك والإيكونوميست.

ثمّ هناك الكتب. يقول الوليد إنّه كان حتى سنة 2003 يقرأ الكثير من الكتب السياسيّة، بما في ذلك السير الذاتيّة لكبار السياسيّين، وتحلـيلات السـيناريوهات السياسيّة، وما إلى هنالك، لكنّه حوّل تركيزه بعد ذلك إلى المطبوعات التي تعـنى بالمال، مثل كتاب، "أجل، يمكنك اختيار الوقت في السوق"، وهو من تأليف بـن ستاين وفيل ديموث.

يقرّ أنّه يصبح متلهّفاً عندما يقترب من نهاية الكتاب، ويعترف بأنّه يبدأ بعـدّ الصفحات المتبقّية، عندما يقترب من النهاية، ويشعر بضرورة القراءة بسرعة أكـبر لإكمال الكتاب.

كان الأمير مستغرقاً بالفعل في قراءته وأبحاثه الليليّة عندما عادت بقيّة المجموعة من لسستر سكوير لتناول الطعام من المقصف الذي أعدّ في قاعة الجلوس بفنـدق فور سيزنز.

لقد بدأ الفجر يتشقّق في الخارج.

الدوائر الملكيّة

إذا كان التنوّع تابل الحياة، فإنّ حياة الوليد تكافئ سوق التوابل الشرقيّ الذي يعجّ بالحركة. بعد أن أمضى اليوم الفائت متنقّلاً بين أوروبا والمملكة المتحدة، يعقد اجتماعات عمل، ويتلقّى الأوسمة، ويتبرّع للقضايا الإنسانيّة، أخذ الآن يعدّ العدّة للاختلاط بالعائلة المالكة البريطانيّة.

كانت المباراة النهائيّة لكأس مجلس التعاون الخليجيّ في البولو لسنة 2003 ستجري في ويندسور، على مقربة من قصر الملكة إليزابيث الثانية، وكان الوليد راعي تلك المباراة. وضمّ فريق أمير ويلز الأمير تشارلز نفسه وابنه الأصغر، الأمير هاري، الذي يبدو أنّه يتقن هذه الرياضة.

سبق غداء في الثانية ظهراً الرحلة في الحافلة إلى ويندسور، على بعد 30 ميلاً خارج وسط مدينة لندن. والأمير يستمتع بالسفر في الحافلة، لأنّ ذلك يجعله قريباً من المرافقين، ويتيح له التعامل مع المشاكل العالقة أو المسائل التي تخصّ أفراداً معيّنين، أو المزاح مع البعض.

جرت المباراة بين الرابعة والسابعة مساء على ملعب الحرس الملكيّ للبولو بويندسور، وقدّمت الملكة والأمير الوليد بشكل مشترك الكأس والجوائز بحضور دوق أدنبره، الأمير فيليب، وابن الملكة الثاني، الأمير إدوارد.

وقد فاز فريق الأمير تشارلز، وتسلّم الكأس.

في الحوار غير الرسميّ أثناء تناول كأس من عصير البرتقال في أعقاب المباراة، روى الوليد لتشارلز الذي كان لا يزال متورّد الوجه والعرق يتصبّب منه كيف قادت الملكة بنفسها السيّارة بعمّه، وليّ العهد الأمير عبد الله، في مزرعتها الخاصّة، عندما كان في زيارة للملكة المتحدة. وعندما عاد وليّ العهد إلى المملكة، روى للوليد كيف توتّرت أعصابه عندما أمضت الملكة معظم الوقت خلف المقود وهي تنظر إليه منشغلة في حوار عميق. ولم يمضِ وقت طويل قبل أن يشير إليها وليّ العهد القلق بأن تنظر أمامها وتراقب الطريق.

وأبلغ الوليد الأمير تشارلز بأنّ ما يذكره عمّه عن الرحلة هو القلق الذي شعر به عندما كانت الملكة تقود السيّارة.

وقد ابتسم الأمير تشارلز وهزّ رأسه مقرّاً بذلك.

وبعد قليل من تقديم شيكات التبرعات الخيريّة، وما تلاه من جلسة قصيرة لتناول شاي بعد الظهر مع الملكة والأمير تشارلز، قفل الوليد عائداً إلى وسط لندن.

علقت الحافلة الكبيرة في زحمة المرور قليلاً عند نايتس بريدج، وفي مقابله يوجد متجر هارودز الشهير الذي يملكه رجل الأعمال المصريّ محمّد الفايد. وعندما نظر الوليد إلى المبنى المميّز من نافذة الحافلة، تحدّث عن اهتمامه بشراء هذا المعلم البريطانيّ البارز، لكنّه أوضح أنّ الثمن المرتفع الذي يطلبه الفايد لا يجعله صفقة مربحة. ومع ذلك نظر إليه ثانية فيما تحرّكت الحافلة قبالته.

وعندما توقّفت الحافلة عند إشارة المرور على بعد أكثر من نصف ميل من الفندق، على مقربة من هايد بارك، نظر الوليد إلى ساعته.

كانت تشير إلى الثامنة والدقيقة الخامسة مساء.

وعندما تفحّص رتل الأضواء الخلفية للسيّارات أمامه هزّ رأسه، سأل عن مدى بعد الفندق عن الموقع الحاليّ. ولما عرف ذلك، طلب من السائق أن يفتح الباب، وقفز خارجاً، فتسبّب في تدافع المرافقين للانضمام إليه على الطريق. وسرعان ما انطلق في السير نحو فندق فور سيزنز، على مقربة من باركلين. وقد عبر باب الفندق في الثامنة والربع مساء بالضبط.

تبيّن أن رياضة المشي في الساعة التاسعة مساء في شوارع لندن تثير تحدّيات أكبر مما تثيره في الشانزيليزيه، لأنّ المسارات الضيّقة والطرق الملتفّة التي تكثر فيها التقاطعات تصبح بمثابة كابوس للأمن الذي يحاول حماية جانبي الأمير. ومع ذلك لم يرتدع الأمير وقاد السير مع المرافقين إلى السينما ثانية. اختار الأمير تناول العشاء في الثانية صباحاً، وهو وقت أبكر من المعتاد، لكنّه واصل القراءة حتى الفجر.

غالباً ما يبقى الوليد مستيقظاً حتى موعد صلاة الفجر. ويشير الأمير إلى أنّ من الأهون عليه البقاء مستيقظاً حتى الفجر على أن ينام مدّة قصيرة ثمّ ينهض للصلاة ويعاود النوم ثانية. وبدلاً من ذلك يختار المشي قبل الفجر، ويعود مع موعد الصلاة، ثمّ يأوي إلى الفراش.

ويحتوي الجدول اليوميّ للأمير على فترات مخصّصة للصلوات المختلفة، وهو يوزّع على المسلمين في فريقه إلى جانب جدول المواعيد اليوميّ.

كان اليوم التالي آخر يوم في هذه الرحلة القصيرة، لكنّه لن يكون أقل منها انشغالاً.

سرعان ما انتهت فترة التجمّع العاديّة في منتصف النهار عندما قاد الأمير الجميع في جولة مشي مبكّرة، قبل الانتقال بالحافلة إلى مطار ستانستد، على بعد مسيرة ساعة أو نحو ذلك شمال لندن.

في الخامسة إلا ربعاً، انطلقت الطائرة إلى جنيف، وحطّت في الساعة السابعة والربع، فأخذ الوليد الفريق إلى فندق هوتيل دي بيرغز (Hotel Des Bergues) على الفور، وهو عقار حدّد أنّه للشراء وإعادة التجديد.

بقي المرافقون بعد ذلك في الردهة لتناول الطعام من البوفيه، فيما انطلق الوليد يرافقه حرّاسه فقط إلى مستشفى جينولي كلينك لزيارة عمّه المريض، الأمير مشعل بن عبد العزيز آل سعود.

بعد ذلك، عاد الوليد إلى الفندق من أجل القيام بجولة قبل التوجّه إلى الطائرة ثانية.

وفي التاسعة والنصف، كان الفريق في الجوّ ثانية متوجّهاً إلى مدينة بيزا الإيطاليّة.

كانت هناك حافلة كبيرة أخرى بانتظارهم في مطار بيزا لتقلّهم إلى فلورنس، لكنّ تأخّر الرحلة جعل الوليد يتساءل إذا كان سيتمكّن من الحفاظ على موعده.

عندما دخل الفندق في فلورنس، دقّت الساعة معلنة انتصاف الليل. لقد وصل في الوقت المناسب تماماً ليشارك ابنته الاحتفال بعيد ميلادها الحادي والعشرين ويتمنّى لها عيداً سعيداً.

سرّت الأميرة لقضاء الوقت مع والدها الذي جال في الفندق معها وزار غرفتها للتأكّد من أنّها بالمستوى اللائق وأنّها مرتاحة. وقد منحت الرحلة إلى فلورنس ريم فرصة للابتعاد عن بيئة الدراسة وروتين الحياة في المملكة، لكنّها لم

تبعدها عن بعض القضايا التي تزعجها في أعماقها. حيث كانت لا تـزال مقيّـدة بالحاجة إلى الأمن والسهر المتواصل على سلامتها، بغضّ النظر عن مقـدار تـدنّي التهديد الافتراضي.

ودّع الوليد ابنته في الواحدة والنصف تقريباً، وركب الحافلة للعودة مـن فلورنس إلى مطار بيزا. وفيما اقتربت المركبة من بيزا، خطرت للأمـير فكـرة جامحة.

سأل السائق كم يبعد برج بيزا المائل عن الطريق التي تسلكها الحافلة، فأشار السائق إلى أنّه غير بعيد، لذا قرّر الأمير الاتصال بالطائرة لتأخير الإقلاع ريثما يزور البرج الشهير عالميّاً في ساعات الصباح الأولى.

في الثالثة صباحاً، أصيب رجلا الشرطة المحليّين اللذان كانـا يجلسـان في سيّارة وحيدة متوقّفة قرب البرج بالدهشة عندما شاهدا حشـداً مـن أربعـة وعشرين شخصاً من الأجانب بينهم بعض المسنّين اللذين لوحتهم الشمس قادماً نحوهما.

المنزل في الصحراء

بدا الارتياح بوضوح على وجوه منسوبي شركة المملكة القابضة عنـدما نزلوا السلّم من الطائرة تحت شمس الريـاض السـاطعة. فقلّـة الرطوبـة في الرياض تجعل ارتفاع درجات الحرارة أمراً يمكن احتماله، لذا رغم مخاطر الحـرّ الشديد، فإنّ الانزعاج الفوريّ للخروج إلى الشمس في الصيف يكون متـدنّياً جدّاً.

كان الوقت قريباً من الظهيرة، واليـوم جمعـة، أي يـوم عطلـة. أخـيراً يستطيع الفريق الارتياح بعد أن أنهى الأمير رحلته السـريعة بنجـاح وعـاد إلى الوطن.

يشعر الموظّفون الذين يعملون مع الأمير بالرضا عندما يمضي مثـل هـذا الحدث على ما يرام، لكنّهم يشعرون أيضاً بالإرهاق. ما الذي يجعلهم يثابرون في عملهم عندما يكون مرهقاً جدّاً؟ يوجد لدى الأمير رأي في هذه المسـألة:

"إنّنا ندير عملنا بطريقة مهنيّة عالية، ومع ذلك بطريقة وديّة أيضاً. فعمليّة التوظيف في شركة المملكة القابضة صعبة جدّاً ومعقّدة. لتوظيف أحدهم، بصرف النظر عن مدى صغر درجته، نمرّ في آليّة صعبة، نتفحّصه ثم نتكلّم معه، ونحاوره، ونقول له إنّه هنا ليبقى. ليس لدينا من يترك خلال شهر أو اثنين أو سنة أو اثنتين أو ثلاث. فمعظم الأشخاص يعملون معي منذ خمس أو سبع سنوات أو أكثر، ولدينا علاقة وثيقة معهم، لكنّها مهنيّة جدّاً. لدينا عدد صغير جدّاً من الموظّفين، لكن ثمة أشياء مشتركة فيما بينهم، على سبيل المثال، إنّهم جميعاً في الثلاثينات والأربعينات، وهم جميعاً ذوو تعليم أمريكيّ، ولديهم توجّه تكنولوجيّ، وجميعهم سريعون ويتمتّعون بحاصل ذكاء جيّد أو مرتفع. وكلّهم ديناميكيّون ويمتزجون معاً.

يعترف الوليد أنّه يستخدم نظام المكافآت كحافز قويّ للحصول على أقصى ما لدى العاملين. لقد شهد نجاح هذا النظام عندما سيطر على البنك السعودي التجاريّ المتحد في أواخر الثمانينيّات، وأعاده إلى الربحيّة باستخدام هذه الحوافز: "إنّه متوازن جدّاً. رواتبنا ليست مرتفعة جدّاً، لكنّ الحوافز مرتفعة نسبيّاً. لذا نميل إلى المكافآت ونمنح ما يفوق الراتب، لأنّك إذا ضمنت الحصول على الراتب في نهاية الشهر أو الفصل، فستعمل بشكل عاديّ"

إنّه يفضّل الخطى السريعة مع ارتفاع الدافع، ويضيف أنّه بوجود خطّة مكافآت فصليّة، يكون أمام الموظّفين فرصة للحصول على أكثر من الراتب، إذا أثبتوا أنفسهم بشكل متواصل. وذلك تحدّ شاقّ بالنظر إلى ما يمثّله ذلك بالنسبة لمعظم الأشخاص، أي أيام عمل طويلة جدّاً وساعات عمل غريبة. لكن الوليد يردّ على ذلك: "غريبة بالنسبة لمن؟ للعاملين هنا - بالنسبة لي - إنّها عاديّة. وفي النهاية عندما تصيب النجاح، وعندما يغرى العاملون بالنجاح والنتائج، فإنّهم يحبّون ذلك، ويشعرون أنّهم جزء منه. لا أحد يريد الارتباط بالفشل. إنّنا الشركة الأولى في المملكة العربية السعودية والشرق الأوسط. ونسبق العديد من الشركات التي تمتلكها الحكومة - ولدينا 34 موظّفاً فقط.

يعتقد مدير العلاقات والإعلام الذي أمضى ما يقرب من عقد من الزمن في

خدمة الوليد، أنّ هناك اتصالاً مباشراً مع الوليد أكثر مما هو موجود مع رؤساء العديد من الشركات الكبيرة: "كم عدد رؤساء الشركات في العالم الذين يسمحون لك بالتحدّث إليهم بصراحة وحريّة كبيرة، وكم عدد الرؤساء الذين يهتمّون بمعرفة المشاكل التي تعانيها عائلتك؟ كم عدد الرؤساء الذين يهتمّون في معرفة أسماء أولادك وأعمارهم؟ وكم عدد الرؤساء الذين يحاولون حل أي مشاكل زوجيّة قد تكون لديك أو مشاكل عائليّة؟ كم عدد الرؤساء الذين يحاولون حل مشكلاتك الماليّة؟ لذا فإنّه ليس رئيساً فحسب، إنّه صديق"

ويعترف مدير العلاقات والإعلام مع ذلك بأنّ الوليد لا ينفتح على الجميع: "عليك أن تكتسب ثقته، وهو يؤمن بمبدأ ريغان بالثقة على مرّ الزمن، ويتبعه. إنّه يثق بالعديد من الأشخاص، لكنّه يثق بأشخاص مختلفين في قضايا مختلفة. وثقته بأحدهم بأمور أكثر من الآخرين تعتبر ميزة لا يحظى بها أكثر من شخصين أو ثلاثة، على ما أعتقد"

يضيف الطبيب الشخصيّ للأمير، جهاد عوكل، بأنّه يلزم وقت طويل للفوز بثقة الوليد، لكن عندما تحصل عليها فإنّه يكافئ الولاء والخدمة الطويلة. ويقول إنّ الأمير يشارك بشكل عفويّ الناس المحيطين به أحياناً في الأرباح التي يحقّقها: "ربما ترتفع أسعار الأسهم دليلاً على الاستثمار الجيّد، فيكتب على ورقة صغيرة ويعطيني إياها ويفعل ذلك مع اثنين أو ثلاثة آخرين من أفراد الحاشية، واعداً بمبلغ كبير من المال... بمثابة عرفان بالجميل، كأنّه يقول، 'إنّ أعمالي مزدهرة، لذا يجب أن تكونوا بحالة جيدة أيضاً'، ويشاركنا في أرباحه"

ويقول جهاد إنّ أغلى ما أعطاني الأمير بيت يساوي مليون دولار... لكنّ ثقته هي الأكثر قيمة على الإطلاق.

عندما يسأل الوليد عن مقدار صعوبة الحصول على أصدقاء حقيقيّين، كونه في مثل هذا المقام الرفيع ماليّاً واجتماعيّاً، لا يقدّم الكثير من التفاصيل ويكتفي بالقول: "ليس بالأمر الصعب حقّاً، لديّ الكثير من الأصدقاء الجيّدين في المملكة وفي المنطقة وعلى الصعيد الدوليّ، وحتى في الولايات المتحدة. لدي أصدقاء كثر من مجتمعات وديانات مختلفة"

لكن رغم أنّ الوليد ينتبه إلى كل تفصيل متعلّق برجاله، إلا أنّه ليس من السهل معرفة ما يدور في داخله. بل إنّ الذين يلازمونه في رحلاته المتسارعة حول العالم يضطرّون إلى بذل الكثير من الوقت لكي يعرفوه عن كثب، فضلاً عن الفوز بثقته. حياته هي حيث يأخذ أسرته معه، لكنّها متقوقعة داخل حدود المرافقين والأمن. قد يكون جيله مرتاحاً إلى مثل هذه التقاليد والطقوس، لكن من المثير للاهتمام معرفة إلى أين يمكن أن يصل بها الجيل التالي، لا سيما قيود العيش مع مرافقين ورجال الأمن.

يفلسف ابنه خالد هذا الأمر: "إنّه أمر صعب، لكن هذه هي يد المنّة التي امتدّت إلينا من الله، وليس من سواه. لذا أقبلها، وتتقبّلها أختي، ويتقبّلها والدي، ونحن نتعامل معها ونكتفي بما هو متيسّر منها. لا يمكنني الشكوى. ربما أشكو من الوقت الضائع، وربما أشكو من عدم قضاء وقت بمفردي، لكن الآخرين يشكون بشأن عدم وجود ما يتناولونه على العشاء، أو من عدم معرفة ما يخبّئ لهم الغد. إنّني أحمد الله، لذا لن أتذمّر بهذا الشأن. لقد منّ الله علي بنعمته وأنا شاكر له"

لكن ثمة شرر صغير من التحدّي يصدر عن ابنة الوليد الذكيّة والمستقلّة في تفكيرها، ريم، التي تقول إن بوسعها أن ترى نفسها بدون الحرّاس الشخصيّين حتى الإيطاليّين: "نعم، لا شكّ في أنّني سأفعل ذلك في النهاية. إنّه أمر شديد الوطأة، وأنا لا أحبّ أن أكون محاطة بالكثير من الأشخاص، والخروج مع أشخاص يراقبونني باستمرار، فذلك يثير أعصابي. لذا يوماً ما سأفعل ذلك. ستراني أسير بمفردي، وسأنظر حولي - ولا أجد أحداً خلفي



10

مملكة الأعمال

"إنّه يزاول الأعمال أينما كان - بل إنه يزاول الأعمال حتى أثناء نومه".

رؤوف عبود، مدير اتصالات الأمير

لو كان نمط حياة الأمير الوليد أغنيّة لكانت أغنيّة روك صاخبة. إنّ وقعها شديد ويدّب على كل شيء بطريقة منتظمة، دون أي تغيّر عفويّ أو كبير. إنّه يحبّ التخطيط بوضوح وبطريقة علمية ومهنية، كما أنه يحب اتباع الخطة دون أن يحيد عنها.

لكن إذا تفحّصت عقله تجد أن النغم جاز حتماً. فهو يذهب في كل اتجاه، مع حدوث تغيّرات في السرعة والجهارة، ويمكن أن يستعصي على التوقّع. إنّه صوت الآلات المتعدّدة التي يكمّل بعضها بعضاً، أو غالباً ما تتنافس لكي تسمع، أو تكون بمثابة احتفال سمعيّ متعدد الطبقات.

من الصعب الاعتقاد بأنّ الجاز في عقله يمكن أن يتحوّل إلى روك في برنامج عمله الممتد على 24 ساعة. وهو يقدّم التفسير بكلمتين اثنتين: "الأقسام المستقلّة"

إنّ السبب الذي يمكّن شركة المملكة القابضة من العمل بهذا العدد الصغير من الموظّفين بالنسبة إلى عمليّة متعدّدة المليارات من الدولارات وشديدة التنوّع هو أنّ الأمير يضع كل شيء في أقسام مستقلّة. فيفرغ ما يدور في عقله في قنوات محدّدة.

ويشدّد الأمير على ذلك بقوله: "كل شيء يتعلّق بالأقسام المستقلّة. لديّ أشخاص متخصّصون في مجال معيّن، وأحرص على تكليف الأشخاص المناسبين بالمهمّات المناسبة. وليس هناك الكثير من التداخل، أو لا تداخل على الإطلاق

الكل يعرف ما الذي عليه القيام به، ويتدبّر أموره بنفسه. يدير كل قسم مستقلّ من حياتي نفسه بنفسه وما عليّ سوى إدارة ذلك"

مع ذلك، قبل تشغيل الطيّار الآليّ، يولي الأمير التفاصيل اهتماماً شديداً من أجل وضع النظام في مكانه الصحيح واستنهاض همم العاملين. وخلافاً لغيره من رجال الأعمال الكبار الذين لديهم الكثير من المستشارين، لا يوجد لدى الأمير إلا القليل منهم، وهو يتخذ معظم قراراته بنفسه. بل إنّه غالباً ما يسدي النصح إلى مستشاريه لأنّه يحتفظ ببنك معلومات هائل وحديث فيما يتعلّق بالشؤون الجارية، ويرجع ذلك إلى ضخامة حجم الأبحاث والقراءات التي يجريها.

يتلقّى مدير العلاقات والإعلام في الغالب مقالات ترسل إليه من مكتب الأمير، معلّمة بالحبر الأخضر بخطّ الأمير، حيث يقترح متابعة البنود المشار إليها. وهو يقول من الصعب التوصّل إلى كيفيّة حصول الأمير على مثل هذا الكمّ من المعلومات يوميّاً. لكنّ الوليد يبقي عينيه على كل ما يدور حوله، كما يقول مدير العلاقات والإعلام، ويميل إلى مراقبة الموظّفين الجدد والإشراف على كل ما يفعلونه: "تسود الإدارة الدقيقة حيث لم يُمضِ الموظفون وقتاً طويلاً في عملهم و لم يتاح لهم بعد التعرّف إلى الأمير عن كثب. يدير الأمير هذه المجالات بدقّة إلى أن يكتسب هؤلاء الأشخاص ثقته، ويتوقّف ذلك على الشخص. فإذا فشل المرء في كسب الثقة، فذلك يعني أنّه فشل في أداء عمله الذي وُظّف لإنجازه"

إدارة الأقسام المستقلّة

تتعاطى الدوائر المستقلّة في شركة المملكة القابضة مع العمل الاستثماريّ اليومي للأمير، إلى جانب جدولة المواعيد، والأسفار، والعلاقات العامّة، ووسائل الإعلام، والاتصالات. ظلّت الشركة تدار لمدّة سنوات من مبنى رخاميّ صغير ومتواضع مؤلّف من طبقتين في وسط الرياض، و لم تنتقل إلى المكاتب الجديدة الفخمة إلا في نيسان/أبريل من العام 2004. توجد المكاتب في الطبقة 66 من برج المملكة الضخم الذي يمتلك الأمير معظمه. والآن بوسع الموظّفين رؤية المشاهد الفريدة للمدينة من أكثر الأماكن ارتفاعاً.

رغم الموقع الجديد والمريح للشركة وازدياد مساحة المكاتب، يقول مدير العلاقات والإعلام إنّه لا يزال هناك نواة صغيرة نسبيّاً من الموظّفين لأنّ الراحة المتزايدة لا تعني تناقص الكفاءة: "أجرينا إحصاء للأشخاص، لأننا نحصل كل سنة على نموذج نملؤه لتعرف مرتبة كل شركة في المملكة العربيّة السعوديّة. وقد حصلنا على المرتبة الأولى في المملكة للسنة الثالثة على التوالي. وقد واجهنا صعوبة في معرفة العدد الدقيق للعاملين في شركة المملكة القابضة، فهل يشمل هذا الرقم مقدّمي الشاي؟ وهل يشمل دائرة الطيران ودائرة الصيانة؟ أين نقف، لأنّ هؤلاء الأشخاص يقدّمون خدمات للمكتب والقصر على السواء؟ لذا كان الرقم صغيراً حقّاً في البداية ثم بدأنا نضيف بعض الموظّفين إذ لم يكن أحد يصدّق هذا العدد، ووصلنا إلى 49 شخصاً. لكنّني أستطيع أن أقول لك إنّ الأشخاص القريبين من الأمير هم في حدود الاثني عشر، ومن خلالهم يتصل الأمير بالأشخاص الآخرين ويحصل على البيانات والمعلومات التي يريد. إنّه يؤمن بتلزيم الأعمال، ويؤمن في إبقاء عدد المحيطين به صغيراً لأنّ هذه الشبكة الصغيرة تساعده أولاً وقبل كل شيء على العمل في أقسام مستقلّة. وتساعده أيضاً في إتاحة الفرصة للجميع كي يفهموه فإذا أبقيت القليل من الأشخاص حولك، لا يكون عليك أن تشرح ما لديك لعدد كبير من الأشخاص

ويقول مدير العلاقات والإعلام إنّ كل قسم يحتوي على فريق صغير جدّاً، رغم وجود عدد صغير من الأقسام في الشركة: "لدينا الإدارة، ولدينا الاستثمارات المحليّة، والاستثمارات الدوليّة، ولدينا الفنادق، والموارد البشريّة، والعلاقات مع الحكومة، والمحاسبة، والسكرتاريا، والتصميم الداخليّ، ودائرة تكنولوجيا المعلومات، والاتصالات، والسفر، والعلاقات العامّة"

يعمل صالح الغول مع الأمير منذ العام 1995، قبل أن تتحوّل الشركة من مؤسّسة المملكة إلى شركة المملكة القابضة. كانت تشهد الكثير من إعادة التنظيم بمساعدة مستشارين خارجيّين، وتتوسّع من كونها أصغر مما هي عليه اليوم. ساعد المستشارون في وضع استراتيجيّات جديدة لكيفيّة إدارة الشركة والمناصب التي يجب شغلها. وقد حصل الغول على "قسم المحاسبة" بوصفه المدير الماليّ. ويقول إنّ

الأمير كان يركّز منذ اليوم الأول على الكفاءة وإدارة عمليّة محكمة: "قد تظنّ أنّه يجدر به الاسترخاء وعدم الانتباه إلى التفاصيل لأنّه يمتلك كل هذه الأموال، لكن صدّقني، إنّنا ندير عملنا كما لو أنّنا لا نمتلك سوى القليل من الأموال (يضحك). لذا، العمليّة محكمة، بدون هدر – ولا مجال للخطأ أو الهدر. لدينا ولله الحمد مؤسّسة غنيّة جدّاً من ناحية الموجودات والإيرادات، لكن كل شيء مضبوط بشكل جيّد، وهناك دائماً ضبط دقيق لطريقة إدارة الأعمال. لذا تعتقد أنّك وصلت إلى 100 بالمئة، ثمّ تكتشف أنّ هناك مجالاً لمزيد من الضبط والوصول إلى كفاءة أكبر للعمليّة"

يصف الوليد فلسفته بأنّها تقوم على، "العمل بذكاء، ثمّ الجدّ في العمل وهو يقول إنّه لا يحب عبارة، "العمل بذكاء لا بجدّ"، موضحاً أنّه لا يزال يريد العمل الجادّ، لكن يجب التعامل معه بطريقة ذكيّة أولاً: "إنّنا مقدامون جدّاً، وأحب أن يبذل الموظّفون لديّ أقصى ما لديهم. وسوف أصل بالأمر إلى مداه دون أن أتجاوزه. وسأكون دائماً مرناً لكن ليس إلى الحدّ الذي يجعل ذلك يرتدّ علينا. وإذا قال لي أحدهم إنّنا بحاجة إلى مساعدة، فسوف يجد الدعم"

يتكوّن قسم العلاقات العامّة من أربعة أشخاص فقط، وهم دائمو الانشغال في التعامل مع اهتمامات وسائل الإعلام المتكرّرة التي يولّدها اتساع نطاق أعمال الوليد وأنشطته. وفي أعقاب بدء الأمير الصريح بإصدار بيانات شبه سياسيّة بشأن الوضع في المملكة العربيّة السعوديّة، منذ تشرين الثاني/نوفمبر 1993، ازداد حمل هذا القسم وأعباؤه.

يبقى مدير العلاقات والإعلام قريباً من الأمير ويرافقه في معظم رحلاته الخارجيّة. وعندما يوافق الوليد مدير العلاقات والإعلام، يصدر عن قسم العلاقات العامّة بياناً للصحافة عن أنشطة الأمير، مثل تبرّعه بأكثر من مليون دولار للسودان لمساعدة ضحايا تحطّم الطائرة في حزيران/يونيو 2003، أو اجتماعاته المتكرّرة في مكتبه مع كبار المسؤولين الدوليّين الزائرين.

وفي المملكة العربيّة السعوديّة ومناطق أخرى من الشرق الأوسط، تحتل أخبار الأمير العناوين الرئيسيّة ويظهر في الصحف بانتظام، فيما يتعلّق بكل شيء من

أعماله الخيريّة إلى صفقاته إلى تعليقاته ذات الاتجاهات السياسيّة بين الحين والآخر.

لا يوجد حتى الآن "قسم سياسي رسميّ، بسبب إصرار الأمير بأنّ تركيزه لا يزال منصبّاً على دوره كرجل أعمال.

يلتقي خالد المعينا، رئيس تحرير عرب نيوز" بالأمير، بين الحين والآخر ولديه انطباع إجماليّ إيجابيّ عن طريقة نموّه: "أعتقد أنّ لديه دوافع كبيرة. لقد ترك أثراً في الاقتصاد المحليّ والاقتصاد الدوليّ. وهو يريد النجاح – ونجح – وأعتقد أنّه يقوم بتغيير قائمة أهدافه بصورة دائمة. ينظر إليه الكثيرون هنا على أنّه يلعب أيضاً دوراً محوريّاً في المجتمع، أي تطوير توقّعات المجتمع عن طريق التبرّعات – لا رمي المال فحسب – لكنّه يبدو منهمكاً في العديد من الأشياء"

منفتح على الأعمال

لا شكّ في أنّ استراتيجيّة الوليد في الأعمال نضجت على مرّ السنين، بعد اجتيازه الضغوط العامة لحقبة الإنترنت في بداية الألفيّة الجديدة دون أن يتأذّى إلى حدٍّ كبير. وقد كان منفتحاً جدّاً بشأن استثماراته ومصرّاً على الشفافيّة، خلافاً لكثير من الآخرين في الشرق الأوسط الذين لا يزالون يستخدمون عدداً من الحسابات المصرفيّة السويسريّة المرقّمة لكي يديروا موجوداتهم بتحفّظ وسريّة.

يصف فريق عمله في شركة المملكة استراتيجيّة عمله اليوم بأنّها ائتلاف لثلاثة نهج. أولاً، الإبقاء على محدوديّة عدد الاستثمارات، لكن التطلّع للحصول على حصص كبيرة في ما يصفه "بالأوضاع التي يؤدّي ثقل استثماراته فيها إلى إحداث تغيير في تصوّر الناس عن القيمة الحقيقيّة للشركة"

ثانياً، حرصه المستمرّ على الأعمال العالميّة، باحثاً عن صناعات أو أسماء تجاريّة تجاوزت الحواجز الدوليّة بالفعل، مثل الفنادق، ووسائل الإعلام، والمصارف. ويعتقد بأنّ للأسماء التجاريّة في الاقتصاد العالميّ قيمة مضافة ويعلّق أهميّة كبرى على تلك القيمة.

أخيراً، البحث عما يعتبره "شركاء يملكون قيمة مضافة"، لا يضيفون إلى العمل الأرباح فحسب. على سبيل المثال، استند اتفاقه مع كويك لنغ بنغ للاشتراك

في شراء فندق بلازا، في نيويورك، على تقييم الوليد لشركة كويك الفندقيّة، سي دي أل، باعتبارها مديرة فنادق عالية المستوى. وفي النهاية ربما كان الوليد يميل إلى الارتقاء بالعقار، ولم يوافقه كويك في ذلك، لكنّ البيع في آب/أغسطس 2004 بمبلغ 675 مليون دولار أثبت أنّه مربح جدّاً للطرفين.

ويصف مصرفيّ الوليد، مايك جنسن، استراتيجيّة الأمير بأنّها تهتمّ أكثر بالإطار الكليّ في هذه الأيام، قائلاً إنه وضع جانباً أسلوب الإدارة الدقيقة الذي استخدمه في الأصل في مشاريعه مثل البنك السعوديّ التجاريّ المتحد: "أعتقد أنّه أعطى وصفاً دقيقاً لنفسه عندما قال إنّه يحب أن يرى نفسه في مروحيّة فوق غابة من الأشجار بحيث يتمكّن من رؤية الغابة بأكملها، وعندما يلاحظ مشكلة، يهبط على الفور ويتدخّل في لبّ الموضوع. وما إن يتفهّم المشكلة ويرى الحل المحتمل - ويشرك الأشخاص المناسبين في الحل - حتى يطير إلى أعلى ويلقي نظرة على المشهد الإجماليّ ثانية من المروحيّة. وقد بدأ بتفويض الصلاحيّات إلى القياديّين في شركته، ولكن هل وصلت تلك الصلاحيّات لما يرجوه موظّفوه؟ لربما لا، لكنّه مستمرّ في ذلك الاتجاه، لكنني أعتقد أنّه يماثل رئيس مجلس الإدارة والرئيس التنفيذيّ في أفعاله الآن أكثر مما كان عليه قبل بضع سنوات. إنّه يقوم بالفعل بتنفيذ مثال أسلوب المروحيّة"

يعتقد الأمير إن وجوده في "المروحيّة"، محلّقاً في الجوّ، مع ضوء كشّاف بحثاً عمن يعاني من مشكلة على الأرض، يتيح البقاء خارج الشركات الكبرى - لا أن يعيش بالفعل في الغابة. وبهذه الطريقة يشعر أنّ بوسعه التأثير دون أن يعلق في الشرك. ويقول الأمير إنّه كمساهم رئيسيّ من الخارج، يستطيع أن ينتقد أعضاء مجلس الإدارة إذا ارتكبوا خطأً. لكن إذا شغل موقعاً في مجلس إدارة الشركة، عليه - كما يرى - أن "ينتقد نفسه"

في إحدى المقابلات، سئل عن مقدار الحصّة التي يحبّ أن يشتريها في شركة ما، فشدّد في إجابته على أنّه يفضّل مساهمة لا تعطيه الأغلبية لأنّ الأغلبيّة تعني السيطرة، وتعني الامتلاك، وتعني الإدارة. ويكرّر الأمير أنّه يحبّذ أن يشتري في الإدارة الجيّدة، لا أن يتولّى العمل بنفسه، لأنّه مستثمر ماليّ يغطّي الكثير من

القطاعات في كل أنحاء العالم. وبالطريقة نفسها، عندما يتراجع إلى الصورة الإجماليّة، فإنّه يجب أن يترك للإدارة أن تقوم بعملها: "عندما أشتري شركة، أشتري العقول – الإدارة، والمهارة، والمعرفة، وسجلّ الإنجازات، والخبرة، والاسم – وأنا أحبّذ الأفضل دائماً"

يضيف جنسن الملاحظة بأنّ الوليد أصبح أكثر صبراً في الانتظار بين الاستثمار والآخر لكي يعثر على الفرص الاستثنائيّة، وهو لا يزال يبحث عن الشركات الجيّدة التي تتيح له فرصة استثمار طويلة الأمد، وتمنحه نافذة استثمار لا تقل عن سبع إلى عشر سنوات. ولا يزال يعمل كمستثمر من أعلى إلى أسفل، حيث يبدأ بدراسة السوق في بلد ما، ثمّ الصناعات في ذلك السوق، ثمّ بضع شركات ضمن الصناعة. وعندما يجد الفرصة المناسبة وفقاً لمعاييره الشديدة، يكون مستعدّاً للتحرّك بسرعة. وعندما يتحقّق السعر المستهدف الذي حدّده، يكون مستعدّاً لإتمام صفقة كبيرة.

تقع استثماراته الناجحة مع سيتي بنك، وأبل كمبيوترز، ونيوز كورب، وفور سيزنز، وفيرمونت هوتيلز، وكناري وارف، على سبيل المثال في هذه الفئة، في حين أنّ أحكامه المتسرّعة أثناء فورة الإنترنت كلّفته بعض الشيء عندما أفلست. إنّه ينصت باهتمام إلى مستشاريه، لكنّه يتخذ القرار النهائيّ بالاستناد إلى قاعدته المعرفيّة التي تنمو وتُحدّث باستمرار، وحدسه. وبهذه الطريقة يتبع قراره الخاصّ، عندما ينصح فريقه الاستثماريّ قائلاً، "ثقوا، ولكن تثبّتوا"

رغم أنّ الأمير يمارس بعض التجارة على المدى القصير، يوضح جنسن بأنّها لا تمثّل مبلغاً كبيراً: "لديه بالفعل محفظة استثماريّة تجاريّة يتابعها بشكل مستقلّ من الرياض، لكنّها تمثّل جزءاً ضئيلاً من محفظته الاستثماريّة الإجماليّة. وتتركّز الغالبيّة الكبرى في استراتيجيّة الطويلة المدى، وهي واحدة من أكثر الاستراتيجيّات التي صادفتها تعقيداً لدى أي رجل أعمال عملت معه في أي مكان في السنوات الخمس والثلاثين الأخيرة"

يقول الأمير من جهته إنّه يمارس المزيد من التجارة على المدى القصير الآن، لكن استراتيجيّته تبقى منصبّة على المدى الطويل. غير أنّ سيولته النقديّة تعني انّه

يستطيع استغلال أي فرصة بسهولة. وعن طريق التجارة عندما لا يكون هناك أي فرص استثنائيّة طويلة المدى، يستطيع الاستفادة من معظم الفرص علـــى المـــديين القصير والمتوسّط التي لا يريد أن يفوّتها.

وهو يجمل نهجه على المدى الطويل بطريقة واضحة وبسيطة: "لا أعتقد البتّة بأنّ البقرة حُلبت تماماً" (أي ما زال يوجد مزيد من الأرباح في الشركة).

بالإضافة إلى ذلك، لا يحب الوليد مزاولة الأعمال عن طريق الاقتـــراض، ولا يقترض إلا على المدى القصير لتمويل الفرص.

ثمة كثير من الاقتراحات التي ترفع له، والعديد منها يحاول اغتنـــام الفـــرص. ووفقاً لأحد الموظّفين لديه، يمكن أن يتلقّى ما يصل إلى 250 فكرة أعمال في اليوم، لكن الوليد لا يقدم قط على أي خطوة بدون إجراء الأبحاث المناسبة.

"كلما لاحظت شيئاً، أدرسه بعناية، وأقيّمـــه. وأحـــب أن أحصـــل علـــى معلومات إضافيّة من كل العاملين لديّ، وأكون سريعاً أحياناً. في بعض الأحيـــان يتعين علينا العمل بسرعة لأن الفرص قد لا تكون متاحة لمدّة طويلة، لكنّنا نتمهّـــل أحياناً في التقييم والدراسة. إلا أنّ لديّ أشخاصاً ممتازين وأنا فخور بذلك. وليس صحيحاً أنّني أقوم بكل ذلك بمفردي"

في معظم الأحيان، يكون رجال الأعمال محاطين "برجال النعم الذين لن يعارضوا الرئيس. ويقابل الوليد مثل هؤلاء حتماً، لكنّـــه يقـــول إنّـــه يقـــدّر الأشخاص المستعدّين للتعبير عن آرائهم بصراحة: "إنّـــني أنظـــر إلى الانتقـــاد باستحسان، على الأقل إذا جاء من أشخاص قريبين مني. إنني أحب الاستماع إلى آرائهم. أحياناً يقول البعض في اجتماع المديرين لديّ، 'إنّنا معك يا صاحب السموّ'، فأقول، 'أرجو أن أسمع من يخالفني الرأي'، للحصول علـــى الجانـــب الآخر للموضوع. كما أنني أحبّ أن أثير الجدل والنقاش والبحث، فذلك أمـــر مهمّ جدّاً وصحيّ جدّاً"

إنّ القول أسهل من الفعل، لكنّ موظّفيه يقرّون بأنّ الأمير يحبّـــذ بالفعـــل أن يخالف بالرأي، لكن على من يقوم بذلك أن يكون مستعدّاً للدفاع عن موقفه لأنّه لا يتساهل مع الحماقات، ولن يضيع الوقت سدى في الخوض فيها.

التوجّه إلى الغرب

واجه الوليد أيضاً تحدّياً مهمّاً في تقبّله كجزء من المشهد الغربيّ عندما بدأ يركّز على الاستثمارات الدوليّة. فقد كان عليه تكييف طريقة أدائه الأعمال في المملكة العربيّة السعوديّة مع بيئة الأعمال الغربيّة الشديدة الاختلاف، لا سيّما في الشركات الأمريكيّة الكبيرة ذات الديناميكية العالية.

ساعد قيامه بإنقاذ سيتي بنك من مأزقه في منحه سمعة في وول ستريت، لكن كان عليه التعامل وجهاً لوجه مع رؤساء الشركات المشهورين على المستوى الدوليّ.

لم يواجه مايكل إيسنر، وهو الرجل الذي أدار ديزني بما يشبه اليد الحديدية لمدّة عقدين من الزمن، مشاكل جدّية معه، رغم أنّ محادثته الأولى معه عبر هاتف مرتبط بالأقمار الاصطناعيّة جعلته يتساءل ما الذي يدفعه إلى مخاطبة امرئ جالس في وسط الصحراء بلقب، "يا صاحب السموّ الملكيّ"، أثناء عقد اتفاق معه: "أعتقد أنّه يبدو لطيفاً، ومثقفاً جدّاً. لم أقابله شخصيّاً إلا في فرنسا والولايات المتحدة، لذا أرى لباسه الغربيّ ويتضح تفكيره الغربيّ وتعليمه الأمريكيّ، ويبدو لي أنّه رأسماليّ أمريكيّ مقدام من الطراز الأول"

ربما يرى أحد الساخرين أنّه لا يقدّم مثل هذا التقييم كمجاملة إلا رأسماليّ أمريكيّ مقدام من الطراز الأول، لكن أياً يكن الأمر، فإنّ كسب حكم متشدّد مثل إيسنر يعتبر إنجازاً بحدّ ذاته: "أعتقد أنّه ذكيّ. إذا كنت مستثمراً عالميّاً ولديك الصبر، وثمة شركة قائمة منذ مدّة طويلة ولديها مفكّرون على مستوى عالٍ، فمن المأمون أن تستثمر في ذلك النوع من المؤسّسات. لقد بدأ الاستثمار عندما تعرّضت بعض هذه الأسماء التجاريّة الكبيرة للضغوط، وكان على يقين من أنّ الاسم التجاريّ النوعيّ الذي يتعرّض للضغط سيستردّ قوّته ثانية، وسيختفي الضعف الذي اعتراه من خلال الإدارة الجيّدة أو الاقتصاد الجديد"

يبدي رجل أعمال آخر معروف بصفقاته الذكيّة، وهو روبرت مردوخ، رئيس مجلس إدارة نيوز كوربوريشن، إعجابه بقدرة الوليد على العمل بفعّاليّة شديدة في الشرق الأوسط والولايات المتحدة على السواء: "إنّه مزيج حقيقي يربط

بين الثقافتين بشكل جيّد جدّاً. وهو ذكيّ ومحلّل محنّك، وفي الوقت نفسه مستعدّ للمغامرة ومعاكسة الأفكار السائدة بشأن الأسواق، وأعتقد أنّه أصاب نجاحاً كبيراً في ذلك. لقد غاص عندما ظنّ الناس أنّ ذلك جنوناً واستثمر في الإنترنت، وها هي الأسهم الكبيرة التي اشتراها في ذلك الوقت تظهر أداء رائعاً، لذا فإنّه شديد الابتكار في تفكيره"

تبدو تكتيكات الأمير في الحصول على الأسماء الكبيرة عندما تتراجع اقتناصيّة في ظاهرها وتجعله عرضة للانتقاد بأنّه يستغلّها عندما تكون في أضعف حالاتها. وذلك اتهام يجد جنسن سعادة في الردّ عليه: "لم يجد سيتي بنك في ذلك استغلالاً. ولم يروا ذلك عطيّة من الله، إنما عاملاً حقيقياً حاسماً في استمرار نجاحهم في عملهم. وينطبق الأمر نفسه على روبرت مردوخ رئيس نيوز كورب، مثلاً، الذي كان سعيداً جدّاً بالأمير كمستثمر، ويمكننا أيضاً الذهاب إلى كناري وارف – لقد كان دخول الأمير عاملاً حاسماً في نجاح ريخمان – ويمكن رؤية موقف كناري وارف اليوم مقارنة بما كان عليه عندما قام الأمير باستثماره"

ويتحدّث الأمير عن ذلك بصراحة شديدة: "لقد أنقذنا الجميع من المآزق التي وقعوا فيها: ريد، وريخمان، وشارب، بل وحتى بيرلوسكوني"، والإشارة هنا إلى سيتي بنك، وكناري وارف، وفور سيزنز، وميدياست على التوالي.

من أعضاء الفريق الآخرين الذين يهتمّون بمصالح الوليد شابّ لبنانيّ ديناميكيّ، ب. ج. شقير، يعمل في "قسم الاستثمار الدوليّ" انتقل إلى المملكة العربيّة السعوديّة في العام 1997 للعمل في شركة استشارات وانتهى به المطاف إلى التعامل مع شركة المملكة القابضة كعميل رئيسيّ لديها. ونظراً لحيويّته واندفاعه، لم يمضِ وقت طويل حتى تمّ تصيّده وأعطي مسؤوليّة المستشار الخاصّ للأمير لشؤون الاستثمار الدوليّ: "إنّه (أي الوليد) استراتيجيّ، وقادر على رؤية كيف يمكن أن يؤدّي استثمار إلى آخر. وهو يستثمر على المدى الطويل، كما أنّه ودود... وهذه الأشياء ذات قيمة مضافة. هناك الكثير من الأشخاص الذين يعقدون الصفقات دون أن يثق بعضهم ببعض، لكنّه يستطيع بشكل أساسي الفوز بثقة الآخرين، وهم يعلمون أنّه مساند للإدارة. وهو لا يحاول المراجحة في اتخاذ

موقف بين الاثنين، ولديه الصبر. تكون أمواله عزيزة في بعض الأحيان لأنّنا نطلب أن تتحقّق شروطنا، لكن الناس يعرفون أنّهم إذا حصلوا على دعمنا، فإنّنا لن نجري تقييماً آخر لهم كل يوم"

تتجلّى الثقة في أنّ رجال الأعمال الرئيسيّين الذين يتعامل معهم يحرصون على إطلاعه على القضايا والأحداث الكبرى.

عندما كان وزير الخزانة الأسبق، روبرت روبن، في صدد الانضمام إلى مجموعة سيتي، أجرى نائب رئيس مجلس إدارة الشركة، بول كولنز، اتصال بحاملة بالمخيّم الصحراويّ خارج الرياض، قائلاً إنّ الأخبار ستعلن على شاشة سي إن بي سي CNBC بعد قليل. فبادر الأمير الذي لديه اتصال بالقنوات الفضائيّة حتى بين الكثبان الرمليّة إلى ضبط القناة، وما هي إلا بضع دقائق حتى أذيع الخبر.

ويقول كولنز إنّه استمتع بالتعامل مع الأمير ووجد أنّ بإمكانه تفهّم طريقة أدائه للأعمال: "إنّه يفكّر مثل منظّم أعمال. ويفكّر مثل رجل أعمال شديد الانضباط، 'كيف يمكنني أن أحسّن هذا؟ وكيف يمكن أن يتحسّن؟'"

يقدّر شقير أنّ نحو 75 بالمئة من المحفظة الاستثماريّة للأمير دوليّة، وموجودة في الخارج، لكنّه يشير إلى أن ثمة مزيداً من الصفقات الكبيرة التي أخذت تظهر في المملكة العربيّة السعوديّة ومنطقة الشرق الأوسط منذ أوائل الألفيّة الجديدة. ويقول إنّ طرق انخراط الأمير في هذه الصفقات يمكن أن تكون متفاوتة: "أحياناً نحصل على المعلومات من البنوك الاستثماريّة، وأحياناً من شركات التعامل بالأسهم، وأحياناً يقرأ عنها – خبر مهمّ في الصحافة نقوم بمتابعته. الأمر يختلف تبعاً لكل حالة"

لكنّ عمليّة إشراك الوليد تبدأ بتحدّي إثارة اهتمامه بالأمر في المقام الأول، كما يقول شقير: "ليس هناك شيء نموذجيّ فيما يتعلّق بالصفقة الاستثماريّة لكن عليك أن تبدأ دائماً بمحاولة معرفة ما إذا كان ذلك سيحظى بانتباه الأمير. إذا كان مثيراً لاهتمامه، عليك التوقّف عن ملاحقته، والقيام بالكثير من الدراسة والبحث، ومحاولة تقدير حجم الفرص والمخاطر، والعودة إليه بطريقة موجزة قائلاً هذا الذي تمكّنت من التوصّل إليه، هل له مغزى من الناحية الاستراتيجيّة أم لا، هل يمكن

إضافة القيمة إلى المحفظة الاستثماريّة بهذه الطريقة أم لا؛ ومحاولة الحصول على مباركته. وبعد ذلك عليك تشكيل فريق من المستشارين الذين يبدؤون القيام بالعمل التفصيليّ، وإطلاعه على الأمر طوال الوقت. فهو شديد الاهتمام بالتفاصيل، كما أنّه شديد الاهتمام بالإطار العامّ في الوقت نفسه"

من يمرّ بجانب مكتب شقير في شركة المملكة القابضة، يراه في الغالب شارد الذهن أو منهمكاً في العمل إذ إنّ عدد الصفقات التي يتابعها في الوقت نفسه أخذ يتراكم. ويوضح شقير بأنّ مسؤوليّته تشمل كل شيء من البحث عن أفكار، والتعامل مع البنوك الاستثماريّة والمحامين، ومراقبة المحفظة الاستثمارية القائمة، والاتجار ببعض خيارات الأدوات الماليّة المشتقّة، والعمل على تطوير المشاريع. إنّه مقدار العمل الذي يعطى في العادة إلى فريق من أربعة أو خمسة أشخاص. ومما يزيد من صعوبة ذلك أنّ المملكة العربيّة السعوديّة أخذت تنفتح وتزيد من الخصخصة، ما جعل الأمير يراقب بعناية العديد من الصناعات وشرائح الاقتصاد الرئيسيّة.

إنّ ذلك التغيير الذي طرأ على المملكة العربيّة السعوديّة يبقي المدير التنفيّذيّ للاستثمارات المحليّة لدى الأمير يقظاً أيضاً.

انضمّ طلال الميمان إلى الوليد قبل سنة واحدة فقط من انضمام شقير في العام 1996، في ظروف غير عاديّة. فقد كتب بحثاً عن الحاجة إلى مرفق للتعليم العاليّ في المملكة، ولما لم يكن يعرف إلى من يرسله، فقد سلمّه إلى مكتب الوليد، بعد أن سمع عن أعماله الخيريّة. كان طلال يعمل لدى الحكومة، في مؤسّسة النقد العربيّ السعوديّ، وهي البنك المركزيّ للبلاد، بعد أن تخرّج في الهندسة الكهربائيّة من إحدى الجامعات في الولايات المتحدة. وكان في زيارة للبنك الاحتياطيّ المركزيّ في أمريكا، بعد مرور سنة على ذلك، عندما تلقّى مكالمة تقول إنّ الأمير يريد مقابلته. أوضح طلال أنّه لا يستطيع ذلك إلا بعد عودته من رحلته، ولم يحضر إلى شركة المملكة إلا بعد أن عاد إلى الوطن. كوّن الأمير انطباعاً جيّداً عن طلال بعد أن تحدّث إليه لمدّة وجيزة، وقال إنّه يراهن عليه وعرض عليه العمل – ومنحه دقيقتين للتوصّل إلى قرار بشأن ذلك.

اغتنم طلال الفرصة التي أتيحت له ووجد نفسه غارقاً في مشروع مدينة المملكة الذي تبلغ تكاليفه 400 مليون ريال سعوديّ (107 ملايين دولار).

يعترف طلال بأنّ العمل شاقّ، لكنّه تكيّف مع العمل عقليّاً: "أهمّ ما عليك أن تتذكّره عند العمل مع الأمير الوليد بن طلال هو أنّ ما تقوم به ليس عملاً – إنّه طريقة حياة. الأمر لا يتعلّق بمواصفات عمل ما. إما أن تعيشه وإما لن تمكث طويلاً. ومن الأشياء التي لا يسمح بها الأمير الفشل، لذا فإنّه يتوقّع من العاملين معه إدراك ذلك"

الضغوط شديدة على الموظّفين لأنّ الأمير أوضح لهم بأنّ النجاح أمر فائق الأهميّة. ووفقاً لشقير، لدى الأمير موهبة فطريّة في انتقاء الصفقة ثم إنجازها: "لا يزال مندفعاً بل مندفعاً جدّاً ويمتلك براعة شديدة في التفاوض. إنّه يشتمّ وجود صفقة ما، ويعرف ما الأزرار التي يضغط عليها وكيف يستخلص القيمة القصوى. وأثناء المفاوضات يمكن أن يكون ساحراً جدّاً فيكسبك إلى صفّه، لذا فإنّ قوّته الحقيقيّة تكمن في أنّه يعرف باحتمال وجود الصفقة ولديه الميل الفطريّ لإتمامها"

لكن الأهمّ من ذلك، كما يضيف شقير، أنّه يعرف كيف يكون مفاوضاً صلباً: "إنّه يلعب لعبة البوكر، فلا تعرف إذا كان يريد متابعة الصفقة أو أنّه فقد الاهتمام بها. بل إنّه يربك العاملين معه في بعض الأحيان فيختلط عليهم ما يحصل، لكنّه أسلوب ناجح"

صانع الصفقات

عندما ينجز الاتفاق، يلتزم الأمير بكلمته وفقاً للذين كانوا في مقعد المفاوضات المقابل له. ويعتقد الوليد بأنّه إذا كان قد تجشّم عناء تحديد الشركة الجيّدة والإدارة الجيّدة، يجدر به عندئذ التطلّع إلى تعزيزها، لا أن يجعل الحياة صعبة بتدخّله: "لديّ علاقة جيّدة جدّاً مع كافّة رؤساء مجالس إدارة الشركات التي أستثمر فيها ورؤسائها التنفيذيّين، لأن استراتيجيّتي وغايتي ألا أكون ضدّ أي من هذه الشركات بل معها. فإذا كنت ضد شركة ما لماذا أستثمر فيها في المقام الأول؟ يجب ألا تستثمر في شركة ثمّ تلعنها في الصحف والمجلات في اليوم التالي.

إذا لم تكن تحبّ هذه الشركات تجنّبها. إنني لا أستثمر في شركة ثم أنتقدها بشدّة في اليوم التالي في وسائل الإعلام. بل أصبح حليفاً لتلك الشركة"

ومع أنّ الأمير صنع اسمه في المملكة العربيّة السعوديّة في أواخر الثمانينيّات بسيطرته غير الوديّة وغير المسبوقة على أحد البنوك، وتلا ذلك خطوات أخرى ينظر إليها على أنّها غير وديّة بمصطلح الأعمال، فقد نضج أسلوبه في الخمس عشرة سنة التالية أو نحوها. فلم تعد الصفقات غير الوديّة التكتيك الأفضل، لا سيما في حالة الفرص الدوليّة التي تنطوي على أسماء كبيرة، ومبالغ ماليّة أكبر بكثير. ويقول الوليد إنّه يدخل ببساطة كمستثمر، مستفيداً من الفرصة المتاحة إلى أقصى حدٍّ ممكن، ويرمي إلى التعاون مع الأشخاص المتمرّسين في إدارة الشركة – ويتفحّص بعناية كيفيّة نموّ العلاقة على المدى الطويل، ويعتقد أنّ معظم النجاح يكمن هناك: "عندما أستثمر في شركة ما، أستثمر فيها لأنّني أؤمن بها، وأؤمن بسجّل المنجزات. وإذا لم أكن أؤمن بها فلماذا أذهب إليها أساساً؟ يمكن أن أستثمر في شركة أخرى. إنّني أعتقد بأنّ عمليات السيطرة غير الوديّة مكلفة جداً. فعليك إنفاق الكثير من المال"

أثناء أسفاره طوال العام، يحاول الأمير الاجتماع مرّة على الأقل أو مرتين بقادة الأعمال الرئيسيّين للشركات العديدة التي يستثمر فيها بمبالغ كبيرة في كل أنحاء العالم. وهو يقول إنّ الاجتماعات ترتّب من باب المجاملة من جهة، ولجعلهم يعرفون أهدافه كمساهم مهمّ، أو تذكيرهم بها، ثم لبناء الروابط معهم على مستوى شخصيّ أكثر، وأخيراً لمعرفة ما الذي ينوون عمله وما هو التصوّر المستقبليّ الذي لديهم للشركة. وهي تتابع ميل الوليد لكسب المعلومات الماليّة، رغم أنّ الأمير يتوخّى الحذر لكي لا يتجاوز أي خطّ يمكن أن يشكّل خللاً مثل الاتجار الداخليّ، أو تعريض موقفه كمؤثّر خارجيّ للخطر: "إنّهم يعرفون بأنّني لن أتدخّل مطلقاً بطريقة إدارة شركاتهم. إنني ألتقي بهم كصديق، ولتعزيز موقفهم داخل الشركة وخارجها، وسأفعل أي شيء لخدمة الشركة سواء كان على الصعيد الداخليّ في السعوديّة أم الإقليميّ أم حتى الدولي"

وتتأكد وجهة النظر هذه عند التحدّث مع بعض رجال الأعمال الكبار الذين

يتعاملون مع الوليد، مثل مايكل إيسنر، رئيس شركة ديزني: "يبدو أنّه يدعم الإدارة الجيّدة، وينتقد الذين ينتقدونها بشكل طائش، لكنّه يرغب حتماً في الحوار معي إذا كان يعتقد بأنّ لديه فكرة مفيدة – وأفكاره مفيدة. إنّه قليل الصبر، ما يجعلني أشعر بالارتياح لأنّني قليل الصبر أيضاً. وهو يبدو غريبّاً جدّاً من هذه الناحية. ويبدو أنّه لا ينام كثيراً، ومن السهل الاتصال به أينما كان في العالم. وهو لا يمتنع عن قبول التحدّث على الهاتف"

ويلقى نهج عمل الوليد البراغماتي التأييد من قبل رئيس فور سيزنز، إيسادور شارب: "إنّه يسأل أين يمكن أن تكون مشورته مفيدة. ونحن نحرص على إطلاعه على مجريات الأمور، إنني على ثقة من أنّه لو كانت الأمور تسير بطريقة غير مريحة له، فسوف يتخذ قراراً بشأن ما يجب عمله، لكنّه لا يقحم نفسه بإملاء رأيه على الإدارة، إنّه يثق بقدرة الإدارة على اتخاذ القرارات التي تخدم صالح الشركة"

يكتسب احتمال تدخّل الأمير أهميّة أكبر بالنسبة لرئيس مجموعة سيتي، ساندي ويل، الذي يشرف أساساً على نصف ثروة الوليد المتعدّدة المليارات: "لا أعتقد أنّه يحاول التأثير على قرارات مجلس إدارة الشركة على الإطلاق. أعتقد أنّه يتحدّث عن بعض الأمور، ونعرف موقفه منها تماماً، وهو يتوقّع منك أن تبلغه عن موقفك من الأمور، لكنّني وجدته مرناً لا متصلّباً في مواقفه وداعماً حقّاً للإدارة. إنّه لا يحاول إدارة المؤسّسة، لكنّه يحاول ألا يكون مساهماً فحسب، بل مساهماً مفيداً"

يقول طلال إنّ هذا النهج ينعكس في طريقة تعامل الوليد مع شركائه في الأعمال. فهو يصر على وجود خط اتصال واضح معهم: "إنّه ينتهز كل وقت وكل لحظة لمراجعة آليّة التفكير معهم، ويتشارك معهم الأفكار، رغم أنّهم ائتمنوه على إدارة استثماراتهم"

ومن المفارقة، كما يقول الميمان، أنّ كون الوليد من العائلة المالكة يدفع كثيراً ممن يعرضون عليه الشراكة بالأعمال إلى تكوين افتراضات خاطئة، مثل الاعتقاد بأنّه يمتلك أكواماً من المال وأنّ فهمه لأمر ما قد يكون محدودا. لكنّهم يصدمون في العادة عندما يواجهونه وجهاً لوجه بشأن اقتراح ما ليجدوا أنّه درسه دراسة وافية ودقيقة وقلّب الصفقة المحتملة من مختلف الجوانب.

غير إنّ المكانة الملكيّة لا تزال تفتح الأبواب، ليس في المملكة العربيّة السعوديّة فقط، ولكن مع رجال الأعمال الكبار في الخارج أيضاً. فطالما حظي أفراد العائلة المالكة السعوديّة بشهرة جماعيّة بأنّهم مستثمرون أثرياء.

معادلة الوليد في الاستثمار الفندقيّ

صناعة الفنادق هي من المجالات التي عمل فيها الوليد على نطاق واسع كشريك مع رجال أعمال آخرين. وقد ضمن لنفسه تدفّق الإيرادات من مصدرين منفصلين، بلعب الدور المزدوج كمالك للعقار ومستثمر رئيسيّ في شركة الإدارة.

أنشئت مجموعة المملكة للاستثمارات الفندقيّة، التي يديرها سرمد زوق، لكي تُحدث توازناً أفضل بين العقارات التي بدأ في حيازتها في الشرق الأوسط وإفريقيا، ومجموعات الإدارة فور سيزنز، وفيرمونت، وموفنبيك. والفكرة من وراء ذلك إمكانية طرح مجموعة المملكة للاستثمارات العقاريّة في نهاية المطاف وتعويمها كشركة مستقلّة.

ثمة مدير شابّ آخر يعمل مع سرمد منذ عدّة سنين في "قسم الفنادق" إنّه رمزي منكاريوس، كان في السابعة والعشرين عندما أصبح نائب المدير التنفيذيّ لتطوير شؤون الفنادق في شركة المملكة القابضة في العام 1996. يعمد الأمير بشكل خاص إلى إسناد مناصب عالية إلى الشبّان لأنّه يشعر بأنّهم ليسوا مندفعين فحسب، لكن لديهم الطاقة التي تتوافق مع ذلك. وقد أكّد رمزي ذلك في المقابلات في الماضي: "تكون مندفعاً جدّاً ومرتفع المعنويّات لأنّه يتحلّى بطاقة كبيرة جدّاً. وهو يمنحك بعض تلك الطاقة في اجتماع ما وتبقى معك في اليوم التالي. إنّه طموح جدّاً ومقدام ومتحمّس، ويساعد في تحقيق الأشياء"

يمزح سرمد ورمزي بالقول إنّ العمل مع الأمير "يشبه التعامل مع محراك نار حارّ"، لكنّهما يبرّرانه بالقول إنّه يتمتّع بحسّ الدعابة. لقد كان بناء العلاقات العامّة قويّاً. فمع أنّ رمزي ترك العمل لدى الأمير في صيف 2004 لينشئ شركته الاستشاريّة الخاصّة، إلا أنّه لا يزال يعمل عن كثب مع مجموعة المملكة للاستثمارات الفندقيّة.

يقرّ الوليد بأنّه ركّز في السنوات الأخيرة على استثماراته الفندقيّة بدرجة تتجاوز حجمها، لكنّه يشعر بأنّ قيمة هذا القطاع عالية، وأنّه يحقّق أرباحاً جيّدة. وفي العام 2004، كلّف سرمد بمهمّة توسيع قطاع الفنادق في الشرق الأوسط وفي إفريقيا إلى حدٍّ ما، ويؤكّد أنّ الأمير يتربّص لاقتناص الفرص الاستثماريّة في نطاق الفنادق: "لن أقول إنّه يعتبر مفترساً لأنّه ليس عدائيّاً، إنّه يركّب الصفقات حول المشاكل، لأنّ المشاكل توفّر الفرص. وتعتبر العقارات – الفنادق – عملاً مكلفاً من ناحية رأس المال وطويل المدى، والأمير يجيد إدراك القيمة والبناء حول تركيبة تعزّز القيمة، لذا فإنّه يعتبر مستثمراً فهيماً في العقارات والفنادق"

عندما ينمو الأمير كمستثمر في العقار ومستثمر في مجموعة إدارة الفنادق، تثار مسألة تعارض المصالح أثناء المفاوضات، ويكون على سرمد إيضاح كيفيّة تعامل الأمير مع هذه المشكلة: "نصادف هذا التعارض المتصوّر للمصالح عندما نكون في صدد بناء الصفقات التي نوشك أن ننفّذها. لكنّ الأمر معاكس لذلك في الواقع، لا يوجد هناك تضارب في المصالح لأنّ الأمير لديه قبّعتين، فهو مالك في الشركة الإداريّة ومالك في العقار، لكن إذا تفحّصت محفظته الاستثماريّة، تجد أنّ معظم القيمة موجود على مستوى العقار. ولا يعني ذلك أنّه يهمل مصالح الإدارة بسبب العقار. فهو يتصرّف كمالك عندما يتعلّق الأمر بالعقار، ويتصرّف كمدير عندما يتعلّق الأمر باستراتيجيّة النموّ والتوسّع. ولذلك يوجد بعض التوافق، ويستطيع أن يعزّز مصالح شركائه ويحميها نتيجة لذلك، لذا فإنّ الأمر ليس تعارضاً للمصالح"

يؤيّد جنسن الأسلوب المتوازن المعتمد، لكنّه يلحظ مكان نشوء المشاكل: "إنّ الطرفين يريدان النجاح للفندق، لكن المسألة قد تكون مثلاً، كم من المال ستنفق على الإصلاحات؟ وهل تريد رفع الحدّ الأقصى للعائدات من أجل الشركة الإداريّة، أم تريد تعظيم الأموال لأجل الشركة الفندقيّة؟ يفضّل صاحب السموّ أن يكون لديه استثمارات حافزة صغيرة في الفنادق وأن تكون استثماراته الرئيسيّة في إدارة الفنادق لهذا السبب فحسب"

بالإضافة إلى ذلك، وبالرغم من إقدام الأمير وجرأته في هذا القطاع، يقول

فريقه إنّه لا يقدم على قرارات جريئة أو عاطفيّة عندما يتعلّق الأمر بعقارات الفنادق، وأنّه يبتعد عن عقد صفقات كثيرة إذا كانت الربحيّة فيها لا تصل إلى حجم توقّعاته.

يقول الوليد: "لا نذهب حيث توجد الأنا، بل نذهب حيث يوجد الربح وتوجد إمكانية النجاح"

ووفقاً لوسائل الإعلام، لم تكن الحال كذلك عندما اشترى الأمير فندق جورج الخامس في العام 1996. بل كان يتطلّع إلى الحصول على ملكيّة فندق ذي شهرة عالمية: "اجتمعت ثلاثة عوامل معاً: لديك اسم جورج الخامس، ولديك عامل باريس، والأهمّ أن لديك عامل فور سيزنز أيضاً. وهذه العوامل مجتمعة معاً هي التي أنتجت أفضل فندق في العالم، بعد سنتين على إكماله. لذا كان من الواضح بالنسبة إليّ أنه من المهمّ جدّاً الحصول على هذا الفندق. أما بالنسبة للتكلفة، فقد برّر موقفي تماماً لأنّ قيمة الفندق تزيد الآن عن ضعف ما دفعته فيه، وإذا ما استخدمت ذلك من وجهة نظر معدّل العائد الداخليّ، نكون قد حقّقنا معدّل عائد داخليّ يبلغ 25% حتى الآن"

ذُكر في السابق أنّ شراء فندق جورج الخامس أحدث خلافاً مع رئيس فور سيزنز، إيسادور شارب، لكنّ الفندقيّ الكنديّ ينفي أن يكون ذلك مصدر احتكاك بين الرجلين، بل مجرّد حالة تباعد في الأهداف: "لا، لم يكن احتكاكاً، بل كان يريد أن يصبح الأكبر، ومصلحتي أن يصبح الأفضل، لذا فإنّه يتعامل في هذا الصدد بقوّة أكثر منّي، لكن لا يمارس أي ضغط بأي طريقة لتغيير مسار الشركة. لذا فإنّه يحرص على مساعدة الشركة على النموّ، لكنّه يعتمد دائماً على حكمتنا فيما يتعلّق بكيفيّة نموّها"

في مقابلة أجريت عام 1999، ردّد نائب رئيس فور سيزنز، روجر غارلند، وصف سرمد زوق لنهج الأمير في القطاع الفندقيّ بأنّه "محفّز" قال غارلند إنّ أموال الأمير تجذب أموالاً أخرى إلى أي صفقة يجري التفاوض عليها، وأضاف: "عندما تذهب إلى مفاوضات حاملاً بطاقته (بطاقة الوليد) في جيبك، يعرف الطرف الآخر أنّ بوسعنا تأمين رأس المال"

ومن العواقب المثيرة للاهتمام في انخراط الوليد في مجموعتي إدارة للفنادق الفخمة تمكّنه من لعب دور الوسيط عند نشوء المصاعب. وقد أعجب بيل فات، رئيس فنادق فيرمونت، بقدرة الوليد على النظر إلى الصورة الكبيرة في مناسبة واحدة على الأقلّ: "كان ثمة خلاف ثانويّ بين فور سيزنز وفيرمونت وما لاحظته في الأمير – وهو يمتلك استثماراً أكبر في فور سيزنز مما يمتلكه في فيرمونت من حيث القيمة الماليّة – أنّه أراد أن يقف في الوسط، وكان واضحاً قطعاً في القول بأن لا مصلحة لديه في محاولة الوقوف إلى جانب إحدى المجموعتين. بل أراد أن يفهم المشاكل وأمل أن يعمل كل منّا للوصول إلى النتيجة التي تخدم مساهمينا على أفضل وجه. كان ذلك نهجاً شديد الانضباط، حيث أدرك إمكانيّاته في النزاع، وأعتقد أنّه تعامل معه بشكل جيّد جدّاً"

فيما نما حجم الحساب المصرفيّ للأمير، أصبح بوسعه التعامل مع القطاع الفندقيّ بأسلوب الأمد الطويل – أو "المال الصبور بحسب تعبير شقير. فبوجود أمواله خلف صفقة ما، فإنّه لا يعاني من المحنة التي تصيب الذين يستخدمون المال العامّ – لا سيما القلق، وطلب العوائد السريعة والكبيرة. كما تسمح له بمقاربة الصفقات بمرونة كبيرة، من حيث انتقاء كيفية الالتزام بالمال، سواء أكان استثماراً مباشراً طويل الأمد، أم شريكاً استراتيجيّاً على سبيل المثال. والأهمّ من ذلك، كما يقول موظّفوه إجادته حل المشاكل. فهو سيجد الحلول الفعّالة ولن يمنع نفسه عن الدخول في صفقة بسبب وجود مشاكل منذ البداية.

كانت نتيجة ذلك أنّ الأمير وجد نفسه في موقف قويّ جدّاً في القطاع الفندقيّ بعد انقضاء السنوات القليلة الأولى من القرن الجديد. ويستطيع رجاله استخدام النجاح الذي حقّقه والسمعة التي بناها في تأمين الدعم أو اجتذاب الشركاء الاستراتيجيّين بسهولة أكبر. ويقول مستشار الأمير الفندقيّ في أمريكا الشماليّة وأوروبا، تشاك هنري، لقد أنشأ ذلك قيمة كافية في محفظته الاستثماريّة الفندقيّة تسمح لرجاله بعدم اللجوء إلى كتابة الكثير من الشيكات. بل يتهافت الكثير من المستثمرين العالميّين للمساهمة مع الأمير في صفقاته التجاريّة.

وفي هذه الناحية، يجد الأمير بشكل عام شركاء موثوقين، كما أنّه يقدّرهم إذا كان لديهم خبرة في مجالات لا يمتلك فيها سوى خبرة ضئيلة. وهو يفضل الاستثمار في الخبرة القائمة أو تشكيل فريق معها لأنّه يؤمن بأنّها راسخة، وتوفّر الكثير من متاعب البدء من الصفر في انتزاع حصّة من السوق.

ويقول بيل فات، رئيس فيرمونت، إنّه يفعل ما بوسعه لكي يكون مستثمراً يمتلك قيمة مضافة: "إنّه شخص يريد أن يدرك الاتّجاه الذي نسلكه والاستراتيجيّة التي نتّبعها. وهو سعيد بها، ويحب أن يبحث الاستراتيجيّة ويتحدّى أوجهها المختلفة بحيث يتعزّز إدراكه. إنني أجده مساهماً ممتعاً. إنّه لا ينظر إلى قيمة مصالحه على أساس يوميّ، على حدّ علمي على الأقل. بل ينظر إلى استراتيجية الشركة ويقول، كيف يمكنني أو كيف يمكن أن تساعد شركتي تلك الشركة على التحسّن. وأنا أجد ذلك منعشاً لأنّه يمتلك المواهب والرؤية والمهارات لدفع استراتيجيّتنا إلى الأمام، وهو ليس مساهما لفترة قصيرة من الزمن ويتطلّع إلى الخروج بعد تقديم إشعار قصير

لا شك فيه أن الفريق الذي يتعامل مع الفنادق هو من أكثر الأقسام العاملة مع الأمير انشغالاً، لكنّه ربما يكون الفريق الذي يبدي أكبر تقدير لاندفاعه. ويصف سايمون تيرنر، زميل تشاك هنري، ذلك بأنّ القيام بعمل يتطلّب الكثير "مبهج جدّاً"، ويضيف: "يكره الوليد إضاعة الوقت والموارد، وهو شديد الانضباط في الاستجابة إلى الأمور بسرعة وفعّاليّة. وذلك يجبرنا عن طيب خاطر على العمل كثيراً على هذا النحو

ويصف فريق الفنادق الأمير بأنّه متشبّث برأيه وملتزم ومتحمّس. ولا شكّ في أنّه يبقيهم مشغولين.

أسماء تجاريّة كبيرة

كانت أوّل علامة على ورود مكالمة التماع ضوء أزرق ثم انطلقت بعد ذلك نغمة الرنين.

أمسك رؤوف عبود بالهاتف من مشبكه المعلّق بالحزام، وفتحه مجيباً "ألو بلكنة عربيّة فرنسيّة هجينة، تشيع في أوساط الجزائريّين والعرب الفرانكوفونيّين.

كشف الفحص الدقيق للهاتف الذي أمسك به قرب رأسه أنّه من طراز موتورولا.

يعرف رؤوف أحدث الهواتف المحمولة ويألفها بوصفه رئيس قسم الاتصالات. ولأنّه يعمل مع الأمير الوليد عن قرب، فإنّه يدرك تماماً إخلاص الأمير للأسماء التجاريّة التي يستثمر فيها. ولذلك السبب لم يندهش رؤوف عندما طلب منه الوليد شراء مئتي هاتف من طراز موتورولا ستارتاك فور إطلاقها. فنظراً لأنّ الأمير يمتلك حصّة كبيرة لدى صانع الرقاقة والإلكترونيّات والهاتف المحمول، فإنّ على رجاله استعمال موتورولا من الآن فصاعداً. لكن ما لفت رؤوف هو العدد الكبير الذي طلبه الوليد. وكان الغرض من ذلك توزيعها على العائلة والأصدقاء. فالأمير لا يحرص على أن يستخدم الموظّفون في شركة المملكة فقط الأسماء التجاريّة التي يستثمر فيها، بل أكبر عدد ممكن من عائلته وأصدقائه أيضاً.

عند مراقبة الوليد وهو يمارس أنشطته اليوميّة، تواصل أسماء تجاريّة معيّنة الظهور. على سبيل المثال، إلى جانب طبق عشائه توجد علبة بيبسي. وإلى جانب مكتبه الأسود الكبير يقبع حاسوب محمول أبيض من طراز أبل، رغم أنّ الأمير لا يزال يفضّل العمل بالقلم والورقة في معظم الأوقات. وعندما يخرج من مكتبه ليتوجّه إلى منزله، يقود الوليد سيّارة ليموزين سوداء كبيرة من طراز هيونداي. فقد استبدل أسطوله من أحدث سيّارات المرسيدس S600 V12 بسيّارات من صنع الشركة الكوريّة، إلى جانب مجموعة من سيّارات فورد - فهو يمتلك استثمارات في كلا الشركتين.

وخلف الأمير، في أي موقع من مواقعه تقريباً - البيت والمكتب واليخت، بل وحتى الطائرة الخاصّة - توجد شجرة صغيرة عليها أعلام تحمل شعارات الأسماء التجاريّة التي يستثمر فيها الوليد. إنّه فخور جدّاً بها، بل إنّه رتّب أمر عرض الشعارات على شاشات طائرته الخاصّة البوينغ 767 عندما لا تكون خريطة الرحلة الجويّة معروضة.

وعندما يجري إعداد سطح الشواء الكبير على اليخت لكي يجلس الأمير عليه ويسترخي، أو ليعقد اجتماعاً، أو حتى لتناول الغداء أو العشاء، تحضر شجرة

الأعلام وتوضع في مكان بارز. وحتى سنة 2003، كان أحد الأعلام مميّزاً عن الأعلام الأخرى في أنّه ليس مربّعاً مطبوعاً يبلغ حجمه بضعة سنتيمترات. بل كان قطعة ورق كتبت عليها أحرف "DKNY"، ثمّ أدخلت بشكل غير مستقرّ بين الأخرى، التي تشمل كومباك، ونيوز كورب، وتايم ورنر، ومجموعة سيتي، وغيرها.

عندما سئل الوليد عن هذا العلم المرتجل، تمهّل قليلاً، ونظر إليه مليّاً، ثمّ قال، "إنّها ريم، هي التي خطّته بيدها"

بعد أن حفزت ابنته اهتمامه بمجموعة دونا كاران نيويورك للأزياء والإكسسوارات في العام 1997، أصرّت على تمثيلها على شجرة الأسماء التجارية فور أن استثمر الأمير 20 مليون دولار في الشركة. وقد تخلّى عنها بعد سنتين بعدما أصبحت جزءاً من مجموعة لوي فيتون موت هنسي (LVMH)، المشهورة بمنتجاتها الكحوليّة مثل شمبانيا موت وشاندون، وكونياك هنسي.

علّقت مقالة أو اثنتان على افتتان الوليد بالأسماء التجاريّة الغربيّة، قائلة إنّه غالباً ما يرتدّ عليه هذا الافتتان.

ورغم ذلك الصوت النشاز، يبقى الأمير متفائلاً عندما يتعلّق الأمر بالأسماء التجاريّة وقيمتها: "إنّني أؤمن بالأسماء التجاريّة، وأؤمن بالرقم واحد. على سبيل المثال، عندما نظرت إلى جورج الخامس، شاهدته بمثابة فرصة كبيرة، مثلما شاهدت سيتي بنك. بصراحة عندما اشتريت جورج الخامس، كان مصنّفاً كفندق ثلاث نجوم، وكان على وشك الانهيار حقّاً، لذا اشتريته وأغلقته وأخرجت كل ما فيه، من مواسير ومجارٍ وغير ذلك. وأعدنا الافتتاح بعد سنتين، فماذا كانت النتيجة؟ اختير جورج الخامس بإدارة فور سيزنز وبشكل غير مسبوق الفندق الأول في العالم لمدّة أربع سنوات متتالية، وماذا أيضاً؟ حظي مطعمه على ثلاث نجوم بتصنيف ميشلان – أوّل مرّة بالنسبة لمطعم في فندق بعد وقت قصير على افتتاحه"

عندما التقى الرئيس التنفيذيّ لفنادق فيرمونت، بيل فات، بالأمير، كان يتوقّع مقابلة شخص ذكي ومندفع: "عندما قابلته شخصيّاً، وجدته هادئاً ومختلفاً مقارنة بالصورة العامّة المرسومة عنه في ذلك الوقت. يتضح لك ذكاؤه من الكلمات الأولى التي يتفوّه بها، لكنّ منظوره هو الذي سحرني. لديه منظور طويل المدى،

وأحياناً مخالف للآخرين، وقد أكبرت فيه، نظراً للخلفيّة التي لديّ، التقدير الذي يكنّه للأسماء التجاريّة. وذلك أمر حاسم بالنسبة لي، وأعتقد أيضاً أنّه محور استثمار مركزيّ فيما يتعلّق بالأمير

إنّ هدف الوليد في كل شركاته هو بلوغ المرتبة الأولى، وهو يفاخر بالطريقة التي تمكّنت الكثير منها من تحقيق ذلك. وفي عام واحد فقط، منحت عشر جوائز عالميّة لهذه الشركات. "الرقم واحد فائق الأهميّة. إنّه حاسم بالنسبة لي. إنّني فخور لأنّ استثماري في مجموعة سيتي هو استثمار في البنك الأول في العالم، وفخور باستثماري في الشركة الفندقيّة الأولى في العالم، فور سيزنز، كما أنني فخور لأنّ البنك السعوديّ الأمريكيّ، وهو البنك الذي أنشأته بدمجه مع البنك السعوديّ المتحد، هو البنك الأول. أحبّ أن أكون الأول، الجميع يحبّون أن يكونوا الأول"

وفي هذا الإطار، لا شكّ في أنّ الأمير جمع من المراتب الأولى أكثر مما جمعه أكثر الناس.

بصرف النظر عن الاتساق الرائع لفندق جورج الخامس حيث اختير الفندق الأول، اختير فيرمونت بلازا الفندق الأول في أمريكا الشماليّة، وفي العادة، تعتبر نيوز كورب المجموعة الإعلاميّة العالميّة الأولى، وعلى جبهة الوطن، من الواضح أنّ البنك السعوديّ الأمريكيّ (سامبا) هو البنك الأول في المنطقة، في حين حصل برج المملكة على تنويه من موقع skyscraper.com بأنّه ناطحة السحاب الجديدة الأفضل في العام 2002.

يضيف مستشار الاستثمار الدوليّ للوليد، ب ج شقير، ملحوظة تحذيريّة لكل من لديه اهتمام أعمى بالأسماء التجاريّة، لكنّه يقول إنّها مفيدة في استرعاء اهتمام الوليد عندما يتعلّق الأمر بالصفقات المحتملة: "إنّها تساعد، لكنّ الأسماء التجاريّة غالية هذه الأيام لذا فإنّها سيف ذو حدّين"

مع ذلك يقوم الوليد باستغلال نجاح استثماراته في الأسماء التجاريّة، بل إنّه أطلق حملة دعائيّة تلفزيونيّة لشركة المملكة القابضة لأول مرّة في العام 2004. وتقول الرسالة الأساسيّة إنّ شركة المملكة استثمرت بنجاح في الأسماء التجاريّة

التي تحتلّ المراتب الأولى، وستواصل عمل ذلك، وأنّها تقيم الجسور بين الشرق والغرب من خلال استثماراتها العالميّة.

يوضح شقير بأنّ شركة المملكة القابضة لديها استثمارات محليّة سعوديّة فقط، في حين يتولّى الأمير وصناديقه الائتمانيّة الاستثمارات الدوليّة.

إنّ رغبة الأمير في الانخراط في حملة تجاريّة دوليّة تثير الدهشة، لأنّ شركة المملكة ليست شركة عامّة، لكنّه يقرّ بأنّ استراتيجيّته تقوم على رفع درجة الوعي الغربيّ بلاعب فاعل في الأعمال العالميّة يوجد مقرّه في الشرق الأوسط. ويقول الوليد إنّ ذلك يظهر بأنّ شركة سعوديّة تستطيع مزاولة الأعمال وفقاً للمعايير الغربيّة وتنجح في ذلك نجاحاً استثنائيّاً: "إنّنا نودّ أن نضعها بشكل أوضح على الخريطة الدوليّة، لكي يدرك الناس ما هي شركة المملكة القابضة"

يتناول رئيس العلاقات والإعلام لدى الأمير تلك الفكرة ويوسّعها: "إنّ شركة المملكة اسم تجاريّ في المملكة العربيّة السعوديّة وفي أنحاء معيّنة من الشرق الأوسط أيضاً، لكنّ اسم 'الوليد' يتفوّق عليها. وذلك أمر مثير للاهتمام، لأنّ المتحدّرين من العائلة المالكة السعوديّة والمتحدّرين من الملك الراحل عبد العزيز، يلقّبون بصاحب السموّ الملكيّ. وعندما يشير الناس إلى الأمير الوليد لا يلقّبونه بصاحب السموّ الملكيّ، بل يكتفون باسم 'الوليد' لأنّه أصبح اسماً تجاريّاً"

لحن المال

شهدت مدينة كان الفرنسيّة سلسلة من الاجتماعات التي بدأت في آب/أغسطس 2003. في الواقع كان الموقع على بعد نصف ميل داخل شاطئ كان إذا أردنا مزيداً من الدقّة.

في مقصورة مفروشة بأثاث فاخر على متن اليخت Kingdom 5-KR، تواجد الأمير وأربعة لاعبين أساسيّين في صناعة الموسيقى العربيّة للتخطيط لقلب هذه الصناعة رأساً على عقب. كانوا جميعاً لاعبين أساسيّين قائمين بذاتهم ويحظون باحترام نظراً للانجازات التي حققوها في مجالات مثل الإنتاج الموسيقي، وإدارة الفنّانين، والتسويق، والتوزيع لكنّ عيونهم كانت شاخصة نحو رجل واحد.

لم يكن لثياب الإجازة التي يرتديها، الشورت الفاتح اللون، والقميص القطنيّ الخفيف، والحذاء الخاصّ بالمراكب لتخفي شيئاً من طريقته الحادّة في وضع أجندته.

"أريد اللحم! لا المرق أو الفطر، أريد اللحم"!

ثمّ توقّف قليلاً، "إنّني في الواقع لا آكل اللحم... أريد السمك"!

كان الأمير يقصد بذلك التشديد على ضرورة أن يحرص الفريق على التوصّل إلى أفضل صفقة في المفاوضات لإنشاء قناة جديدة.

كان الوليد يرمي لاستغلال شركة روتانا الموسيقى، التي يمتلكها بالكامل الآن، بشكل أفضل. ففي العام 2003 توصّل إلى اتفاق مع الشيخ صالح كامل، شريكه في راديو وتلفزيون العرب art، نتيجة تخليه عن معظم حصّته في الشبكة مقابل حصّة 49 بالمئة في القناة الفضائيّة للشبكة اللبنانيّة للإرسال LBC، وفرصة لتحويل قناة إيه آر تي للموسيقى إلى قناة فاعلة وأكثر ديناميكيّة بالمزاوجة بينها وبين شركته للإنتاج الموسيقيّ، روتانا للصوتيّات والمرئيّات.

استدعي المسؤولين الذين اجتمع بهم الأمير على اليخت لوضع خطّة توحّد كل الأصول التي يمتلكها في صناعة الموسيقى: "بحثنا بأمر شركة الإنتاج (روتانا) ونحن قوّة مهيمنة في ساحة العالم العربيّ. ورأينا أنّ علينا ترجمة ذلك إلى مشاهدين - ترجمته إلى محطّات تلفزيونيّة"

كان من بين المشاركين في هذه الاجتماعات الحادّة، ميشال المرّ، وهو مفكّر مهذّب اصطدم مع الحكومة اللبنانيّة بشأن تلفزيونه المحليّ، قناة MTV: "إنّنا نعقد جلسات مباحثات مكثّفة لأنّها المرّة الأولى التي يلتقي فيها هذا العدد من المديرين من أقسام مختلفة ومن بلدان مختلفة. فروتانا ليست شركة تلفزيونيّة فحسب، بل هي شركة إنتاج، وشركة توزيع، وشركة تسجيل. لذا اجتمعنا كلّنا هنا لوضع استراتيجيّة لروتانا، وكنّا نتباحث في الأمر، لأنّ الأمير كما علمت يستمع كثيراً قبل اتخاذ أي قرار، وذلك ما يعجبني فيه"

كان لدى الأمير فكرة واضحة جدّاً عن المدى الذي يريد أن ينقل إليه مفهومه، بقدر ما كان يستمع إلى البحث. "كان هناك فجوة، أو ثغرة. وكلما رأيت ثغرة أحبّ أن أملأها. لقد بدأ كل شيء بامتلاكي شركة إنتاج موسيقيّ.

ولدينا أكثر من 100 من فنّاني روتانا، ولدينا 80 بالمئة تقريباً من سوق الفنّ الغنائيّ العربي. ففكّرنا في إضافة قناة تلفزيونيّة تنظم كل هؤلاء الفنّانين، وتصنع الفيديو كليب وتنتج بعض الحفلات الموسيقيّة التي تضمّ فنّانين عرباً. وخلال أول أربعة أشهر أنشأنا قناة روتانا الأولى، ثمّ قناة روتانا الثانية والآن لدينا ست قنوات تلفزيونية"

لا شكّ في أنّ قناة روتانا الأولى، بمزجها بين الفيديو كليب والحفلات الموسيقيّة المصوّرة وبرامج التسلية، تركت انطباعاً جيّداً لدى المعجبين بالموسيقى العربيّة عند انطلاقها في 8 تشرين الأول/أكتوبر 2003. ووفقاً للأمير، احتلّت القناة في شباط/فبراير 2004 المرتبة الثانية في الشهرة بين المعجبين الذين لديهم نحو 100 قناة يختارون منها: "إنّنا ندمج بين الصوت والصورة، وندمج بين الأقسام المرئيّة والمسموعة في روتانا، وقد حقّق ذلك نجاحاً كبيراً. لم تحقّق لنا المليارات بعد، لكنّنا حصلنا على ملايين الدولارات. لقد استثمرنا مبلغاً صغيراً من المال وقد ازدادت قيمته الآن أكثر من أربعة أضعاف"

لا يُرجع الوليد ذلك النجاح إلى الشدة في تعامله مع السوق، بل إلى القيم التي حدّدت من البداية. "لا أعتقد أنّنا كنّا مقدامين جدّاً، وأعتقد بأن الناس أقبلوا علينا لأنّ لدينا سمعة طيّبة. إنّنا لا نعرض فيديو كليب تثير الجدل، ولدينا ممنوعات بالنسبة لهذه الأفلام المثيرة للجدل التي تتخطّى الحدود. على سبيل المثال، إنّنا لا نعرض أشخاصاً عراة، ولا نقبل ذلك، لذا نحاول أن نمتثل لديننا وثقافتنا، وذلك أمر مهمّ جدّاً. تستطيع الأسر السماح لأطفالها بمشاهدة قنواتنا التلفزيونية دون أن يكونوا بصحبتهم. لذا تلك إضافة عظيمة"

يتفّق ميشال مع ذلك، لكنّه يميّز القناة عن غيرها بطريقتين أخريين: "لنقل إنّنا مختلفون لأنّنا نعرض أغانٍ عربيّة فقط. إنّنا ملتزمون بالموسيقى العربيّة، في حين أنّ غيرنا يمزج بين الموسيقى الشرقيّة والغربيّة. ثانياً، لدينا قواعد توزيعيّة يفتقر لها الآخرون، ثالثاً، لدينا برامج مع فنّانين مشهورين. لقد كان نجاحاً بارزاً، بل إنّ الشركات التي تجري أبحاثاً ودراسات دهشت لمقدار النجاح الذي حقّقناه"

يستشهد ميشال بأنّ نسبة المشاهدين بلغت 23 بالمئة في غضون أشهر، ويعزو النجاح إلى خطّة الوليد الشاملة للمشروع: "انتقى الأمير الأشخاص المناسبين المهمّة، كما أنّه شارك في كل التفاصيل الصغيرة، وأنت تعلم مقدار حيويّته ومقدار تفانيه عند قيامه بشيء ما. وهو شديد التدقيق، ويتابع كل التفاصيل الصغيرة، وأعتقد أنّ ذلك هو الذي حقّق هذا النجاح"

ويقول ميشال إنّ روتانا حرصت عند ابتعادها عن الموادّ المثيرة للجدل ألا تخسر جاذبيّتها للشبّان العرب بإشراكهم بنشاط بعدّة طرق مختلفة: "إنّنا نقدّم الكثير من خدمات التفاعل في محطّتنا التلفزيونيّة مع الكثير من الشبّان على الهواء. وهي محطّة عربيّة حيث لدينا مذيعون ومذيعات من مصر، ولبنان، ومن منطقة الخليج، وكلّهم يعملون ويتفاعلون معاً. كما أنّ هناك الخدمات التفاعليّة من خلال خدمة الرسائل القصيرة SMS، وخدمة الرسائل المتعدّدة الوسائط MMS، وكل ذلك هو ما يجعل المحطة ديناميكية جدّاً"

كانت خدمة الرسائل القصيرة وخدمة الرسائل المتعدّدة الوسائط ميزة فريدة أضافها الوليد عندما أطلق قناة روتانا الثانية، بعد شهرين. وتركّز هذه القناة على الفيديو كليب من كل أنحاء الشرق الأوسط أكثر من التركيز على البرامج.

لقد كان نجاحاً فوريّاً لدى المشاهدين الذين وجدوا أنّ بوسعهم استخدام هواتفهم المحمولة لإرسال النصوص التي تظهر على التلفزيون. وخلال أسابيع بلغ عدد الرسائل التي ترسل إلى روتانا 40,000 رسالة يوميّاً.

وفي متابعة للاعتقاد بأن عالم الموسيقى العربية يحتوي على العديد من الثغرات والفرص، يرى الأمير أنّ روتانا ستنمو إلى باقة تضمّ عدداً من القنوات التي ترضي احتياجات محدّدة: "إذا كنت تنظر إلى روتانا الأولى، فإنّها قناة رسميّة بعض الشيء، وهي مخصّصة للمشاهدين بين العشرين والخمسين من العمر. وإذا أخذت روتانا الثانية، تجد أنّها مخصّصة للمراهقين، ما بين السابعة عشرة ومنتصف العشرينات، وهم يحبّون رسائل SMS، ويحبّون أن تظهر أسماؤهم، ويحبّون التفاعل، ونحن نقدّم لهم كل ذلك"

ما لبث الوليد أن أطلق قناته الثالثة، روتانا الطرب، وهي تقدّم الأغانيّ الطربية

القديمة من كل العالم العربيّ، وفي 8 تشرين الأول/أكتوبر 2004 - تمرّ الذكرى السنويّة الأولى لروتانا الأولى.

"هذه هي شريحتنا. تقدّم روتانا الثالثة الموسيقى الطربيّة، والأغاني القديمة التي ترجع إلى 10 أو 20 أو 30 سنة إلى الوراء. لذا بهذه القنوات الثلاث، نحاول أن نرضي كل الأذواق، سواء كانت للذين هم في سنّ الخامسة عشرة أم الخامسة والستين"

ويقول ميشال المرّ إنّ الأمير يعرف ما يقوم به، رغم أنّ معظم الأشخاص قد لا يربطون بينه وبين مشروع أعمال مثل قناة موسيقيّة: "لديه الكثير من الخبرة التي حصل عليها من الإيه آر تي من قبل، وأثناء النقاش في كان، أعتقد أنّنا دهشنا جميعاً لانسجامنا معه في الرأي كأننا على موجة واحدة. هذا هو سبب نجاح روتانا، حيث معظمنا مقتنعون بما نقوم به ونتقاسم الرؤية نفسها"

لقد راقب اللاعبون الآخرون في صناعة الموسيقى بذهول نموّ حضور روتانا وتأثيرها بهذه السرعة الكبيرة. يعرف ميشال تماماً السبب الذي أدّى إلى هذا التقدّم الكبير، ويأخذ بالحسبان الجهد الكبير الذي يبذله الوليد: "لديه طاقة كبيرة... أعني أنّه يمكن أن يمضي 18 أو 20 ساعة في اليوم، ويعمل طوال الوقت دون أن يتنفّس! كل شيء معدّ مسبقاً، وكل خطوة يخطوها محسوبة، لا يوجد شيء عشوائيّ. لا أعرف من أين يأتي بكل هذه الطاقة والحيويّة، إنّها مدهشة حقّاً. إنه رجل مبادئ. وذلك شيء مهمّ. فنحن نفتقر إلى هذه الأمور في العالم العربيّ، الدقّة والاستقامة، وهو مستقيم ودقيق جدّاً في كل ما يقوم به"

لكنّ الدقّة والاستقامة لا يمنعانه من السعي وراء الأسماء الكبيرة بإقدام.

فقد سعى الوليد بنشاط لضم كبار الفنّانين العرب غير المنضوين بعد تحت لواء روتانا، وقد قاد ذلك إلى بعض التخمين بأنّه يهدف إلى احتكار السوق. وهو لم ينف قطّ رغبته في ضمّ أكبر عدد ممكن إلى معسكره، وبإطلاق قنوات روتانا ونموّها، ازداد عدد الفنّانين الذين وقّعوا عقوداً مع روتانا، لكنّ الأمير يقول إنّ أسلوبه قد أسيء فهمه: "لا أقول لديّ احتكار، لكن لديّ الغالبيّة. فأنا صراحة لا أؤمن بالاحتكارات. وأعتقد أنّها غير صحيّة، لأنك ستسترخي إذا كان لديك

احتكار، وتصبح متساهلاً وأنا أحبّ المنافسة. وأنا أسرّ في بعض الأحيان عندما أجد شركات تتنافس معي، فذلك لا يبقيني وحدي يقظاً ومتنبّهاً على الدوام بل يبقي العاملين لدي يقظين أيضاً. لا شكّ في أنّني أحبّ أن أكون في الطليعة، لكنّني لا أمانع في المنافسة البتّة. ومن الواضح أنّ امتلاك هذا الموقع الوطيد في الموسيقى سيكون عائقاً كبيراً أمام دخول آخرين إلى السوق، لأنّني سأدافع بما لديّ بضراوة"

لتعزيز قوّة موقعه، أعلن الوليد في نهاية العام 2004 أن مزيداً من قنوات روتانا هي على الطريق في العام 2005 – اثنتين تعرضان الأفلام، وواحدة تركّز على الإسلام.

يدرك ميشال المرّ سبب رغبة الوليد في الدفاع عن موقعه، بعد صرف كل هذا الوقت في التنقّل بين كان، وباريس، والرياض، وبيروت وإقامة القناة – قنوات الآن – خلال أشهر. ويلاحظ مدير قنوات روتانا الموسيقية أنّ المفاوضات التي أجراها هو وغيره مع الوليد أظهرت بوضوح كم أنّ من الصعب إقناع الأمير بشأن اتفاق ما: "الأمر ليس سهلاً البتة. من الصعب التفاوض معه، لكن لديه منطق معيّن على الأقل، وهو يسعى دائماً للحصول على شيء بعد إقناعك بأنّه صحيح. إنّه ليس ديكتاتوراً، لذا فإنّه يتبع الإقناع دائماً فيما يقوم به، وغالباً ما يكون مصيباً"

التركيز الماليّ

لعل تشبيه الأمير الوليد، راكباً في مروحيّة ذات ضوء كشّاف، وينظر إلى الغابة من تحته بحثاً عن فرص، قد أصبح قابلاً للتطبيق أكثر من ذي قبل، فيما يواصل الأمير النضوج كرجل أعمال عالميّ ويتوخّى مزيداً من الحذر في استثمار ثروته الطائلة. لم تعد المروحيّة تحطّ كثيراً كما كانت تفعل، بل تنتظر حتى تلحظ وجود مشاكل كبيرة على الأرض قبل أن تتدخّل. ولا يعني ذلك أنّه لا يوجد على الأرض الكثير من الأشخاص الذين يلوّحون بالهبوط لمروحيّة الوليد التي تحوّم فوقّ رؤوسهم.

كانت ديزني في ذلك الموقف في العام 2003، وتأمل في أن يحطّ الأمير في

أرضها ثانية. كما يرى العديدون في المستثمر الأمير المنقذ المحتمل عندما يقعـــون في مأزق ويحتاجون إلى من ينقذهم منه. ولا يجد الأمير حرجاً في حمل تلك الصـــورة: "لا أعتقد أنّها تثير المشاكل، بل هي تتيح الفرص. وأعتقد أنّه نادراً ما يمرّ أســـبوع دون التفاوض معي على خمس أو ستّ صفقات على المستوى الداخليّ، والإقليميّ، والدوليّ. ولا شكّ في أنّنا نبحث عن صفقات تخدمنا، أو تخدم مجتمعاتنا، أو تخـــدم الأمم التي نشترك معها – وتخدم المشروع بحدّ ذاته، لذا فإنّنـــا نتـــوخّى الدقّـــة في الانتقاء وننتظر الفرصة الملائمة للانخراط في مثل هذه المشاريع"

لقد راقب المدير التنفيذيّ للماليّة والإدارة لدى الوليد، صالح الغول، الأمـــير من منظور محاسبيّ ولا يشعر بالقلق من أن يصبح الأمير هدفاً للمستغلّين: "أعتقـــد أنّ لديه تلك الحاسة التي تجعله يعرف قبل أن تتحدّث ما الذي تريد قوله. لذا فإنّه متيقّظ دائماً، وحواسه مستعدّة للحكم على الأمور. إنّـــه حكـــم ممتـــاز علـــى الأشخاص، وأعتقد أنّ ذلك من نقاط قوّته الرئيسيّة"

ومن الأشخاص الذين يبدو أنّه أصاب في الحكم عليهم في العام 1996 المدير التنفيذيّ للاستثمارات المحلّيّة، طلال الميمان، وقد عمل عن قرب مع الوليد منذ أن قبل عرض العمل في لحظته: "أعتقد أنّ الأمير اكتسب مزيداً من الحكمة. فهو يأخذ الزاوية الأخرى في الحسبان اليوم بصورة دائمة مقارنة بالأمس. وهـــو يحـــب أنّ يستمع إلى المزيد من الأشخاص اليوم أكثر مما كان عليه في الأمس. إنّه ينصـــت، وقد لا يظهر لك أنّه منتبه لما تقول، لكن يمكنك المراهنة على حياتك أنّه يســـتمع إليك فيما يشاهد التلفزيون ويستمع إلى ثلاثة آخرين. وأعتقد أيضاً أنّه تغيّر مـــن حيث الشخصيّة. أعتقد أنّه أصبح أكثر حزماً نظراً لشدّة البيئة المحيطة. إنّه لا يطيق اللغو، أعني أنّك إذا نظرت إليه في وجهه وقلت له، 'يا صاحب السموّ، واحـــد، اثنان، ثلاثة'، يستطيع أن يميّز من عينيك إذا ما كنت تحاول تلفيـــق الموضـــوع، ويستند في الإجابة، قبل أن يعرف الموضوع، إلى الطريقة التي تعرضه بها. فإذا جئت بوجه مختلف أو همّ مختلف أو نظرة مختلفة، أو جملة مختلفة، قد يكون ذلك أســـاس الرفض أو القبول في بعض الأحيان، لكنني أعتقد بصراحة أنّ الأمير بعيد إلى حدّ ما عن المجموعة التي تعمل معه. وأعتقد أنّ عليه الاقتراب أكثر

ويوضح طلال نقطته الأخيرة بإرجاع جزء من ذلك التصوّر إلى التغيّرات التي طرأت على شركة المملكة القابضة في السنوات الأخيرة. في الماضي، لا سيما عندما كان الفريق صغيراً، كان الأمير قادراً على قضاء مزيد من الوقت مع كل فرد. ومع نموّ الشركة وازدياد العنصر المؤسّساتيّ فيها - وتركيز الأمير على نطاق الأعمال الأوسع في كل أنحاء العالم - تناقص الوقت الذي يقضيه الوليد مع كل فرد وصار من الصعب عليه إيجاد الوقت للتواصل مع الموظّفين. وبدأ يفوّض المهامّ بصورة أكبر. لكن لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الوليد بدأ يلعب دوراً أنشط في استخدام أشخاص متنوعّين في شركته، وبخاصّة عندما دفع باتجاه منح المرأة دوراً أكبر في شركة المملكة القابضة.

لكنّ هذا القلق من ابتعاده عن الناس هو ترداد تقريباً لمشاعر ابن خالة الوليد ورفيق طفولته، رياض الأسعد، الذي يشعر بالقلق لأنّ الوليد يتعامل مع الناس بأسلوب مؤسساتيّ أكثر، على حساب الارتباط العاطفيّ.

عندما أدلى طلال بتقييمه بأنّ على الأمير الاقتراب أكثر إلى الموظّفين، بدت عليه مسحة من الكآبة، وتذكّر قّصة تتعلّق برئيسه وقعت بعد انضمامه إلى الشركة بأربع سنوات وأثّرت فيه شخصيّاً: "وقع لابني حادث، وكان قد دخل في غيبوبة قصيرة عندما وصلت لرؤيته. لم أحضر إلى العمل فاتصل الوليد وقال على ما أذكر 'طلال، لا تقلق. إنّني واثق من أنّه سيكون بخير، وإذا احتجت إلي أو إلى المال أو إلى طائرة، فإنّها حاضرة لتنقله إلى أي مكان في العالم'، وتلك لحظة في حياتي لا تجعلني أفكّر بشأن الترتيبات الماليّة أو المعاملة في العمل. عندما يصل الأمر إلى المحكّ، ستجده حاضراً ومسانداً لموظفيه، وأعتقد أنّ ذلك أثّر على شخصيّتي كثيراً، وعلى تسامحي، إذا أمكنني قول ذلك"

إرسال الرسالة الصحيحة

لا يزال الوليد ينتقل من موقع قويّ إلى أقوى على المستوى الدوليّ.

فقد دخل اليوم دائرة رجال الأعمال الكبار في العالم، لا سيما أولئك الموجودين في أمريكا والذين قد تثير جنسيّته السعوديّة بعض الشكوك لديهم. رجال من أمثال مايكل إيسنر: "أجد متعة في الحديث معه، إنّه (الوليد) ذكيّ،

ولّماح، ومثير للإعجاب، ويتمتّع بحضور آسر (كاريزما). يتحدّث الناس عنه في بلده، إنّه مشهور جدّاً ليس كمستثمر فحسب، ولكن كشخصيّة مرموقة. ولا أدري إن كان هو المعيار في بيئته أم الشواذّ، لكنّ صحبته ممتعة ومثيرة للاهتمام"

وساندي ويل، من مجموعة سيتي بالطبع: "إنني أحاول إقامة علاقة معه في إطاري الزمني وليس بالضرورة في إطاره الزمنيّ، لأنّه معتاد على دخول الفندق والمطبخ في منتصف الليل عندما أكون نائماً، لكنّني لم أجد مشكلة في إقامة علاقة معه. وأعتقد أنّ صحبته ممتعة، ولديه عقل رائع، إنّه دائم التفكير، ومن المثير التحدّث إليه وبحث الأفكار معه للحصول على منظور آخر للعالم"

لا يزالون يرونه في الغالب كرجل أعمال صلب، ويدرك رئيس فور سيزنز، إيسي شارب، اليقظة التي يتطلّبها التفاوض مع الوليد: "ثمّة عبارة أريد أن أستخدمها لوصفه، إنّه يعرف ما يريد، ويطلبه، ثم يحرص على الحصول على ما يحتاج إليه. لذا فإنّ لديه هدفاً محدّداً، وهو أمر جيّد لأنّه يضعه نصب عينيه. فتعرف ما الذي تتوقّعه تماماً، وهو صاحب قرار، وليس مماطلاً. ويدخل في التفاصيل بالقدر الكافي له لكي يتخذ القرار، وعندما يفعل ذلك يتقدّم إلى الأمام، لذا فإنّني غير واثق من صحّة كلمة 'صلب'، لكنّه رجل أعمال مجتهد ودؤوب"

ومع ذلك يمكن أن يفاجئك الأمير بالأوراق التي يحملها عندما يريد ذلك، لكي يظهر الجانب الأكثر ذكاء وحساسيّة.

عندما توجّه بيل فات، رئيس فنادق فيرمونت، إلى الرياض لمقابلة الأمير، أصرّ الأمير على أن يقود به السيّارة شخصيّاً من المكتب إلى قصره لتناول الغداء. ومع أنّ الوليد لا يقود عادة سيّارته بنفسه، إلا أنّ موظّفيه فوجئوا عندما رأوا أنّه يرافق زائراً أجنبيّاً في سيّارة يقودها بنفسه. ويذكر فات ذلك جيداً: "وصلنا إلى قصره وقدّمت إلى أسرته وآخرين في المنزل. وأخبرني بعد ذلك أنّ إقدامه على قيادة السيّارة بنفسه حدث مهمّ بالنسبة إليه، وكانت الرسالة التي يحاول إيصالها إلى العاملين لديه هي أنّ شركة المملكة موجودة لخدمة فيرمونت، وأن فيرمونت تمثّل استثماراً مهمّاً واستراتيجيّاً بالنسبة إليه. إنّ قيام الأمير بقيادة سيّارته بنفسه لإيصالي إلى قصره من أجل الغداء يرمز إلى وجوب استخدام موارد شركة المملكة لمساعدة

فيرمونت فيما تتقدّم إلى الأمام وتطوّر اسمها التجاريّ، وأعتقد أنّ تلك طريقة مثيرة لنقل الرسائل إلى العاملين معه"

وقد فاجأ الوليد الرئيس الأمريكيّ الأسبق، جيمي كارتر، أيضاً: "عندما بدأت أذكر بعض الأماكن التي زرناها (أي فريق مركز كارتر)، فوجئت حقّاً من اتساع نطاق مصالحه، وعندما تحدّثت إليه عن بعض الشركات التي لدينا علاقة معها، دهشت لما وجدت أنّه يمتلكها كلّها أو نصفها. وعندما زرت بعض أفخم الفنادق في العالم، كضيف على الفندق، فوجئت عندما اكتشفت في أغلب الأحيان أنّه يمتلك الفندق أو أنّه مساهم كبير فيه. لذا أعجبت جدّاً بتواضعه لأنّه لا يقول البتّة إنه يمتلك هذا أو يسيطر على ذاك، أو إنّه شريك رئيسيّ في غيره، بل يترك دائماً ذلك يأتي من مصادر أخرى. لذا فإنّني أمازحه في أنّه يحاول أن يتعفّف عن ذكر ممتلكاته تواضعاً، وأنّه لا يظهر للناس الإمكانات العظيمة التي لديه، وعلاقتي به بالطبع هي علاقة عرفان بالجميل لمشاركته لنا في بعض التزاماتنا الخيريّة"

تعريف النجاح

"هل أريد أن أصبح أغنى رجل في العالم"؟

عند تكرار السؤال، يعتدل الوليد في جلسته بعد أن يكون متّكأ ومسترخياً: "بين أن أنظر إلى الأشخاص الثلاثة أو الأربعة الذين يسبقونني في العالم وأسأل، لماذا لست في الطليعة، أو أنظر خلفي وأرى الستّة مليارات نسمة، أختار النظر إلى الخلف وأن أحمد الله على ما وصلت إليه"

لم يكن الجواب مقنعاً تماماً لا سيما أنّه يأتي من رجل اثبت قدرته على تحقيق قفزات غير معقولة في فترة وجيزة نسبيّاً. بل هو أقل إقناعاً بالنظر إلى أنّه ليس ممن يستكينون ويستمتعون بمنجزاهم بطريقة تنمّ عن القناعة. فالوليد، وفقاً لما جاء على لسانه، يسعى أيضاً وراء النجاح، حيث يقول: "إنّني أحبّ النجاح بل أعشقه"

بالإضافة إلى ذلك، إنّه ممن يعترفون بأنّه لا يتوقّف عن العمل البتة، ويعتقد أنّ النوم وقت مهدور يتوّقف فيه العقل عن العمل.

والوليد قريب جدّاً من القمّة بحيث لا يسعه التوقّف الآن: "هناك طرق كثيرة

لقياس النجاح. لا شكّ في أنّ نتائج شركاتنا هي إحدى المؤشّرات من ناحية الأعمال. والمؤشّر الثاني هو مقدار المعلومات التي نحصل عليها من الناس المحيطين. والثالث هو مقدار المعلومات التي نتلقّاها من المجتمع الدوليّ. والمؤشّر الرابع هو المعلومات التي نتلقّاها من وسائل الإعلام. إذاً هناك العديد من المقاييس والعديد من المؤشّرات لقياس مقدار النجاح الذي يحقّقه كل شخص في الحياة. والمؤشّر الخامس والأهم هو مقدار الرضا الذاتيّ الذي يحصل عليه المرء. فالمرء يعرف إذا كان يقوم بعمل جيّد أم لا. ويعرف المرء أنّه ارتكب أخطاء ومتى ارتكبها وأنّ عليه تصحيحها. إنّني رجل أرتكب الأخطاء وأقرّ بذلك في سرّي وأحياناً للآخرين، وأصحّحها، وأواصل التقدّم"

في عالم الأعمال، تمكّن الأمير من تجاوز الأخطاء بارتياح. ربما يخسر مئات الملايين من الدولارات في اليوم، لكنّه في الوقت نفسه قادر على جني مثل ذلك المبلغ في فترة مماثلة.

وقد استشهد أحد العاملين لديه بقول لوسائل الإعلام عن الوليد: "لا تتمّ صفقة على الأرض لا يراها بطريقة أو بأخرى، أو يصوغها أو يشكّلها. لذا فإنّ معرفته بالصناعات والمواقف غير عاديّة. وإنّه لأمر فريد أنّ يتمكّن رجل بمفرده من الاطلاع على هذا الكمّ من المعلومات"

وكما يشير الأمير، يمكن قياس النجاح من منظور الأعمال من خلال نتائج الشركة إلى حدٍّ ما. وقد يكون الأمر أكثر صعوبة عندما ينغمس أكثر فأكثر في الساحة السياسيّة. فالأخطاء هناك لا تقاس بالربح والخسارة، بل بالبارومتر الحسّاس لثقة الناس وتأييدهم.

ذلك هو المسار الذي لم يحدّده بعد. لكنّه في هذه الأثناء، فاز بثقة الموظّفين في شركة المملكة القابضة. فهم يعترفون بمقدار ضغط العمل اليوميّ، لكنّهم يضحكون في الغالب من المصاعب في بيئة العمل التي يسبّبها جدول أعمال الأمير المحموم وطبيعته الشديدة التطلّب. ويقول مدير ماليّته، صالح الغول، إنّه مستعدّ لدفع الثمن الذي يتطلّبه العمل المضغوط لأنّه يعمل لرئيس فريد: "لقد نضج، واكتسب الكثير من المعرفة، أما من ناحية الطاقة والحيويّة، فإنّه لا يزال كما عهدته منذ ستّ عشرة

سنة. إنّه مدمن على العمل - لا أدري إذا كانت تلك نقطة ضعف أم لا، لكنّ ذلك يتطلّب الكثير من الطاقة والجهد من المحيطين به. ومنذ أن انضممت إلى العمل، أصبت بالداء السكري، وارتفاع ضغط الدم (يضحك)، لكن أشدّ ما يمتعني أنّ العمل ليس مضجراً البتة. تأتي في الصباح أو في المساء، وتجد النشاط والحركة دائماً"

يوافق طلال الميمان على ذلك: "إنّها طريقة حياة. عليك أن تتحمّل الضغط، لكنّ الضغط يكون ممتعاً في بعض الأحيان شريطة أن يكون مضبوطاً، ومحكوماً، بالمنطق، وبالتقييم العادل في النهاية. فالحياة بدون تحدٍّ ليست حياة، هذه وجهة نظري"

لذا يتابع الأشخاص المحيطين بالوليد التحرّك على وقع لحن الروك الصاخب الذي يعزفه لهم كل يوم. للروك الصاخب مذاق لا يستطيع الجميع التكيّف معه. أما في شركة المملكة، فسرعان ما يتضح من يستطيع الرقص على وقع الروك ومن لا يستطيع. ومن يستطيع - ويوافق - يستمتع بخطى العمل المحمومة - وأحياناً يتحمّلها - لعلمه بأنّ الأمير يتخذ قرارات صعبة وسريعة وعلى الأقسام التي لديه تنفيذها.

لكن ما لا يسمعونه هو لحن الجاز المعقّد الذي يدور في عقله، وتتنوّع أنغامه وتتلوّن على غير المعتاد، وتتخذ العديد من القرارات في كل لحظة.

لكنّ الجاز مذاق مكتسب أيضاً.



11

الأمريكيّون والعرب

"غالباً ما أقول للأمريكيّين إنّ المسلم ليس عدوّكم، لكنّهم لا يريدون تصديق ذلك إذ يستهويهم الميل إلى مجموعة من الأشخاص غير المخلصين للمصالح الأمريكيّة في أعماقهم".

خالد المعينا،

رئيس تحرير "عرب نيوز

لقد أصبحت بعض الكلمات الثنائيّة غير قابلة للانفصال بفضل وسائل الإعلام.

"مسلم إرهابيّ " متطرّف عربيّ " "إسلاميّ أصوليّ"

وجد التحيّز في هذا العالم منذ أن تمكّن الإنسان من لفظ الشتائم المترابطة، لكن من المفاجئ في عصر ما يسمّى "الحضارة" ألا يبذل المزيد في التعامل مع الكراهيّة التي تحدثها مثل هذه الأفكار النمطيّة.

رغم أنّ الصواب السياسيّ استأصل استخدام بعض الألفاظ والعبارات العرقيّة في الولايات المتحدة، لا سيما تلك المتعلّقة بالمجتمعات الأمريكيّة من أصول إفريقيّة ولاتينيّة، بل حتى التلميحات السلبيّة ضدّ المرأة، ومجموعات العاجزين والأقليّات، لا يوجد كثير من الحذر ضدّ استمراريّة هذه الأفكار النمطيّة المطبّقة على المسلمين ولا سيما البلدان العربيّة.

تستخدم وسائل الإعلام هذه التعابير بتساهل وسخاء في معظم ما ترويه عن الشرق الأوسط. إنّها صحافة رديئة وكسولة في الجوهر. وبالتالي فإنّ معظم العرب

على العموم، والسعوديّين على وجه الخصوص، لديهم سمعة سلبيّة جدّاً في عيـــون الجمهور الغربيّ.

في الفيلم الوثائقيّ، "فهرنهايت 9/11"، خصّص مايكل موور مقداراً كبيراً من الوقت لانتقاد السعوديّين. إنّ موور مخرج سينمائيّ ممتاز، لكنّه يبدو مخادعاً قليلاً في الحديث عن "السعوديّين" كما لو أنّ كل واحد منهم مؤيّد لأسامة بـــن لادن، أو لديه مصالح ماليّة خفيّة في الولايات المتحدة. ومما يشفع لموور أنّه صريح فيما يتعلّق بأجندته السياسيّة – المناهضة لجورج دبليو بوش في الغالب – ما أكسبه جمهـــوراً واسعاً وتصفيقاً متكرّراً في أوساط العديد من العرب المحبّين للســـينما. لكـــنّ مـــا يؤسف له في ذلك الفيلم الوثائقيّ المبتكر الذي يتحدّث عن مواطن ضعف السياسة الأمريكيّة، توجيه أصابع الاتهام إلى الآخرين ربما بدون وجه حقّ.

إذاً أين يقف العرب والمسلمون فيما يتعلّق بالمفاهيم الغربيّة النموذجيّة؟

لعل أفضل من يسلّط الضوء على هذا الوضع هو رجل كان فيما مضى مقيماً في البيت الأبيض ويتردّد كثيراً على الشرق الأوسط للإشـــراف علـــى مبـــادرات السلام. وهو من دعاة إدخال تغيير على الوضع الراكد الذي يتفاقم بالمرارة المعتملة في قلوب وعقول الكثير من الشبّان في العالم العربيّ، ويدين في الوقت نفسه الأفكار النمطيّة السائدة في أوساط الأمريكيّين العاديّين. إنّه جيمي كارتر، صانع الســـلام البارع. "يسود أوساط الكثير من الغربيّين للأسف نقص كبير في المعرفة ودرجـــة كبيرة من الجهل فيما يتعلّق بالعالم العربيّ، والشعوب العربيّة أو الإســـلاميّة الـــتي تختلف عنّا، في الجغرافيا والخلفيّة العرقيّة، وفي الدين أيضاً، وهذا أمرٌ مؤسف. إنـــني أشعر بالإحباط في هذه القضيّة. حاولت في بعض الأحيان عندما كنت في منصب الرئاسة أن أحمل بعض العقلانيّة وبعض العدالة والسلام إلى الشـــعب الفلســـطينيّ، لكن بسبب الاعوجاج الموجود في وسائل الإعلام الإخباريّة وفي البيانات الرسميّـــة العليا، ثمة تشويه لسمعة الفلسطينيّين وحتى العرب كما لو أنّ الملامة تقع عليهم في الإرهاب، أو الجريمة، أو العنف أكثر من غيرهم من الشعوب في العالم، وذلك أمر مناف تماماً للحقيقة"

إنّ ذلك – سواء أكنت تصدّقه أم لا – يمثّل مشكلة للعرب الذين يحـــاولون

التفاعل مع الغرب على قدم المساواة. فالأفكار النمطيّة والتحيّزات السائدة تضع عقبات يسهل تعزيزها ويصعب التغلّب عليها. وبالنسبة للأمير الوليد، فإنّ العامل الإضافيّ كونه سعوديّاً - ومن العائلة المالكة أيضاً - يزيد من حجم المشكلة. فبلده تعتبر تقليديّاً مملكة مغلقة تفرض قوانين صارمة وعقوبات قاسية، بما في ذلك قطع الرأس لمستحقّه.

لقد كانت صورة السعوديّين تعاني أصلاً من المشاكل الناتجة عن الفورة النفطيّة في السبعينيّات والثمانينيّات، عندما حملت أعداد كبيرة ثرواها إلى متاجر أوروبا الأنيقة بحثاً عن ثياب المصمّمين. وتواصلت صورة التبذير المدفوع بالثروة النفطيّة عدّة سنوات بعد ذلك، إذ إنّ العديد من السعوديّين الشبّان والأثرياء من الجيل التالي اتبعوا سلوكاً مشيناً في المنتجعات الأوروبيّة. والوليد يدرك ذلك. فهو يشاهد ما يجري حوله عندما يقضي إجازته في كان وسان تروبيز: "هذا أمر يقوم به الشبّان في الغرب أو الشرق. ومن المؤسّف أن الصورة النمطيّة لبعض السعوديّين مستقاة من الأشياء التي يفعلونها في الغرب عندما يسافرون ثمّ إنّهم يواصلون فعل ذلك عندما يتقدّم بهم العمر قليلاً، لذا لا عذر لديهم على الإطلاق. لا شكّ في أنّنا نخوض معركة شاقّة في محاولة تغيير هذه الصورة النمطيّة، وأعتقد من وجهة نظري الخاصّة، أنّني كنت ناجحاً في محاولة تقديم صورة أفضل عن المسلمين والعرب، وعن السعوديّين تحديداً، في الغرب على العموم"

إنّه يشير إلى حضوره الأكثر تحفّظاً في أسفاره. لا للكحول، لا للدخان، لا للاقتراب من النوادي الليليّة أو الملاهي، وعدم السماح لحاشيته بتجاوز آداب السلوك، واتباع نهج مهنيّ مضبوط في تعاملاته مع الغربيّين الذين يقابلهم. وهو في ذلك كثير التشدّد.

لكن حتى لو كان الأمير قادراً على تقديم صورة مختلفة عن كيفيّة سلوك الأثرياء العرب، من خلال تعاملاته في مجال الأعمال في التسعينيّات، فقد تلقّت جهوده، فضلاً عن جهود الآخرين ضربة قوية في 11 أيلول/سبتمبر 2001.

لقد كان 15 من المختطفين البالغ عددهم 19 الذين شاركوا في الهجمات الإرهابيّة على الولايات المتحدة مواطنين سعوديّين، وهي حقيقة تردّدت كثيراً في

وسائل الإعلام الأمريكيّة حتى بعد مرور فترة طويلة على توقّف الدخان عن الانبعاث من ركام برجي مركز التجارة العالميّة.

من وجهة نظر الوليد، لم تكن الحكومة الأمريكيّة هي التي أثارت ضجّة كبيرة بشأن ذلك، وحاول إيضاح ذلك في المقابلات بعد الهجمات بوقت قليل: "تقول الإدارة الأمريكيّة 'حسناً، لدينا 15 إرهابيّاً وهم من السعوديّين لكنّنا لن نعمّم الأمر على كل السعوديّين' غير أنّ اللوبي اليهوديّ اليمينيّ ضغط بشدّة، وبشكل مكثّف، وعدائيّ على وسائل الإعلام في محاولة لاستغلال ذلك من أجل تخريب الصداقة بين المملكة العربيّة السعوديّة والولايات المتحدة. ورغم أنّ العلاقة بين الولايات المتحدة والمملكة ممتازة، إلا أنّها لم تعد كما كانت من ذي قبل. لقد فتح جرح في هذه العلاقة، وهو جرح عميق"

وعند مراقبة ذلك، يشعر الرئيس كارتر بالانزعاج مما يشاهده من تقويض لجانب كبير من العمل الجادّ الذي قام به كوسيط للسلام في المنطقة: "أعتقد أنّ ذلك واحد من المصادر الرئيسيّة لتهديد الإرهاب الذي يشهده العالم اليوم، والذي لم يكن كذلك من قبل. إنّه تطوّر حديث حقّاً. وأعتقد أنّه يجب التوصّل إلى حل لقضايا العدل والعودة إلى السيادة وإنهاء العنف في العراق، بالإضافة إلى المواجهة الفلسطينيّة الإسرائيليّة، وقليل من المواجهات الأخرى المماثلة، بمشاركة تامّة من المجتمع الدوليّ بأكمله – أو البلدان البارزة في العالم. وأعتقد أنّ هذا شيء ستتوصّل الولايات المتحدة إلى الإقرار به مكرهة – إنّها لا تستطيع أن تفعل ذلك بمفردها، وأنّ عليها إشراك الآخرين، بمن فيهم البلدان التي قد لا نكون على توافق دائم معها مثل فرنسا، وألمانيا وروسيا كقوى عظمى، في الجهد المشترك لإحلال السلام هناك"

لقد جاء مسعى لأم الجرح الذي أحدثته هجمات 9/11 من أوساط عديدة. فمع أنّ الغرب على العموم انتقد العرب لأنّهم لم يكونوا صريحين في إدانة هجمات 9/11، فقد صدرت أصوات في المنطقة تدعو إلى الهدوء.

تعتبر ملكة الأردن الجميلة رانيا، زوجة الملك عبد الله، قدوة للعديد من الشبّان لا في بلدها فحسب، وإنما في المجتمع الأوسع أيضاً. فبعد بضعة أسابيع على

وقوع الهجمات، أجرت مقدّمة النجوم ماريا بارتيرومو، في قناة سي إن بي سي (CNBC)، مقابلة معها في برنامجها، ماركت ويك، في شهر تشرين الثاني/نوفمبر 2001. وقد بقيت الأميرة دبلوماسيّة في رسالتها: "أعتقد أنّها كانت صدمة كبيرة بالنسبة لنا. وكان علينا أن ننظر إلى أنفسنا للقيام بعمليّة إعادة تقييم للذات والبحث عن الروح. وفي الولايات المتحدة، كان الناس ينظرون في السياسة الخارجيّة لمعرفة ما الذي يمكن فعله لضمان العدل والإنصاف في العالم. وفي منطقتنا، ننظر في أنفسنا للتحقّق من وجود البيئة الصحيّة التي ينمو فيها شبّاننا، في جوّ من الديمقراطيّة والشفافيّة وتساوي الفرص. وهذه هي الأشياء التي يجب أن ننظر فيها لاستباق أي ظرف يمكن أن يؤدّي إلى نشوء الإرهاب"

بالنسبة للأمير، كان هناك أيضاً القلق مما سيعقب 9/11، وأنّه يخطو اليوم الطريق الصعب بين العالم العربيّ والولايات المتحدة. فقد حاول من جهة تقديم التفاتة صداقة بتبرّعه بمبلغ 10 ملايين دولار لعمدة مدينة نيويورك، رودي جولياني، لكنّه رُفض علناً بعد صدور بيانه الصحفيّ الذي يدعو إلى إعادة النظر في السياسة الخارجيّة الأمريكيّة في الشرق الأوسط. ومن جهة أخرى، ارتفعت مصداقيّته في أوساط المشكّكين في الوطن العربيّ، الذين اعتقدوا أنّه يبيع نفسه للولايات المتحدة من خلال هذا الشيك الكبير. فقد أظهرت تعليقاته التي تشير إلى الوضع الفلسطينيّ والإرهاب للنقّاد في العالم العربيّ أنّه لم ينس القضايا الجوهريّة في المنطقة.

مع ذلك أصبح الأمر يتطلّب الكثير من البراعة بالنسبة لرجل يقسّم مصالحه الماليّة بين منطقتين مختلفتين جدّاً. ففي مقابلة مشتركة مع عدد من المطبوعات العربيّة في تشرين الثاني/نوفمبر 2003، عبّر الأمير عن مخاوفه بشكل مطلق. فقد قال إنّ العلاقة لا تزال دافئة بين قيادتي الولايات المتحدة والمملكة. وقد شهد ذلك شخصياً عندما حضر الاجتماع بين الرئيس جورج دبليو بوش ووليّ العهد الأمير عبد الله، في فندق فور سيزنز الذي يمتلكه في مدينة شرم الشيخ المصريّة. لكن رغم أنّ الوليد يعتقد بأنّه لن يسمح لأسامة بن لادن أو القاعدة بتخريب العلاقة بين البلدين على مستوى القيادة، فإنّ الأمر قد يكون مختلفاً على مستوى المواطنين العاديين: "الرأي العامّ الأمريكيّ، والكونغرس، ووسائل الإعلام سيذكرون دائماً أنّ

السعوديّين شاركوا في ما حدث في 11 أيلول/سبتمبر، وقد زدنـا الأمـر سـوءاً بالادّعاء بأنّ السعوديّين غير قادرين على شنّ مثل هذه العمليّات بمفردهم، لـذا لا بدّ أن تكون إسرائيل المذنب الحقيقيّ"

من السهل جدّاً على العالم العربيّ الإشارة بصورة تلقائيّة بأصابع الاتّهـام إلى الإسرائيليّين، كما أضاف شارحاً: "علينا أن نتقبّل الواقع بأنّ 15 إرهابيّاً سـعوديّاً ارتكبوا عملاً إرهابيّاً شنيعاً ضدّ الولايات المتحدة، وعلينا الإقرار بأنّ هذا العمل لن يمحى بسهولة من الذاكرة الجماعيّة أو من كتب تاريخهم"

وعندما سئل عن سرّ إعجابه بالولايات المتحدة، أجاب الوليد: "لأنّها أهـمّ بلد في العالم. كما أنّ علاقتنا بالولايات المتحدة علاقة استراتيجيّة، منذ اللقاء الذي جرى بين الملك عبد العزيز والرئيس روزفلت في البحيرات المرّة في العام 1945. إذا كان لدى الأمريكيّين مطالب لا يمكننا تلبيتها، علينا عندئذ أن نقيم حواراً معهـم. وعلينا ألا نتركهم يستمعون إلى أعدائنا فقط"

إذاً كيف تابع مساره كمستثمر دوليّ محترم ويحظى بقيمـة عاليـة – أكـبر مستثمر أجنبيّ في الولايات المتحدة – وبناء سمعته الطيّبة على جبهـة الـوطن في الوقت نفسه؟

أولاً، أعلن الوليد على الملأ وبشكل واضح أنّه مستثمر على المدى الطويل في الولايات المتحدة.

في أعقاب 9/11 و"الحرب على الإرهاب" التي أعلنها الرئيس بوش، تلقّـت الاستثمارات في الولايات المتحدة ضربة حادّة – لا سيما بالنسبة لشـخص مثـل الأمير، حيث يعتبر أكبر مستثمر أجنبيّ في البلد – لكنّه أكّد أنّه هناك ليبقى.

غير أنّ الأمير أعرب عن قلقه عندما أعلن الرئيس بوش أنّ الذين "ليسوا معنا هم ضدّنا"، معتقداً أنّ ذلك يقدّم الوقود لحجج المتطرّفين والمرتابين بأنّ أمريكا بلد ديكتاتوريّ وبالتالي عدوّ.

صار الضغط الآن موجّهاً إلى العالم العربيّ لكي يعـالج مشـاكله السياسـيّة والاجتماعيّة. وكان بوسع الوليد أن يشعر بأنّ حرارة الصحراء في الرياض أخذت تشتدّ قليلاً.

بُرّأت ساحة المملكة العربيّة السعوديّة إلى حدٍّ ما من ناحية علاقتها المزعومة بأسامة بن لادن، عندما بدأ مؤيّدوه يهاجمون العاصمة السعوديّة بسلسلة من التفجيرات القاتلة – وكثير منها تفجيرات انتحاريّة. وقد أدّى أحدها، في أيار/مايو 2003 ضدّ مجمّع سكنيّ أجنبيّ إلى مقتل 34 شخصاً، بمن فيهم غربيّين، وسعوديّين، ومواطنين عرباً. وكشف أنّ الأهداف في المملكة صارت تنتقى الآن بصرف النظر عن إمكانيّة ضرب المدنيّين. وقد خرج الوليد بعد ذلك الحادث ليقول: "حان الوقت لكي نواجه الحقيقة بشكل مباشر. ليس هناك حاجة للتسويف، ولا مجال للخطأ. علينا الاعتراف بهذه المشكلة. علينا الاعتراف بأنّنا نعاني من مرض يدعى الإرهاب. لم يعد هناك أي شكّ بشأنه"

وهاجم الوليد الفكرة القائلة إنّ المملكة العربيّة السعوديّة تموّل ابن لادن والقاعدة وتدعمهما، مشيراً إلى أنّ تلك المجموعة المتطرّفة لم تهاجم أهدافاً أمريكيّة وغربيّة فقط، بل أهدافاً سعوديّة أيضاً، وأعلنت أنّ إسقاط العائلة المالكة هو أحد أهدافها: "إذا لم تكن تلك دعوة لكي نستيقظ، فلن نستيقظ قطّ! يجب استئصال التطرّف من جذوره الآن – وليس غداً"

ثانياً، في سعيه إلى إظهار موقفه المحايد بجلوسه عند الخطّ الفاصل بين الشرق والغرب، أوضح الأمير أن ليس لديه شيء ضدّ اليهود. وأنّه طالما كان منفتحاً على عقد اتفاقات على مستوى عالٍ مع رؤساء الشركات المهمّة، رغم أنّهم يهود. ويلام معظم العرب على انحيازهم الأعمى، لا سيما عندما يعتبرون أنّ كل شخص مؤمن بالديانة اليهوديّة مؤيّد للسياسات التي تمارسها إسرائيل تجاه الفلسطينيّين.

كانت المرّة الأولى التي يجابه فيها باحتمال أن يمثّل ذلك مشكلة عندما كان سيلتقي برئيس مجموعة فنادق فور سيزنز، إيسادور شارب، لأوّل مرّة. وعندما قدم شارب لعقد محادثات على متن يخت الأمير الراسي قبالة كان في أواخر صيف 1994، أبلغ الوليد مباشرة أنّه قلق من هذا الاجتماع: "أوضحت له أنّني يهوديّ وأنّ لدي ارتباطات بإسرائيل. فإذا كان ذلك يمثّل مشكلة يجب ألا نبدأ في المقام الأول"

فهم الوليد القلق الذي يشعر به شارب بسبب ابتعاد رجال الأعمال العرب

عن عقد اتفاقات مع اليهود - بصرف النظر عن أي ارتباط حقيقيّ لهم بإسرائيل. فأوضح الأمير بأنّ ذلك لا يقلقه البتّة. بل عندما سأله صحافيّ عربيّ عن حقيقة علاقته بشارب، انبرى الوليد للدفاع عنه على الفور: "إنّ إيسي شارب لا يدعم السياسة الإسرائيليّة الراهنة. إنّه يهوديّ، لكنّه يؤيّد بقوّة الحاجة إلى إيجاد حل للأزمة بين الإسرائيليّين والفلسطينيّين على أساس دولتين تعيشان جنباً إلى جنب بسلام. وهو يقبل منح الفلسطينيّين حقوقهم. وليس لديه علاقة بحكومة شارون. إنّه يهوديّ معتدل، وعلينا بناء الجسور مع هؤلاء"

وطُرح على الوليد سؤال مماثل عند التعامل مع بول ريخمان في مشروع كناري وارف، على متن يخت الأمير قبالة كان. في هذه المناسبة، سأل أحد مساعدي ريخمان الوليد أثناء لحظة خصوصيّة هادئة إذا ما كانت المعتقدات اليهوديّة العميقة لقطب الأعمال الكنديّ تقف في طريق أعمالهما المشتركة. يروي الوليد هذه الحادثة دائماً وهو يضحك، قائلاً إنّه أبلغ المساعد أنّ ريخمان يهوديّ "أرثوذكسي وأنّه مسلم "أرثوذكسيّ"(*)، لذا فإنّ كلينا أرثوذكسيّ في الواقع. فما المشكلة في ذلك؟

وقد كان تعليق ريخمان بعد عقد الاتفاق: "إنّه تقليديّ ومتديّن، ومع ذلك عصريّ"

وفي الدفاع عن تلك العلاقة مع ريخمان، أبلغ الوليد وسائل الإعلام العربيّة: "إنّه يهوديّ متديّن، لكنّه لا يتعاطى السياسة البتة"

يرأس ساندي ويل، وهو يهوديّ بارز آخر، مجموعة سيتي، ولديه صداقة وثيقة مع الوليد. بل إنّ ويل وزوجته زارا مخيّم الوليد في الصحراء خارج الرياض حيث يقضي عطلات نهاية الأسبوع لكي يتعرّفا على الثقافة البدويّة من جذورها: "طالما اشترك الوليد في الأعمال مع كل من يعتقد أنّ من المناسب العمل معه، من لديه الأخلاق وقواعد السلوك المناسبة، بصرف النظر عن دينه. لكنّني لم أجد أنّ ذلك يمثّل مشكلة. إنّني يهوديّ لكن ليس لدي أي مشكلة. ذلك تبرير عظيم لكنّني أعتقد أنّ الأمر يزول مع الثقافة"

(*) تعني كلمة أرثوذكسي قويم المعتقد أو مستقيم الرأي.

كانت زيارة ويل للصحراء مشهودة، إذ قبل ذلك ببضع سنوات، بعد توقيع اتفاق يورو ديزني مع مايكل إيسنر، أثيرت خلفيّة رئيس ديزني اليهوديّة في الصحافة. وقد انزعج إيسنر من أنّه لن يسمح له بزيارة المملكة العربيّة السعوديّة بسبب دينه. ويروى أنّه أرسل فاكساً إلى الوليد يعبّر فيه عن غضبه من هذه المعلومات. ولتبديد هذه المخاوف، طمأن الأمير إيسنر بأنّ لديه دعوة مفتوحة لزيارة المملكة.

حاول الوليد أن يشرح ما بدا أنّه انفصام في الشخصيّة في صداقته مع رجال أعمال يهود من جهة، ودعمه الواضح للقضيّة الفلسطينيّة من جهة أخرى: "ليس لديّ مشكلة مع اليهود. مشكلتي هي مع الصهيونيّة التي تسعى إلى تدمير الوجود الفلسطينيّ في فلسطين"

ويتابع الوليد قائلاً إنّ من غير المنصف رؤية من يرغب في العمل مع الجانبين بأنّه يمتلك "شخصيّة منفصمة"، في حين أنّه يحاول جاهداً أن يكون بمثابة جسر عبور بين مجتمعي الأعمال.

يعتبر رئيس تحرير صحيفة "عرب نيوز" على غرار الوليد تقدّميّاً ومؤيّداً للإصلاح في السعوديّة، وهو لا يرى غضاضة في تعامل الوليد مع اليهود: "لقد تزوّج النبيّ محمّد صلى الله عليه وسلّم من يهوديّة، لذا الأمر ليس حدثاً كبيراً. أعني أنّ علاقتنا معهم قائمة منذ أيام النبيّ صلى الله عليه وسلّم. وهناك صحافيّون يهود يكتبون لصحف عربيّة، وهناك يهود يتظاهرون في فلسطين وفي لندن وفي روما احتجاجاً على السياسات الإسرائيليّة، لكن هناك بعض العرب الذين يترعجون من تعاملنا مع اليهود"

من المثير للاهتمام، كما يقول المعينا أنّه منذ مجيء جورج دبليو بوش إلى السلطة، حدثت ردّة فعل من العرب ضدّ مواطنيهم الذين يقيمون أعمالاً مع الأمريكيّين أشدّ من تلك التي حدثت ضدّ من يتعاملون مع اليهود.

"إنّهم يسألون، 'لماذا تتعاملون مع الأمريكيّين عندما يقف هؤلاء الأمريكيّين ضدّ طموحاتنا'، حدث ذلك عندما حصلت الهجمات في الضفة الغربيّة المحتلة، وقدّم السيّد بوش الدعم الأمريكيّ عندما سمّى شارون 'رجل السلام' لم يتمّ تقبّل

ذلك، وعانت الكثير من المنتجات والأسماء التجاريّة الأمريكيّة لأنّ هناك أشخاصاً قاطعوا كل المؤسّسات التي تقدّم أيّ منتجات أمريكيّة، من الوجبات السـريعة إلى المشروبات إلى السيّارات. وقد سبّب ذلك خسارة للمصالح الأمريكيّة"

صدام الحضارات

غالباً ما تصوّر المواجهة بين الولايات المتحدة والعالم العربيّ على أنّها صـراع بين المسيحيّين والمسلمين.

إنّ معظم الأشخاص خارج الشرق يغفلون تماماً عن العرب المسيحيّين الـذين يعيشون في المنطقة. فهناك الكثير من الفلسـطينيّين، واللبنـانيّين، والسـوريّين، والأردنيّين على سبيل المثال، من غير المسلمين، لكنّهم يتشاركون المخاوف نفسها مثل مواطنيهم. وتصوّر القضيّة الفلسطينيّة عادة بشكل خاطئ على أنّها صراع دينيّ يقوده المسلمون، في حين أنّها كفاح من أجل استعادة حقوق الفلسطينيّين اللاجئين بأراضيهم وهي قضية تقرّها الأمم المتحدة – بصرف النظر عن معتقدهم الـدينيّ. وكثير من الأصوات الفلسطينيّة البارزة تنتمي إلى الديانة المسيحيّة، مثـل عضـو المجلس التشريعي الفلسطينيّ الدكتورة حنان عشراوي.

بل إنّ وجود هذا التنوّع الدينيّ بين سكّان الشرق الأوسـط قـوّى حجّـة منتقدي نظريّة "صدام الحضارات" التي عبّر عنها المؤلّف صموئيل هنتنغتون في مقالة نشرت بمجلّة "فورين أفّيرز" في سنة 1993.

يقول هنتنغتون فيما يقول:

> فرضيّتي هي أنّ المصدر الأساسيّ للصراع في هذا العالم الجديد لـن يكون في المقام الأول إيديولوجيّاً أو اقتصاديّاً. بل إنّ مصدر الانقسامات الكبرى والصراع بين البشر سيكون ثقافيّاً. ستبقى الدول الأمم الفاعـل الأقوى في الشؤون العالميّة، لكن الصراعات الرئيسيّة ستحدث بين الأمم والمجموعات ذات الحضارات المختلفة. وستشكّل خطوط الصـدع بـين الحضارات خطوط القتال في المستقبل.

ومن بين هؤلاء الصحافي الجريء المعينا، الذي يعارض نظريّـة هنتنغتـون،

ويشعر أنّ تصوير الصراع العربيّ الإسرائيليّ بأنّه صراع بين الإسلام والغرب لا يؤدّي إلا إلى مفاقمة الموقف. ويعبّر عن قلقه من أن يفسد ذلك الشبّان في كلا الجانبين، ويعتقد أنّه لم يعد من السهل على عربيّ مؤيّد لأمريكا مثله أن يكون صوتاً للعقل أمام المشكّكين الشبّان: "عندما يخبرهم أشخاص مثلي أنّ أمريكا بلد عظيم وتؤمن بالديمقراطيّة، يجيبون، 'ماذا تعني بالديمقراطيّة وحقوق الإنسان؟' لقد حُرم ثلاثة ملايين ونصف فلسطينيّ من أرضهم، ويتعرّضون للقتل، وكل ما تفعله أمريكا الحديث عن التفجيرات الانتحارية ونحو ذلك - وكل يوم يسقط قتلى بين الفلسطينيّين. عندما تتحدّثون عن الديمقراطيّة، لماذا تحرمون شعباً من الديموقراطيّة؟'"

راقب المعينا تغيّر الموقف في الشرق الأوسط عندما أطاح جورج دبليو بوش بنظام صدّام حسين. وهو يشعر بأنّ الأمور تدهورت بالفعل بعد 11 أيلول/سبتمبر بالنسبة للسعوديّين، لكنّها لم تقف عند ذلك الحدّ: "إنّ العلاقات السعوديّة الأمريكيّة آخذة في التراجع الآن. وأعتقد بأنّها ستشهد مزيداً من التدهور لأنّ أمريكا ليست في مزاج يمكّنها من الاستماع. ومن المؤسف أنّ تلك المجموعة في أمريكا تظنّ أن بوسعها أن تدوس على شعب دون أن تأخذ طموحات ذلك الشعب وآماله بالحسبان. وغالباً ما أقول للأمريكيّين إنّ المسلم ليس عدوّكم، لكنّهم لا يريدون تصديق ذلك إذ يستهويهم الميل إلى مجموعة من الأشخاص غير المخلصين للمصالح الأمريكيّة في أعماقهم. لقد كان الأمريكيّون حلفاء طبيعيّين للمسلمين، في الحرب الباردة، وفي بغداد، وغيرها. لكن ليس من العدل أن يوصم مليار شخص فجأة بأنّهم أعداء مجموعة معيّنة. لذا أرى أنّ العلاقات بين المملكة العربيّة السعوديّة وأمريكا لن تتحسّن قريباً. الأمر صعب. ففي السنتين أو الثلاث الماضية غرسوا في عقول شعبهم أنّنا أعداؤهم"

آراء الأخبار

يرى رجل الإعلام العالميّ، روبرت مردوخ أنّ المشكلة تكمن في العالم العربيّ أكثر مما تكمن في السياسة الأمريكيّة: "أعتقد أنّ الموقف خطير جدّاً في هذه

اللحظة، لا سيما بوجود مختلف المنظّمات الإرهابيّة التي تأتي من أوساط الجيل الشابّ الذين تدرّبوا على كراهية الغرب - أو الكفّار كما يدعوهم - وينظر إلى أمريكا بأنّها الأبرز والأكثر ازدهاراً. إنّها الهدف الأكثر وضوحاً - مع أنّني أعتقد أنّ هؤلاء يريدون تغيير الشرق الأوسط نفسه ووقف قوى التغيير هناك، وإرجاعهم إلى الحكم الدينيّ في القرن السادس عشر. لذا هناك كثير من التوتّر والتوتر المضادّ، ومن الواضح أنّ الإرهابيّين - إذا جاز لي وصفهم على العموم - الذين أنا على يقين من أنّهم يمثّلون أقليّات في بلدانهم، منقسمون فيما بينهم بين من يريد إسقاط النظام في بلده، وبين من يريد إحداث دمار كبير في الغرب، من خلال الهجمات هنا وفي أمريكا"

تضمّ إمبراطوريّة مردوخ الإعلاميّة نيوز كوربوريشن شبكة الأخبار الأمريكيّة اليمينيّة فوكس (FOX). ورغم الاعتراف على نطاق واسع بأنّ لها آراء محافظة، وأنّها تتزايد حجماً في أوساط المشاهدين اليمينيّين الذين يُدعَون "أمريكا ذات السياسة الوسّطية"، ينكر مردوخ أن تكون منحازة، ويقول إنّ الأمير الوليد، وهو من المستثمرين الرئيسيّين لديه، لم يعبّر له عن مثل هذه المخاوف: "إنّنا نعتقد أنّنا عادلون، فنحن ننشر لكلا الجانبين. ومن الصعب جدّاً أن تأتي بمسلمين بارزين ليقدّموا آراء مختلفة عن الموقف المناهض لأمريكا، لكنّنا نغطّي ذلك حتماً، والوليد يتابع ذلك، و لم تردني أي تعليقات منه بشأن التغطية التي نقدّمها. إنّه رجل ذكي جدّاً. وهو يعرف ما الذي يجري جيّداً، ويهتمّ به كثيراً ليس من مصلحته الماليّة فقط. وهو ليس شخصيّة بارزة جدّاً في المملكة العربيّة السعودية فقط، بل من المهتمّين جدّاً أيضاً بشأن القضايا التي تؤثّر على بلده"

من المثير للاهتمام تفحّص كيف أثّرت وسائل الإعلام على العلاقات العربيّة الأمريكيّة. لقد كان هناك بطبيعة الحال الكثير من الاهتمام منذ تغطية غزو الكويت والهجوم الأمريكيّ الأول ضدّ صدّام حسين في العام 1991، إلى المعركة الثانية والحاسمة بعد ذلك باثنتي عشرة سنة.

أثناء النزاع الأول، اعتمد معظم المشاهدين العرب على محطّة سي إن إن (CNN) الأمريكيّة التي يوجد مقرّها في أطلنطا، جورجيا، من أجل الحصول على

تغطية الأحداث. وقد كانت تغطية صريحة على مدار الساعة، وشاهدها العالم العربيّ على أنّها غير خاضعة للتأثير السياسيّ إلى حدٍّ كبير.

عندما كانت القوّات الأمريكيّة تتجه إلى العراق من أجل المعركة الثانية الأوسع نطاقاً، كانت الصورة الإعلاميّة العربيّة قد تغيّرت تماماً. فقد كان هناك الجزيرة، القناة الإخباريّة المهيمنة الناطقة باللغة العربيّة، التي قدّمت تغطية صريحة من منظور إقليميّ. وإذا كانت هناك أي شكوى ضدّ الشبكة التي تتخذ من الدوحة، قطر، عاصمة لها، فهي أنّها عاطفيّة جدّاً وشديدة التفصيل في تغطيتها، على غرار انتقاد تلفزيون فوكس بأنّه منحاز لوجهة النظر المعاكسة ويقدّم دعماً أعمى للإدارة الأمريكيّة.

وسرعان ما لحقت العربيّة بالجزيرة في العراق، وهي قناة شابّة تفرّعت عن شركة الشرق الأوسط للإرسال، إم بي سي (MBC)، وتوجد استوديوهاتها في مدينة دبي الإعلاميّة بالإمارات العربيّة المتحدة، كما كان هناك منافس مفاجئ، تلفزيون أبو ظبي، حيث تمكّن من مفاجأة الجميع بتغطيته الواسعة من قلب النزاع.

وكان هناك إلى جانب هذه القنوات الثلاث الأساسيّة قنوات وطنيّة أخرى في بلدان الشرق الأوسط المختلفة، وكانت تقدّم صورة مختلفة عن تلك التي تقدّمها القنوات الفضائيّة الغربيّة، التي واجهت من جهتها اتهامات بالتحيّز وبثّ الدعاية.

يعبّر الكاتب الفلسطينيّ المرموق رامي خوري، وهو مسيحي، خلافاً للاعتقاد الخاطئ في الغرب بأنّ الفلسطينيّين مسلمون بأكملهم - عن رأيه في مقالته بصحيفة "ديلي ستار في تشرين الثاني/نوفمبر 2003: "لدينا مشاكل عميقة وجديّة في ساحتين: العقليّة الشرق أوسطية والسياسة الخارجيّة الأمريكية" ويضيف مدافعاً عن السيادة العربيّة في وجه القوّات الأمريكيّة في العراق: "لا تحمل الولايات المتحدة تفويضاً بتحديد ثقافاتنا السياسيّة؛ لقد دعمت الولايات المتحدة الأنظمة الأوتوقراطيّة لمدّة عقود، لذا فإنّ احتضانها المفاجئ للديمقراطيّة يبدو موضع شكّ"

ويوضح معلّق فلسطينيّ مشهور آخر، مروان بشارة، كيف يرى العالم العربيّ الصلة بين الولايات المتحدة وإسرائيل، وكيف أنّ مفهومه عنها سلبيّ. ففي مقالة كتبها في حزيران/يونيو 2003 بعنوان، "إضفاء السمة الإسرائيليّة على السياسة الأمريكيّة"، متفحّصاً وجود القوّات الأمريكيّة في العراق، يقول مروان: "ثمة صورتان نشرتهما صحيفة إنترناشيونال هيرالد تريبيون في اليوم نفسه، 16 حزيران/يونيو، تغنيان عن مجلّدات. واحدة تظهر جنديّاً إسرائيليّاً في الخليل مصوّبا بندقيّته الأوتوماتيكية على المدنيّين وأيديهم مرفوعة في الهواء، والصورة الثانية لجنديّ أمريكيّ يفعل الشيء نفسه في الفلّوجة بالعراق. ولو لم يكن هناك تعليق تحت كل منهما، لما كان بوسعك تمييز الواحدة عن الأخرى"

ويطرح بشارة أيضاً سؤالاً مهمّاً في مقالته: "لا تكلّف إسرائيل أو أمريكا نفسها عناء السؤال عن السبب الذي يحمل الفلسطينيّين ومسلميّ الشرق الأوسط على القيام بهجمات انتحاريّة، وهو أمر لم يشهد له سابقة في الإسلام أو فلسطين منذ 14 قرناً. هل حوّل الاحتلال العسكريّ الإسرائيليّ والسيطرة العسكريّة الأمريكيّة حقول القتل في الشرق الأوسط إلى أرض خصبة للحقد والصراع الذي اتخذ حماسة دينيّة"؟

وبشارة فلسطينيّ مسيحيّ أيضاً.

إنّ كتابات هذين المعلّقين، إلى جانب غيرهما، تفيد بمثابة أدلّة على سبب تنامي الفجوة بين الشعب الأمريكيّ وشعوب الكثير من البلدان العربيّة.

لا يعني ذلك عدم وجود متفائلين. فالأمير خالد بن الوليد بن طلال تعلّم في أمريكا، لكنّه يشعر بانتماء قويّ إلى جذوره السعوديّة. وهو يعتقد أنّ هناك الكثيرين من أمثاله ممن يرون إمكانيّة وجود مسار وسط بين الشرق والغرب: "إنّني متفائل جدّاً بشأن جيلي، لا سيما في المملكة العربيّة السعوديّة. هناك العديد من الأشخاص المتفتّحي العقول الذين تعرّفت عليهم. وثمة مستقبل مزدهر بانتظار المملكة. إنّه وعر في الوقت الحاليّ لكن هناك إيمان كبير أعلّقه على بعض الشبّان المتفانين، والمطلعين، والمهذّبين من أبناء جيلي

ثمة انقسام بين القواعد ويبدو أنّه آخذ في التوسّع، رغم محاولة أفراد مثل والد خالد إبقاء قنوات الحوار مفتوحة.

يعتبر رئيس وزراء أستراليا السابق، بوب هوك، من المجاهرين بالدعوة إلى السلام في الشرق الأوسط، وهو يطالب باتخاذ خطوات قويّة في كلا الجانبين. وهو لا يستطيع أيضاً تقبّل فكرة وقوع نزاع كبير بين الإسلام والغرب: "لقد تناقشت مع صموئيل هنتنغتون بشأن فكرته. وأعتقد أنّها بالغة البساطة. لا أعتقد أنّ هناك صداماً بين الحضارات الآن، لكن يوجد داخل العالم الإسلاميّ صدام بين أناس شرفاء يريدون رؤية إسلام عصريّ من ناحية مقاربته للاقتصاد ومقاربته الروحيّة. وفي مقابل هؤلاء، هناك المتعصّبون الذين يقولون إنّ الإيمان الحقيقيّ الوحيد ينطوي على تدمير شياطين الغرب الذين ظاهروا في الكفر

ومن الزعماء الآخرين المشاركين في حل النزاعات والحوار رئيس الفيليبين الأسبق، فيديل راموس. وهو يشعر أيضاً بعدم وجود فرصة لصدام الحضارتين: "إنّني متفائل بإمكانيّة تطوّر تفهّم أكبر لأنّ هناك تداخلاً كبيراً بين هاتين الحضارتين. أولاً، من ناحية الأخلاق، المسلمون يتمسّكون بالأخلاق بقدر تمسّك المسيحيّين بها. ثانياً، وسيؤدّي التعافي الاقتصاديّ إلى تشارك منافع العالم المتطوّر بصورة أكثر تساوياً. والحل على المدى البعيد هو إزالة أسباب الاستياء الحاصل في القرون الثلاثة الأخيرة"

ثمة مدرسة فكريّة أخرى تعزو نموّ الإرهاب إلى المشكلة التي لامسها راموس. الفقر بالنسبة للعديد من المحللين هو السبب الأساسيّ للتطرّف الدينيّ، وهو الذي يزرع البذور لجيش الناقمين المتحرّرين من الأوهام. ويقول راموس إنّه يعتقد بأنّ العقول المدبّرة للإرهاب هم شبّان أذكياء ينتمون إلى الطبقة المتوسّطة والعليا، والذين لديهم أجندة يروّجون لها، وهم يستطيعون في ظروف الفقر وانعدام المساواة تجنيد المعدمين لتحقيق غايتهم باسم الدين، ولو إلى درجة التحوّل إلى مفجّرين انتحاريّين.

لقد صنع الرئيس الأسبق للولايات المتحدة، والحائز على جائزة نوبل للسلام، جيمي كارتر، اسمه كصانع سلام وكمفاوض عالميّ. وهو وفريقه في مركز كارتر،

الذي يتخذ من أطلنطا، جورجيا، مركزاً لهم يجوبون العالم حاملين معهم مجموعة من القضايا، تمتد من الفقر إلى انعدام الاستقرار السياسيّ. وهو يرى أنّ الانقسام بين الأمم حدث على ثلاثة مستويات متميّزة: بين الأغنياء والفقراء، وبين الأديان، وبين الشرق والغرب: "الانقسام بين الأغنياء والفقراء ليس انقساماً بين الشرق والغرب على وجه التحديد، ولكن بين البلدان الأغنى في الشرق الأوسط، وهي التي تمتلك النفط، والغرب وأوروبا والولايات المتحدة، وربما اليابان. وأنا أسمّيها الأمم الشماليّة الغنيّة مقارنة بالأمم الجنوبيّة الفقيرة... لكنّه بين الشرق الأوسط والعالم الغربيّ من الناحية الإثنيّة والدينيّة"

لكن ثمة بعض المفاهيم الخاطئة الأساسيّة التي تلعب دوراً كبيراً في هذا الانقسام، وفقاً للمعينا: "هناك الكثير من الأشخاص في أمريكا الذين لا يعرفون أنّ المسلمين يؤمنون بيسوع المسيح. وليس من الممكن لأحدهم أن يؤلّف كتاباً، مثل كتاب السيّد سلمان رشدي، عن المسيح لأنّنا نؤمن بقدوم المسيح، إنّنا نؤمن بأنّه سيبعث وسيقود ويقاتل، إذاً أين يكمن الاختلاف؟ إنّ الذين يعارضون السلام يحاولون أن يبعدونا عن جذورنا اليهوديّة المسيحيّة. إذا قرأت القرآن وقرأت الإنجيل، تجد أنّ معظم قصص الأنبياء متماثلة بنسبة 95 بالمئة، لكنّنا نرتدي ثياباً مختلفة، أو نتحدّث لغة مختلفة، أو بعضنا يرتدي العمائم. أما فيما يتعلّق بالمبادئ – الخطأ والصواب – فإنّ الأخيار سيثابون، والأشرار سيعاقبون فيما بعد. والمسلمون والمسيحيّون واليهود يؤمنون بذلك"

أرضيّة مشتركة

يوضح الأمير الوليد أمراً واحداً عندما يدعو إلى الإصلاح في بلده، وهو أنّ التحديث لا يعني النقل الأعمى عن أمريكا في كل الدروب: "إنّني أؤيّد التغيير في مجتمعي لكنّني مع المحافظة على الجذور الإسلاميّة هنا. إنني أدعو إلى المحافظة على التراث الإسلاميّ هنا، ولا أريد تغيير ذلك. لكن اتفق أنّ بعض النقاط التي أدعو إليها تتطابق مع ما تدعو إليه الولايات المتحدة والغرب، واتّفق أنّ الكثير من السعوديّين يدعون إليها أيضاً"

تشتهر أم الوليد، الأميرة منى، بآرائها وأفكارها المستقلّة، كما يمكن أن تتوقّع من ابنة رياض الصلح، أول رئيس وزراء للبنان بعد نيل الاستقلال. مع ذلك تعبّر عن قلقها مما تعتبره تأييد ابنها الواضح للولايات المتحدة: "إنّه يقول أشياء جيّدة عن الولايات المتحدة، وهذا ما يقلقني. إذا لم يمتدح أمريكا فإنّ الأمريكيّين لن يكرهوه لأنّه يساعد الفلسطينيّين بالمشاريع الخيريّة والإنسانيّة"

تتركّز مخاوف الأميرة منى على الموقف السائد المعادي لأمريكا في الشرق الأوسط، لا سيما في أعقاب الهجوم الأمريكيّ على العراق، الذي أدى فعليّاً إلى قلب نظام صدّام حسين المتمتّع بالسيادة. وهي تخشى من أنّ يعاني ابنها من المشاعر المعادية نفسها التي يظهرها العرب ضدّ أمريكا، بسبب ارتباطه الوثيق بها.

لقد شهدت الأميرة بشكل مباشر عواقب المجاهرة بالرأي. فقد كان زوجها السابق، والد الوليد، الأمير طلال، من أكثر دعاة الإصلاح صراحة في المملكة العربيّة السعوديّة في الستينيّات، ونتيجة لذلك تعرّض للنفي والعزلة لبضع سنوات من قبل الأسرة الحاكمة، إلى أن تصالح مع الملك. غير أنّ الأميرة منى تقرّ الطريقة التي يحاول ابنها أن يظهر نفسه بها كرجل شعبي في المملكة والمنطقة، وكجسر بين الشرق والغرب. وبسلوكه هذا النهج، تشعر بارتياح أكبر إلى موقفه من الشؤون الغربيّة: "إنّه يقوم بالكثير من الأعمال الخيريّة ما يساعده بالحصول على بعض التأييد. وأنا فخورة بأنّ طلال والوليد يجاهران بتأييد الإصلاح"



12

إقامة جسر بين الشرق والغرب

"للأسف يسود أوساط الكثير من الغربيّين نقص كبير في المعرفة ودرجة كبيرة من الجهل فيما يتعلّق بالعالم العربيّ، والشعوب العربيّة أو الإسلاميّة... وتلك مأساة".

جيمي كارتر، الرئيس الأسبق للولايات المتحدة

كانت غلطة سهلة.

نادراً ما يتاح لمعظم قادة شركات الأعمال من الولايات المتحدة مشاهدة العالم على حقيقته، وينطبق الأمر أيضاً على النسبة الصغير منهم الذين يجوبون العالم على نطاق واسع. إنّها البيئة النظاميّة المرفهّة في رحلات درجة رجال الأعمال، وفنادق الخمس نجوم، والاجتماعات مع أناس آخرين من مستوى رفيع في غرفة اجتماعات يمكن أن تكون في أي مكان.

التناغم هو السائد بالنسبة للنخبة من رجال الأعمال الأمريكيّين. لا نريد مفاجآت من فضلكم.

ولا يدخل العالم الحقيقيّ ومشاكله العديدة إلا عبر المساحة السطحيّة المحدودة لشاشة التلفزيون. ونادراً ما يمرّ أحدهم بتجربة القواعد الشعبيّة الحقيقيّة.

لذا في نهاية العام 1999، عندما قرّر رؤَساء ديزني إنشاء معرض في حديقة الملاهي بولاية فلوريدا، يظهر القدس بأنّها عاصمة إسرائيل، لم يكونوا يعرفون الكثير عمّا يمكن أن يطلقوه.

لقد ضمّت إسرائيل القدس الشرقيّة منذ أن احتلّتها إثر حرب العـــام 1967، وادّعت أنّ المدينة بأكملها هي عاصمتها الطبيعيّة.

اعتبر الفلسطينيّون النزاع على المدينة أحد القضــايا الرئيســيّة في محادثــات السلام، ورأوا أنّ القسم الشرقيّ من المدينة يجب أن يكون عاصــمة دولتــهم في المستقبل.

وعندما اكتُشف ما تعتزم ديزني القيام به، امتلأت أروقــة الأمــم المتحــدة بالدبلوماسيّين العرب الذين ثار غضبهم وطالبوا بمقاطعة واســعة لهــذه الشــركة الأمريكيّة العملاقة.

وثارت ثائرة جامعة الدول العربيّة.

سرعان ما وجد مديرو ديزني أنفسهم في وضع إدارة الأزمة، وأوضــحوا أنّ احتفالات الألفيّة التي تعرض قرية الألفيّة لن تظهر، كما ورد في التقارير، القــدس كعاصمة سياسيّة لإسرائيل. لكنّهم واجهوا بعض التشكيك علــى الــرغم مــن تراجعهم. وهدّدت بعض البلدان في الشرق الأوسط بوقف التعامل مــع الشــركة الأمريكيّة بأي شكل من الأشكال.

لم تكن تلك أفضل طريقة يبدأ بها ميكي ماوس الألفيّة الجديدة.

في نهاية المطاف، طُلب من رئيس ديزني، مايكل إيسنر، الاتصال بالأمير الوليد ابن طلال طلباً للمساعدة. وعندما توجّهت وسائل الإعلام إلى الأمير، دافع عــن الشركة موضحاً بأنّه سيتشاور مع إيسنر بشأن الحل، ومشدّداً على أنّ إيسنر طمأنه أن ديزني تعمل في مجال التسلية لا السياسة.

"إنّ المقاطعة العربيّة لديزني ستلحق الضرر بالعرب أكثر مما تلحقه بــديزني. وسوف يرتدّ الأمر عليهم"، وشدّد على القول إنّ ذلك "قرار غير حكيم"

كان يمكن أن تلحق المقاطعة ضرراً كبيراً بالأمير في نهاية المطاف، فقد احتفظ باستثماره الكبير في يورو ديزني منذ العام 1994، على أمل أن ترتفع قيمتــه ذات يوم.

لا شكّ في أنّ إيسنر كان سعيداً في المساعدة التي قدّمها الأمير لتهدئــة الموقــف وحل القضيّة في النهاية: "إنّ مشكلتي هي أنّني لا أملك تجربة كبيرة مع العالم العربيّ...

أعرف أنّ هناك مشاكل جوهريّة وقد كان الوليد مفيدّاً جدّاً وكذلك الأمير بندر، السفير السعوديّ في الولايات المتحدة، وأوضحا لي مقدار قربنا – من الناحية العرقيّة وقربنا أيضاً من الناحية الثقافيّة. وقد شعرت بالراحة للحصول على النصح. تلقّيت النصح من هنري كيسنجر، ومن الأمير بندر، وتلقّيت النصح من الأمير

أثبت الوليد أنّه يمتلك الأسلوب المثاليّ المتوازن لحلّ المشكلة لأنّه تعامل بالفعل مع الحساسيّات العربيّة الإسرائيليّة في عمله مع العديد من رجال الأعمال اليهود الكبار، بمن فيهم رئيس فور سيزنز، إيسادور شارب: "إنه يظهر كيف أنّنا متقاربون، لدينا المصالح نفسها من حيث رغباتنا الرئيسيّة في الحياة والأعمال، رغم أنّني يهوديّ وهو عربيّ. قلت له إنّك عندما تعمل مع الآخرين فإنّك تمدّ جسور السلام معهم لأنّ الطريقة الوحيدة لكي يجتمع الناس معاً هي أن يواجه بعضهم بعضاً ويروا بعضهم بعضاً، لذا أعتقد أنّ هذا ما تمكّن من القيام به على المستوى العالميّ"

وسواء اختار الأمير ذلك أم لا، فإن مكانته كواحد من أقوى رجال الأعمال في العالم جعلته أشبه بالجسر الثقافي بين الشرق والغرب.

عند الخط الفاصل

التلفزيون وسط قويّ جدّاً.

قبل أن يصبح قوّة على المستوى العالميّ، منذ نهاية الثمانينيّات تقريباً، كان معظم الناس في معظم البلدان يفتقرون إلى المشاهدة الحيّة لما يجري في مختلف المناطق. وكان راديو هيئة الإذاعة البريطانيّة، الذي يستمع إليه مئات الملايين، أقرب ما يكون إلى المصدر الإخباريّ الدوليّ، لكنّه مع ذلك لم يكن له التأثير نفسه الذي يحظى به فيلم التلفاز عندما أصبح متوفراً عن طريق الأقمار الاصطناعيّة.

كانت قناة سي إن إن (CNN) الأمريكيّة هي الرائدة في هذا المجال بتغطيتها الأحداث، مثل انتفاضة ساحة تيانانمين في الصين في العام 1989، ثم حقّقت هيمنتها من خلال التغطية غير المسبوقة للغزو العراقيّ للكويت في العام 1990، وما تلاه من عمل عسكريّ بقيادة الولايات المتحدة لطرد قوات صدّام حسين بعد ذلك ببضعة أشهر في العام 1991

ومنذ ذلك الحين، ازدحمت الموجات الهوائيّة، أو بالأحرى "موجات الأقمار الاصطناعيّة" بشبكات جديدة وشديدة التأثير. وأهمّ ما في الأمر وصول شبكات تخدم منطقة معيّنة أو قاعدة محدّدة من الجمهور.

كانت قناة الجزيرة العربيّة التي أطلقت في العام 1996، من دولة قطر، من القنوات التي تحدّت بصورة جذريّة العقليّة الغربيّة للاعبين الفاعلين العالميّين القائمين. ويعتقد مديرها الإداريّ وضّاح خنفر أنّ قناته لم تقدّم نظرة مختلفة عن تلك التي تقدّمها القنوات الأمريكيّة والبريطانيّة فحسب، بل أعطت أيضاً العالم العربيّ فرصة ليتفحّص نفسه بشكل نقديّ أكثر: "لم نتمكّن منذ عقود من رؤية أنفسنا إلا من خلال وسائل الإعلام الغربيّة. وعندما جاءت الجزيرة وانطلقت، بدأنا نرى أنفسنا والعالم بعيون عربيّة"

ويعبّر مراسل هيئة الإذاعة البريطانيّة للشؤون الدوليّة الذي يحظى باحترام كبير، جون سمبسون عن آرائه بصراحة في هذا الموضوع: "إنّ تلك الفكرة بأنّ على شعب ما في منطقة ما أن يرى نفسه من خلال الصورة التي ترسمها له ثقافة غريبة تماماً هي أمر غير مقبول. إذا استخدمنا المصطلحات الاستعماريّة القديمة نفسها، فمن الممكن ألا يشاهدنا أحد. ولماذا يهتمّون"؟

ويشير خنفر إلى أنّ قناته، واللاعبيّن الجدد مثل قناة العربيّة، لا تتبع خطوط المجاملة التقليديّة غير المثيرة للمشاكل التي تفضّلها معظم وسائل الاعلام العربيّة. "بدأنا بقضيّة التحدّث عن كثير من المحرّمات في العالم العربيّ، نتحدّث عن القضايا السياسيّة والمشاكل الاجتماعيّة بل وحتى الاقتصاديّة، ونتحدّث عن القضيّة الفلسطينيّة. وكنّا أول محطّة تلفزيونيّة تقدّم متحدّثاً رسميّاً إسرائيليّاً - بلغته"

أزعجت الجزيرة الجميع... لكن هناك العبارة الشائعة في أوساط الصحافيّين، "إذا كنّا نزعج الجميع، فلا بدّ أنّنا نفعل الصواب"!

أدانت الإدارة الأمريكيّة الجزيرة بشكل مستمرّ لتغطيتها الصريحة لعمليّاتها العسكريّة في أفغانستان ثمّ في العراق في أعقاب الهجمات الإرهابيّة التي وقعت في 11 أيلول/سبتمبر.

وعلى الجبهة المحلّيّة، نأت العديد من البلدان العربيّة بنفسها عن الجزيرة من الناحية التجاريّة بسبب صراحة تغطيتها الإقليميّة، رغم أنّها تبقى مصدراً إخباريّاً شهيراً.

والأمر المثير للاهتمام هو أنّ هذه هي بالضبط المشكلة التي يواجهها الأمير الوليد بن طلال عند محاولته إقامة جسر بين الشرق الأوسط والغرب. فعليه أن يوضح بلباقة الموقف الأمريكيّ لشعوب منطقته، ويدافع عن بعض أوجه القيم الثقافيّة وأنماط العيش الغربيّة على الأقلّ: "لا يمكننا أن نعادي الغرب من أجل معاداة الغرب. لكن هناك للأسف بعض الأشخاص في العالم العربيّ ممن يعادون الغرب بسبب بعض الأمور السيئة الموجودة هناك، لكن ثمة كثير من الأشياء الجيّدة في الغرب التي علينا أن نتبنّاها، وأنا لا أشعر بالأسف في الدعوة إلى ذلك والتحدّث عنه بصورة علنيّة"

وعلى الأمير في الوقت نفسه إقناع الشعب والقيادة في الولايات المتحدة بأنّ الصورة النمطيّة عن العرب والمسلمين ليست غير عادلة فحسب، وإنّما خطيرة جدّاً لأنّها تثير الاستياء في كلا الجانبين.

ويؤيّده في هذا الموقف الرئيس الأمريكيّ الأسبق، جيمي كارتر: "إنّ الاعتقاد المتأصّل لدى العديد من الغربيّين بأنّ الفلسطينيّين شعب عنيف أو أنّ الإسرائيليّين شعب عنيف اعتقاد خاطئ تماماً، لكن هذا هو الموقف الذي على بعض القادة في كلا الجانبين مواصلة السعي لتحقيقه، وأعتقد أنّ الأمير الوليد من الأشخاص الذين ثابروا على محاولة الدعوة إلى السلام والاعتراف بدولة إسرائيل من قبل البلدان العربيّة، من جهة، والانسحاب الإسرائيليّ من الأراضي المحتلة ومنح العدل والسلام للفلسطينيّين من جهة أخرى. لذا أعتقد أنني أشاركه في ذلك من كل أعماقي

غير أنّ الوليد يشدّد في أنّ على العالم العربيّ أن يفعل المزيد لنفسه. فصورة العديد من الحكّام العرب ليست مقبولة في العالم الغربيّ، وصدّام أحدهم، وكذلك معمّر القذّافي في العقدين الماضيين.

في نهاية العام 2003، بدّل القذّافي نهجه واختار المشاركة مع الغرب بدلاً من المواجهة. وقد قام بخطوتين كبيرتين في هذا المجال، الأولى في آب/أغسطس عندما

قبلت ليبيا المسؤوليّة عن تفجير طائرة الركّاب بانـام فـوق مدينـة لـوكربي في اسكتلندا، والثانية، قرار القذافي في كانون الأول/ديسمبر بالتخلّي عـن أسـلحة الدمار الشامل والسماح للأمم المتحدة بالتفتيش عن الأسلحة في بلاده.

وقد تمّ الترحيب به على نطاق واسع في الدوائر الدوليّة. وكان الأمـير قبـل ذلك، وتحديداً في سنة 2001، صريحاً بشأن علاقته بالزعيم الليبيّ، كما أنّه سعى في ذلك الوقت إلى إقامة مشاريع في ذلك البلد. ورغم مخاطر التعـرّض للانتقـاد في الغرب، لم يفكّر الوليد في التخلّي عن تلك العلاقة، كما أوضح مـدير العلاقـات والإعلام: "الأمير عربي والقذافي عربيّ. ولا يمكنك أن تفصل بين العرب. ربما كان للقذافي بعض المشاكل مع الغرب، لكنّ ذلك شأن يخصّ القذافي ولا يخصّنا، فيمـا يتعلّق بالأمير. وطالما نظر الأمير إلى نفسه على أنّه جسر بين الشـرق والغـرب. وإقامة الأمير علاقات ممتازة مع الغرب لا تعني أنّه لا يستطيع أن يقـيم علاقـات ممتازة مع القذافي. فهذه لا تستبعد تلك أو العكس. كما انّـه لا توجـد لـدينا تعاملات مع القذّافي يمكن أن تثير شكوك أحد. إنّنا منفتحون جـدّاً. لقـد قـدم الليبيّون ليستثمروا معنا في الفنادق، وفي مشروع زراعيّ في مصر. هـذه ليسـت مشاريع في الخفاء، إنّها مشاريع قائمة على الأرض - لا شيء يثير القلق - ونحـن شفّافون بشأنها"

يقول الوليد إنّ القذافي فكّر في العزلة الطويلة التي تعرض لها من قبل الغـرب بسبب العقوبات، وقرّر التعامل مع المشكلة بطلب مساعدة الأمير في وصـل مـا انقطع: "أعتقد أنّ ذلك جاء عندما كانت تجري مباحثات سريّة للتعـويض عـن عائلات لوكربي (تفجير طائرة بانام في سنة 1989). في ذلك الوقت كانوا يريدون المساعدة في تغيير تلك الصورة الملطّخة في الغرب. وقد تمكّنوا من تحقيـق ذلـك بأنفسهم، لكن إذا كان بوسعنا المساعدة، فلمَ لا"

في السنوات الأخيرة، صار الأمير أكثر صراحة بشأن ضرورة قيـام العـرب بالمزيد من أجل أنفسهم. ففي حديثه في إحدى المناسبات العامّة النادرة أمام منتدى دبيّ الاستراتيجيّ في تشرين الأول/أكتوبر 2002، قال الوليد: "يجب أن يشـارك القطاع الخاصّ العربيّ بقوّة في إطلاق حوار يصل إلى الجمهور الأمريكيّ ويظهـر

الصورة الحقيقيّة للعرب والإسلام، والمملكة العربيّة السعوديّة التي تـأثّرت سلباً بأحداث 11 أيلول/سبتمبر. فتحسين صورتنا يساهم في تقويض الخطط التي يعتمد عليها المتطرّفون لتبرير أعمالهم"

العودة إلى المدرسة

في مسعى لخفض مشاعر الاستياء من الولايات المتحدة، حاول الوليد تشجيع الفهم الأفضل بتمويل عدد من برامج الدراسة الأمريكيّة في العالم العربيّ. ففي بداية العام 2003، تبرّع بمبلغ 10 ملايين دولار إلى الجامعة الأمريكيّة في القاهرة، وهي مؤسّسة مرموقة أنشئت في العام 1919، وتقدّم خدماتها إلى نحو 4500 طالب. استُخدم المبلغ لتمويل مركز للدراسات والأبحاث الأمريكيّة في مبنى كليّة العلوم الاجتماعيّة والدراسات الإنسانيّة بحرم الجامعة الجديد. وكانت الجامعة قد انتقلت إلى ضاحية سكنيّة جديدة شرق القاهرة لتخفيف المصاعب التي يواجهها الطلاب في الدراسة في وسط العاصمة الشديد الازدحام. وسيكون بإمكان الذين يدرسون في المركز بالمبنى الجديد تفهّم المجتمع والسياسة الأمريكيّين بشكل أفضل.

وفي شكر الأمير على جهوده، قال السفير الأمريكيّ في مصر، ديفيد ولش، الذي عيّن مساعداً لوزيرة الخارجيّة الأمريكيّة مؤخّراً: "من الصعب علينا في بعض الأحيان أن نفهم بعضنا بعضاً، وهناك مفاهيم خاطئة خطيرة جدّاً موجودة في كلا الجانبين. ورغم سرعة المعلومات وانتشار التكنولوجيا، وربما بسبب ذلك، استمرّت هذه الثغرات، بل يرى البعض أنّها ازدادت اتساعاً"

وأضاف السفير أنّه يتفق مع الأمير في ما قاله عن أنّ الكثير من العرب يعتقدون بأنّهم يعرفون أمريكا، وأنّ "الإلمام بزخارف الثقافة الأمريكيّة... ولّد وهماً بالمعرفة. إنّ العلاقة بين العالم العربيّ والولايات المتحدة مهمّة جدّاً لكلا الطرفين بحيث لا يمكن السماح ببقاء الأمور على حالها"

في أعقاب هذه الهبة، بدأت الجامعة الأمريكيّة في القاهرة تفكّر في مبادرات تضمّ برامج متبادلة بين الطلاب والمحاضرين، بالإضافة إلى مشاركة القاعدة الشعبيّة الأعمق من أجل تحسين الفهم المتبادل، وذلك أمر حاسم كما يعتقد الأمير "لا

يمكنك بالطبع إبقاء كل شيء على المستوى الأعلى، لأنّك ستأخذ القشور ولن تصل إلى الجذور الحقيقيّة للمجتمعين. عليك أن تبدأ في مكان ما، وقد بدأت في العالم الأكاديميّ، وعالم السياسة، ولا يمكنني القيام بذلك بمفردي. إنّني بحاجة إلى أشخاص في كلا المجتمعين، أحتاج إلى شركاء من كلا الجانبين لمساعدتي في سدّ هذه الفجوة"

وفي الفترة نفسها تقريباً التي تبرّع فيها الوليد بمبلغ 10 ملايين دولار لإنشاء مركز في الجامعة الأمريكيّة في القاهرة، موّل أيضاً برنامجاً مماثلاً في الجامعة الأمريكيّة في بيروت، بمبلغ 5 ملايين دولار: فقد تمكّنت الجامعة من وضع مقرّرات محدودة في موضوعات تشمل السياسة الخارجيّة الأمريكيّة والتاريخ والأدب الأمريكيّ، لكنّها كانت لا تزال تفتقر إلى دراسات في الأعراق والأديان وحتى في الاقتصاد الأمريكيّ.

إنّ مهمّة إقناع الكثير من الشبّان في الشرق الأوسط بتعلّم المزيد عن الولايات المتحدة دونه صعوبات جمّة بطبيعة الحال. عندما سألت وسائل الإعلام في بيروت الطلاب عن ذلك، ردّ الخبثاء منهم بتعليقات توحي بأنّهم يعرفون كل ما يحتاجون إليه من خلال مراقبة السياسة الخارجية الأمريكيّة ومشاهدة وسائل الإعلام الأمريكيّة. بل رأى أحدهم أنّ الشبّان اللبنانيّين أمريكيّون بالفعل في ثقافتهم، وأنّه خلال خمس سنوات سيكونون أمريكيّين أكثر من الأمريكيّين أنفسهم.

لكن الوليد بقي مثابراً في جهوده لسدّ الفجوة، ولديه من يؤيّدونه في لبنان مثل رئيس تحرير جريدة النهار، جبران تويني: "أعتقد أنّ بوسعه أن يفهم عقليّة الغرب والشرق وأنّ باستطاعته المساعدة كثيراً في إقامة جسر بين العالم العربيّ الجديد والخليج الجديد والبلدان الأوروبيّة والأمريكيّة، ونأمل أن يلعب هذا الدور، وبخاصّة الآن، بعد ما حدث في 11 أيلول/سبتمبر

وفي مقابلة مطوّلة أجريت في مخيّمه الصحراويّ خارج الرياض في تشرين الثاني/نوفمبر 2003، ونشرت في عدد من الصحف العربيّة، قال الأمير إنّ مشاركة إرهابيّين سعوديّين في هجمات 11 أيلول/سبتمبر زادت الصعوبات أمامه في التطلّع إلى إقامة الجسور بين المملكة العربيّة السعوديّة والولايات المتحدة": "علينا الاعتراف

أنّ ثمة جرحاً عميقاً أصاب العلاقات بين البلدين. ولن يندمل الجرح خلال سنتين أو ثلاث. مع ذلك، علينا بذل ما بوسعنا لاستعادة العلاقات الجيّدة التي كانت تجمع تقليديّاً بين الشعبين، وعدم السماح لابن لادن بالمفاخرة بأنّه نجح في تدميرها"

يقرّ رئيس نيوز كورب، روبرت مردوخ، بالصعوبة التي يواجهها في محاولة إقامة جسر بين الشرق والغرب: "أعتقد أنه يقوم بالكثير مما لا نسمع عنه. إنّه متفهّم جدّاً لأمريكا ومؤيّد للأمريكيّين، لكنّه مؤيّد للمملكة العربيّة السعوديّة في المقام الأول. لكنّ هذا البلد لا يزال يحتفظ بعلاقة صداقة وثيقة مع المملكة وهو يودّ المحافظة عليها"

قبل أن يتبرّع الوليد للجامعة الأمريكيّة في القاهرة والجامعة الأمريكيّة في بيروت، ومؤخّراً لكليّة ماكسويل للمواطنة والشؤون العامّة بجامعة سيراكوز، كانت جهوده منصبّة أكثر على تعليم الغرب عن الإسلام والعالم العربيّ. فقد تبرّع بمبلغ 500 ألف دولار لمجلس العلاقات الأمريكيّة الإسلاميّة في الولايات المتحدة، وهو من أكبر المجموعات التي تعمل لمصلحة المسلمين في البلاد. وقد وجّه المجلس المال لوضع الكتب التي تتناول الإسلام في كافّة المكتبات في الولايات المتحدة.

في صيف العام 2003، تلقّت جامعة إكزتر القائمة في غرب إنكلترا مبلغ 1.2 مليون دولار لدعم برنامج الدراسات العربيّة والإسلاميّة فيها، وتقديم منح تساعد الطلاب الأوروبيّين على دراسة الإسلام والشرق الأوسط عبر السفر إلى المنطقة والتجربة الميدانيّة المباشرة، من أجل المساعدة في كسر الصور النمطيّة والحواجز، لا سيما أنّ العديد من الأشخاص يخشون من الذهاب إلى الشرق الأوسط في أعقاب 11 أيلول/سبتمبر.

يقول الصحافيّ خالد المعينا إن المسؤوليّة تقع على دول المنطقة في التعامل مع التوتّرات القائمة مع الولايات المتحدّة بصورة عمليّة: "على العالم العربيّ التفاعل بطريقة إيجابيّة. أعني أنّ العالم العربيّ ردّ بتوظيف شركات للعلاقات العامّة ومديرين بارعين استغلّونا وأخذوا منا ملايين الدولارات بدون فائدة. وأعتقد أنّه يجب أن نزيد التبادل فيما بيننا، وعلى الناس الذهاب إلى أمريكا والاجتماع بالمنظّمات غير

الحكوميّة، والمنظّمات، والكنائس، والناس والحوار معها. تلك هي الطريقة للقيام بذلك. يجب أن تكون حملة واسعة، وعلينا في الوقت نفسه الانفتاح وجعل الآخرين يأتون ليروا أن ليس لدينا شيء نخفيه. إنّنا نرتكب الأخطاء، وقد ارتكبت أخطاء في هذا البلد وغيره من بلدان العالم العربيّ. وإنّنا نفتقر إلى الكثير من الأشياء لكنّنا بشر عاديّون مثلهم. وليس علينا أن نكون اعتذاريّين، علينا أن نقول لهم إنّنا صالحون لأنّ هذا المجتمع يمكنه أن يقدّم الكثير إلى الولايات المتحدة والعكس بالعكس، إنّني لا أتحدّث عن أخذ التكنولوجيا منهم، لدى الأمريكيّين الكثير من الأشياء الجيّدة، مثل أخلاقيّات العمل والإدارة الجيّدة، ويمكن أن يتعلّموا منّا القيم الجيّدة أيضاً"

لقيت جهود الوليد على الجبهة التعليميّة تأييداً من الرئيس جيمي كارتر: "أعرف أنّ الأمير الوليد يقوم بدور قياديّ فريد في هذا الصدد، في إكزتر، ولبنان، وفي القاهرة، وهو يفكّر الآن كما فهمت في تطوير برنامج مماثل في جامعة أو اثنتين في الولايات المتحدة، وقد تكون تلك خطوة كبيرة إلى الأمام"

الوليد ليس أول سعوديّ يتبرّع بالمال للدراسات العربيّة في أمريكا. فقد منح الملك فهد 20 مليون دولار إلى جامعة أركنساس في العام 1993 لإنشاء مركز دراسات شرق أوسطيّة، وتبرّع أمراء آخرون من المملكة بمبالغ لجامعة كاليفورنيا وهارفرد لإنشاء برامج للدراسات العربيّة أيضاً.

ويقول المعينا إنّ الأمير يمكن أن يكون مختلفاً جدّاً في نهجه، معتمداً إلى حدٍّ كبير على نوع الدور الذي يضطلع به شخصيّاً: "إنّ ما يفعله، يساهم في عرض الصورة الصحيحة – وليس في الدعاية. إنّ الطريقة التي يتصرّف بها، على الصعيد المحليّ والدولي... مهمّة في جعل الغرب يدرك أنّه شخص جديّ وليس شخصاً يمتلك المال ويجول ليتبرع به"

يقول الوليد إنّه لا يتطلّع إلى منح المال فقط، بل لأن يكون أكثر نشاطاً في ردم الفجوة الثقافيّة. ويقدّم الأساتذة في الجامعة الأمريكيّة في القاهرة والجامعة الأمريكيّة في بيروت الدعم لجهوده في تغيير ما يعتقدون أنّه سوء فهم منتشر على نطاق واسع بأنّ الولايات المتحدة "مؤامرة يهوديّة" كبيرة.

جسور الأعمال

يراقب الوليد بعناية ما ستكون عليه نتيجة جهوده في المؤسّسات الأكاديميّة، ويريد أن تكون الخطوة التالية هيئة على مستوى عالٍ متعدّد الجنسيّات تركّز على الأفكار والمفاهيم وكيفيّة تطبيقها: "سننشئ مؤسّسة استشاريّة تضيف القيمة، تضيف إلى ما أقوم به حاليّاً في العالم الأكاديميّ. سأنشئ مؤسّسة استشاريّة تضمّ سعوديّين وعرباً وأمريكيّين وأشخاصاً آخرين من الغرب، من أجل محاولة إقامة حوار أفضل بين المجتمعات"

ومن الأفكار الأخرى التي ذكرها الوليد عندما التقى بجيمي كارتر في كانون الثاني/يناير 2004، تنظيم مؤتمر كبير متعدّد الأديان ومتعدّد الثقافات يجمع ائتلافاً من القادة والأشخاص العاديّين، من أجل التباحث الصريح. وقد استهوت الفكرة كارتر، مع أنّه أبدى تحفّظات عليها: "من الصعب جدّاً تنظيم ذلك، جمع قادة الديانات السماويّة الثلاث، لعقد مباحثات صريحة جدّاً وربما عدائيّة وقاسية. لكن أعتقد أن إثارة بعض الأسئلة المكنونة علناً لكي توضع على طاولة البحث بشكل صريح ستكون خطوة كبيرة إلى الأمام"

فيما تواصل جهود الأمير نموّها في مجال الحوار الفكريّ والأكاديميّ، فإنّ موقعه كرجل أعمال عالميّ نافذ جدّاً يلعب دوراً متزايد الأهمّيّة في وصل ما انقطع. في بعض الأحيان يكون مباشراً، كما في تدخّله بمشكلة ديزني، وأحياناً بصورة غير مباشرة أيضاً بفضل استثماراته في شركات متعدّدة الجنسيّات.

إن مفهوم إقامة الجسر يقع في لبّ الحملة الدعائيّة التي أطلقت في أوائل العام 2004 للترويج لشركة المملكة القابضة. فهي تعرض الأسماء التجاريّة المتنوّعة التي توجد تحت مظلّة شركة الأمير، ولا تبيّن فقط أنّ العديد منها تحتل المرتبة الأولى في حقلها، وإنّما تبيّن أنّها تحظى بالدعم الصادق من شركة يوجد مقرّها في المملكة العربيّة السعوديّة – وهي مركز بعيد الاحتمال بالنسبة للعديد من الغربيّين.

تتنقّل الصور في الإعلان عبر الأسماء التجاريّة البارزة التي يمتلك الوليد فيها حصّة، مجموعة سيتي، وموفنبيك، وتايم ورنر، ونيوز كورب، وأبل كمبيوترز،

وديزني، وفور سيزنز... إلى آخر القائمة، وتنتهي برسالة مفادها أنّ شركة المملكة القابضة تقيم جسراً للتواصل بين العالم من خلال الأعمال.

يقدّم المدير التنفيذيّ لمجموعة المملكة للاستثمارات الفندقيّة، سرمد ذوق، إحدى الأفكار لكيفيّة فعل ذلك: "للفنادق تأثير كبير، فهي تستحدث الوظائف وتولّد حولها الصناعات الريفيّة. فمثلاً على الطبّاخ الذهاب لشراء الطماطم من السوق المحليّة لذا تلعب الفنادق دوراً في الأثر المضاعف. والأسماء التجاريّة الدوليّة، أسماء غربيّة، وهي تدير فنادق في الشرق الأوسط، لذا فإنّها جسر عظيم بين الشرق والغرب، ولهذا السبب ينظر إلى الفنادق كجزء من هذه العولمة – إنّها عالميّة جدّاً بطبيعتها، لذا فإنّها جسر مهمّ"

يعبّر الوليد صراحة عن هذه المصادفة، لكنّه يقدّرها: "لا شكّ في أنّها تردم الفجوة. وأنت تقوم بذلك بصورة ضمنيّة، لكن لم تكن تلك غايتي الرئيسيّة. فأنت لا تشتري فندقاً لتردم الهوّة بين الغرب والشرق، لكنّ ذلك يحدث بصورة ضمنيّة. وسأعمل على ذلك"

عرف رياض الأسعد الأمير منذ كانا ولدين صغيرين معاً في بيروت. عرفه كفتى مندفع ومفرط النشاط، وشهد المصاعب التي واجهها الأمير في التوفيق بين نمطي العيش المختلفين جدّاً اللذين عاشهما في لبنان مع والدته، والذي شهده عندما كان يقيم مع والده في الرياض. والفجوة بين الشرق الأوسط والغرب أكثر تناقضاً وتزداد اتساعاً، كما يقول رياض الأسعد: "أعتقد أنّ الوليد يحاول العمل على مستويين، وبعدين، وبرنامجين. والمشكلة في ذلك أنّهما متحرّكان. ولا يمكنك مواصلة التنطّط بين الاثنين، وأعتقد أنّه نجح بفضل قدراته في المحافظة على توازن معقول بين البرنامجين. لكن الأمور تزداد سوءاً في الشرق الأوسط. وتتجلّى نتائجها في المزيد من العنف. هناك تصادم بين الحاضر والماضي، وبين الأبناء والآباء، وبين ما يفترض أن يكون وما نريد أن يكون، وبين القيم الأساسيّة. وقسم من التصادم يتجسّد في القاعدة، وقسم منه في العراق، وقسم منه في الأصوليّة. والوليد يقف على هذه المسارح معاً، لذا أعتقد أنّه متوتّر وسيتعرّض لمزيد من الضغوط"

نظراً لأنّ رياض متواجد في لبنان على الأغلب، وليس مشاركاً في البنية التحتيّة الغربيّة مثل ابن خالته، فمن الطبيعيّ أن يرى الصورة داكنة، وأشبه ما تكون "بصدام الحضارات"، لكن لا تكفي محاولة ثني الوليد عن إقامة جسر بين ثقافته والغرب. وقد لقيت ترحيباً حتى الآن في العالم الأكاديميّ، ويبدو أنّه عازم على توسيع نهجه.

إنّ استمرار الوليد في إقامة الشراكات والشبكات مع أسماء تجاريّة عالميّة حقّاً يوفّر له الراحة في الوقوف فوق السياج العريض الذي يفصل بين جانبي الخط السياسيّ والثقافيّ الفاصل.

وفي كلمته أمام منتدى دبي الاستراتيجيّ في العام 2002، ختم الوليد بتقديم رؤية إسلاميّة عن التنوّع، والقول إنّ القرآن يدعو البشر للتعارف والتواصل فيما بينهم.

وبعبارة أخرى إقامة الشبكات.



13

حيّ على الصلاة

"انقطعت عن الصلاة ثلاثة أشهر، لكن اعتراني الخوف فجأة بحيث استيقظت في الليل وقرّرت أن أصلّي ما فاتني في التسعين يوماً... في ليلة واحدة، وبعد ذلك لم تفتني صلاة واحدة".

الأمير الوليد بين طلال

يتوقّف المصعد في الطبقة 66 من المبنى الذي يبلغ ارتفاعه 330 متراً، ويؤدّي إلى طابق مخصّص بأكمله لمكاتب شركة المملكة القابضة.

تحدّد الجدران الزجاجيّة الداكنة على طول الممرّ الممتد من المدخل الحدود الداخليّة لمكاتب الشركة التي يضمّها الشكل البيضاويّ للبرج.

عند التجول يصادف الزائر باباً كتب عليه "مصلّى

ما لا تقوله اللافتة أنّه "أعلى مصلّى في العالم"، وهو لقب اتفق أنّه يحمله.

عندما بنى الوليد هذا المصلّى، لم يكن يفكّر في الواقع في المطالبة بهذا اللقب، لكنّه باختيار هذا الموقع المرتفع لمكاتبه في برج المملكة، ارتفع المصلّى التابع لها بالقدر نفسه.

ومن الناحية الفلسفيّة يمكن القول إنّها فرصة للاقتراب أكثر من الله، لكنّ الوليد يتقدّم خطوة إضافيّة في الواقع.

في طائرة البوينغ 767، تتقلّب شاشتا التلفزيونين بجواره بين شعارات الأسماء التجاريّة التي يستثمر فيها، والخريطة الجويّة المألوفة لدى معظم المسافرين، لكن عندما يحين موعد الصلاة، تعرض الشاشة اتجاه القبلة.

على المسلم أن يصلي خمس مرّات في اليوم، مستقبلاً الكعبة المشرّفة. ومعظم الفنادق في الشرق الأوسط وكثير من البلدان غير العربيّة تضع علامة مميّزة في غرفها تشير إلى اتجاه الصلاة أو القبلة. وكثير من الشركات الناقلة العربيّة الوطنيّة تعرض القبلة أيضاً عندما تحين مواعيد الصلوات الخمس.

أثناء الطيران، يحمل الوليد سجّادة الصلاة المطوية بشكل مرتّب والموضوعة إلى جانب مقعده الكائن في موقع مركزيّ في مقدّمة القاعة، ويتنحّى إلى الوراء بضع خطوات داخل غرفة الاجتماعات/غرفة الطعام خلف القاعة، فيفرش السجّادة الصغيرة ويصلّي بوقار وفقاً للاتجاه المبيّن على الشاشة. يستغرق الأمر بضع دقائق ثم يعود إلى مقعده ويواصل قراءته أو أعماله.

وفي الصحراء، عندما يمضي عطلة نهاية الأسبوع في المخيّم، يحرص الأمير على أداء كل الصلوات ويكون معه عادة مستشاره الدينيّ، الشيخ علي النشوان، الذي يؤمّ المصلّين. يفرش السجّاد بشكل طوليّ على الرمل لكي يتسع لعشرات المرافقين الذين ينضمّون إلى الأمير والشيخ للصلاة. تتم شعائر الصلاة بهدوء وبطريقة منظّمة. وإذا كان الأمير يستطيع تنظيم الأمر بكفاءة عالية بين الكثبان الرمليّة، فلا غرو في أن يكون لديه مصلّى مريح في مكتبه بأعلى برج المملكة. والصلاة واحدة، لكن المشهد يتغيّر.

أولويّة الصلاة

يقول الوليد إنّه لا يفوّت صلاة قطّ.

"إنّني رجل متديّن جدّاً والحمد لله، ويمنحني الدين القوّة. بل إنّه يبقيني على الأرض

تدخل الصلاة في جدول مواعيده في البيت أو على الطريق أو في أي ركن من أركان العالم. بل إنّ فريق سفره، روبير وهاني، يدرجان ورقة تشير إلى مواعيد الصلوات المختلفة عندما يوزّعان الجدول اليوميّ أثناء الرحلات الخارجيّة.

هناك العديد من أفراد الفريق الذي يعمل مع الوليد من اللبنانيّين المسيحيّين، ما يثبت بالمثال أنّ المحور الإسلاميّ المسيحيّ في الشرق الأوسط مطبّق على العموم.

والصلاة متاحة لكلّ من يريد تأديتها. إنّها بيئة "عش ودع غيرك يعيش" لا توجد فيها منافسات أو توتّرات بين الأديان، ولا يمارس ضغط على أحد ليكون من دين معيّن. ويقول الوليد إنّه يؤمن بأنّ الدين أمر بين الفرد وربّه.

يشكّل الدين جزءاً لا يتجزّأ من الحياة بالنسبة لمن نشؤوا في المملكة العربيّة السعوديّة، لذا ليس من المفاجئ أن يشعر الوليد بالقلق عندما مرّ في طور الانقطاع عن الصلاة: "ذات مرّة، عندما كنت في لبنان، توقّفت عن الصلاة. لا أدري لماذا. في ذلك الوقت كنت في أواخر سنّ المراهقة. انقطعت عن الصلاة ثلاثة أشهر، لكن اعتراني الخوف فجأة بحيث استيقظت في الليل وقرّرت أن أصلّي ما فاتني في التسعين يوماً، خمس مرّات في اليوم، لذا صلّيت 450 صلاة في ليلة واحدة، وبعد ذلك لم تفتني صلاة قطّ"

يقول الأمير إنّه كان يكفيه أن يتوب ويطلب الغفران من الله، بدلاً من أداء الصلوات التي فاتته، لكنّه شعر بدافع للقيام بذلك.

ويعتقد الأمير أنّه اكتسب أساساً صلباً منذ حداثته بفضل الإسلام: "تربّيت على ذلك النحو. تربّيت في مجتمع إسلاميّ، سواء كان في لبنان أم المملكة، لذا بدأ معي هذا الشيء منذ نعومة أظفاري"

ويقول إنّ معتقداته الدينيّة أبقته على الأرض وساعدته في التعامل مع الحياة بطريقة منظّمة، في السرّاء والضرّاء: "أحياناً تفكّر في أنّك فوق السحاب. لكن عندما تصلّي، وعندما تسجد على الأرض، وعندما تتفاعل مع الناس، تعرف وتتذكّر أنّك إنسان في نهاية المطاف وأنّ الله أنعم عليك بالكثير من الأشياء"

لا شكّ في أنّ الصلاة لعبت دوراً كبيراً في الحفاظ على تركيزه وساعدته عندما تعرّض ابنه خالد إلى حادث خطير أثناء ركوب المزلجة المائيّة النفّاثة (جت سكي).

من وراء حجاب

لا تزال الحياة في المملكة العربيّة السعوديّة منسجمة إلى حدٍّ كبير مع التفسيرات الصارمة للإسلام. وكثير من القيود المفروضة ثقافيّة وليست دينيّة. وقد كان ذلك مصدراً لكثير من الجدل في العالم الإسلاميّ.

لا يسمح في المملكة العربيّة السعوديّة للنساء بقيادة السيّارات، ويجب أن يبقين محجّبات وألا يكشفن سوى الوجه والكفّين. وهناك الكثيرات ممن يخترن تغطية كل شيء باستثناء العينين. ويزعم البعض أنّهن يشعرن بالحرّية من عدم اضطرارهنّ لتحمل نظرات الرجال، وهو ما يحصل لو لبسن ثياباً غربيّة.

أياً يكن الأمر فقد دعا الوليد صراحة إلى أن يكنّ أكثر انخراطاً في المجتمع السعوديّ، وهو غير راضٍ عن عدم تمكّن ابنته من الجلوس خلف مقود السيّارة، رغم أنّها تثبت كفاءتها كسائقة عندما تسافر إلى الخارج.

كما أنّه نظراً لحساسيّة المجتمع السعوديّ، لا سيما عندما يتعلّق الأمر بالعائلة المالكة، فإنّ الأمير لا يوافق بشكل عام على إجراء المقابلات المصوّرة الأجنبيّة أو التقاط صور تشمل النساء في حياته، من ابنته إلى أمّه إلى زوجته عندما يكون متزوّجاً. وهو يعلم أنّ أعمامه من الملك فما دون لا يرضون عن الظهور العلنيّ للنساء الذين يشكّلون جزءاً من العائلة المالكة.

في بعض المناسبات، تلتقط صور للأميرة منى في المطبوعات في لبنان، حيث تمضي معظم أوقاتها، لكن رغم احتفاظها بتألّقها، لا يمكن إظهار والدة الأمير بملابس غربيّة في المجلات السعوديّة.

إنّه أمر يدركه الأمير جيّداً، وعليه احترامه في علاقته مع أسرته الكبيرة. وعليه أيضاً التقيّد بالمعايير الاجتماعيّة للمجتمع التي تبدي درجة عالية من الاحترام للقيم والتقاليد السعوديّة والإسلاميّة.

عندما بنى الوليد مركز المملكة في الرياض، صمّم مركز التسوّق بحيث يكون له مدخل منفصل للنساء، حيث يمكن أن يصلن إليه بالسيّارة وأن يستخدمن موقفاً ومصاعد ومناطق تسوّق منفصلة، وخاصّة بالنساء.

ويضم مركز التسوّق كغيره من الأماكن العامّة مصلّيين منفصلين للذكور والإناث.

كانت هذه القيم والاحترام للإسلام هي التي دفعت الأمير إلى طلب لوحتين حجريّتين حفرت عليهما آيتين قصيرتين من القرآن الكريم. ثمّ أمر بوضع اللوحتين

داخل قاعة فندق جورج الخامس في باريس. ويجد الوليد أنّ من المفارقة مرور نخبة الزوّار العالميّين تحتهما عندما يدخلون المبنى الفخم، دون أن يعرفوا أنّهما تقولان، "لئن شكرتم لأزيدنّكم"، و"هذا من فضل ربّي

لكن في محاولة للتغلّب على ما يشعر بأنّه قيود اجتماعيّة، يستشير الوليد مستشاره الديني، الشيخ علي، من أجل الوقوف على ما يعتقد أنّه فهم أفضل للإسلام. وبهذه الطريقة يستطيع تجنّب الخلط بين التوقّعات الثقافيّة وتعاليم القرآن. وبهذه الطريقة تمكّن الأمير من تبرير دعوته إلى أن تلعب النساء دوراً أكبر في المجتمع، دون أن يواجهن قيوداً تمنعهنّ من قيادة السيّارات – وهو ما يقول إنّه لا علاقة للإسلام به.

لا يرشد الدين الأمير في الصلاة فحسب، بل في عدد من الشعائر والفرائض الأخرى، وأحياناً العادات الصغيرة.

الأخضر هو لون الإسلام، ويستخدم على نطاق واسع بسبب ذلك في المملكة العربيّة السعوديّة. وتبرز طائرة الوليد ويخته ومروحيّته وعدد من قوارب الخدمة لوني الأخضر والبيج، وهما اللونين المميّزين لشركته شركة المملكة القابضة.

وهو يكتب دائماً تقريباً بالحبر الأخضر. وتظهر كتابته بالحبر الأخضر على معظم المقالات والملاحظات التي يوزّعها على موظّفيه.

ترشد أركان الإسلام الخمسة المسلم في حياته. وهي: الشهادتان والصلاة والزكاة والصوم والحج لمن استطاع إليه سبيلاً.

الزكاة من الفرائض المهمّة التي تضع أسس الصدقات التي يقدّمها المسلمون لدعم المحتاجين في المجتمع. ويتمّ حسابها بصيغة تستند إلى الدخل الماليّ للفرد وموجوداته، وتبلغ عادة 2.5 بالمئة من المدّخرات السنويّة للفرد.

توصّل الوليد إلى عدد من الطرق لتوزيع الزكاة، وبعضها تركّز حول الاحتياجات الدينيّة. وبالإضافة إلى هذه الفريضة، بنى الوليد عشرات المساجد في كل أنحاء المملكة العربيّة السعوديّة، وشجّع على ترجمة معاني القرآن الكريم إلى عدّة لغات، منها الألبانيّة، والسنديّة، والفارسيّة.

ويعطي الأمير المال بما يصل إلى ملايين الدولارات إلى المحتاجين السعوديّين في العام، عندما يأتون لزيارته في البيت أو في مخيّمه الصحراويّ في عطلات نهاية الأسبوع. وقد أصبح ذلك من الطقوس التي يؤدّيها الأمير رغم الوقت والجهد اللذين يتطلّبهما.

ذات يوم على العشاء، علّق أحد الزوّار على الشعائر الصارمة التي يتّبعها الأمير، لا سيما الصلوات. فعندما سئل الوليد هل يجوز أن يستيقظ متأخّراً في الصباح ويفوّت الصلاة، ابتسم وهزّ رأسه وأجاب، "يمكنك أن تخدع الناس، لكن لا يمكنك أن تخدع الله"!

14

فتح الأبواب أمام المحتاجين

"إنّها آلة ولديه مجموعة بأكملها تتولّى أعمال الخير... إنّه شديد الحنكة في كيفيّة استخدام المال".

مايكل جنسن، المصرفيّ الخاص للأمير الوليد

تغطّي سجادات عديدة أرض الخيمة الكبيرة، والتي ربما وصلت مساحتها إلى ثلث مساحة ملعب لكرة القدم.

عندما بدأ أوائل الأشخاص الذين يرتدون الثوب التقليديّ بالظهور على المدخل، بدا عليهم الاندهاش من حجم المكان، لكنهم لاحظوا الأمير المحسن واقفا في آخر الخيمة. فصمتوا وأرشدوا برهبة وبطريقة احتفالية إليه في تشكيل سريع، وتلقّوا تحيّة موجزة منه.

بعد الترحيب الشخصيّ، أرشدوا بصمت إلى أماكن الجلوس في مواجهة الأمير على جانبي مركز الخيمة. ورغم أنّ العمليّة يتولاّها عدد كبير من الموظّفين الذين ينظّمون الزوّار بفعاليّة، إلا أنّها تستغرق وقتاً طويلاً يزيد عن الساعة.

عندما تنتهي آخر المصافحات، يرشد الموظّفون آخر سيل من الناس إلى الأماكن المتوفرة في منطقة الجلوس، وفي هذه الأثناء يجلس الأمير على الأرض متربّعاً على وسائد منخفضة موضوعة على طول رواق الخيمة الأسود.

بعد ذلك، يجول الموظّفون على الرجال الجالسين ويحرصون على إطلاعهم على كيفيّة التصرّف عندما يحين دورهم.

لا يكاد الأمير الوليد بن طلال يلاحظ ما يدور، فهو مشغول جدّاً بقراءة

المقالات ومشاهدة شاشة تلفزيونيّة صغيرة تعمل بالبلورات السائلة إلى يمينه، ويجيب على الهاتف بين الحين والآخر. ويبقى الهاتف موضوعاً في حجره لأنّـه يسـتخدم سلكاً بسمّاعة وميكروفون.

وسرعان ما ساد الصمت الخيمة المزدحمة، وبدأ انتظار المداولات. إنّـه بحـر صغير من الرجال، كثير منهم شيوخ، لكنّ الغالبيّة في متوسّـط العمـر، يمسـك بعضهم بأولادهم الصغار بقربهم. يحاولون ارتداء أفضل ما لديهم للمثول أمام أحد أعضاء العائلة المالكة. وهم يعتمرون الغترة السعوديّة التقليديّة الحمراء والبيضـاء، رغم أن القليل منهم اختاروا الغترة البيضاء، ويرتدون أثوابـاً بعضـها مائـل إلى البياض، لكنّ بعضها الآخر مصنوع من قماش داكن أسمك يوفّر لهم حماية أفضـل من صقيع هواء ليل الصحراء. وكثير منهم يرتدون سـترات غربيّـة أو سـترات رياضيّة فوق الثوب طلباً للدفء. ويأتي عدد كبير منهم من مناطق نائيـة قليلـة السكّان في المملكة، وقد دعوا على وجه التحديد بعد الاطلاع على طلباتهم لمقابلة الأمير والموافقة عليها. ولذلك نظام محكم لتجنّب تكرّر التبرّعات، وللحرص علـى إتاحة الفرصة لكل من يريد لقاء الأمير. هذه هي لحظتهم. وهـا هـم يجلسـون متربّعين على السجّاد دون أن يتفوّه أحدهم بكلمة.

أخيراً، يتقدّم أحد موظّفي المخيّم الطوال من الأمير ويقف أمامه إلى الجانـب قليلاً. إنّه نموذج للعديد من البدو الذين يعملون لدى الأمير في موقع المخيّم. إنـه قويّ البنية، ذو كتفين مربّعين، وشارب كثيف، وعينين داكنتين لا تنمّـان عـن شيء، وبشرة قاسية لوّحتها الشمس ودعكتها الطبيعة. ويظهر على صدره العريض حزام للرصاص ممتلئ بالذخيرة ومرتّب بحيث يستقرّ بشكل مائل من الكتـف إلى الخصر، ويبرز مسدّس قديم ذو مقبض خشبيّ داكن من قراب تحت الإبط الأيسر.

بعد بضع لحظات، ينظر الأمير من فوق نظّارته على الرجال، ثم حول الخيمة المزدحمة الآن. هناك ما يقرب من 2000 شخص فيها. وعنـدما يـومئ برأسـه، يستدير الموظّف البدويّ الطويل ويتقدّم نحو المدخل ويومئ بيـده إلى مرؤوسـيه. فيبدؤون على عجل بتنظيم المجموعة الكبيرة المحتشدة في رتل يبدأ على بعد 15 قدماً من الأمير. يتقدّم الزوّار بسهولة إلى المكان، ويخرج كثير منهم أوراقاً مـن داخـل

أثواهم. يتشكّل الرتل بكفاءة، وقد اعتاد المنظّمون على هذا الطقس الأسبوعيّ وبوسعهم إدارته بدون صوت أو مشاكل.

عندما يتلقّى الإشارة، يتقدّم البدويّ الأول خطوة إلى الأمام، ويبدأ تلاوة قصيدة دون أن يستخدم الملاحظات المدوّنة على الورقة. وتشدّد الإيقاعات المتموّجة لصوته الأجشّ على عاطفة ما يقوله، يلوّح بورقة الملاحظات في الهواء بيد، في حين يضمّ الثانية إلى صدره.

وفيما تتصاعد مشاعره بسرعة مع ارتفاع نبرة إلقائه، يتقدّم المنظّم ويدعوه إلى تقديم الورقة إلى الأمير، ثم يوجّهه إلى أحد الجانبين للعودة إلى الجلوس في الخيمة.

ويمارس الرجل التالي الطقس نفسه ثم الذي يليه فالذي يليه.

وبين الحين والآخر يكون الصوت صادراً عن فتى في الفترة السابقة للمراهقة، وهو يحاول تقليد النبرة العاطفيّة نفسها التي عبّر بها الكبار، وغالباً ما يقف والده خلفه بهدوء ويشجعه بالتربيت على كتفه. وبين الحين والآخر تصدر موجة من التصفيق عندما يعبّر أحدهم بطريقة فصيحة. وغالباً ما تفصّل هذه الكلمات فضائل الأمير وتتمنّى له طول العمر، أو تنشد قصيدة كتبوها وتصوّره كبطل جواد أو منقذ.

وفي معظم الوقت أثناء إلقاء القصائد أو الخطب، يجلس الأمير ويتابع التلفزيون أو يتفحصّ أوراقاً قد يناولها له أحد الموظّفين. ويبدو أنّه لا يولي اهتماماً للرجال الذين يتقدّمون نحوه الواحد تلو الآخر. لكن ثمّة دليل على أنّ الأمير يلاحظ كل ما يدور حوله عندما ينظر إلى أعلى نحو واحد أو اثنين منهم ليسألهم عن شيء ذكروه للتوّ، أو عن مشاعر عبّروا عنها. قد يكون الوليد أميراً بالمولد، لكنّه ملك التنفيذ المتزامن للأعمال.

وعندما تبدأ كومة الأوراق في يد الأمير بالتكاثر إلى حدٍّ يجد صعوبة في الإمساك بها، فإنّه يناولها إلى موظّف يقف إلى جانبه.

الأوراق عبارة عن التماسات تطلب المساعدة من الأمير بعدّة طرق، تتراوح من طلب الدعم للتعليم أو العلاج الطبيّ إلى سلع معيّنة يطلبونها مثل مركبة أو أجهزة أو حتى تغطية ديون عسيرة. يحصل كل زائر على بضع دقائق أمام الأمير،

قبل أن يفسح المجال – رغم إتاحة وقت أطول للمتحدّث الفصيح، ومع ذلك يمكن أن تمتد الإجراءات لأربع ساعات. ونظراً لضيق الوقت، لا يتمكّن الجميع من المثول أمام الأمير، لكنّه يتسلّم كل التماس ويتفحّصه شخصيّاً، وبفضل دراسة طلباتهم قبل دعوتهم إلى المخيّم الصحراويّ، فمن المضمون تقريباً تلبية طلباتهم، أو جزء منها على الأقل. لكنّ الأمير يوضح أنّ بعضهم لا يأتي حاملاً مطالب معيّنة: "بعضهم يأتي لمجرّد إلقاء التحيّة والتعبير عن أمنياته. وبعضهم يتقدّم بالتماسات ويعرض مطالبه، وتقضي الآليّة بأن تؤخذ كل هذه الأوراق وثمة لجنة في قصري تتولى النظر فيها جميعاً. هناك بعض المعايير التي يجب الوفاء بها، ويمنح كل شخص مبلغاً يتناسب مع الحاجة التي حدّدها رجالي"

قام رئيس فور سيزنز بزيارة إلى مخيّم الأمير الصحراويّ في إحدى عطلات الأسبوع وشاهد اصطفاف البدو: "إنّه يصرف الوقت للتعامل مع هؤلاء الأشخاص كل بمفرده، وأعتقد أنّ ذلك أمر عظيم. إنّه يحترم تراثه، ويؤمن بأنّ الله أنعم عليه وأنّه يردّ جزءاً من هذا العطاء. هذه هي القصص التي أعتقد أنّ العالم لا يعرف عنها، لكنّك تتعرّف إلى باطن هذا الرجل عندما يجلس بهدوء ولا يتحدّث في الأعمال"

أخيراً يتمّ مرافقة الحشد إلى خارج الخيمة ويذهب كل إلى شأنه. ويبدو المشهد كئيباً عندما يذهب هذا الحشد من الأشخاص الذين يرتدون الأثواب مشياً في الظلام الدامس، وتظهر ظلالهم بين الحين والآخر مقابل الأضواء الكشّافة للمخيّم الصحراويّ للوليد.

إنّه مشهد مهيب بالنسبة للذين يزورون الأمير في هذا الموقع أو ما يماثله، ليشهدوا التماسات البدو. أحياناً يجري ذلك في خيمة وأحياناً في العراء. وفي معظم عطلات نهاية الأسبوع، يبلغ عدد البدو المدعوّين بين ألف وألفين، في حين أنّه في رحلات الأمير الصحراويّة الأطول، لا سيما خلوته التي تمتد 10 أيام في أوائل الربيع، يمكن أن يزيد العدد على 30,000. وفي مملكة يبلغ تعداد سكّانها 22 مليوناً فقط أو نحو ذلك، منتشرين في مساحة صحراويّة مترامية، يشكّل ذلك حضوراً كبيراً، والأمير يدرك ذلك جيّداً: "يمكن أن ترتفع الأنا لديك إلى حدّ كبير لا لأنّك

تشاهد كل هؤلاء الناس المتواضعين قادمين لرؤيتك، وإنّما لأنّك قويّ جدّاً من الناحيّة الماليّة. لا شكّ في أنّ المال يمكن أن يفسد إذا لم تكن جذورك راسخة في الأعماق، والدين من الأمور التي تبقيني ملتصقاً بالأرض. عندما تصلّي خمس مرّات في اليوم، وعندما تصلّي مع أبناء شعبك، وعندما تصليّ مع الآخرين، يُغرس فيك التواضع، وتبقى على الأرض. لم أشعر قطّ بأنّني بعيد أو أنّني بعيد عن متناول شعبي... وأعتقد أنّ الدين لعب دوراً حاسماً في ذلك"

ويعتقد صديقه القديم من كاليفورنيا أنّ الإحسان جزء من شخصيّة الأمير: "طالما اعتبرته شخصاً عادلاً وبخاصّة الآن، أكثر من أي وقت مضى. إنّه يعرف من أين تأتي كل هذه الشهرة والثروة. وهو يدرك انّه يصلّي لله كل يوم، ولا يدرك الكثيرون ذلك، وبدوري أشعر أنّه يساعد وأنّه كريم ليس مع الكثير من الأشخاص فقط، وإنّما مع العديد من البلدان أيضاً. إنّه على المسار الصحيح ويراعي مشاعر الآخرين"

لكن جلوس رجل يعتبر من بين أغنى أغنياء العالم وأكثرهم نفوذاً في خيمة وسط الكثبان الرمليّة كل أسبوع، واستماعه إلى سيل لا ينتهي من سكّان الصحراء الذين ينشدون قصائد المديح، يبدو متناقضاً مع نمط الحياة السريع لرجل أعمال يجوب بالطائرة عدة بلدان في يوم واحد. لكن تتغيّر ملامح الأمير لتكتسب الجديّة عندما يتناول هذا الموضوع: "لقد تأسس نظام المملكة العربيّة السعوديّة، النظام الملكيّ، منذ أكثر من 250 عاماً، وهو يقوم على التفاعل مع الناس، الرعيّة مع العائلة المالكة. وأنا لا أقوم بذلك بحكم تطبيق العادات والتقاليد، بل أقوم بذلك لأنّني أحب القيام به"

إنّ التمسّك بالتقاليد يقرّب الوليد أيضاً من الشعب، حيث تكون أذناه على الأرض وتنصتان إلى دمدمة المجتمع اليوميّة. وبارتباطه بعقليّة مجتمعه وقضاياه، يكون بوسعه التعامل بشكل أفضل مع المشاكل الاجتماعيّة وشبه السياسيّة، وإظهار أنّه رجل الشعب.

وتتيح له ثروته أن يكون سخيّاً نسبيّاً أثناء الالتماسات الأسبوعيّة للبدو، حيث يمكن أن يوزّع أكثر من مليون دولار: "إنّني ألتفت إلى كل الذين يجب الالتفات إليهم، الناس المحتاجين، ومن عليهم تسديد قرض، ومن يحتاج إلى دخول

المستشفى، ومن يريد الزواج، ومن يرزح تحت الديون، ومن يحتاج إلى بيـــت، إنّ المجال الذي نسهم فيه مع الناس واسع"

لا غرو في أنّهم يقصدونه بالآلاف ليرونه، فقد ذاع صيت الوليد في المملكـــة بأنّه رجل خيّر ومعطاء.

قضايا الثروة

عندما يسأل الأمير عن حسابه المصرفيّ الضخم، لا يعبّر الأمير عن أي ذنب، ويشعر أنّه يحقّ له وفقاً للشريعة وقانون الإنسان أن يجمع الثـــروة دون أن يحمّـــل ضميره أي عبء: "أعتقد أنّ ذلك يتحوّل إلى عبء إذا أصبح الشخص مهووســـاً بزيادة ثروته دون الالتفات إلى المجتمع الذي يعيش فيه. وإذا أصبح المرء مهووســـاً فقط بزيادة ثروته دون الالتفات إلى النواحي الأخرى لحياته، يصبح ذلك عـــاملاً سلبيّاً، لكنّني لا أعتقد أنّ هذا سيحدث في حالتي لأنّني مسلم ملتزم. وأنفّـــذ مـــا يفرضه الدين بالتبرّع بمبلغ معيّن من ثروتي إلى مجتمعي وإلى الفقراء"

ربما تبلغ ثروته نحو 20 مليار دولار، لكنّه يلمّح إلى حاجته إلى مدخول يصل إلى 500 مليون دولار في السنة يغطّي مصاريف الحياة، والتكاليف الجارية، وما إلى هناك، بالإضافة إلى إعادة استثمار قسم كبير منه. ويقول إنّ فاتورته الخيريّة تصـــل إلى نحو 100 مليون دولار في السنة: "لا أشعر بالذنب على الإطـــلاق لأنّ المـــال الذي أجنيه أكسبه بسلوك الطريق الصعب. لم أرثه، ولم يعطِني إياه أحد، لـــذا لا أشعر بالذنب من هذه الناحية على الإطلاق. أما بالنسبة لفكرة العطاء من أجـــل العطاء فلا، أنا أعطي المال بطريقة منهجيّة. بعض التبرّعات التي أقدّمها ســـريّة ولا يعلن عنها، لكن يعلن عن بعضها الآخر

يدوّن رجاله بعناية إلى أين يذهب المال ولمن. ومن خلال السجلات المحوسبة، يستطيعون استهداف المحتاجين أو القضايا الخيريّة بطريقة منظّمة. ويشرف باحثـــان إسلاميّان متفرّغان للعمل لديه، بقيادة مستشاره الدينيّ، الشيخ علي النشوان علـــى ستّة موظّفين فيما يقدّمون تبرّعات تتراوح بين 500 و3000 دولار إلى أكثر مـــن 100,000 سعوديّ في السنة، وهذه إحدى البنود الخيريّة الكثيرة التي يجـــود بهـــا.

ويعجّ المبنى الصغير المستقل المؤلّف من طبقة واحدة ويضمّ "القسم الخيريّ" التابع له بالأشخاص الذين يندفعون حاملين قصاصات من الورق من حاسوب إلى آخر وفي الخارج، ينتظم رتل طويل من الأشخاص منذ الصباح الباكر في الشارع المغبّر، ويمتدّون على طول المبنى ويفيضون إلى الشوارع المحيطة به. فالسعوديّون المحتاجون يعرفون لمن يلجؤون من أجل المساعدة.

يتطلّع الأمير إلى منح ابنته، الأميرة ريم، مفتاح قسم العمل الخيريّ في شركته. وهو مجال يحبّ أن تضطلع به وتديره وتحسّن كفاءته. وهي تعترف بوضوح حتى الآن بأنّه قد لا يكون المجال الذي يثير اهتمامها كثيراً في شركة والدها.

عندما انتقلت مكاتب شركة المملكة القابضة من المبنى القديم إلى أعلى برج المملكة، حوّل الوليد المبنى القديم الرخاميّ المكوّن من طبقتين إلى مقرّ العمل الخيريّ حيث يمكن أن يتوسّع بعد أن ضاق عليه الموقع الحاليّ.

يطّلع مايك جنسن، مصرفيّه الخاصّ، على دفاتر الحسابات، وكيف يعمل النظام: "من أكثر التجارب المؤثّرة التي مررت بها مع صاحب السموّ أنّه متفان في الجانب الخيريّ بقدر تفانيه في جانب الأعمال. إنّها آلة ولديه مجموعة بأكملها لتولّي أعمال الخير، وسواء أكانوا الخمسمئة أو الستمئة شخص الذين يأتون إلى منزله كل يوم، أم في الصحراء، فإنّه يعطي المال للمحتاجين. وسواء أكان عضواً في العائلة المالكة يمرّ بأوقات صعبة، أم مواطناً عاديّاً، أم كانوا ضحايا فيضان أو ذلك النوع من الأمور، فإنّه شديد الحنكة في استخدام الأموال، وفي تتبّع الأمر بمجمله. على سبيل المثال، لا يعطي للأسرة الواحدة في المملكة مرّتين في السنة الواحدة، لذا فإنّه يوزّع أمواله بقدر ما يستطيع. إنّني معجب جدّاً بالجانب الخيريّ لديه، لأنّه لا يقل حنكة وتنظيماً عن جانب الأعمال"

يبقى جل التبرعات التي يقدّمها الأمير في المملكة، حيث إنّ هناك أعداد [illegible] من المحتاجين جدّاً. وقسم كبير منها عينيّ، مثل مشروع بناء 1000 منزل في السنة لمدّة عشر سنين للمحتاجين، وإعلانه في نيسان/أبريل 2001 عن أنّه سينشئ صندوقاً بقيمة مليار ريال سعوديّ (267 مليون دولار) لدعم القضايا الخيريّة والاجتماعيّة الإسلاميّة، ومعظمها في المملكة العربيّة السعوديّة.

يعتقد من يراقب الأمير عن كثب، لا سيما بحثاً عن مؤشّرات على طمـــوح سياسيّ، أنّ هذا العمل الخيريّ الشعبيّ هو طريقة لبناء المحبّة الشعبيّة علـــى نطـــاق واسع في البلد، وربما لمنحه الحماية من المتطرّفين الإسلاميّين الذين يجنّدون من فقراء المجتمع في الغالب.

يشتمل قسم كبير من العمل الخيريّ على بناء عشرات المساجد في موطنـــه، حيث ركّز على إقامة أماكن العبادة في المناطق النائية. وقد احتلّ العناوين الرئيسيّة عندما أعلن في كانون الأول/ديسمبر 2001 أنّه ســيموّل بنـــاء 50 مســـجداً في المملكة، حيث بنى هناك بالفعل 39 مسجدّاً، لكنّه دعم أيضـــاً بعـــض المشـــاريع الإقليميّة الكبيرة، مثل 4 مليون دولار لمشروع المسجد الكبير في قرطاج بتـــونس، ومليوني دولار لمسجد في لبنان.

يشعر الأمير بالحاجة إلى دعم المجتمع المسلم على الصعيد الدوليّ، ولـــيس في المنطقة العربيّة فحسب. وعندما تفكّكت يوغسلافيا السابقة واندلعت فيها حـــرب أهليّة دمويّة في بداية التسعينيّات، كان المسلمون البوسنيّون في الموقف الأضـــعف. وفي العام 1995، عندما حاول المسلمون البوسنيّون إعادة بناء مجتمعهم، مـــنحهم دعماً بمبلغ 8 ملايين دولار.

ولعلّ ما يمنح الوليد الكثير من المديح في العالم العربيّ الدعم الذي يقدّمـــه للشعب الفلسطينيّ. فالمقاهي في كل أنحاء المنطقة تمتلئ بالمجموعات التي تخوض نقاشات حامية منتقدة الحكومات العربيّة لعدم بـــذلها مـــا يكفـــي لمســـاعدة الفلسطينيّين في وضعهم الصعب. وتلاحظ جهود الوليد على نطاق واسع مـــن تبرّعه بطائرة بوينغ 727 إلى السلطة الوطنيّة الفلسطينيّة للمساعدة في تأســـيس شركة ناقلة وطنيّة، إلى تعهّده الذي حظي بتغطية إعلاميّة كبيرة أثناء حملة جمع التبرعات المتلفزة للمساعدة في إعادة بناء البنية التحتيّة في المناطق التي دمّرهـــا الجيش الإسرائيليّ، وتقديم الملابس والمركبات. كما أنّه منح 6 ملايـــين دولار للفلسطينيّين الذين أصبحوا عاطلين عن العمل بسبب الانتفاضة، ومليون دولار إلى الجامعة العربيّة من أجل إظهار صورة الإسلام الحقيقيـــة في الغـــرب بعـــد هجمات 11 أيلول/سبتمبر.

إلى جانب ذلك، غالباً ما يتداول اسمه في الأخبار في أعقاب وقوع كـوارث طبيعيّة في المنطقة أو من صنع البشر، حيث يبادر بسـرعة إلى تخصـيص أمـوال للمساعدة. وقد قدّم مساعدات في مثل هذه الحالات إلى لبنان، والمغرب، والجزائر. ومن الأمثلة على ذلك عندما اندلعت النيران في قطار بمصـر وأودت بحيـاة 373 شخصاً. فقد تبرّع الأمير بمبلغ 2200 دولار لكل أسرة منكوبة - وهو رقم أعلـى بكثير من الذي عرضته الحكومة المصريّة. وثمة مثال آخر عندما انهار سدّ في سوريا وأدّى إلى مقتل 22 شخصاً وتشريد الآلف في قرية زيزون. فقد عرض الوليد إعادة بناء القرية بأكملها.

وعرضت سوريا تسمية القرية الجديدة باسمه.

الابن السعوديّ للبنان

ربما تكون المملكة العربيّة السعوديّة المستفيد الرئيسيّ من المساهمات الخيريّـة للوليد، لكنّه يولي اهتماماً كبيراً لبلده الثاني لبنان.

في هذا البلد الذي أنهكته الحرب الأهليّة، ارتفع مستوى الفقر فيـه كـثيراً، ودمّرت البنية التحتيّة، لا سيما في بيروت. وتكشف الجولة بالسيّارة حول العاصمة العدد الكبير من المباني التي ما زال يظهر عليها أضرار التعرّض لقـذائف الهـاون، وتنخرها الثقوب الناتجة عن الرصاص، وغالباً ما تغيب جدران بأكملها عن هـذه المباني. وكثير منها لا تزال مسكونة.

أعيد ترميم جزء من وسط المدينة بشكل جميل، فاستقطب النخبـة اللبنانيّـة والطبقة المتوسّطة إلى مقاهيه ومطاعمه، لكن لا يزال قسم كبير من ضواحي بيروت المنتشرة بحاجة إلى اهتمام.

ذكر الوليد في الماضي أنّه يودّ أن يلعب دوراً رئيسيّاً في إعادة بناء البلد، وغالباً ما ربطت التعليقات في وسائل الإعلام ذلك بنوايا سياسيّة مضمرة. ومما يثير ذلك أنّ لديه العديد من الاستثمارات هناك، لا سيما في قطاع الفنادق، حيث قام بإنشـاء معالم مميّزة مثل فندق موفنبيك على شاطئ البحر في منطقة الروشة الراقية، ولديـه بطبيعة الحال اهتمام في بناء فندق فور سيزنز. وللوليد أيضاً استثمارات في قنـوات

أخرى، بما في ذلك شركات مثل ليبانون إنفست، وهي شركة تأمين كبيرة، وبعض العقارات المهمّة، فضلاً عن محطّتين تلفزيونيّتين وجريدتين.

عندما قصف الإسرائيليّون البنية التحتيّة للكهرباء في البلاد في العـــام 1996، سارع إلى المساعدة، فقدّم مبلغ 12 مليون دولار، وشرع ببناء ستّة مراكـــز طبيّـــة على نفقته. وتبرّع أيضاً بنحو مليون دولار إلى 22 مؤسّسة خيريّة ذات انتمـــاءات سياسيّة مختلفة، وأنفق 350,000 دولار من أجل إرسال فريق كرة السلّة اللبنانيّ إلى إنديانابوليس، في الولايات المتحدة. وقد اتخذ عمله الخيريّ في لبنان نهجـــاً أكثـــر تركيزاً في السنوات الأخيرة من خلال إنشاء مؤسّسة الوليد بن طلال الإنسانيّة التي تديرها خالته، ليلى الصلح. فقد كان الوليد يتلقّى عدداً كبيراً من طلبات المساعدة الخيريّة من أفراد ومجموعات في لبنان، وكان يتعامل معها بأفضل ما بوســـعه مـــن خلال فريقه الموجود في السعوديّة. وفي النهاية قرّر إقامة مؤسّسة في لبنان وســـلّم كل طلبات المساعدة الخيريّة إلى خالته ليلى رياض الصلح، التي طلب منـــها إدارة المؤسّسة: "إنّها تساعد في تنمية لبنان وتنمية كافّة المناطق في لبنان، دون أي تمييـــز بين المسلمين والمسيحيّين في أي مجال – في التعليم والطبابة، وبخاصّة في الطبابـــة في الوقت الحاليّ"

تقول ليلى إنّ البلد يضمّ عدداً كبيراً من الفقراء غير القادرين علـــى تحمّـــل الوصول إلى الطبيب أو الحصول على العلاج في المستشفى، ومن ثم التركيز علـــى القطاع الطبيّ في الوقت الحاليّ. وعلى أي حال تُفحص كل مجموعة تتلقّى المساعدة بعناية، على غرار الطريقة التي يتبعها الوليد في مراقبة العمل الخـــيريّ في المملكـــة. وغالباً ما تمنح المساعدة من قبل المؤسّسة على شكل مؤن وموادّ بدلاً من النقـــود فحسب.

ومن المؤسّسات الأولى المستفيدة مستشفى محليّ يدعى سانت جود – وهـــو فرع من مستشفى سانت جود في تينيسي، بالولايات المتحدة – يستقبل الأطفـــال المصابين باللوكيميا، لكنّه لا يمتلك المال أو القليل منه فقط بحيث لا يستطيع تقديم الرعاية المطلوبة. فتقدّمت المؤسّسة وساعدت المستشفى المحتاج. وتقول ليلـــى إنّ المشروعين القادمين سيشتملان على تقديم الرعاية للمعاقين ولمركز لغسيل الكلى.

يصف رئيس تحرير جريدة النهار، جبران تويني، عمل مؤسّسة الوليد في لبنان بأنّه مختلف عن الأعمال التي يقوم بها آخرون: "إنّه يفهم العقليّة اللبنانيّة. وهو لا يقدّم المال هكذا، بل يحاول تقديم المساعدة للمؤسّسات اللبنانيّة التي تحاول بدورها مساعدة الأشخاص الذين يحتاجون إلى المال، ويحتاجون إلى المدرسة، ويحتاجون إلى بناء المستشفيات وأشياء من هذا القبيل. إنّه عمل جادّ جدّاً ومختلف عما اعتدنا رؤيته في العالم العربيّ وبلدان الخليج. إنّه منظّم، والفريق المحيط بالوليد منظّم جدّاً أيضاً"

كانت ليلى قريبة من الوليد في سنوات طفولته في بيروت. ورغم أنّها خالته، إلا أنّها لا تكبره كثيراً في السنّ، وكانت من الأشخاص الذين راقبوا الأمير الشاب وهو ينمو: "كان يأخذ مصروفه من أمّه، مصروفه الأسبوعيّ، ويذهب إلى الضواحي – كنّا نعيش على مقربة من مخيّم للاجئين الفلسطينيّين. ويوجد الكثير من الأولاد الفلسطينيّين واللبنانيّين الفقراء، فكان يذهب إلى هناك ويتقاسم معهم مصروفه لمساعدتهم"

كان المحيطون به يستفيدون من كرمه حتى في صغره... رغم أنّ أمه هي التي كانت تموّل في الغالب عمله الخيريّ في تلك الأيام: "كان يتصل بأمه طوال الوقت ويطلب منها أنّ ترسل له الطعام' فتقول، 'لك ولأصدقائك؟' فيجيب، 'لا، للمدرسة بأكملها' وكان الطلب يتكرّر كل يومين أو ثلاثة. دجاج مشويّ، كان يحبّ الدجاج المشوي دائماً. فتقول، 'إنّنا لسنا في المملكة بل في لبنان.' فيجيب، 'لا، لا، أريد أن آكل وسيأكلون معي. فأنا لا أستطيع أن آكل بمفرديّ'"

متبرّع عالميّ

يدرك الأمير الوليد القيمة السياسيّة لتبرّعاته على جبهة الوطن في المملكة وفي المنطقة في كل أنحاء الشرق الأوسط، لكن مع تنامي حضوره الدوليّ، أخذت أعماله الخيريّة تمتدّ في كل أنحاء العالم.

لقد رافق مدير العلاقات والإعلام الأمير في أسفاره بشكل مكثّف، وشاهد كيف تطوّر اهتمامه بالوضع في إفريقيا منذ نحو قرابة العام 2003. وهو يشير إلى

أنّه إلى جانب البحث عن فرص أعمال تفيد شركته، فضلاً عن البلدان التي يستهدفها، لم يكن الأمير يرغب في أن ينظر إليه في تلك البلدان على أنّه رجل يمتلك حساباً مصرفياً كبيراً: "لقد لاحظ الحاجة إلى المساعدة في بعض المناطق، فتصرّف على الفور وأخرج دفتر شيكاته وحرّر شيكات بمبالغ محترمة... لكن من الأمور التي يحرص عليها الأمير عدم رمي أمواله جزافاً. أخبرهم أنّه يريد أن تخصّص الأموال لمشاريع مستدامة مثل التعليم أو البرامج الصحيّة لتلقيح الناس ضدّ الأمراض – وتلك مشاريع مستمرّة... كانت تلك مطالب من الرؤساء، أو في إحدى المرّات من السيّدة الأولى في السنغال، لذا كانت تلك مطالب مشروعة جدّاً من قبل الدولة، وكنّا نعرف تماماً إلى أين تتوجّه هذه الأموال"

في الأشهر الثمانية بين نيسان/أبريل وكانون الثاني/يناير 2004، بلغ مجموع تبرّعات الوليد إلى إفريقيا جنوب الصحراء 7.35 مليون دولار، حيث استهدفت الأموال قضايا مثل حفر آبار ريفيّة ودعم النساء وتعليم الأطفال في النيجر، وإنشاء المدارس وتوفير المياه المعدنيّة إلى الأطفال في السنغال، والعناية بأسنان الأطفال في بوركينا فاسو، والأدوية في مالي، وأبحاث الإيدز/فيروس الإيدز في غانا.

وقد خُصّص مليونا دولار من تلك الأموال لنقل 105 أطنان من الغذاء جوّاً إلى إثيوبيا في نيسان/أبريل 2003.

كان جيمي كارتر سعيداً على وجه الخصوص لتطوّر اهتمام الأمير في مساعدة إفريقيا، إذ يحظى ذلك الجزء من العالم بجانب كبير من عمل الرئيس الأمريكيّ الأسبق: "لقد تبادلت معه نقاشات مستفيضة. أولها عندما كنّا في الرياض، لكنّه زار مركز كارتر، وهو ملمّ تماماً بعملنا، وكان لطيفاً جدّاً في إطلاعنا على مشاريعه الخاصّة أو استثماراته في البلدان النامية والصناعيّة، فضلاً عن القسم المتخلّف من العالم"

لقد تبرّع الأمير بمليون دولار إلى مركز كارتر، لكن العلاقة بين الوليد وكارتر أصبحت حميمة من خلال جهود الأمير لدعم مشاريع وأهداف محدّدة لهذا السياسيّ الكبير: "هناك بلدان فقيرة جدّاً مثل مالي... حيث يعيش أكثر من 90 بالمئة من سكّان مالي بأقل من دولارين في اليوم، ويعيش 60 بالمئة منهم بأقل من

دولار في اليوم – وهو أمر لا يمكن أن يتخيّله شخص يعيش في سهول جورجيا أو في المملكة العربيّة السعوديّة، ويعتبر تغيير ذلك الاتجاه ومنح ذلك الشعب الأمل واحترام الذات تحدّياً رئيسيّاً، إلى جانب القضاء على المرض. وطالما شارك الأمير الوليد في هذا النوع من الجهد، ونحن شاكرون له جدّاً"

الأقربون أولى بالمعروف

يشقّ العمل الخيريّ في الرياض طريقه إلى حياة الوليد في كل يوم، على شكل أشخاص جالسين منتظرين خارج قصره.

عندما يتقدّم نحو الطريق، يكون عشرات الأشخاص متجمّعين قرب البوّابة. هناك دائماً البعض ممن يحدوهم الأمل خارج القصر، في الليل أو النهار. وعندما يلمحون سيّارة الليموزين الكبيرة من طراز هيونداي، وهم يعرفون أنّها النوع الذي يستخدمه الأمير، يبدؤون بالتلويح بشكل محموم، ويقتربون من السيّارة وهم ينادون بمطالبهم. وغالباً ما يكونون من المسنّات بعباءاتهنّ التقليديّة، والنقاب الأسود الذي يغطي سائر أجسادهنّ والرأس والوجه. وهنّ يعرفن أنّ هناك فرصة كبيرة لأن يسترعين انتباهه.

وكلما عاد الأمير إلى البيت قادماً من المكتب في الساعة الخامسة تقريباً لتناول غدائه المتأخّر كالمعتاد، يطلب من الموظّفين دعوة ستّة من النساء أو نحو ذلك. يُحضرن عبر بوّابة رجال الأمن إلى منـزله الفخم ويُجلسن ويُطعمن. وهنّ يملن إلى الاقتراب بعضهن من بعض بسبب التوتّر الذي يعتريهنّ في هذا المحيط الغريب. وعندما ينتهي تناول الطعام، يتحدّثن إلى الأمير باختصار، ويتمّ التعامل مع طلباتهنّ، ثمّ يصرفن.

ذات مرّة، التمست امرأة من الأمير أن يقدّم لها شاحنة بيك أب. تركها تواصل إلقاء طلبها المثير بأعلى صوتها، قبل أن يضحك ويسألها لمن تطلبين البيك أب. كرّرت إنّها بحاجة ماسّة إليه، فضحك ثانية وسألها كيف... إذ لا يسمح للنساء في المملكة بقيادة السيارات، فما بالك بشاحنة بيك أب.

صمتت لبرهة وهي تفكّر، فيما التفت الأمير حوله إلى بعض الابتسامات التي ارتسمت على وجوه الحاشية على مقربة من مكان تناول الطعام.

ثمّ قالت بأعلى صوتها، إنّ ابنها هو الذي سيقود البيك أب لا هي.

انفجر الأمير بالضحك ثانية وأبلغها أنّ بإمكانها الحصول على شاحنة البيك أب، ثمّ انتقل إلى مكان الجلوس، فيما قاد موظّفوه المرأة السعيدة إلى الخــارج، وهــي تلتفت إلى الخلف وتدعو له بطول العمر بأعلى صوتها.

عندما جلس، علّق أمام أحد الأشخاص القريبين منه بأنّه بصرف النظر عــن تطبيق القانون في المدينة، للبدو في الصحراء قوانينهم الخاصّة، وغالباً ما تقود النساء السيّارات بما في ذلك شاحنات البيك أب بسعادة.

التنقّل بين البيوت

لا يلتقي الوليد الأشخاص العاديّين في المملكة في البيت أو الصحراء فحسب. وهو يعتزّ بأنّه على صلة وثيقة بما يجري في البلد، ويحرص على زيــارة النــاس في الأحياء الفقيرة في رمضان من كل عام. وهو ينطلق في الساعة الحادية عشرة مساء لتوزيع الصدقة نقداً.

يحتوي كل مغلّف على 5000 ريال (1370 دولاراً) - وهو ما يعادل إيجــار سنة بالنسبة لبعض المقيمين في هذه الأحياء الفقيرة. ويقوم الوليد بنحــو 800 إلى 1000 زيارة في هذا الشهر، ويقدّم ما بين 1.2 مليون دولار و1.5 مليــون دولار بهذه الطريقة.

كانت الحكومة السعوديّة تميل إلى تجاهل وجود مثل هذه المناطق الفقــيرة في العلن، لكن عندما بدأت البلاد باعتماد الإصلاح في الألفيّة الجديــدة، أعلــن ولي العهد آنذاك، الملك عبد الله حاليّاً عن وجود فقراء في المملكة العربيّة الســعوديّة. وأخيراً، أقرّت السلطات بوجوب مجابهة بعض الحقائق لكي تتقدّم الأمّة.

كان الوليد يعرف أصلاً هذه الحقائق من خلال زياراته للأماكن الفقــيرة في جولاته الخيرية. وكان يقوم بها أربع أو خمس مرات في رمضان، ليلة يوم الأحــد عادة. تتأخّر غالبيّة الناس في السهر خلال شهر رمضان لأنّ تناول الطعام يــتمّ في الليل، إلى جانب أي نشاط اجتماعيّ. ويكون النهار هادئا عادة في المملكة، كمــا في سائر البلدان الإسلاميّة، حيث يصوم معظم الناس.

ذات ليلة أحد في رمضان، انطلقت قافلة الوليد المكوّنة من حافلات صغيرة خاصّة، ومركبات رياضيّة كبيرة متعدّدة الأغراض من بوابات القصر. كان أحد مساعدي الأمير يحمل كيساً يحتوي على نحو 200 مغلّف مخصّص لهذه الرحلة - يزيد مجموعها عن ربع مليون دولار.

كانت الساعة تقارب الحادية عشرة والنصف ليلاً عندما توقّفت قافلة المركبات السوداء الكبيرة في حيّ فقير هادئ. وكانت درجة الحرارة منخفضة، لذا رغم أنّ معظم القاطنين كانوا مستيقظين، لم يشأ سوى القليل من الأشخاص الخروج من منازلهم مع أنّهم يعيشون في أكواخ حجريّة مزرية.

اعتلت الدهشة القلّة المنتشرين في الشوارع، إلى جانب بعض الخوف، عندما ترجّل ركّاب السيّارات بخفّة ومهارة. نزل الوليد من المركبّة الأولى - وهي مركبة رياضيّة كبيرة متعدّدة الأغراض - وانضمّ إليه بسرعة أحد رجال الأمن. وخلال لحظات، تحلّق عدد من الحرّاس الشخصيّين حول الأمير وحاشيته. أومأ إلى ثلاثة أو أربعة من الموظّفين بالتوجّه إلى أبواب البيوت المتهالكة. فتوزّعوا وبدؤوا يطرقون الأبواب - وكانت معدنيّة بمعظمها.

فتح باب البيت الأول، وأرسلت إشارة إلى الوليد فتقدم بسرعة إليه. وما إن وصل إلى المدخل حتى ولج البيت متجاهلاً نظرة شاغله الذاهل، وهو مسنّ نحيل. شعر الرجل بالخوف في البداية، ثمّ بدت على عينيه الواسعتين نظرات رجاء علّ أحدهم يأتي للمساعدة. بدأ الأمير يطرح الأسئلة بعد أن تجاوز الرجل.

"من هو صاحب هذا المنزل"؟ سأل بصوت جهوريّ على عادته، و لم ينتظر الإجابة بل أخذ يجول في الغرف.

"انظروا إلى الظروف التي يعيش فيها هؤلاء"، توجّه بالقول إلى حاشيته، ملوّحاً بيديه إلى منطقة المطبخ المرتجلة التي تضمّ جدارين من الطوب وقطعاً من الخشب الخفيف المكدّسة كنوع من المحمل الذي استقرّ عليه موقد غازيّ بشعلتين. وتناثرت في المكان أدوات الطهي والعلب المهملة وصناديق التخزين أو الخزائن الرثّة.

"إنّه أمر مثير للاشمئزاز. يجب ألا يعيش الناس بهذه الطريقة"

تناول أحد المغلّفات وأمسك به بيده اليمنى ملوّحاً أمام الأسرة التي ثار فضولها

وأخذت تتجمّع في الغرفة. تقدّمت امرأة بدينة منقّبة ووقفت أمام الرجـــل المســـنّ معرّفة نفسها بأنّها صاحبة البيت، دون أن يعترض الرجل على ذلك. دفع الأمـــير المغلّف إليها فأمسكت به وضمّته إلى صدرها. استدار الأمير وهمّ بـــالخروج مـــن الباب، فتبعته المرأة مكيلة المديح والثناء وداعية له بطول العمر.

عندما أصبح في الخارج، مشى بضع خطوات إلى المكان التالي الذي طرق رجاله على بابه. كان الباب الأماميّ مفتوحاً عندما وصله الأمير، فدخل على الفـــور. كـــان شبيهاً بالأول. ممرّ رثّ يؤدّي إلى مدخل ويفضي إلى غرف رطبة فيها فـــراش مؤقّـــت مبعثر، أو وسائد للجلوس أو الاضطجاع. وقد أعطى غياب الأثاث الواضـــح عنـــها انطباعاً بأنّ شاغليها محتلين لها وليسوا عائلة مكوّنة من ستة أو سبعة أشخاص.

فيما كان الأمير يشقّ طريقه عبر المسارات الضيّقة والمتعرّجة بـــين الأبنيـــة، اتضح متوسط مستوى معيشة هؤلاء الأشخاص. كان معظمهم أسر تضمّ العديـــد من الأولاد – ما يصل إلى ثمانية. وكان القاطنون يلوّحون بأوراق رسميّة تبيّن عدد الأولاد على أمل أن يفيد الدليل على وجود أسرة كبيرة بتعزيز المبلغ الذي يقدّمـــه لهم هذا المحسن غير المتوقّع.

كانت بعض المنازل أكثر ترتيباً من الأخرى.

"انظروا كيف أنّ بعض الناس فقراء، لكنّهم يمتلكون الكرامة الـــتي تجعلـــهم يحافظون على نظافة المكان وترتيبه"، علّق الوليد وهو يدخل إلى أحد البيوت حيث كانت جدرانه مطليّة بألوان زاهية، وقطع السجّاد مفروشة بطريقة أنيقـــة لتغطيـــة الأرض الحجريّة.

"ويبدو أنّ هناك آخرين غير مبالين"

كان ذلك صحيحاً. فبين الحين والآخر، كانت المجموعة تدخل إلى بيت يتناثر فيه الطعام المهمل والأشياء المبعثرة التي بدا من الواضح أنّها جمعت من الطرقـــات. وثمّة عائلة تكوّم تشكيلة غريبة من الأحذية القديمة، والصـــنادل، والشباشـــب في صندوق أغبر موضوع بقرب زاوية إلى جانب باب المدخل. وكان يوجد بـــداخل الغرف الأخرى قطع من أجهزة كهربائيّة قديمة، والأدوات الصغيرة التي تشغل الحيّز المحدود الذي يوفّره المبنى الخرِب.

وكان ثمة بيت آخر مرتّب بصورة مفاجئة، ويبدو عليه اليسر نسبياً، حيث يوجد تلفزيون قديم لكنّه يعمل، وخزائن جانبيّة، وأريكة قديمة ولكن نظيفة ووسائد على طول الجدران المختلفة. وأوضح المالك، وهو رجل ذو هيئة إفريقيّة أنّه من نيجيريا.

تردّد الأمير موضحاً أنّه يقدّم هذه التبرّعات إلى المواطنين السعوديّين عادة، وقال إنّه إذا لم يبقِ هذا الأمر محصوراً، فسيفتح على نفسه باباً يصعب إغلاقه.

لم يكن هذا الرجل مؤهّلاً للحصول على المساعدة، لكن يبدو أنّ الأمير أعجب بكيفيّة محاولته الحفاظ على ترتيب منزله وسط هذه الخرائب، فناوله أحد المغلّفات.

وقد حصل من الرجل على ابتسامة كشفت عن أسنان ناصعة البياض.

وعندما غادر منزل النيجيريّ، قال الأمير لأحد أفراد حاشيته: "عندما أدخل أحد البيوت، لا يمكنني أن أغادر قائلاً، 'لا يوجد شيء لك، إلى اللقاء'، عليّ أن أعطيه شيئاً. وأنا أفضّل عادة أن يحدّد فريقي منازل السعوديّين الفقراء، لكي أدخل هذه البيوت فقط"

خلال فترة وجيزة، انتشر الخبر بين المنازل بأنّ أحد الغرباء يطرق أبواب البيوت ويقدّم المال إلى ساكنيها. وبدأ ذلك يثير مزيداً من النشاط في الحيّ، وأخذ الناس يظهرون عند أبوابهم قبل أن يقترب منها فريق الأمير.

وفي الشارع، عرفت إحدى النساء أنّ زائر الليل الغريب هو الوليد، فلحقت به وهي تكيل له الثناء بأعلى صوتها. وتحلّقت مجموعة من النساء على عجل، كثيرات منهنّ منقّبات. في البداية، تمكّن الأمير من تقديم بعض المغلّفات لبعضهن، لكنّ ذلك شجّع المزيد منهنّ على المجيء، ولمّا كانت الإضاءة خافتة في الشارع، لم يكن من الممكن التأكّد مما إذا كانت المرأة نفسها قدمت مرّة أخرى. بالإضافة إلى ذلك، أخذ القلق يعتري رجال الأمن المحيطين بالوليد. لم يكن الأمر يتعلّق باحتمال قيام أحدهم بإيذائه، لكنّ ضغط الناس صار شديداً، وصار من الصعب على المجموعة مواصلة التحرك.

أسرع الأمير الخطى، وتمكّن بمساعدة الحرّس الشخصيّين من زيارة نحو ثلاثين

منــزلاً آخر قبل أن يضطر إلى التخلّي عن محاولة دخول مزيد من المنازل. فبــدأ يتحدّث إلى الناس المصطفّين عند أبواب منازلهم ويقدّم المال حيث يعتقد أنّ ذلــك ملائماً.

تمكّنت امرأة أو اثنتين من تجاوز رجال الأمن والتقدّم نحو الأمــير كالشــبح الأسود في الضوء الخافت، وصرختا بأعلى الصوت طلباً للمال. فلم يجد الأمير بدّاً من إعطائهما ما طلبتا. وبدلاً من أن تغادرا، واصلتا الصراخ مــن أجــل المزيــد، وعندئذ تدخّل رجال الأمن والموظّفون الآخرون ونهروهما قــائلين إنّ عليهمــا أن يخجلا من طلب المزيد فيما يوجد الكثير من المحتاجين في المنطقة. لكــنّ ذلــك لم يردعهما، وفيما تمكّن الأمير من متابعة المشي، سارتا إلى جانبه لا يفصله عنــهما سوى رجال الأمن البدو الضخام الذين يقدّمون له الحماية.

أخيراً، لم يتبقَ سوى بعض المغلّفات، لكنّ الجمهور الضخم جعــل المــرور خلال الشوارع الضيّقة أمراً مستحيلاً. فقرّر الوليد التوقّف عن المتابعة لهذه الليلة.

سلّم ما تبقّى من المال إلى أحد الموظّفين وطلب منه الحرص على أنّ يــوزّع بحكمة على الأشخاص الذين لم ينالوا شيئاً بعد.

وبعد ذلك حاول العودة إلى السيّارات، فسلك دون أن يقصد منعطفاً خاطئاً أفضى به إلى شارع مظلم تنتشر فيه المباني الخرِبة. بدأ الحشد بالتجمّع فيما وقــف يحاول تحديد موقعه. عندئذ ظهرت إحدى المركبات السوداء الكبيرة على مقربة من الوراء. فشقّ الوليد طريقه بصعوبة وسط حشد الرجال والنســاء الــذين كــانوا يصرخون للفت انتباهه، وتمكّن من ركوب السيّارة.

عندما أقفل الباب، لم يعد يسمع صوت الحشد، لكن كان بوسعه أن يــرى عبر الزجاج الداكن الوجوه التي تحاول استراق النظر من كافّة الجهات.

تمكّن اثنان من رجال الأمن من إفساح الطريق لكي تخرج السيّارة نحو الطريق الرئيسيّ، ثمّ العودة إلى القصر.

كانت تلك من السوابق التي يبدو فيها على الأمير بعض الإرهاق.

وقد علّق أحد الموظّفين بظرَف، "يا صاحب السموّ، هنــاك طــرق أســهل لإنفاق المال"

15

نمط حياة ملياردير يصبو إلى عقد الصفقات

"أعتقد أنّ أربعة وعشرين ساعة في اليوم لا تكفي الوليد"

جبران تويني، رئيس تحرير جريدة النهار

أوضحت الألوان المميّزة لطائرة البوينغ 767 هذه أنّهـــا تنتمـــي إلى شـــركة المملكة القابضة.

بدت الطائرة ذات اللون البيج والشريط الأخضر الداكن ضخمة جدّاً مقارنة بالطائرات الخاصّة، وكانت متوقّفة على جانب مدرج الصالة الملكيّة بالمطار، وهي الصالة التي تستخدم في الغالب من قبل العائلة المالكة السعوديّة. إنّها مرفق مصـــمّم لتوفير الراحة للمسافرين المهمين جدّاً مثل الملوك والأمراء. تتقدّم السيّارات التي تقل الشخصيّات المهمّة عبر الحاجز الأمنيّ مباشرة بعد إجراء تدقيقيّ سريع وغير مزعج. ومما يساعد في ذلك أنّ ثمة فريقاً متقدّماً يحمل جوازات السفر قد تـــولّى بالفعـــل الأعمال الورقيّة المتعلّقة بالخروج وأي شكليّات ذات صلة بالجمارك.

لا توجد هنا زحمة مسافرين. ولا توجد حركة مرور أو تزاحم على التوقّف، ولا تدقيق صعب للدخول، ولا مشاكل أمتعة، ولا وقـــوف في الصـــف لعبـــور الإجراءات الأمنيّة المشدّدة، أو تسكّع في صالة أو محطّة مزدحمة. ما عليك إلا التقدّم بالسيّارة والصعود على متن الطائرة.

وصل الأمير في سيّارة ليموزين سوداء كبيرة من طراز هيونداي، تليه قافلة من السيارات الأخرى التي تقلّ الحاشية. توقّفت السيارات كافّـــة في صـــفّ بجانـــب

الطائرة الضخمة، وهي في الواقع واحدة من أكبر الطائرات الخاصّة التي يمتلكها أي فرد. كانت السيّارات قريبة جدّاً بحيث يستطيع الركّاب الخروج من أبوابها إلى سلّم الطائرة مباشرة. كان يقف بجانب أسفل السلّم طيار الأمير الخاص ورئيس "قسم الطيران"، الكابتن دنكان غيلسباي، وأحد أفراد الطاقم. وبوسع من يكلّف نفسه عناء النظر إلى أعلى أن يرى كلمتي "خالد وريم" قرب مقدّم الطائرة، التي أُسميت على اسمي ولدي الأمير.

عند أعلى سلّم الطائرة، بجانب المدخل، وقف طاقم المضيفات المكوّن من تسع فتيات باسمات بلباسهنّ الجميل ينتظرن على السجّاد الفاخر.

كان من الواضح أنّ هذه البوينغ 767 تختلف قليلاً عن معظم مثيلاتها.

إنّها طائرة الوليد.

كانت لمسته بادية على كل شيء من مخطّط الألوان وتصميم الحجرات، ونوع الجلد المستعمل على المقاعد، والسجّادات الحريريّة الموضوعة على الأرض، إلى شكل الزي الذي يرتديه الطاقم الجويّ وتفصيله، ونوع الطعام المقدّم، والحلوى والمأكولات الخفيفة الموضوعة في صوان ذهبيّة صغيرة منتشرة حول المقصورات.

في الصالة الأمامية توجد أربع أرائك، اثنتان على كل جانب، وفي الوسط يوجد مقعد شبيه بالعرش واتجاهه إلى الأمام. وتفصل ألواح زجاجيّة خلفه بين هذه الصالة وغرفة الطعام التي تستخدم أيضاً لاجتماعات العمل. وإلى اليمين من هناك، يوجد ممر يفضي إلى غرف نوم مجهّزة وغرف جلوس. ووراءها حمّامات ومكاتب صغيرة إلى اليمين، ومنطقة جلوس كبيرة ومريحة للحاشية إلى اليسار. وخلافاً للعديد من النخبة في العالم الذين يوجد لديهم مقاعد درجة اقتصاديّة عاديّة في مؤخّر الطائرة لموظّفيهم، اختار الوليد مقاعد مريحة بذراعين ويمكن أن تستدير 180 درجة، ما يسمح للموظّفين بمواجهة بعضهم البعض من أجل التحادث، أو حتى لعب الورق أو الألعاب التي تمارس على رقعة على طاولات تُطوى في مواقع استراتيجيّة. وفي مؤخّر الطائرة، ثمّة مطبخ كامل للطاقم ومناطق لتخزين الحقائب والمعاطف. وقد أعلن بوضوح لكل الموظّفين بأنّ الأمير يحب أن تكون طائرته مرتّبة، ومن ثم لا يسمح بوضع الحقائب على المقاعد، أو تلقى السترات بشكل عشوائيّ بينها.

ومع أنّ هذه الطائرة تبدو مجهّزة بكل وسائل الراحة، إلا أنّ المكان لم يعد يكفي احتياجات الأمير.

سيبقى عدد الموظّفين قليلاً نسبيّاً لدى الوليد، لكنّ نموّ إمبراطوريّة أعماله دفعته إلى استخدام أشخاص آخرين. ومع تزايد الأسفار التي يقوم بها ولداه الشابّان، ثمة حاجة إلى التوسّع. ولأنّ الوليد يعرف أنّ الموظّفين لديه يعملون بالطاقة القصوى، فقد التزم أخيراً باستخدام مزيد من الموظّفين.

لكنّ المشكلة تكمن في صعوبة إيجاد أشخاص يستطيعون في المقام الأول مجاراة جدول أعماله المحموم، وثانياً – وإن يكن لا يقل أهميّة عن الأول يتلاءمون مع العائلة الموسّعة التي تحيط بالأمير.

ما هو الحل إذا؟

طائرة أكبر.

يمتلك الوليد الآن طائرة جمبو جت، وهي في الواقع أكبر طائرة خاصّة في العالم. وعندما يتمّ تجهيزها، من المرجّح أن تكون أغلى طائرة بوينغ 747 تحلّق على ارتفاع 37,000 قدم.

إنّ السفر بمثل هذه الرفاهيّة يكفي لإسعاد أي شخص. فكل شيء في مكانه، مثلما طلب الأمير. والطعام على أعلى مستوى، حيث يمكن إحضار أي بنود خاصّة يرغب فيها الأمير من أقرب فندق فور سيزنز. ولا حاجة لاختيار المقعد القياسيّ قرب النافذة، عندما يكون لديك مجال اختيار "أريكة"

ليس بوسع حتى النخبة التي تسافر في طائرات خاصّة بانتظام سوى التعليق على مستوى الراحة الذي وفّره الوليد داخل طائرته الخاصّة. إلا أنه يمكنكم تصور ردة فعلهم عندما يدخلون طائرة يبلغ حجمها ثلاثة أضعاف هذه تقريباً.

ما من شكّ في أنّ البوينغ 747 ستصبح شيئاً يشبه القصر الطائر.

قصر عائم

ثمّ هناك اليخت، 5-KR (KR هما الحرفان الأولان من اسم Kingdom خالد وريم بالإنكليزيّة).

يبلغ طول اليخت 83 متراً، أي ثلث طول سفينة تايتنيك تقريباً.

عندما أصبحت تكاليف الاحتفاظ باليخت عالية جدّاً على المليونير الأمريكيّ وقطب العقارات، دونالد ترامب، باعه للأمير الذي يبقي عينيه مفتوحتين دائماً على مثل هذه الصفقات الرخيصة. فقد اشترى الأمير هذا القارب الفاخر مقابل 19 مليون دولار، فيما قيّمته شركة التأمين بمئة مليون دولار. وكان يعتزم بناء يخت خاص به، لكن عندما عرضت عليه هذه الصفقة العظيمة، لم يستطع المقاومة.

يبرز هذا اليخت في الماء بألوان شركة المملكة القابضة مقابل مجموعة القوارب البيضاء القياسيّة، لا سيما بوجود المروحيّة الجاثمة على السطح العلوي بلونيها البيج والأخضر. يوضح القبطان بأنّ عدد أفراد طاقمه على مدار السنة يبلغ 34 شخصاً، لكن عندما يعمل بطاقته الكاملة، يصبح الطاقم 38، بمن فيهم قائد المروحيّة. يلزم نحو شهر لتجهيز القارب وإعداده للإبحار بعد توقفه في الشتاء، بما في ذلك أعمال الصيانة وإحضار الوقود والمؤن على متنه قبل المغادرة. وهو يستهلك نحو 1000 لتر من الوقود في اليوم، وتصل سرعته القصوى 16 عقدة، ويمكن أن يبحر بسرعة 15 عقدة ويجتاز 5000 ميل بشكل مريح، أي يعبر المحيط الأطلسيّ ويعود ثانية.

تبلغ تكاليف تشغيله الإجماليّة بين 5 و6 ملايين دولار في السنة.

كانت ملكيّة اليخت تعود إلى سلطان بروناي، وهو ممن حملوا لقب أغنى رجل في العالم ذات يوم، وامتلكه قبل ترامب تاجر سلاح ملياردير مثير للجدل هو عدنان الخاشقجي.

وكما قال أحد أفراد الطاقم العاملين منذ فترة طويلة، "لقد تغيّر بالتأكيد عن أيام الحفلات، عندما كانت الجاكوزي تملأ عادة بالشمبانيا والجميلات المستحمّات"

فقد أصبح مع الوليد قارباً عائليّاً، وقلّت أعمال التنظيف التي كان على الطاقم القيام بها بعد انتهاء الحفلات.

في آخر الصيف من كل عام، يغادر Kingdom 5-KR مرساه في جنوب فرنسا، وينتقل إلى موقع على بعد نصف ميل فقط عن شاطئ كان، ويشغل عادة أكثر الأماكن مركزيّة، مقابل فندق كارلتون الشهير يقيم الأمير وأسرته، والأصدقاء

المقرّبون الذين يصادف وجودهم أحياناً، على متن القارب الكبير، في حين ينزل معظم أفراد الحاشية والموظّفون في فندق كارلتون.

يتجاهل البدو نظرات الضيوف الذين يحدّقون بهؤلاء الرجال الصحراويّين الذين يتجولّون في فنادق النخبة الباريسيّة. لكنّهم موجودون هنا لأنّ الأمير يقضي إجازته، وهم جزء من العائلة الموسّعة. في الواقع يشعر البدو بالحيرة من العادة الغربيّة بالجلوس في هذه الأماكن لكي يراهم الآخرون، وبالارتباك من البدلات الغربيّة الضيّقة والمقيّدة، ويفضّلون لو أنّهم يرتدون الثوب المريح في المحيط الطبيعيّ للصحراء - أو على الأقلّ في موطنهم بالرياض. فخلافاً لأولئك الذين يستعرضون في المقاهي، لا يشعر البدو بالاهتمام لأسماء المصمّمين والأسماء التجاريّة، رغم أنّه فيما كان أحد الرجال المسنّين في الحاشية يمشي داخل فندق الكارلتون، لاحظ امرءاً يرتدي سترة جلديّة عليها شعار الجمل، على شكل جمل كرتونيّ يرتدي نظّارة شمسيّة ويدخّن سيجارة. لفت ذلك انتباه غصين البالغ من العمر 80 عاماً فاستجمع نظره وركّز على التصميم، وعندما أدرك ما هو، انفجر ضاحكاً لأنّه لا يشبه الجمال التي اعتاد رؤيتها في الوطن.

يشكو بعض الذين يسافرون إلى كان اليوم من أنّها فقدت سحرها، ومن أنّ معظم الزوّار الصيفيّين هناك إنّما يحضرون ليعرضوا أنفسهم. ويقول الوليد إنّه يشعر بحنين إلى المكان: "إنّني آتي إلى كان منذ أكثر من 30 عاماً. وقد بدأ الأمر بأكمله مع والدي عندما أخذ يأتي قبل أكثر من ثلاثين عاماً، وما زلت مواظباً على ذلك. إنّني أحبّ هذه المنطقة لأنّها مركزيّة. فمن هنا يمكنك الذهاب إلى العديد من المناطق الأخرى، مثل إيطاليا... أو يمكنك الذهاب إلى كورسيكا. ويمكنك الذهاب إلى إسبانيا خلال 12 ساعة بقاربي، إنّها ذات موقع مركزيّ في البحر المتوسّط، لذا هذا هو السبب الذي يدعوني إلى القدوم إلى هنا"

بعد الاجتماعات اليوميّة على اليخت، يمضي الأمير جزءاً من نهاره على الشاطئ، ويتغدّى في المطاعم المحليّة، حيث يقوم روبير وهاني بتنظيم ذلك، ويشرفان عليه. ويكون التمرين عند العصر والمساء مشياً سريعاً على رصيف الكورنيش عادة، لمسافة ٥ كيلومترات تقريباً.

ذات يوم مشمس في آب/أغسطس 2003، قرّر الأمير أن يغيّر التمرين ويأخذ الجميع في جولة بالدرّاجات. فقد أحضر مدرّبة خاصّة، لونا مصري، من الرياض علّه يستفيد من نظام تدريبيّ أكثر تنظيماً. بدت محترفة بسترها الرياضيّة المصنوعة من الليكرا، وأسرعت إلى تركيب أسلاك جهاز لمراقبة القلب، فيما كانت 22 درّاجة جبليّة مسنودة إلى الجدار استعداداً للرحلة. وقبل أن توضح له ما يحتاج إلى عمله لزيادة التأثير القلبيّ الوعائيّ لركوب الدراجة، انتقى إحدى الدرّاجات وانطلق يدوّس بعنف. تفاجأ الجميع، بمن فيهم الحارسان الشخصيان وأسرعوا للحاق به. شعرت لونا بالارتباك مما حدث للتوّ فأسرعت لالتقاط درّاجة على أمل أن تعدّل ارتفاع المقعد قبل الانطلاق. لكنها عندما شاهدت الآخرين يسرعون بجانبها اضطرت للقفز على واحدة والانطلاق.

ظلّ الوليد يسير بالدرّاجة طوال 14 ميلاً صعوداً وهبوطاً على الطريق الساحليّ دون توقّف تقريباً، إلا بين الحين والآخر ليلتفت وراءه ويرى إذا كان أيّ منهم لا يزال يحاول اللحاق به. لم يكن لدى سائقي السيّارات المارّة ببطء فكرة عما يجري. كانوا يدركون حتماً أنّ ذلك ليس سباق "تور دو فرانس"، فنظروا من خلال الزجاج إلى رجل مصمّم على قيادة الدرّاجة الجبليّة بسرعة كبيرة، وخلفه رجلان قويّان يلازمانه من الخلف، ويليهم سيل غير منتظم من الدرّاجات التي يقودها خليط غير عاديّ من الأشخاص.

كان العديد من أنشطة الأمير واجتماعاته يسجّل على أشرطة فيديو وتصوّر لحفظها في الأرشيف. وسواء كان الوليد مع الملوك أم رؤساء الجمهوريات أم رؤساء وزراء أم رؤساء مجالس إدارات أم فنّانين، يكون قسم "الصوتيّات والبصريّات" حاضراً لالتقاط ما يحدث. يتخذ المصوّر ألفونس داغر، وهو أحد الأعضاء الآخرين في مجموعة الطاقم اللبناني الذي يبلغ نحو 20 موظّفاً في شركة المملكة القابضة، مواقع استراتيجيّة مجهّزاً بأحدث طراز من كاميرات الفيديو، للحصول على فيلم جيّد للأمير. ويحاول مساعده التقاط زاوية ثانية بكاميرا أخرى، كما يعمل على الاهتمام بأمور الاضاءة والصوت وعلى حل أي مشاكل قد تحدث فيهما. ويكون على مقربة منهما عادة مصوّر يلتقط الصور الفوتوغرافية هو محمّد

الجندل. تتدلّى على صدره كاميراتان واحدة 35 ملم والأخرى رقميّة، فيما يلتقط صوراً بكاميرا مهنيّة ذات عدسة طويلة.

كانت حركة الأمير السريعة تثير تحدّيات أكثر مما هو معتاد. والثلاثة معتادون على سرعة الأمير المحمومة، لكّنها هذه المرّة شيء آخر. شعر ألفونس بالقلق من تفويت لقطة جيّدة للأمير في جولته النادرة على الدراجّة، فجدّ في الركض جيئة وذهاباً على أمل العثور على موقع ممتاز. وإذا كان سائقو السيّارات يشعرون بالاندهاش من الحاشية التي تقود الدرّاجات، فقد حاروا تماماً من أمر هذا الشاب الجاثم على الطريق قرب السيّارات المتوقّفة، وهو ينظر عبر معيّن المنظر في الكاميرا الفيديويّة بانتظار مرور الأمير على الدراجة ليلتقط المشهد من زاوية منخفضة.

وبعد ساعة ونصف، كان الوليد يترجّل عن الدرّاجة خارج فندق الكارلتون، حيث انطلق. نظر الأمير بابتسامة عريضة إلى القلّة المحيطة به، وقد بدا عليه وهج التمرين دون وجود أي إشارة على اللهاث، وقال، "تمرين جيّد، أليس كذلك"؟

وصلت لونا بعد بضع لحظات، وقد بدت الرطوبة على سترها. ترجّلت ومشت نحو الأمير الذي كان ينتزع مراقب القلب من تحت قميصه القصير الكمّين. ناولها الجهاز وهو شارد الذهن، ثم استدار ودخل الفندق وتبعه حارساه.

تفحّصت لونا جهاز المراقبة الذي تحمله بيدها وتتدلّى أشرطته، ونظرت إلى الوليد من الخلف وهو يجتاز مدخل الفندق. وهزت برأسها وغمغمت، "إنّه لائق على الأقلّ"

استمتع الوليد بالجولة على الدرّاجة، لكنّه كره أن يشقّ طريقه عبر حركة المرور المزدحمة في المدينة، ما كان يهدّد دائماً سرعته الحماسيّة. وقرّر الالتزام بالمشي والرياضات الأخرى ما بقي من الإجازة.

ثمة خيارات كثيرة أمام الأمير بين اليخت والشاطئ: "يستحوذ عليّ الاهتمام بالمحافظة على صحّتي، لذا فإنّني رياضيّ وأمارس المشي يوميّاً. لا يمكن أن يكون المرء مفرط الاهتمام بصحّته. لذا فأنا أمارس الكثير من أنواع الرياضة مثل التزلّج على الماء، والسباحة، والمشي، والهرولة، والكرة الطائرة، وكرة المضرب، وكرة السلّة... وكل شيء"

لقد انتهى الأمر بالأمير لأن يصبح سبّاحاً محترفاً، رغم أنّ أمّه أبعدته عن الماء في طفولته لخوفها عليه من الغرق. ومن المعروف أنّ الأمير يغطس إلى عمـــق 150 قدماً حول يخته، ويسبح قرابة 90 دقيقة، رغم التموّجات التي تحـــدثها الـــزوارق السريعة المارّة وغيرها من المراكب. وينضمّ إليه حارساه الشخصـــيّان إلى جانـــب بعض الموظّفين الذين يحثّهم على التمرّن أيضاً. ويوجد على مقربـــة منـــهم زورق مطّاطيّ يتحرّك صعوداً وهبوطاً، جاهز للتدخّل في حال تعرّض أحد من الســـابحين لمشكلة.

يرجع جزء من الدافع إلى التمرين إلى أيام الشباب التي كـــان فيهـــا ذا وزن زائد: "كنت في الواقع سميناً جدّاً في الماضي. وفي نهاية السبعينيّات عندما ذهبت إلى الولايات المتحدة، كنت بديناً حقّاً. فقرّرت أن أغيّر ذلـــك. فأصـــبحت شـــديد الانضباط، وشديد التنظيم. كان عليّ أن أدخل بعض التغييرات الجذريّـــة علـــى حياتي، فبدأت الحمية لأفقد بعض الوزن"

لقد وصل في الواقع إلى مرحلة الآن انقطع فيها عن تناول اللحم، ولا يأكـــل سوى الخضراوات وبعض السمك. وهو يحسب حساب كـــل ســـعرة حراريـــة، ويوجد لديه خريطة عقليّة تتيح له أن يلحظ القيمة الحرارية لكل شيء حوله. وهو يشبع حبّه للحلويات بعناية، بتناول فطيرة التفاح (بدون قشرها بالطبع) محلاّة بمُحلّ اصطناعيّ، وأحياناً يتناول ملعقة من الآيس كريم الخالية من السكّر ومن الدهون.

يشعر الوليد بشهوة للمعكرون المصنوع من بياض البيض ومحلّـــي الســـبلندا المشتقّ من السكّر والخالي من السعرات الحرارية. ويعدّ الموظّفون في الأماكن الـــتي يتردّد إليها دائماً، ولا سيما فندق جورج الخامس، عشرات القطع من هذه الحلوى يوميّاً، إذ يحبّ الأمير أن تكون حاضرة بقربه أثناء الاجتماعات المختلفة في منطقته الخاصّة في الردهة الخلفيّة. ويلتهم الزوّار أكواماً من الأقراص الملوّنة، وتمتدّ أيـــديهم بشكل متكرّر إلى المزيد عندما يوضح الوليد أن المحتوى الحراريّ لكل منها يبلغ 10 كالوري. يثير ذلك بعض النظرات المشكّكة من ضيوفه، لكنّهم يتـــابعون التـــهام الحلوى الموضوعة في الطبق. ويختار الوليد في الغالب الأقـــراص المنكّهـــة بطعـــم الكابوتشينو بدون كافيين بالطبع.

ثمّة اكتشاف صغير حدث مؤخّراً وأدخل السرور إلى قلبه. فقد بدأ المصنّعون بإنتاج كاتشاب ذي محتوى منخفض من النشويّات. ولأنّه مغرم بالكاتشاب، لكنّه ينتبه كثيراً إلى مدخوله من النشويّات، فقد اعتاد الأمير الطلب إلى أحد رجاله إحضار هذا الكاتشاب معه أثناء الغداء.

لا ينكر الأمير على الموظّفين لديه فرصة تناول ما يرغبون به، رغم أنّه يحثّهم على المحافظة على صحّتهم، لذا تزيّن مائدة عشائه بتشكيلة رائعة من الحلويّات التي يسيل لها اللعاب. وكما لو أنّه يختبر إرادته، فإنه غالباً ما يتناولها ويمرّرها لمن حوله، حرصاً منه على أن يتناولها من يريد أن يُشبع أهواءه.

النشاط الدائم يبقي الأمير لائقاً، وأكثر ما يستمتع بالمشي السريع، لأنّه يستطيع أثناءه متابعة الأعمال على الهاتف. ويكون وسط الحشد الذي يتبعه عن قرب خبير الاتصالات رؤوف الذي يبقي الهواتف المحمولة لديه جاهزة على الدوام. وعندما يشعر الأمير بالرغبة في متابعة اتفاق أو فكرة ما، يمكنه الاتصال بالأشخاص المناسبين خلال لحظات. وهو يقول إنّه لم يعرّض قطّ إجازته أو عمله للخطر لأنّه يبقى على اتصال بالآخرين على الدوام: "الأمر متواصل، لأنّني إذا كنت هنا، يكون مكتبي هنا والجميع معي، لذا لا حاجة إلى قطع الإجازة قبل أوانها لمتابعة الأعمال – أو بإمكاني السفر لإتمام اتفاق والعودة"

وتربط الهواتف المحمولة وأجهزة الإرسال والاستقبال أيضاً بين اليخت والشاطئ، وعندما يحتاج البعض إلى الانتقال من اليخت أو فندق كارلتون أو إليه، فثمّة أسطول من الزوارق في متناول اليد. وقد عدّلت هذه الزوارق السريعة التي يكلّف كل منها 120,000 دولار بناء على مواصفات الأمير، ويمكن أن تستوعب اثني عشر شخصاً بارتياح. "إنّها فراري القوارب السريعة"، على حدّ قول أحد أفراد الطاقم.

في المساء، عندما يعود الأمير من المقهى في كان، في الثانية صباحاً عادة، يؤثر الجلوس على السطح الخلفيّ الفسيح حيث تكون الشاشة التلفزيونية الكبيرة مضبوطة على قناة روتانا للموسيقى – رغم أنّه، وهو الشخص القلق أبداً، يحمل أداة التحكّم من بعد ويقلّب بشكل متكرّر بين قنوات روتانا و"سي إن بي سي

(CNBC)، و"بي بي سي (BBC) و"سي إن إن" (CNN). ويتوقّف بصورة أقــل تكرّراً على محطّة إيه أر تي (art) منذ أن استبدل معظم أسهمه في راديو وتلفزيــون العرب في العام 2003.

من مكانه على السطح، تتلألأ أضواء الشاطئ على مقربة، وتتيح لــه البيئــة الهادئة على الماء التركيز على القراءة. وتكون أحدث طبعات الصــحف الدوليّــة والعربيّة التي يجهّزها رؤوف بانتظاره، ويقرأ الوليد بنهم بعض المطبوعــات مثــل نيوزويك، وتايم، وفورتشن، وفوربس، خلال ساعات بعد استقرارها على منضدة القهوة.

وخلافاً لجلساته الليليّة على الشاطئ، لا يتمكّن من القيام بجولة مشي طويلــة عند الفجر، لذا ينتقل باكراً نسبيّاً إلى مقصورة نومه الفاخرة قرابة الساعة الرابعــة فجراً، ليقرأ بمفرده، وينام في نهاية المطاف - أو هكذا يشاع!.

عندما يتمنّى لضيوفه وموظّفيه ليلة طيّبة، تعدّ الزوارق السريعة لإعــادتهم إلى الشاطئ. قد تكون فيراري الزوارق السريعة لكنّها عند الفجر مجبرة على التحــرّك ببطء وهدوء أمام المقصورات المعتمة للقوارب المحيطة.

وعلى غرار تزايد الموظّفين والضيوف على متن البوينغ 767، أخــذ اليخــت يضيق على الوليد، لذا فإنّه يبني يختاً آخر، أو هو في مرحلة التصميم على الأقــل. وسيستوعب هذا اليخت مروحيّتين بارتياح، واحدة منهما تهبط على سطح نــاتئ ينسحب إلى داخل البدن، لتستقرّ المروحيّة في حظيرة بعيدة عن الأنظار.

يواجه الفريق الذي يقوم بتصميم اليخت تحدّياً في تنفيذ رغبة الوليد بوجــود جدران زجاجيّة تمتد على ارتفاع ثلاث طبقات عند جانب السطوح العليا، لكــي ينشئ إيواناً منوّراً. ويجب أن يكون هذا الزجاج قادراً على الانثناء والالتواء مــع القارب أثناء إبحاره فوق الماء. ولعل ما كان يثير مزيداً مــن التحــدّي في وجــه المصمّمين تعاملهم مع عميل يقرأ الكثير ولديه الكثير من المعلومات بحيث يمكن أن يطرح أسئلة فاحصة محدّدة عن أي شيء، من المواصــفات التقنيّــة إلى تصــميم السطوح.

يولي الأمير الأمر اهتماماً كبيرا لأنّه يستقبل الكثير من الناس في يخته، ويريــد

أن يكونوا في محيط مريح وعالي الكفاءة. كما يرغب في إثارة الإعجاب، لا سيما أنّ الزوّار يأتون إلى Kingdom 5-KR لأغراض اجتماعيّة أو لاجتماعات العمل.

في أحد مواسم الصيف، كان في عداد المشاهير والأعيان الذين يأتون في الزوارق السريعة ويذهبون، رئيس مجلس إدارة مجموعة سيتي (Citigroup) ورئيسها التنفيذيّ المغادر، ساندي ويل، وكان قد أحضر معه الرئيس التنفيذيّ القادم، تشاك برنس، للقاء أكبر مستثمر في البنك على غداء ليليّ على متن اليخت. رحّب بهما الوليد بحرارة، وعلّق قائلاً، "لقد أصبح لدينا أميران في مجموعة سيتي الآن"

يذكر ويل المزاج المرتاح والمغتبط للأمير عندما كان يقضي إجازته: "عندما توجّهت مع تشاك برنس [أي أمير] إلى كان وعرّفت أحدهما على الآخر، قال الوليد إنّه يعتقد أنّ ثمة مجالاً لأمير واحد في هذه الشركة، لذا ربما يجدر بتشاك أن يغيّر اسمه إلى كنغ [ملك]"

من زوّار اليخت مغنّي فريق U2، بونو، كما تخلّلت الإجازة اجتماعات مع فنّانين عرب مشهورين كان يحاول الأمير استمالتهم إلى قناة روتانا للموسيقى التي ستنطلق عما قريب. بل إنّ صفقة روتانا صيغت بأكملها تقريباً على متن القارب، في صيف 2003.

وتذكرون أنّ إيسي شارب رئيس فور سيزنز وبول ريخمان صاحب مشروع كناري وارف، أنجزا اتفاقهما مع الأمير على متن اليخت أيضاً.

مع أنّ الوليد يستخدم منزله العائم الفخم الذي يتحوّل أيضاً إلى مكتب لمدّة ثلاثة أسابيع أو نحو ذلك فقط، إلا أنّه يعتبرها وقتاً مميّزاً له ولعائلته، وعلى العاملين على متنه الحرص تماماً على عدم وقوع خطأ أثناء تلك الفترة التي يكون فيها الرئيس موجوداً.

يغادر فريق الأمير إلى باريس لمتابعة المرحلة الأخيرة من الإجازة الصيفيّة، ويصطفّ طاقم Kingdom 5-KR على الرصيف لوداع الأمير. ويحرص على إعطاء مكافآت كبيرة لكل من الموظّفين، ويصافح كل منهم شخصيّاً، يتبعه ابنه الأمير خالد الذي يحذو حذوه. وبعد ذلك يستقل الوليد والحاشية حافلة كبيرة ويتوجّهون إلى المطار، حيث تكون البوينغ 767 بالانتظار.

يتّجه الطاقم إلى اليخت الراسي، حيث يتواصل عملهم للأشهر الأحد عشر التالية في صيانة اليخت وأجهزته الملحقة وخدمتها.

لن يكون عليهم تنظيف الجاكوزي على الأقل.

السفر بالطائرة

كانت إجازة الصيف مماثلة إلى حدٍّ كبير للإجازات الأخرى التي قضاها الوليد في الماضيّ. أسبوعان في كان، ثمّ الانتقال إلى فندق جورج الخامس في باريس لمدّة أسبوع آخر أو عشرة أيام. لكن هذه السنة حدث بعض التسوّق بين المكانين.

في التاسعة إلا ربعاً مساء، حطّت البوينغ 767 في مطار لوبورجيه، خارج باريس، دون أي خبطة كما هو منتظر من طيّاري الوليد ذوي الخبرة العالية. غير أنّ عملهما هذه الليلة لن يكون مجرّد نقل الأمير من مطار نيس إلى العاصمة الفرنسيّة بصورة مريحة. بل سيساعدانه في التسوّق.

لم يكن الظلام قد حل بعد عندما سارت الطائرة الكبيرة على المدرج نحو موقفها، وجهّز السلّم لنزول الوليد. ظهر الوليد وهو يرتدي بنطلوناً أسود وقميصاً أسود غير مزرّر بأكمله، وقد لفّ كمّاه وصولاً إلى المرفق، ثمّ نزل إلى أسفل السلّم باتجاه صف من حظائر الطائرات. استُقدمت الأنوار الكاشفة إلى المنطقة الأماميّة وكان عدد من المولّدات المحمولة يعمل ويصدر ضوضاء عالية. وتحت وهج الأنوار، وقفت ستّ طائرات صغيرة مصطفّة للفحص. وكانت تضمّ طائرتي فالكون وطائرتي هوكر سيدلي.

تقدّم الوليد دون إضاعة الوقت إلى الطائرة الأولى، يتبعه الكابتن دنكان غيلسباي على مقربة منه.

كان ثمة رجلان ينتظران في الطائرة التي أضيئت كل مصابيحها الداخليّة وفُتح بابها الصغير وفتح سلّمها. انحنى الرجلان مرتبكين لعدم معرفتهما كيف يتعاملان مع البروتوكول الخاصّ برجل أعمال ثريّ يعرفان أنّه أمير. هزّ الأمير رأسه وتجاوزهما فصعد السلّم إلى المقصورة الصغيرة. وحاول الرجلان وغيلسباي اللحاق

به، وبذلا ما بوسعهما للدنوّ من المشتري المحتمل لكنّ ضيق المكان حال دون ذلك.

أوضح الوليد أنّه يبحث عن طائرة تتسع لنحو عشـرة أشـخاص وتكـون تكاليف تشغيلها متدنّية، لأنّها ستخدم عدداً من أقسام شركة المملكـة القابضـة. وسيستخدمها بالدرجة الأولى من أجل شركة روتانا، حيث سيوضع شعارها على الطائرة، لكن يمكن استخدامها من قبل الأقسام الأخرى في الشركة، مثـل قسـم الفنادق، عند الحاجة إلى القيام بتنقّلات إقليميّة قصيرة من بلد إلى آخر. وقـال إنّ عليه اختيار الطائرة الأكثر ملاءمة من بين الطائرات الستّ: "أريد شراء طـائرة – ليس بالضرورة الأرخص ثمناً لكن بأفضل المواصـفات وأقـل التكـاليف لهـذه المواصفات – أي القيمة الأفضل

لا شيء يمكن أن يمنعه من البحث عن "الشروة" الأفضل. كان يريد الحصول على الطائرة ذات المردود الأعلى من ناحية تكلفة التشغيل في الساعة، لأنّ علـى أقسام الشركة التي تستخدمها أن تستأجرها رسميّاً من مقرّ شركة المملكة وتسـدّد التكاليف.

تفحّص الأمير الطائرة الأولى على عجل وطرح سؤالاً أو اثنين، ثم خرج منها متوجّهاً إلى الطائرة الثانية وصعد على متنها على الفور أيضاً.

تمكّن ممثّل الشركة الذي يأمل ببيع الطائرة من حشر نفسه بقرب الأمير عندما كان يجرّب أحد المقاعد. وأوضح الممثّل أنّ شركته تؤجّر الطائرات ولديها ثلاث، لكن الأعمال لا تستوعب سوى اثنتين، لذا طرحت إحداها للبيع.

طرح الأمير سؤالين على عجل وخرج.

توجّه بسرعة إلى الطائرة الثالثة، وأجرى النوع نفسه من الفحص السـريع، وعلّق على استخدام مقصورات التخزين وترتيب المقاعد. وخرج بعد ثلاث دقائق تقريباً.

قبل أن يتوجّه إلى الطائرة التالية القابعة تحت الأنوار الكاشفة، جذب الوليـد غيلسباي جانباً وتحدّث إليه بهدوء عن أحد البائعين: "أعتقـد أنّ هـذا الرجـل سيخفّض السعر. تحدّث إلى كليهما وأنزل السعر إلى 4 ملايين دولار. وأبلغهما أنّنا سندفع صباح غد"

كانت تلك إحدى تكتيكات الضغط التي يتّبعها – وضع احتمال توقيع في الصباح أمام الرجل الذي يريد التخلّص من طائرته – ويعرف الرجل أنّ الأمير يستطيع دفع شيك بأربعة أو خمسة ملايين دون أن يرفّ له جفن.

كان الوليد قد خصّص ثلاثين دقيقة فقط لرحلة شراء الطائرة من مطار لوبورجيه، ولم يلزمه سوى ثلاثين دقيقة لفحص الطائرات الستّ، منذ أن نزل من البوينغ 767 إلى أن استقلّ الحافلة متجّهاً إلى الفندق.

بدا الأمر سريعاً ومتعجّلاً بشكل ملحوظ للتقرير بشأن طائرة تكلّف عدّة ملايين من الدولارات، لكنّ الأمير يقول إنّ المسألة ليست كذلك: "لقد تمّ الأمر على عجل واتخذت القرارات بسرعة. الطيّار يعرف ما أريد تماماً، وهو يعمل على هذا الأمر منذ شهر أو اثنين، ويعرف مطلبي. وقد عرضت نتيجة بحثه كلّها الآن. لقد بحث في كل أنحاء العالم، من هونغ كونغ إلى سنغافورة إلى أمريكا، بل وحتى في جنوب إفريقيا، وهذه هي خلاصة ما توصّل إليه. وهكذا عليك أن تقرّر بسرعة. لا يمكنك أن تسوّف وتؤخّر الأمور"

ينطبق ذلك على أسلوب الوليد، فهو يخطّط لكل شيء بدقّة قبل التنفيذ. أجريت الأبحاث، ودرست الفرص، ويتوقّف الأمر الآن على الحصول على السعر المناسب. بدا ذلك شبيهاً باستراتيجيّته الاستثماريّة.

سئل الأمير، فيما كان متوجّهاً نحو الحافلة، عما إذا كان سيمتلك طائرة أخرى في الصباح. توقّف هنيهة، والتفت بعدما ارتسمت ابتسامة على وجهه، ورفع سبّابته وقال، "الليلة"

ملاحظة الأشياء الصغيرة

من أقوى الخصائص التي يمتلكها الوليد عينه الناقدة التي تلحظ كل التفاصيل.

إنّه يلاحظ كل شيء، سواء في طائرته الخاصّة أم في يخته أم في بيته. وسيلحظ أصغر الأشياء التي تكون في غير محلّها، بصرف النظر عن حجم الحيّز أو مقدار الأشياء الموجودة فيه.

عندما أجريت جولة في منزله، أخبرني أحد الموظّفين هناك كيف يختبرون

الأمير بتحريك التحف ومنافض السجائر، حتى ولو بمقدار إنش أو اثنين. فيتوجّه الأمير تلقائيّاً تقريباً إلى هذه الأشياء ويعدّل مكانها. إنّه يميل إلى وضع التحف وما شابهها وفق أنماط محدّدة – متناظرة على الدوام. ولديه نظرة ثاقبة تمكّنه من ملاحظة اللاتناظر أو حصول أي خلل في النمط. بل إنّه في الواقع شديد الاهتمام بالتناظر. ليس عليه أن يذكر مكان الأشياء المحدّدة في البيت، بل يستطيع أن يلحظ على الفور عندما تنتظم الأشياء الموجودة أمام ناظريه مع الترتيب الذي يريد. ولا يستطيع الموظّفون مفاجأته. فهو يلاحظ كل ما يحدث كل مرّة. وهم يجدون صعوبة في تفسير ذلك، ولا يسعهم أن يصدّقوا كيف يتمكّن من إحصاء كل صغيرة وكبيرة تدخل في تصميم المنزل.

يطلق الموظّفون على منزله تسمية "قصر"، ولعلّها تلائم الوصف بصورة أفضل. تبلغ مساحته من الداخل أكثر من 460,000 قدم مربّع، مقسّمة إلى نحو 317 غرفة، تضمّ أكثر من 500 جهاز تلفزيون و400 هاتف، ويتمّ الوصول إليها باثني عشر مصعداً.

عندما تدخل السيّارات من باب الأمن، تصطف أشجار النخيل الباسقة على طول الطريق التي تتميّز بوجود مسقط ماء ينحدر فوق سطح صخريّ مائل. المبنى عصريّ مزوّى ذو لمعة رخاميّة ونوافذ طويلة. ينفتح بابه الأماميّ المفرط الضخامة على قاعة مدخل يرتفع نحو 80 قدماً، في مواجهة درجين واسعين ينحنيان صعوداً ليلتقيا في الأعلى.

يجوب 200 موظّف مزوّدين بأجهزة إرسال واستقبال وهواتف محمولة الأروقة والطوابق ومناطق الخدمة. وهم يحافظون على العقار الضخم، مع بركتي السباحة الداخليّة والخارجيّة، وسينما صغيرة ذات مقاعد جلديّة تتسع لخمسة وأربعين شخصاً، ومجمّع رياضيّ تبلغ مساحته 100,000 قدم مربّع، ويتفوّق على معظم أندية اللياقة البدنيّة المحترفة. ويضمّ المجمّع كل جهاز تمرين يمكن أن يخطر على بال، وبركة سباحة أولمبيّة وملاعب تنس (في الداخل والخارج) ومجاز للبولنغ. وهناك حديقة داخليّة تضمّ مناطق للجلوس تتسّع لعشرات الأشخاص لتناول العشاء. ويمكن أن يأتي الطعام من مطبخ مركزيّ تبلغ مساحته نحو 30,000 قدم

مربّع، ويعمل فيه طبّاخون محترفون استُقدموا من مختلف أنحاء العالم. ويمكنهم تقديم عشاء لنحو 1000 شخص في أي وقت. وفي هذه الحالة، ربما يساندهم نحو 20 مطبخاً آخر موجودة في أماكن أخرى من القصر.

الطقس في الرياض حارّ جدّاً في أثناء أشهر الصيف، لا سيما في تموز/يوليو وآب/أغسطس، لكنّه يشجّع على الحياة في العراء في معظم أوقات السنة، حيث يكون جافّاً ودرجات الحرارة دافئة ومريحة. ولهذا السبب، يتعشّى الوليد في الهواء الطلق في معظم الأحيان. ويمكنه بخلاف ذلك استخدام واحدة من 15 غرفة طعام داخل القصر.

ويحب الأمير، سواء أكان في الداخل أم الخارج، أن يكون إلى جانبه جهاز تلفزيون، وأن يتابع الأخبار الدوليّة والشؤون الراهنة، فضلاً عن متابعة قنوات روتانا الموسيقيّة. لكنّ البرامج التي يرغب في مشاهدتها ولا يتمكّن من ذلك، تسجّل في غرفة تحكّم سمعيّة بصريّة تحتوي على عشرات أجهزة الفيديو المصفوفة على طول الجدار، والمضبوطة على قنواته المفضّلة في كل أنحاء العالم. وتضمّ كل غرفة نوم، من بينها 10 غرف رئيسيّة - ما يصل إلى أربعة تلفزيونات، وكذلك مكاتبه الموجودة في البيت.

من الملاحظ أنّ الموظّفين لا يظهرون داخل المبنى، إلا الأشخاص الذين يحتاج الوليد إلى وجودهم حوله بشكل مباشر. ويمكن أن يساندهم الآخرون في أداء أي شيء لا يستطيعون الاهتمام به على الفور، ولن يحتاج الأمر سوى مناداتهم عبر أجهزة الإرسال والاستقبال.

المساعدة التنفيذيّة للأمير، دينا عبد العزيز جوخدار، هي أيضاً مديرة القصر، وتقول إنّه يدير المنزل بانضباط عسكريّ: "إنّه متشدّد جدّاً بشأن الانضباط. ويجب أن يكون كل شيء منظّماً. ويكون قاسياً عند مخالفة القواعد، كما هي الحال عندما لا يؤدي المرء عمله بالشكل الصحيح. لكنّه في الجانب الآخر إنسانيّ جدّاً ولطيف"

وتقول أيضاً، بحكم خبرتها، إنّ الأمير مختلف عن الكثير من الأمراء الآخرين، أو النخبة الثريّة، لا سيما في طريقة إدارته للموظّفين: "إنّه مختلف. إنّه مختلف في

نمط حياته، ومختلف في طريقة معاملة الآخرين. إنّه فريد"

وتضيف إن من المهمّ بالنسبة للوليد أن يعطي المرأة دوراً أكـبر لا في محـيط أعماله فحسب، وإنّما في البيت أيضاً. وفي خريف سنة 2004، أصبحت دينا أوّل امرأة تدير قصره الواسع وموظّفيه، بعد أن تقدّمت وباتت تتقن النظام.

يعتقد الأمير أنّ الصعوبة تكمن في استخدام الأشـخاص المناسـبين الـذين يتماشون مع طباعه: "إنّني شديد الانضباط والتنظيم. وأحب الإفـراط في تنظـيم الأمور. وأعتقد أنّ ذلك شيء في داخلي، وأحياناً يصيبني السأم من رؤية أشياء غير مضبوطة. وأحبّ أن أصحّحها، لكنّني أعتقد أنّ لدي موظّفين من حولي، سواء في محيط العمل أو في بيتي أو طائراتي أو يختي، وجميعهم يدركون عقليّتي وهم جيّدون جدّاً ويساندونني. إنّهم يطبّقون كل ما يجول في عقلي، لذا إنّها حياة منظّمة جدّاً"

يتواجد معظم موظفي المنـزل الذين يعملون في مجال الخدمة المختلفة حـول الطبقة الأرضيّة وتحتها. توجد متاهة في الطبقة السفلى تصل ما بين أقسـام المـبنى المختلفة وتفضي إلى المرآب. تتغيّر السيّارات التي تركن هناك بين الحين والآخـر. وتصطف عشرات منها في صفوف مرتّبة، وتضم سيّارات هامر وشاحنات مقفلـة مصنوعة حسب الطلب، وتتيح للأمير الحصول على التلفزيون والاتصـالات عـن طريق الأقمار الاصطناعيّة أثناء قيادها على الطريق، بالإضـافة إلى أسـطول مـن سيّارات الليموزين من طراز هيونداي التي اشتراها دعماً لاسـتثماره في شـركة السيّارات الكوريّة. وتدور بعض السيّارات الرياضيّة والمبتكرة في الموقع، بما فيهـا، ذات مرّة، سيّارة باتموبيل الأصليّة المصنوعة لفيلم تيم بيرتون، وقد أحضرت لفتـرة وجيزة كمفاجأة لابنه خالد.

وعندما يحين موعد انتقال خالد من منـزل والده، لن يكون عليه الابتعـاد كثيراً. فالقصر القديم موجود في الجوار، وتُرك على حاله لكي يتخذه الأمير الصغير بيتاً عندما يتزوّج. وإلى جانب أخذ بيت والده القديم، على خالد أن يفي بالآمـال الكبيرة المعقودة عليه في الأعمال: "ثمة ضغط كبير عليّ، لا شكّ في ذلك. أعني أنّ عليّ الوفاء بحمل ثقيل! من ناحية الأعمال، ومن الناحية الإنسانيّة، وأن أكون قدوة مثله. إنّها مسؤوليّة كبيرة وعبء هائل، لكن ذلك هو قدري وأنا مستعدّ له"

الملاذ الأخير

عندما ابتعد خالد بالسيّارة عن وسط الرياض، شاهد أمامه الطريق مفتوحة مسافة طويلة. لم يكن أمامه أي سيّارة. ابتسم وهو يقول، "أرجو ألا تمانع السرعة"

استجابت سيّارة المرسيدس 600 CL على الفور لقدمه وهي تضغط على دواسة السرعة إلى آخرها، وتحرّك عدّاد السرعة ليلامس السرعة القصوى للسيّارة.

لم يرفّ للأمير جفن فيما ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة. لم تكن تلك السيّارة من إصدارات المرسيدس بنز العاديّة. لكنّها لم تكن إصداراً قياسيّاً للشبّان السعوديّين.

التصقت السيّارة بالأرض وهي تجتاز انعطافتين معتدلتين، ثمّ رفع خالد قدمه فجأة عن دوّاسة السرعة، وفيما تباطأ المحرّك مع أنّة منخفضة، وجّه السيّارة الفارهة نحو منعرج يفضي إلى مستديرة. وإلى يسارها على الفور يوجد منتجع المملكة، وهو مقام في منطقة مكشوفة قليلة السكّان خارج المدينة. وقد وصل إلى هناك في الخامسة بعد الظهر ليتناول الغداء مع والده، الذي قرّر ألا يأكل في المنزل. فقد كانت الأمسية جميلة جدّاً ورغب في تناول الطعام في الهواء الطلق. كان خالد في مزاج رائق: "يمكنني التحدّث مع والدي في كل شيء، وأنا فخور بقول ذلك. و لم يحدث ذلك إلا خلال السنوات الأربع الماضية. قبل ذلك، لم أكن أعرف كيف أتصرّف حقّاً، و لم أكن أعرف كيف أقارب والدي. إنّه يمتلك شخصيّة الأب، ومع ذلك فهو ليس متشدّداً كثيراً، وكنت أخشى ذلك"

يمضي خالد الآن وقته متقلّباً بين وضعين مختلفين – وضع صاحب العمل والموظّف، ووضع الوالد والابن. وهو يشعر أنّه يستطيع موازنة تفاعله معه عن طريق الفصل بينهما: "إنني ألازمه 24 ساعة في اليوم لمدّة سبعة أيام في الأسبوع، والدي معلّم وراعٍ، وبشكل مجّاني. لذا إذا كان في اجتماع عمل، أكون معه دائماً. أستمع على الدوام أو أدوّن الملاحظات، ما الذي يجري، وكيف يتصرّف؟ وكيف لا يتصرّف؟ ولماذا تراجع؟ ولماذا لم يتراجع؟ لقد تعلّمت الكثير وأتعلّم الكثير

ركن خالد السيّارة قرب البوابة الأماميّة للمنتجع، ورحّب به أحد الموظّفين في سيّارة صغيرة مدهونة بالبيج والأخضر، على غرار عربة الغولف، ولكن بتصميم سيّارة قديمة من الثلاثينيّات، وعليها شعار شركة المملكة. ركب الأمير وانطلقت السيّارة يصاحبها الصوت النموذجيّ للسيّارة الكهربائيّة. تقدّمت في مسار متعرّج أمام ملعب غولف بتسع حفر نحو منطقة جلوس مفتوحة تشرف على ما تبيّن أنّه غراند كانيون مصغّر.

كان الوليد هناك بالفعل، يهتمّ به الموظّفون، ويقوم بالطقس المعتاد قبل الغداء حيث يتابع الأخبار ويشاهد التلفزيون الدائم الحضور إلى جانبه.

كانت السماء زرقاء صافية، وإذا ما استثنينا قسماً من الطريق العامّ الذي يبدو من بعيد، كان يمكن أن يكون هذا الموقع واحة وسط هذا القفر. ويتعرّج المسار عميقاً داخل الوادي الصغير، ويجتاز منطقة لركوب الخيل وإصطبلات، وحديقة حيوانات صغيرة تحتوي على حيوانات مختلفة وقفص طيور ضخم مقام على سفح التلّ. ويوجد في أسفل الوادي صفوف متجاورة من أشجار النخيل التي ترتفع بجلال بجوار واحة صغيرة. وثمة جزيرة خضراء صغيرة قريبة من الوسط توفّر نقطة اتصال لجسرين حجريّين يقطعان الواحة بالعرض، وتوجد نافورة ترشّ الماء عالياً في وسط الواحة.

تتناثر حول المنتجع عشرات المواقع، بعضها كبير جدّاً، بحيث يبدو أنّ تنفيذ المشروع كان مكلفاً، لكنّ الوليد، على عادته، وجد صفقة أخرى قليلة التكاليف: "لقد كانت في الواقع أرضاً منسيّة، ولم يكن أحد يستغلّها حقّاً، لذا أخذتها وطوّرتها بأقلّ قدر من التكاليف، وحصلت على هذه النتيجة الرائعة. وهي تقدّر الآن بأكثر من عشرة أضعاف الثمن الذي اشتريتها به وما أنفقته عليها"

كانت صحراء مجدبة عندما اشتراها، وبذل ما بوسعه لكي يحافظ على منظرها الطبيعيّ. وقد تمّ تنظيف الوادي الصغير وإضاءته بطريقة ذكيّة وإضافة مسقط ماء إليه، وشقّ طريق على جانبه لكي يتمكّن الوليد من ممارسة المشي الطويل.

بني أحد المواقع ليبدو مثل تشكيل كهفيٍّ شهير في لبنان يزوره السيّاح، وهو مكان كان والد الوليد حريصاً على زيارته دائماً.

وهناك موقع آخر يشبه مزرعة أمريكيّة بملحقاتها. وتوجد خيمة ضخمة قرب المدخل بحيث يستطيع الأمير استقبال عدد كبير من زوّاره دفعة واحدة، وثمة مبنى للتسلية قرب الواحة، وتتخلّله بركة ممتدّة إلى الخارج.

وفي أعلى الوادي، يوجد المبنى الأساسيّ الذي يدعى "أعلى التل"، ويتمحور داخله حول بركة سباحة كبيرة مع منطقة غاطسة لتقديم المرطّبات وسواها، وسلالم وجسور خشبيّة صغيرة، ودرج لولبيّ يفضي إلى القسم العلويّ، وفيه طابق زجاجيّ يتيح للجالسين في الأعلى النظر إلى الأسفل على البركة.

تنتشر صور الأسرة التي تظهر الوليد وابنيه في أماكن الجلوس وغرف النوم المختلفة، وتشاهد شاشة تلفزيون في كل نقطة مشرفة.

من الواضح أنّ عين الأمير التي تهتمّ بالتفاصيل هي التي أملت كيفيّة تصميم هذا المنتجع وأشرفت عليه.

بدا ذلك كأنّه كثير على رجل وأسرته، لكنّ الأمير يشير إلى أنّه يستخدم منتجع المملكة على نطاق واسع، وأنّ معظم أماكن الجلوس البالغ عددها نحو 24 تحظى بزيارة الأمير في وقت من الأوقات خلال السنة.

عندما حلّ الليل، أصبح الطريق القريب من المنتجع مرئيّاً أكثر من ذي قبل حيث أضاءت السيّارات مصابيحها الأماميّة، لكن حركة المرور كانت خفيفة، ولم يصل صوتها عبر الوادي الصغير الذي يفصل المنطقة الرئيسيّة من المنتجع عن بقيّة العالم. وقبل أن تظهر النجوم بوضوح، تحوّل لون السماء إلى أرجوانيّ داكن، متباين بصورة بديعة مع ظلال أشجار النخيل المنتشرة حول الأمير وفريقه.

"انظروا"! صاحت إحدى النساء فجأة بصوت عالٍ. فالتفت الجميع إلى حيث تشير.

ظهرت في السماء الأرجوانيّة الصافية تماماً غيمة بيضاء صغيرة ومنخفضة جدّاً، وتجمّع حول حوافّها بعض الضباب الرقيق المزرقّ. بدا منظرها غريباً حقّاً وهي تطفو كنُدفة قطن على هواها.

كان الأمير يتحدّث إلى أحدهم، فالتفت ونظر إليها. فتملّكته الدهشة وعلّق قائلاً، "إنّها تائهة"

من الرمل إلى الثلج

عندما ودّعت سنة 2003، عاد فريق "قسم السفريات" نفسه إلى الأعمال ثانية.

كان من الصعب على كل من يدخل مكتب روبير وهاني في شركة المملكة القابضة أن يحصل على جواب مترابط من أي منهما. فقد كانت رحلة الأمير الكبرى إلى جاكسون هول، في وايومنغ بأمريكا، على بعد أسبوعين. و لم يكن أمامهما وقت للتفكير، فما بالك بالثرثرة. لقد تمكّنا من ضمّ شخص آخر، فيصل، إليهما في هذه الرحلة، ليختبرا عزيمته كموظّف إضافيّ في قسمهما، لكنّه لم يكن يتحلّى بالخبرة، وبقي بالتالي عبء العمل عليهما كبيراً جدّاً.

في السنوات القليلة الماضية، اعتاد الوليد أن يمضي إجازته الشتويّة في المنتجعات الثلجيّة، بعد أن أقنعه ولداه على تجربة تلك المنحدرات. كانت المشكلة تكمن في أن المكان هو الولايات المتحدة، حيث يحتفظ الوليد بمعظم استثماراته، لذا فإنّه لن يتمدّد ويسترخي بعد ممارسة التزلّج. فما بعد التزلّج بالنسبة لأكثر المليارديرات في العالم مثابرة على العمل، يعني حشر بعض العمل الجدّي بين خلع حذاء التزلّج ولبسه ثانية.

لا يفاجأ تشاك غولان، صديق الوليد القديم الذي سافر من كاليفورنيا للقائه، بأيّ شيء يفعله الأمير: "يعتقد الناس أنّ صاحب السموّ من الأشخاص اللعوبين لأنّه يمتلك سفينة وطائرة، أو ثلاث طائرات، ويمضي إجازات باذخة... إنّ هذه أوقات متعته، لكنّها حياته العمليّة أيضاً. فعندما يذهب في هذه الرحلات القصيرة، تكون بمجملها للعمل أساساً، ويتخلّلها بعض الوقت للعب"

لم يكن الأمر صحيحاً تماماً. ففي جاكسون هول، ارتدى الوليد زلاّجتيه وشقّ طريقه بحماسة عبر الثلج، بتوجيهات من بيل، مدرّبه الشخصيّ في التزلّج على الثلج.

يتمتّع بيل بلياقة ممتازة بالنسبة إلى سنّه المتقدّمة، وترتسم ابتسامة دائمة على وجهه الذي لوّحته الشمس، ولديه طبيعة صبورة تتباين مع طبيعة الوليد بصورة

جذريّة. بل يبدو أنّ بيل يتحدّث ببطء مقارنة بالأمير التي يخرج من فمه الكلام بسرعة الرشق الناريّ ويعمل دماغه بسرعة شديدة.

يتمايل بيل باعتدال من جانب إلى آخر، ويطلق صيحات التشجيع، في حين أنّ الأمير الذي يمتلك ساقين قويّين بفعل المشي، يواجه الجاذبيّة بحماسة شديدة.

يتبع الفريق المرافق للأمير في التزلّج رئيسهم باحترام، رغم أن العديد منهم يكافح في الواقع لمجاراة الأمير في سرعته.

شجّع ابنا الوليد أباهما على التزلّج حتى يتمكّنوا جميعاً قضاء الإجازة الشتويّة معاً كأسرة. وغالباً ما يتقاطع مسارا خالد وريم، باعتبارهما من جيل آخر تماماً، مع مسار أبيهما على المنحدرات، لكنّه يصادفهما عادة ممدّدين على الثلج وأقدامهما مثبتة بألواح الثلج. ويبدو أنّ الاستلقاء على الثلج هو وضعيّة الراحة المفضّلة لدى المتزلّجين على ألواح الثلج.

لقد كان تشاك محقّاً إلى حدٍّ ما - الأعمال لا تتوقّف لأنّ الوليد يحرث الثلج بسرعة كبيرة على سفح الجبل. فبين الحين والآخر، يتقدّم رؤوف بسرعة إلى الأمام، ويحمل الموتورولا بيده الممدودة لكي يأخذه الأمير أو يجري مكالمة. ومن حسن الحظّ أنّ المسؤول عن الاتصالات متزلّج ماهر، ويستطيع أن يشقّ طريقه بكفاءة نحو الأمير بسرعة عالية عند الاتصال به - رغم أنّه ناول الأمير الهاتف ذات مرّة وفقد توازنه عندما بدأ الأمير بالحديث. لم يكن هناك شيء يتعلّق به رؤوف، فتمسّك بالأمير بشكل غريزيّ في محاولة للبقاء منتصباً، فتشابكت مزلجاتهما معاً دون قصد. انزلق الاثنان نحو أسفل التلّ باتّجاه عكسيّ لمدّة بضع ثوانٍ قبل أن يسقطا تماماً.

أشاح الجميع بأنظارهم بعيداً وهم يصفرون ويتظاهرون بأنّهم لم يلاحظوا ما حدث. وتمكّن الوليد من متابعة حديثه إلى حدٍّ ما طوال الحادثة.

لقد تابع الأمير أعماله حتى عندما كان على وشك الوقوع.

كانت رحلة جاكسون هول وقتاً صعباً بالنسبة إلى روبير وهاني، ويرجع ذلك إلى حدٍّ كبير إلى أنّ الأمير ضغط فيها الكثير من الاجتماعات.

طارت المجموعة من الرياض إلى نيويورك، حيث رتّب أكثر من اثني عشر

اجتماعاً في اليوم، بما في ذلك الاجتماع برئيس مجلس إدارة مجموعة سيتي (Citigroup)، ساندي ويل، و"البرنس الآخر"، الرئيس التنفيذيّ القادم، تشاك برنس، إلى جانب ديك بارسونز، رئيس تايم ورنر (Time Warner)، وهانك غرينبرغ، رئيس شركة AIG العملاقة للتأمين، وكثير غيرهم. وقد قدم بيل فات، رئيس مجلس إدارة فنادق فيرمونت (Fairmont) من تورنتو لمقابلة الأمير في نيويورك، لكي يبحثا ما يفعلانه بفندق بلازا الذي كان الوليد يمتلك 50 بالمئة منه في ذلك الوقت.

وكان أبرز أحداث هذه الزيارة في نيويورك إلى حدّ ما اجتماع الوليد بالرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون.

رتّب روبير وهاني أمر التصريح الأمنيّ اللازم لدخول المبنى الذي يستخدمه كلينتون كمكتب في هارلم، شمال منطقة وسط مانهاتن، ورتّبا المواصلات على شكل سيّارات ليموزين سوداء فارهة. إذا كانت هذه السيّارات لن تلفت الأنظار في هارلم، فلن يلفتها شيء، لكن انضمّ إلى الحارس الشخصيّ للأمير، ناصر العتيبي، رجلا أمن محلّيّين - وكلاهما شرطيّان سابقان في مدينة نيويورك - في حال كان أحدهم قلقاً بشأن السلامة.

عندما ترجّل الأمير من الليموزين التي توقّفت على مقربة شديدة من المبنى الذي يضمّ مكتب كلينتون، علّق بأنّه وصل قبل 15 دقيقة من الموعد، وهو ما يكفي من الوقت لممارسة المشي السريع. كان الوقت في فصل الشتاء، وفيه ينبعث من مصارف المياه في نيويورك دفق دائم من الضباب الرقيق إلى الجوّ. وكان الناس متلفّفين بستراتهم ومعاطفهم السميكة فيما يخرج الزفير من أفواههم على شكل دخان أبيض.

انطلق الوليد ماشياً في الشارع وهو يرتدي سترة جلديّة سوداء متوسّطة الطول ذات قبّة من الفرو، وكان يداعب حبّات المسبحة التي يحبّ أن يحملها معه في معظم الأوقات. أسرع الحرّاس الشخصيّون ليسيروا إلى جانبيه، وتبعتهم الحاشية. وبعد أن قطع مسافة غير بعيدة، توقّف ليطرح سؤالاً، "هل من المأمون السير في هارلم"؟

من حسن الحظّ أنّ هارلم، رغم انّه ليس الشانزيليزيه، لم يعد ما كان عليه قبل عشرين سنة - غيتو للجريمة وفقاً لكافّة رجال الشرطة في هوليود وأفلام اللصوص. فقد بدأت إعادة تأهيل الحيّ في التسعينيّات مما جعله منطقة عصريّة إلى حدٍّ ما وذات مستقبل واعد.

لم يكن الأمن ظاهراً في مبنى كلينتون، لكنّه آمن دون شكّ. طلب الرئيس السابق أن ينضمّ إليه الوليد مع شخص واحد كمستشار، بحيث يمكنهما التحدّث على انفراد قدر الإمكان. تقدّم الأمير ومصرفيّه الخاصّ، مايك جنسن، وتواريا داخل المكتب. ولم يُدلِ أي منهما بتفاصيل عن المحادثات التي دارت عندما خرجا بعد نحو ساعة.

كانت الإقامة في نيويورك مليئة حتماً بالاجتماعات، لكن يجب ترتيبها بحيث يكون لدى الوليد متّسع للسفر إلى نيو هافن في 17 كانون الثاني/يناير. كان ذلك هو اليوم الذي تتخرّج فيه ابنته ريم من الجامعة. ولقد استغلّ الوليد أيضاً نفوذه لكي يبتعد صديقه، ساندي ويل، عن مجموعة سيتي مدّة وجيزة لإلقاء كلمة أثناء حفل التخرّج.

كانت الأميرة الصغيرة الرائعة بادية التوتّر وسعيدة فيما ابتدأ الحدث، لا سيما عندما شاهدت والدها وأخاها بين الحضور مصحوبين بأمّها. فقد حضرت الأميرة دلال لتقدّم المساندة إلى ابنتها في هذا اليوم الكبير.

كان الأمير يشعر بالاعتزاز بعد أن اجتاز ولداه أصعب مراحل الدراسة بنجاح. وسرعان ما سيتفرّغان للعمل معه. عانق الأمير ابنته رافعاً قدميها عن الأرض، واستدار بها خارج القاعة.

وعندما أنزلها، قال مازحاً عن الضغط الذي تواجهه الآن، "لقد بدأ للتوّ"

أعدّ الوليد أيضاً لذلك اليوم في نيو هافن بعناية. فقد وصل بالحافلة من نيويورك، لكنّه طلب قدوم البوينغ 767 إلى مطار هارتفورد برادلي المحليّ. ورتّب أيضاً وصول طائرته الجديدة من طراز هوكر سيدلي - وهي الطائرة التي اشتراها في الليلة التي سبق الحديث عنها من مطار لوبورجيه في باريس. وقد جرت إعادة تجهيزها وفقاً للمواصفات التي أعدّها، وصارت تحمل شعار شركة روتانا.

وقبل صعود الموظّفين والحاشية إلى طائرة البوينغ، أجرى الأمير جولة تفتيشيّة على الطائرة الصغيرة، ولاحظ أمران ثانويّان يمكن أن يغفل عنهما الجميع. على سبيل المثال، لاحظ أنّ الآيات القرآنيّة المكتوبة بخط صغير على الفاصل داخل الطائرة كانت على خلفيّة داكنة أكثر من سواها. وقد أكّد له الطاقم أنّه سيجدها كما يجب في المرّة التالية.

عندما صعد الجميع على متن طائرة البوينغ 767، انطلقت متوجّهة إلى أيداهو فولز. وكان ذلك أقرب مطار إلى جاكسون هول يمكنه استيعاب مثل هذه الطائرة الكبيرة. أما المطار الموجود في جاكسون هول نفسها فقد كان صغيراً. أكملت إحدى الحافلات الرحلة إلى فندق فور سيزنز قليل الارتفاع، القابع على مقربة من منحدرات التزلّج في المنتجع.

خصّصت ثلاثة أيام فقط للتزلّج قبل أن يتحرّك الأمير الذي لا يهدأ ثانية.

وقد استخدم هذه المرّة الطائرة الصغيرة للسفر من جاكسون هول مباشرة مع فريق من ثمانية أشخاص فقط. كان متوجّهاً إلى أطلنطا، بجورجيا، وهي مقرّ كوكا كولا، ودلتا إيرلاينز و"سي إن إن"، بالإضافة إلى مؤسّسة جيمي كارتر للأبحاث.

كان الأمير يقوم بزيارة اجتماعيّة إلى الرئيس الأسبق للولايات المتحدة، بالإضافة إلى التبرّع له بمبلغ مليون دولار للمساعدة في تمويل العمل المهمّ الذي تقوم به مؤسّسته. لقد سافر الفريق لمدّة 12 ساعة عبر البلاد من أجل قضاء ساعة مع كارتر، لكنّه كان وقتاً قيّماً في بناء العلاقة واللحمة بين الرجلين.

وتمكّن الأمير أيضاً من التسلّل وإلقاء نظرة خاطفة على فندق فور سيزنز بأطلنطا، حيث وجدوا له غرفة هادئة استخدمها بضع دقائق للصلاة.

أمضيت الأيام الأربعة التالية في التزلّج على منحدرات جاكسون هول، لكنّها لم تُغفل العمل طويلاً. فقد دعا الوليد رئيس مجلس إدارة نيوز كوربوريشن ورئيسها التنفيذيّ، روبرت مردوخ، إلى العشاء. وتوخيّاً للدقّة، عندما ذكر الوليد أمام مردوخ أنّه يودّ أن يجتمع به، تطوّع قطب الإعلام الأستراليّ بالقدوم إلى جاكسون هول ليلاً على متن طائرته الخاصّة.

أمضى الوليد ساعتين مع موظّفي الفندق لانتقاء قائمة طعام العشاء، والحرص على أن تكون ترتيبات الجلوس مرضية. ومرّة أخرى، أدّى الإعداد والتخطيط لأن يكون اللقاء دافئاً. وعندما كان مردوخ يهمّ بالمغادرة بعد بضع ساعات من وصوله إلى الفندق، رافقه الأمير إلى أمام المدخل. وأثناء انتظار السيّارة التي ستقلّ مردوخ، وقف صاحبي المليارات في الهواء البارد يتحدّثان عن أشـياء يبـدو أنّهـا تخـصّ المليارديرات... مثل حجم خزّانات الوقود في طائرتيهما، وما المدى الذي يمكنهما أن تجتازانه.

أثناء هذه الأيام الأربعة، قدم أيضاً رئيس شركة فور سيزنز لإدارة الفنـادق، إيسادور شارب، ومعه زوجته. وقد أتاح ذلك الفرصة أمام الوليد بعدم الاكتفـاء بالتحدّث عن أعمال الفنادق مع هذا الكنديّ، بل التزلّج أيضاً لمدّة يومين مع رجل نشأ على منحدرات التزلج في أمريكا الشماليّة. وقد أعجب شارب بالتقدّم الـذي أحرزه الأمير في بضعة مواسم فحسب، منذ أن ابتدأ هذه الرياضة، لكنّه اعتـرف بأنّه أقلع عن حركاته الجامحة على الثلج بعد أن تقدّمت به السنّ.

مواجهة المواضيع مباشرة

كانت الرحلة التالية تمتاز بخصوصيّتها بالنسبة للوليد. فقد توجّه إلى الغـرب هذه المرّة، وكان جدول مواعيده يبدأ في السادسة صباحاً. انطلقت طائرة الهـوكر سيدلي بعيد السابعة بقليل متوجّهة إلى بوربانك، بكاليفورنيا، موطن ميكي ماوس، ورئيسه مايكل إيسنر.

كان الأمير يدعم الرئيس التنفيذيّ لديزني في مواجهتـه مـع مجلـس إدارة شركته. أراد الوليد أن يطمئنه إلى استمرار تأييده له، والضغط عليه في الوقت نفسه بشأن الحاجة إلى مزيد من الإجراءات على جبهة مشروع يورو ديزني المكافح قرب باريس، حيث لا يزال استثماره الكبير راكداً منذ عشر سنوات.

كان اجتماعاً سريعاً وعلى مقدار عالٍ من الكفاءة في مقرّ ديـزني، وبحلـول وقت تناول القهوة في الشركة في الساعة العاشرة والنصف صباحاً، كانت الطائرة الصغيرة في طريقها إلى سان خوسيه للقاء ستيف جوبز في مقرّ أبل كمبيوترز

بقي هناك بعض الوقت الفائض في أعقاب الجلسة التي امتدّت ساعة مع جوبز، إذ إنّ لاري إليسون، من شركة البرمجيّات العملاقة أوراكل، أجلّ موعده مع الأمير إلى وقت لاحق. لذا قرّر الأمير أنّ تلك فرصة مثالية للتوجّه بالسيّارة إلى أثرتون، لرؤية منزله القديم ومكان دراسته، منلو كولدج.

بدا عليه الحنين للحظات عندما وقف خارج البيت الخشبيّ الداكن في كامينو ريل، وهي الطريق الرئيسيّة التي تمرّ في البلدة. وبعد ذلك هزّ رأسه وعاد أدراجه إلى الليموزين المتوقّفة، متحدّثاً عن الوحدة التي عاشها في تلك الفترة في أواخر السبعينيّات في الولايات المتحدة.

وفي أسفل الطريق، طلب من السائق التوقّف عند بوّابة منلو كولدج. أرخى ساقيه بضع لحظات وألقى نظره على المباني الرئيسيّة، ثم أسرع في التحرّك. فقد حلّ موعد اجتماعه التالي.

كان حرم شركة صن ميكروسيستمز (Sun Microsystems) شبيهاً بالعديد من مواقع شركات الحواسيب والإنترنت (الدوت كوم) وقطاع التكنولوجيا في كاليفورنيا، حيث يبدو أنّه أشبه بالكليّة منه إلى الشركة. بل إنّ مؤسّس الشركة، سكوت ماكنيلي، جاء إلى الاجتماع مرتدياً سترة رياضيّة وحذاءً رياضيّاً، وبدا أنّه كان يمارس تمرينات عنيفة. أطلع ماكنيلي الأمير على التقدّم الذي أحرزته شركته التي تواجه وضعاً صعباً بعد أن هبط سعر سهمها أثناء انهيار شركات الدوت كوم، لا سيما في العام 2001. كان الوليد يبحث عن صفقة جيّدة، وقرّر بعد الاجتماع أنّه بحاجة إلى إجراء مزيد من الدراسة لهذه الشركة. وأمر جنسن الذي كان إلى جانبه أثناء كافّة اجتماعات اليوم بإجراء بعض الأبحاث الإضافيّة عن شركة صن.

في الثامنة مساء، دخل الأمير فندق فور سيزنز في جاكسون هول ثانية. لقد ذهب لمقابلة رؤساء بعض أكبر الشركات الفاعلة على الساحل الغربيّ في يوم واحد – أثناء إجازته.

هذه المرّة كان أمامه يومان من التزلّج قبل أن تحلّق طائرة الهوكر سيدلي في الأجواء في الصباح الباكر مرّة أخرى. كانت هيوستن هي المقصد هذه المرّة،

والهدف هو والد الرئيس الأمريكيّ الحاليّ، والرئيس الحادي والأربعون للولايات المتحدة، جورج هـ. دبليو بوش. كان العشاء قد أعدّ مع بوش الأب في بايو كلوب، على مقربة من مكتبه.

حيا الرئيس الودود الأمير بمصافحة حارّة، ثم راودته فكرة. "أين جيم؟" سأل سكرتيرته، "هلا طلبت منه الانضمام إلينا على الغداء في بايو كلوب، من فضلك"

دعا بوش الوليد إلى مكتبه المتواضع نسبيّاً، الذي يضمّ بعض التذكارات من أيام البيت الأبيض، لكن بدت صوره مع زوجته باربرا وأبنائه بشكل أوضح.

تحدّث الرجلان في العموميّات لبضع دقائق، قبل أن تدخل السكرتيرة وتشير إلى أنّ السيّارات أصبحت جاهزة.

رفع بوش يده وبسطها في إيماءة دافئة لكي يخرج الجميع إلى السيّارات، وبعد مسيرة 15 دقيقة، وصل الموكب إلى ناد ريفيّ هادئ.

وصل "جيم" بعد وصول بوش والأمير ببضع دقائق. كان بالطبع صديق الرئيس الأسبق ومستودع أسراره، جيمس بيكر، وزير الخارجيّة الأمريكيّة الأسبق.

بعد تناول الغداء الذي تخلّله بعض النقاش الصريح بشأن الحالة المزرية للعلاقات العربيّة الأمريكيّة، وقف جورج بوش وشكر الأمير على تجشّمه عناء القدوم لزيارته ومدّ يده. ومدّ جيمس بيكر بابتسامته اللطيفة يده أيضاً مودّعاً الأمير بحرارة.

عندما غادر الوليد، أشار إلى أنّ اليدين اللتين صافحهما للتوّ كانتا تقبضان على مستقبل العالم بأكمله.

كان الرجل الذي سيقابله هذه الليلة يقبض على مستقبل العالم أيضاً من خلال شركته القويّة، مايكروسوفت كوربوريشن. فقد دعا بيل غيتس الوليد إلى بيته في سياتل لتناول العشاء.

نظراً لأنّ الرحلة من مطار هيوستن الدوليّ إلى مطار سياتل تستغرق أكثر من

أربع ساعات، قرّر الأمير أن تلاقيه طائرة البوينغ 767 المريحة أكثر في هيوستن لكي يستخدمها في رحلته الطويلة.

في السادسة مساء، كان رابع أغنى رجل في العالم في السيّارة قاصداً بيت أغنى رجل في العالم.

وبعد عشاء شخصيّ جدّاً، عاد الأمير إلى مطار سياتل، حيث استُبدلت طائرة البوينغ 767 بالطائرة هوكر سيدلي الصغيرة. كانت الرحلة إلى جاكسون هول تستغرق 85 دقيقة فقط، وباستطاعة الطائرة الصغيرة التوجّه إلى هناك مباشرة.

بقي الآن يوم واحد كامل للتزلّج، وعاد الأمير إلى المنحدرات في الصباح، وهو يتأمّل بالاجتماعات الناجحة جدّاً التي عقدها في الولايات المتحدة.

عندما سئل عما خرج به من هذه اللقاءات – ولماذا يرغب في لقاء هؤلاء الأشخاص في المقام الأول، أوضح الأمير أنّ التحدّث إلى قادة الأعمال يوفّر له معلومات ماليّة. فالأحاديث العامّة مع هؤلاء الأشخاص تعطيه إحساساً بتفاؤلهم بالمستقبل أو تشاؤمهم منه. أما بالنسبة للقادة السياسيّين: "فلا مناص من تشابك السياسة، والمال، والاقتصاد، والأعمال بعضها مع بعض...

لكن لا شكّ في أنّ إقامة علاقات على مستوى عالٍ في العالم يفيد الوليد في أي طموحات سياسيّة. ويضيف الوليد أنّه يشعر بأنّه في موقعٍ جيّد لتكوين انطباع إيجابيّ عن الشرق الأوسط وبلده على وجه الخصوص: "العلاقة بين المملكة العربيّة السعوديّة والولايات المتحدة تمرّ في فترة صعبة في هذه الأيام. وبصفتي مواطناً سعوديّاً وعضواً في العائلة المالكة، فإنّ من واجبي محاولة الاتصال بكل هؤلاء القادة السياسيّين، وقادة الأعمال، ومجتمع الأعمال لمحاولة ردم الهوّة التي نشأت بسبب أحداث 11 أيلول/سبتمبر"

فيما كانت طائرة الهوكر سيدلي تُسرع في العودة إلى جاكسون هول، بدا أنّ روبير وهاني يتنفسّان الصعداء. فقد انتهى القسم الصعب بدون أي خلل البتة. وأثبت قسم السفريّات مرّة أخرى أنّه أهل للمسؤوليّة. كما أنّ الوليد رتّب لطائرة نقل متوسّطة لنقل الموظّفين والحاشية من مطار جاكسون هول إلى مطار دنفر

الدوليّ، حيث كانت طائرته الواسعة بالانتظار. لا شكّ في أنّ الأمير يغيّر الطائرات كما لو أنّها مجموعة من أوراق اللعب.

أما روبير وهاني فإنّ كل ما كانا يهتمّان به هو نيل رضا رئيسهما.

عندما انطلق الوليد في اليوم التالي وهو المرحلة الأخيرة من رحلته، في باريس، كان مزاجه مرحاً. وقد توقّف لآخر مرّة في جزر كايمان للقاء بعض رجال المال والأعمال، لكنّه باستثناء ذلك، كان مسترخياً.

حطّ في كايمان في ساعات الصباح الأولى، وكان لديه اجتماع محدّد قرابة الواحدة صباحاً. وقد سار على نحو جيّد، لكن بعد أن ذهب المحاسبون والمستشارون، بدا أنّ هناك تأخّراً غير عاديّ. وبدأ يشعر بالانزعاج من الانتظار.

وعندما اتضح أنّ البوينغ لن تقلع في وقتها، استدعى الكابتن دنكان غيلسباي لمعرفة المشكلة.

تبيّن أن الرجل الذي يقود شاحنة إعادة التزوّد بالوقود قد أنهى نوبته وذهب إلى البيت للنوم.

يعتبر مطار أوين روبرت الدوليّ في الواقع مقصداً مهمّاً للعديد من الأشخاص، لأنّ جزر كايمان تخدم العديد من الشركات والحسابات الخارجيّة، لكنّ ذلك لا ينعكس على المطار. وقد يدعوه البعض غريباً، فيما يعتقد آخرون أنّ مواعيده غير دقيقة ويدار بالتوسّلات.

كان الوليد هنا من أجل العمل، فنظر إلى غيلسباي واستخدم عبارته الأثيرة على نفسه: "أريد الحلول لا المشاكل

كان غيلسباي، يعرف أنّه ربما يواجه صعوبة في ذلك. أما الوليد فلم يكن قلقاً جدّاً لأنّه يعرف أنّ رجاله سيجدون الحل: "لقد وصلنا في النهاية إلى مرحلة بلغت فيها الأمور حدّ الكمال في كل مكان. لن نصل إلى حدّ المثاليّة المطلقة، لكنّني بلغت مرحلة استبشر بها بما يدور حولي، وما يقوم به الرجال، وبطريقة تنظيم الأمور. لذا لا أقلق بشأن ذلك كثيراً"

بعد القليل من المحادثات مع جهاز الموظّفين المختصر الذي يدير المطار في تلك

الساعة، تمكّن غيلسباي من الحصول على رقم هاتف الرجل الذي يقود شاحنة الوقود. فاتصل به لكنّ الرجل الغاضب أبلغه أنّ نوبة عمله انتهت قبل ساعات وأنه لن يعود إلى العمل إلا بعد بضع ساعات أخرى. حاول غيلسباي شرح المسألة الملحّة، لكن الردّ كان عدم الاكتراث.

بعد قليل رجع غيلسباي إلى الأمير وأبلغه بأنّ سائق شاحنة الوقود سيصل بعد نصف ساعة، وستكون الطائرة جاهزة للإقلاع خلال ساعة.

من المدهش كيف يمكن أن تطرد 200 دولار النوم من عيني الناعس.

بعد أن اطمأنّ الأمير إلى الحصول على الحلّ، جمع بعض موظّفيه وقال، "هيا بنا نمشي أثناء فترة الانتظار

في هذه الأيام التي تبلغ فيها الإجراءات الأمنيّة ذروتها، ويحظر دخول المطارات إلا على المسافرين الذين يخضعون لتفتيش دقيق، لا شكّ في أنّ من النادر أن يمارس سعوديّ مع نحو عشرة من العرب رياضة المشي حول مدرج المطار، ويدوروا حول الطائرات المتوقّفة، ويختفوا في الظلمة التي تكتنف مناطق المطار غير المضاءة. راقب الرجلان أو الثلاثة الذين يعملون في المطار من محطّتهم الصغيرة المكوّنة من مبنى من طبقة واحدة ما يحدث، وشعروا بالاندهاش من قيام الأمير وحاشية بالمشي السريع حول مرفقهم الصغير.

بعد ساعتين من التأخير، حلّقت الطائرة على ارتفاع 37,000 قدم، وأخذ الوليد، الذي بدا عليه الانتعاش بعض الشيء من التمرين، يتأمّل في عالم يعرف أنّه يمكنه أن يُحدث أي شيء فيه تقريباً.



16

العمل السياسيّ

"بصفتي عضواً في العائلة المالكة فهذا يعني أنّ السياسة تسري في عروقي".

الأمير الوليد بن طلال

لعل العمل المثير للجدل بالتبرّع بمبلغ 10 ملايين دولار إلى صندوق ضحايا مركز التجارة العالميّة كان الإشارة الأولى على أنّ الأمير منجذب إلى الساحة السياسيّة الدوليّة، رغم أنّه قلّل من شأن ذلك. وقد حدّد موقفه بوضوح أثناء زيارة موقع الحدث: "إنّني أتحدّث أولاً كمواطن سعوديّ، ثم كرجل أعمال، ثم كعضو في العائلة المالكة السعوديّة"

وقد شدّد الأمير على أنّه أبلغ عمّه، ولي العهد الأمير عبد الله، والحكومة السعوديّة، بأمر تلك الزيارة المزمعة إلى الولايات المتحدة حاملاً معه شيكاً كبيراً. ووفقاً لبعض المعلّقين، فإنّ النظام السعوديّ محكم الحبك بحيث لا يمكن للوليد أن يمارس السياسة من خارجه. ويعتقد هؤلاء بأنّه إذا قال شيئاً مثيراً للخلاف، فإنّ ذلك لا يتمّ إلا بموافقة ضمنيّة من العائلة الحاكمة.

يخالف الصحافيّ المرموق خالد المعينا، رئيس تحرير عرب نيوز، هذا الرأي، ويقول إنّه يمكن في هذه الأيام التحدّث بصراحة في المملكة، لكن بصفته سعوديّاً فهو يدرك البروتوكول الصارم الذي يواجهه الوليد: "لا يمكنك البقاء هنا بدون إظهار الاحترام للنظام، كما ينبغي عليك الانقياد للنظام. ولا يعني ذلك أنّ عليك اتباعه 100 بالمئة، لكن أعتقد أنه لا يمكنك الخروج عن الحدود، فيما يتعلّق باحترام

الكبار وأخذ ما يحدث في عائلتك بالحسبان، وحساسيّتها، لأنّ هناك قيماً مغروسة بقوّة في سلوكنا وعقليّتنا"

لكنّ موقف الأمير مختلف إلى حدٍّ ما في الواقع عن موقف العديد من أعمامه. أولاً، أبوه هو الابن الخامس والعشرون للملك الراحل عبد العزيز، وبالتالي فهو بعيد جدّاً عن خط الخلافة على عرش المملكة، بحيث لا يشكّل منافساً مباشراً. لكن لا يزال جدّ الوليد لأبيه الشخصيّة المؤسّسة للبلاد. ثانياً، يمكن القول إنّ عائلة أمّة هي من أرقى العائلات اللبنانيّة السياسيّة. فقد كان جدّه لأمّه أول رئيس لوزراء لبنان بعد الاستقلال.

ومن الناحية السياسية، يمتلك الوليد النسب ليلعب دوراً في الساحتين السعوديّة واللبنانيّة.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هل يريد الوليد ممارسة السياسة؟

الجواب هو نعم، أما السؤال الثاني فهو في أي بلد؟

إغواء بيروت

"ليس لديّ طموحات سياسيّة على الإطلاق"، هذا ما أعلنه الأمير في إحدى المقابلات التي نشرت في نيسان أبريل 1999 في إحدى المجلات، لكن في آذار/مارس 2002، بدأت وسائل الإعلام في الشرق الأوسط تروي قصصاً عن وضع الوليد كمنافس محتمل على منصب رئيس الوزراء في لبنان.

وقد ظهرت على السطح في أول الأمر عندما زار بيروت أثناء انعقاد القمّة العربيّة فيها في ذلك الشهر، وأدلى بتعليقات ينتقد فيها السياسات الاقتصاديّة لرئيس الوزراء اللبنانيّ، رفيق الحريري. وكان الحريريّ السياسي القويّ والذي يمتلك جذوراً راسخة يباهي بمقوّمات قويّة من خلال صلاته الوثيقة بالعائلة السعوديّة المالكة، وثروة هائلة جناها من صناعة البناء في المملكة. كما يحظى الحريري المعترف بفضله في الإشراف على جانب كبير من إعادة إعمار الوسط التجاري لبيروت من خلال شركة سوليدير، بدعم واسع من الطائفة السنية في لبنان بالإضافة إلى دعم العديد من الأوساط الدولية، لا سيما الولايات المتحدة.

بادر الوليد إلى الهجوم ثانية بعد ذلك بشهرين، في تموز/يوليو، أثناء افتتاح فندق موفنبيك، الذي كلّف 140 مليون دولار، في أرقى المناطق المشرفة على البحر في بيروت. وتابع الوليد تعليقاته الحادّة، حيث بدأ كلمته بجملة قال فيها إنّه "لا يدّعي أنّه مؤهّل لإسداء النصح إلى الحكومة اللبنانيّة"

غير أنّه ألمح بوضوح إلى الفشل الاقتصاديّ للحريري ومؤيّديه، وتابع قائلاً إن على الحكومة اللبنانيّة وضع خطّة اقتصاديّة خمسيّة أو عشريّة توضح موقفها من الاستثمارات فضلاً عن خططها بشأن اقتصاد البلد. ودعا الأمير أيضاً إلى خصخصة واسعة للقطاع العام إنما على مراحل - ودعا وزير المال ليأخذ بنصيحته هذه.

لقد وصفت صحيفة "لوريان لو جور" اليوميّة كلمة الأمير في الموفنبيك بأنّها "اتجاه حقيقيّ لسياسة مضادّة للحريري"، ودعتها صحيفة النهار البارزة، "بالبيان السياسي

علّقت وسائل إعلام أخرى على الشعور بالاغتباط والرضا الذي رأت أنّه ارتسم على وجه الرئيس أثناء إلقاء الكلمة، وأشارت إلى أنّ الرئيس إميل لحود كسر البروتوكول عندما سار خلف الأمير في ذلك اليوم. وكان الرئيس لحود قد منح الأمير وسام الأرز الوطنيّ في آذار/مارس الماضي، وهو أرفع وسام في لبنان، وأعلن الرئيس آنذاك أنّه منحه للوليد تقديراً للمساهمات التي قدّمها للمجتمع اللبنانيّ.

كانت العلاقة المتوتّرة بين الحريري ولحّود قد ظهرت إلى العلن في البلد، وأدّت إلى انقسام الدوائر السياسيّة التي كان عليها الانحياز إلى أحد المعسكرين.

لقد اعتُبر الوليد بمثابة حليف للحّود الذي كان يتطلّع إلى تمديد ولايته التي تنتهي في العام 2004 وفقاً للدستور. وأوردت وسائل الإعلام أنّ سوريا، التي تمتلك نفوذاً كبيراً على الساحة السياسية اللبنانيّة، من خلال وجود ما يصل إلى 20,000 جنديّ من قوّاتها في البلد، تدعم هذه الخطوة مع أنّها تتطلّب تعديل الدستور. وكان الحريري بطبيعة الحال معارضاً صريحاً لفكرة تمديد ولاية الرئيس، لكنّه فشل إلى جانب المعارضين الآخرين في وقفه، ومدّد البرلمان اللبنانيّ ولاية لحّود

ثلاث سنوات أخرى. وخلال أسابيع، تخلّى الحريري عن منصب رئيس الوزراء.

أدّى موقف الأمير من السياسة اللبنانيّة على مرّ السنين إلى حدوث توتّر بينه وبين الحريري، ومما زاد من حدّة ذلك طبيعة ردود الوليد على أسئلة وسائل الإعلام بشأن اهتمامه الشخصيّ بمنصب رئيس الوزراء. فقد كان الوليد يميل إلى استخدام إجابات مثل، "عندما يحين الوقت"، و"سنعبر الجسر عندما نصل إليه"

أما الحريري فكان يستبعد أي تهديد سياسيّ من جانب الوليد، رغم أنّ وسائل الإعلام ربطت ذلك بإشارته إلى الوليد على أنّه "صاحب فندق موفنبيك في بيروت" وقد ردّ مكتب الأمير على ذلك ببيان أشار إلى الحريريّ بأنّه "مالك شركة سعودي أوجيه"، وهي شركة المقاولات التابعة لرئيس الوزراء والتي يوجد مقرّها في المملكة العربيّة السعوديّة.

كانت وسائل الإعلام في البلاد تستند إلى التخمين إلى حدٍّ ما، لكنّها أوردت تقارير عن ظهور صور الأمير الوليد فجأة في الأحياء التي تقطنها غالبية سنيّة وقد كُتب عليها "أنت الأمل"!

لقد حاز الوليد بالفعل على مديح الصحافة بفضل تبرّعاته الخيريّة، مثل مبلغ الاثني عشر مليون دولار لإصلاح محطّتي تحويل الطاقة الكهربائيّة اللتين دمّرهما إسرائيل عندما شنّت غارات جوّية على البلد في العام 1999، أو عندما تبرّع بمبلغ 10 مليون دولار لقضايا إنسانيّة مختلفة في لبنان في العام 2004.

ومع ذلك أوردت بعض الصحف تفاصيل عن مظاهرات نظّمها مؤيّدون للحريري تشجب الوليد وطموحاته السياسيّة.

لقد تمكّن الحريري حتى ذلك الوقت من درء أي منافسة سياسيّة جديّة، وبدأت المقالات تشكّك فيما إذا كان الأمير منافساً جدّيًا، أم يحاول إضعاف قبضة الحريري على البلد من أجل مساعدة حليفه لحود.

لقد سارع ابن خالة الأمير، رياض الأسعد، الذي انخرط في الحياة السياسية في جنوب لبنان، إلى تأييد أي دور سياسيّ يلعبه صديق طفولته: "أرجو أن ينخرط أكثر في السياسة، لأنّ شخصاً مثله لن يتعرّض للفساد. إنّه يمتلك المال، ويمتلك القوّة... وهما العنصران اللذان تفتقر لهما هذه المنطقة. فإذا ما تمكّن من تحقيق ثقافة

تنمية جوهريّة ونموّ اقتصاديّ أساسيّ، فسيصبح أحد مؤسّسي حركة جديدة في العالم العربي. وسيصبح الوليد سياسيّاً رائعاً. فأقلّ ما يمكن قوله في السياسيّين الذين نتعامل معهم في العالم العربيّ أنّهم فاسدون ومنحطّون"

رغم هذه الآراء عن الوضع الراهن، يشدّد رياض على أنّ المال وحده لن يكون كافياً لمنح الأمير قاعدة سياسيّة صلبة في لبنان. ولا بدّ له من بناء قاعدة شعبيّة.

لقد كشفت الصحف اللبنانيّة في العام 2002 عن أنّ الأمير يحمل جنسيّتين، سعوديّة ولبنانيّة، رغم أن البعض شكّك بصحّة استخدامه اسم وليد الصلح على الأوراق اللبنانيّة الصادرة في العام 1994. أياً يكن الأمر، فإنّ عدم مرور عشر سنوات على تجنّسه تحول دون انخراطه في العمل الرسمي وهي المدة التي يفترض مرورها على المتجنسين قبل أن يتاح لهم تولي مناصب رسمية، لذا لن يكون الوليد حرّاً في التصرّف حتى العام 2004.

في أيار/مايو 2002، استثمر الوليد في وسائل الإعلام في البلد، فاشترى حصّة مقدارها 10 بالمئة في صحيفة النهار اليوميّة البارزة، التي يرأس تحريرها صديق طفولته جبران تويني: "إنّه يحبّ اللعب بالنار... أحياناً يسأم من الآليّات العاديّة... فيرغب في الاستفزاز – بطريقة صحيحة وبصورة إيجابيّة – وهو يعتقد أنّك عندما تريد إحداث التغيير فيجب أن تكون قادراً على زحزحة الجبال. إنّنا نشعر أنّه شديد الاهتمام بلبنان، ونحن سعداء بذلك... لأنّه يعرف أنّ الشعب اللبنانيّ يريده أن يستفزّ، فهم يريدون حدوث التغيّر

وقال تويني إنّ استثمار الأمير في مطبوعته كان من أجل مساعدة النهار في التغلّب على وضع ماليّ صعب، وليس له أي مغزى سياسيّ، لأنّ المساهمين لا يمكنهم التأثير في موقف هيئة التحرير، مشيراً إلى أنّ الحريري نفسه كان يمتلك حصّة تبلغ 35 بالمئة وأنّه لم يتمكّن من استمالة الجريدة بأي شكل من الأشكال. بالإضافة إلى ذلك، فقد رفع الوليد حصّته خلال سنتين إلى 17 بالمئة، واشترى 25 بالمئة من مطبوعة أخرى، الديار، وهي الصحيفة التي تحتل المرتبة الثانية في لبنان.

يرى رياض أنّ اهتمام الوليد بلبنان لا يتعلّق بالبلد نفسه بقدر ما هو وسيلة للتعبير عن رأي: "فحجم الوليد وأبعاده أكبر بكثير من هذا البلد. هذا البلد موقع للحديث... ويمكن الوصول إليه، وفيه صلات سهلة. في هذا البلد الصحافة حيوية والمجتمع منفتح. لذا إذا كنت تريد إطلاق منتج، يمكنك المجيء إلى لبنان. وأعتقد أنّ الوليد يقوم بإطلاق منتج، أو يستخدم لبنان لإطلاق منتج. إنّها رؤية جديدة. لم تتركّز هذه الرؤية الجديدة بعد، لأنّني أعتقد أنّ الرؤية التي يصبو إليها لا يمكن أن تقيّد بحدود. يجب أن تكون الأجندة متعدّدة الأبعاد إلى حدٍّ ما"

للأمير أعمال واسعة في هذا البلد، وهو معروف على نطاق واسع بأعماله الخيريّة من خلال مؤسّسة الوليد بن طلال الإنسانيّة.

ما من شكّ في أنّ علاقة الوليد بموطنه الثاني علاقة قويّة، لكنها تبقى مبهمة فيما يختص بامتلاكه طموحات سياسيّة حقيقيّة في لبنان أم لا. وهو يُحجم في هذه المرحلة عن تقديم أي إيضاحات بهذا الشأن.

مملكتان وأمير واحد

لعل موقف الأمير في بلده الأساسيّ، المملكة العربيّة السعوديّة، أقل وضوحاً.

إنّه من الناحية التقنيّة موجود على السلّم الذي يوصله إلى الحكم، من خلال نسبه، حيث الملك عمّه، لكن ثمّة درجات كثيرة فوقه. كما أنّ السلّم ليس عموديّاً تماماً، لكنّه يتفرّع في عدّة اتجاهات نظراً لأنّ الأمراء من أب واحد إنما من أمّهات مختلفات. وتشغل العائلة المالكة معظم المناصب المهمّة في حكومة المملكة، ولا تناقش مسألة الخلافة إلا بتكتّم.

في المقابل، لقد أصبح الإصلاح الاجتماعي مفتوحاً أكثر للنقاش، حيث يعتبر الوليد من دعاته البارزين: "إنّ مجتمعنا اليوم قابل جدّاً للتغيير، والأمر المهمّ هو أنّ أسرتنا الحاكمة الآن والحكومة مستعدتّان أيضاً لإحداث التغيير. لم تعد المسألة الآن هل نغيّر أم لا. بل المسألة تتعلّق بمدى سرعة التغيير. البعض يدعو إلى تغيير سريع، والبعض يطالب بحدوث التغيير والإصلاح بتحفّظ وبطء. إذاً هذه هي المسألة، وليس إذا ما كان التغيير سيحدث أم لا، لأنّه سيحدث حتماً"

يعكس تاريخ عائلته ميوله السياسيّة الطبيعيّة، حيث كان والده الأمير طـــلال من دعاة الإصلاح الأكثر جهراً في أواخر الخمسينيّات وأوائل الستينيّات. وقد نفي بسبب ذلك إلى مصر لمدّة سنتين.

يبدو أنّه كان هناك اتفاق غير معلن على أن يبتعد الأمير طلال عن تقديم أي تعليق سياسيّ فور عودته إلى المملكة في العام 1963 تقريباً. وقد لزم الصمت على تلك الجبهة لمدّة 38 عاماً، مركّزاً بدلاً من ذلك على تحقيق ثروة ضخمة عن طريق العقارات، وتحوّله إلى ممثل مشهور لمنظمة الأمم المتحدة للطفولة، اليونيسيف.

لكن يبدو أنّه كسر حاجز الصمت في العام 1998 عندما دعا ثانية إلى إجراء إصلاحات حكوميّة. وقد رأت بعض وسائل الإعلام أنّ هذا الصوت المتجدّد يخدم في الواقع طموحات ابنه السياسيّة. كانت تعليقات الأمير طلال ملتهبة المشـــاعر في نيسان/أبريل من ذلك العام، عندما أثار موضوع الخلافـــة الحسّـــاس – مســـتبقاً حدوث نقاش على السلطة في المستقبل، ما لم توضع آليّة واضـــحة تحكـــم خـــط الوصول إلى العرش.

إن سياسة الوليد تحظى باهتمام في العالم الغربيّ. فالرئيس الأمريكيّ الأســـبق، جيمي كارتر، على سبيل المثال، هو أحد الذين يبدون اهتماماً بذلك: "إنّه يـــؤمن بالديمقراطيّة، وقد قرأت بعض تصريحاته وهي مثيرة للدهشة. إنّه في الواقع يدعو إلى إجراء انتخابات أو انتخابات مباشرة في المملكة العربيّة السعوديّة، إنني على ثقة من أنّه تلقى بعض النقد من إخوانه وأبناء عمومته على ذلك التصريح، بوصفه عضـــواً بارزاً في العائلة المالكة، لكنّ ذلك يثبت التزامه الشخصيّ بتوسيع الجوانب المفيـــدة للديمقراطيّة"

لا يضير الوليد أن تنظر إليه الولايات المتحدة باستحسان كمرشّح سياسيّ. فقد وضعته سمعته كرجل أعمال نزيه يعمل وفقاً للمعايير الغربيّة ضـــمن مجموعة مختلفة من المتبارين، وإذا ما تحوّل النظام السياسيّ في المملكة العربيّة السعوديّة لأي سبب من الأسباب، فمن المرجّح أن يصبح المنصب الأعلى مفتوحاً لكل من يحظى بدعم ضمنيّ من الولايات المتحدة، بالإضافة إلى التأييد الشعبيّ في الوطن، وهو مـــا أمّنه العمل الخيريّ للوليد. غير أنّه يقف مدافعاً قليلاً في ردّه عندما يتمّ التشديد على

الآمال الغربيّة المعلّقة على التغيير في المملكة: "إنّ كون بعض أفكاري مماثلة جداً لما يطالب به الغرب، والولايات المتحدة على وجه الخصوص، لا يعني أنّ كل ما أريد يتطابق مع ما تريده الولايات المتحدة والغرب على العموم"

ويضيف الوليد بلهجة حازمة: "لن تسلك المملكة العربيّة السعوديّة الدرب الغربيّ البتّة! لكنّها ستسلك درب التحديث حتماً"!

لقد كان الأمير يمتلك صوتاً مسموعاً في وسائل الإعلام الغربيّة عندما ذكر في صحيفة "نيويورك تايمز" مثلاً في أواخر العام 2000، أنّ باستطاعة المملكة أن تخفّف الاستياء بإدخال الانتخابات لاختيار مجلس الشورى في البلاد الذي يضمّ 120 عضواً: "لدينا أناس على اليمين محافظون جدّاً، ويتجاوزون ما يطلبه الإسلام. ولهؤلاء صوت مرتفع، لذا علينا الآن إنشاء الجانب الآخر من المعادلة بأشخاص لا يقل صوتهم ارتفاعاً عن أولئك المتشددين لإحداث توازن، بحيث يستطيع الناس الموجودون في الوسط أن يحصلوا على الاتزان ويصبحون أكثر انفتاحاً"

في تلك المقابلة مع "نيويورك تايمز"، دعا الوليد أيضاً إلى إلغاء نظام العلاوات الذي يمنح آلاف الدولارات في الشهر إلى آلاف الأعضاء في العائلة المالكة. وقد أثار ذلك غضب العديد من أقربائه، واعتقد بعضهم أنّ تعليقاته ما هي إلا موقف سياسيّ لمصلحة الغرب.

لم يتوجّس الوليد من الدفاع عن موقفه: "إنني رجل منفتح. ومؤمن بالله، وأعبّر عمّا أفكّر فيه. إنّني أؤمن بهذا المجتمع، وبهذا النظام، وبالعائلة المالكة التي أنا جزء منها. سأعبّر عما أفكّر فيه ولن أعير انتباهاً للمتطرّفين عن يميني أو يساري"

يحظى نهج الأمير الصريح بدعم والده الأمير طلال الذي يصف المملكة العربيّة السعوديّة بأنّها "لا تزال في بداية الطريق" نحو الإصلاح، ويحثّ ابنه على التعلّم من تجاربه: "لا أدعوه إلى مغادرة الساحة السياسيّة، لكنّني أقول إنّ عليه ألا يكون ملحاحاً أو ألا يسلك ذلك الاتجاه الآن. لقد تعرّضت لانتقادات شديدة وحوربت بسبب أفكاري، ولا أريد أن يخضع ابني لتلك التجربة، فعلى المرء أن يستقي الدروس من المحيطين به"

يوافق الأمير طلال على التراث الذي يشتركان فيه، ويدرك أنّ ابنه يشترك في طبيعته الصريحة معه: "إنّه حفيد الملك عبد العزيز، ولا يضيره شيئاً أن يعبّر عن آرائه، لكنّني أفضّل أنّ يركّز جهوده على القضايا الاقتصاديّة. ليس هناك دور سياسيّ يلعبه الآن، وأعتقد أنّ بوسعه الاستمرار فيما يقوم به، والطريق أمامه مفتوحة"

لكن رغم أنّ الوليد يؤكّد منذ سنوات على عدم اهتمامه بالسياسة، وأنّه يريد التركيز على الأعمال فحسب، إلا أنّه يقول اليوم إنّه يجد منطقاً وتآزراً في تطوير دوره السياسيّ: "بصفتي عضواً في العائلة المالكة فهذا يعني أنّ السياسة تسري في عروقي. أعتقد أنّ من واجبنا الآن أن نكون أكثر صراحة، علينا واجب التعبير عن أفكارنا، وأحمد الله أنّ عدد الأشخاص الذين يقفون خلفي ملحوظ جدّاً، لذا سأواصل التحدّث بصراحة... لإحداث بعض الزخم من أجل التغيير

لعل فجوة الأجيال تظهر بوضوح أكبر عند استمزاج آراء ابنة الوليد، الأميرة ريم، بشأن تعليقات والدها السياسيّة الصريحة: "إنّني أؤمن في داخلي بأنّ ما يقول صواب... ولا يريد الكثيرون منه قول ذلك، أو لا يريدون أحداً أن يقول ذلك... لكن ذلك هو الصواب"

تعبّر ريم أيضاً عن بعض القلق الذي يعتريها من تعليقات والدها المثيرة للجدل، والتي تدعو إلى إحداث تغيير في المملكة، وتخشى أن تعرّضه لبعض التهديدات: "أعتقد أنّه سيكون مستهدفاً دائماً، بسبب هذه الأشياء وغيرها... فالناس يشعرون بالغيرة"

وتقول الأميرة إنّ موقف والدها المسترخي من أي تهديد محتمل نابع من معتقداته الدينيّة – أنّ كل ما كتبه الله له واقع لا محالة.

يبدي الصحافيّ خالد المعينا وجهة نظر براغماتيّة بشأن تزايد انغماس الوليد بالشوؤن السياسيّة: "أعتقد أنّ السياسة، والاقتصاد، والمجتمع تترابط معاً يداً بيد. أعني أنّ عليك التحدّث بالسياسة لأنّها مغروسة في حياتنا اليوميّة، سواء أكنت تعيش في المملكة أو بريطانيا أو أمريكا، لذا لا أرى ذلك مستغرباً"

عالم جديد مقدام

أقرّت المملكة العربيّة السعوديّة، على غرار العديد من بلدان الشرق الأوسط، بأنّ إدخال تغييرات اجتماعيّة جذريّة أمر ضروريّ لإحداث التقدّم الحقيقيّ لشعبها.

أصاب الثراء بسرعة السكّان المحليّين القليلين في العديد من البلدان النفطيّة، وأدّت الرعاية الاجتماعيّة التي وفّرها حكّامها إلى سهولة حصولهم على المال الذي يجنونه من المشاريع والمنح وغيرها من المدفوعات الموجّهة لمصلحتهم. وفي معظم هذه البلدان، شكّل القطاع العام ملاذاً منتفخاً بالكثير من الموظّفين الذين يتقاضون أجوراً مرتفعة بدون وجود حافز للعمل. لكن بدأ ذلك بالتغيّر حيث أدرك صنّاع السياسة نتائجه الوخيمة على المدى الطويل.

ونتيجة لذلك، بدأت العديد من البلدان في الشرق الأوسط، لاسيما في منطقة الخليج، برامج لتعليم شعوبها، وتدريبها وإصلاح عقليّتها، وبعد ذلك استخدامها في الوظائف.

كان معظم السعوديين، على سبيل المثال، يبتعدون عن أي عمل ينطوي على خدمة الآخرين، مثل البيع في المتاجر أو الخدمة في المطاعم. أما الآن فقد بدأ الشبّان يقبلون قدرهم. ويعود إليهم إلى حدّ كبير أمر بناء المهارات المفيدة والأسس التعليمية، بدلاً من انتظار يد المساعدة. ووفقاً للمعينا، ضاع وقت طويل للوصول إلى هذه المرحلة: "انظر إلى البلدان المحيطة بنا الآن، انظر إلى منطقة الخليج، انظر إلى البلدان الأخرى في العالم العربيّ، إنّهم يتقدمون علينا كثيراً من الناحية السياسيّة، والماليّة، والاقتصاديّة، والاجتماعيّة لذا يتعيّن علينا أن نتحرّك الآن. إنّنا نتغيّر ونتقدّم، لكن ما أنتقده الآن وما أودّ أن يحدث هو تقدّم التغيير بسرعة أكبر، وذلك ما نحتاج إليه الآن"

هناك مشاكل تواجه بداية العمل في كل أنحاء المنطقة، وما زال العديد من أصحاب العمل الدوليّين يتردّدون في استخدام المواطنين المحليّين على أساس أنّهم دون المستوى المطلوب. ونتيجة لذلك، فرضت حكومات تلك البلدان، ومن بينها المملكة العربيّة السعوديّة، قوانين تقضي باستخدام حصّة دنيا من المواطنين. وفي

حالة المملكة، تعني السعودة أن يُعطى المواطنون في البلد نسبة مئويّة محدّدة من الوظائف في أي شركة وأن تفتح أمامهم فرص التوظيف.

لقد عمل الأمير، الذي يستخدم العديد من اللبنانيّين الذين يديرون شركته شركة المملكة القابضة بفعّاليّة، من أجل استخدام سعوديّين ماهرين، وهو يبحث دون هوادة لإيجاد النوعيّة الملائمة من الأشخاص الذين يفون بمتطلّبات العمل لديه البالغة الشدّة.

أجرى مدير العلاقات والإعلام مقابلات مع العديد من الأشخاص على أمل العثور على عضو إضافيّ في قسمه. ويوضح أنّ الوليد أدخل سياسة السعودة باعتدال في شركته، بدلاً من تنفيذها بأسرع ما يمكن: "لدى الأمير سياسة تقضي بعدم فصل أي موظّف، لكن يستبدل كل من يترك منصبه من غير السعوديين بمواطن سعوديّ".

ويشير مدير العلاقات والإعلام أيضاً إلى أنّ رئيسه طلب منه أن ينظر جدّيّاً في أن تشغل امرأة الوظيفة إذا تمكّن من إيجاد المرأة المناسبة.

يسعى الأمير بنشاط إلى تشجيع المرأة على العمل. ففي نهاية العام 2004، استبدل خمسة ممن تركن الفريق الجويّ لطائرة البوينغ 767 بمضيفات جويّات سعوديّات - وكان قد استخدم أولاهن في وقت مبكّر في ذلك العام. وشدّد الأمير على أنّه استأذن أولاً زوج المرأة وأسرتها للتحقّق من أنّهم لا يعارضون الفكرة. وسرعان ما رحّب الفريق البريطانيّ بمعظمه بها على متن الطائرة كجزء من فريقهم.

بعد ذلك أقدم الأمير على خطوة كبيرة في نهاية شهر تشرين الثاني/نوفمبر من ذلك العام عندما استخدم الكابتن هنادي زكريّا الهندي لتكون في عداد الطيّارين لديه. وأشارت وسائل الإعلام إلى المفارقة بأنّ النساء في المملكة ممنوعات من قيادة السيّارات - وهو قانون لا يوافق عليه الوليد - ومع ذلك، أصبحت هنادي أوّل قائدة لطائرة في المملكة العربيّة السعوديّة. وقال الأمير الذي كان يسهم في منحة لكي تتابع هنادي دراسات الطيران في عمّان، بالأردن، إنّه رأى في ذلك خطوة تاريخيّة تتيح للنساء تجاوز أدوارهن المحدودة تقليديّاً في قطاع العمل في السعوديّة.

ويتطلّع الأمير قدماً إلى أن تلتحق ابنته في نهاية المطاف بشركة المملكة القابضة كموظّفة في البداية، وأن تتقدّم في المراتب لتدير قسماً من الشركة على الأقل.

ثمة تلميح إلى أنّ جزءاً من السبب الذي يكمن خلف دعوة الأمير إلى إصلاح المجتمع السعوديّ، لاسيما تعزيز حقوق المرأة، هو إتاحة المجال لكي تلعب ابنته دوراً أكثر نشاطاً في المجتمع، وألا تقيّد بالحساسيّات القديمة التي تمنعها حتى من قيادة السيّارة بنفسها.

لقد أصبحت الدعوة إلى الإصلاح في الوطن من أولى أولويات الوليد. فهو يتابع تسليط الضوء على مشاكل الفقر في المملكة، إلى جانب مشاكل المرأة وحقوقها. وقد اكتسب شهرة واسعة في المجتمع من خلال عمل الخير الذي يقدّمه للناس العاديّين، والمشاريع التي تستهدف الشرائح ذات الدخل المتدنّي عن طريق بناء المساكن التي يمكن تحمل تكاليفها الماليّة. وقد شعر كبار أعضاء العائلة المالكة بتأثير هذا العمل، حيث تمّ الإعلان بشكل رسميّ أخيراً عن وجود الفقر في المملكة.

ووفقاً لبعض رجال الإعلام، مثل خالد المعينا، فإنّ الأمير يحظى بميزة إضافية لأنّه معروف على العموم بذكائه في الأعمال أكثر من كونه عضواً في العائلة المالكة. ويقول المعينا إنّ ذلك يتيح للوليد بأن يكون أكثر صراحة في تعليقاته على الشؤون السياسيّة. ويشعر المعينا بوجود تقبّل أكبر في هذه الأيام لمثل هذه التعليقات المباشرة على الوضع في البلاد: "إنّني صريح والناس صرحاء، وأعتقد أنّ المجتمع أخذ يتغيّر. لقد خطت المملكة العربيّة السعوديّة خطوات إلى الأمام في السنوات الأربع أو الخمس الماضية. لذا أعتقد أنّنا نودّ النظر إليه كجزء من مجتمع رجال الأعمال لا كأمير يمتلك أفضالاً خاصّة... لذا أعتقد أنّه ينظر إليه كرجل أعمال في المقام الأول"

يوافق بعض الموظّفين لدى الوليد على هذا الرأي، بمن فيهم المدير العام التنفيذي للشؤون الماليّة والإدارية لديه، صالح الغول: "إنّه يحظى باحترام كبير في المجتمع السعوديّ. إنّه مجاهر في الرأي، وبخاصّة في المسائل السياسيّة، بل إنّ لديه أراء في الاقتصاد يرغب الناس في تطبيقها"

عندما يتأمّل الأمير في موقعه في السياسة العالميّة، يشعر بأنّه على تماس مع القضايا السياسيّة، سواء أحبّ ذلك أم كره. وهو يقول إنّه في الواقع لاعب سياسيّ بدون حقيبة رسميّة. ومن الأمثلة التي يضربها على هذا العمل ما يعتبره هندسة اجتماعيّة، مثل استخدام النساء على نطاق أوسع، والمساعدة في تغيير موقعهنّ في المجتمع. بل إنّ عمله الخيريّ يتركّز، كما يرى، على تحسين أوضاع الفقراء السعوديّين، ويأمل في أن يساعد ذلك في إقامة هيئات رسميّة تشارك بقدر أكبر في هذه القضايا.

ويضيف الأمير بأنّه يأمل أن يكون فاعلاً في تأمين الانتقال نحو ديمقراطيّة أوسع، وقد ساعد في دفع البلاد إلى المرحلة الأولى من الانتخابات، رغم أنّه لا يتمتّع بمنصب حكوميّ. فقد كان صوته مسموعاً في الصحافة الدوليّة في دعوة القيادة السعوديّة إلى إدخال الانتخابات لاختيار أعضاء مجلس الشورى المكون من 120 عضواً.

إذاً أين يقف الوليد من احتمال ازدياد مشاركته بصورة مباشرة في السياسة الدوليّة؟ "لدي علاقة جيدة جدّاً مع الغرب، وعلاقة جيدة جدّاً مع الشرق، ليس في بلدي فحسب، بل في المنطقة بأكملها. لذا سأستخدم ذلك للربط بين الجانبين بقدر ما أستطيع. وهذا يحدث فيما أواصل عملي كرجل أعمال، وانخراطي في الاقتصاد والمال، وما إلى هنالك. إنّه شيء إضافيّ عليّ القيام به. لذا لن أنخرط في السياسة، ولن أتدخّل فيما يجري بين الغرب والشرق، لكن عندما أستطيع أن أفعل شيئاً، لن أكتفي بالقول إنّني رجل أعمال وحسب"

لكن رغم وجود بعض التآزر الطبيعيّ بين عالمي الأعمال والسياسة، يعتقد المعلقون أنّ الأمير قد يحتاج إلى تعديل عقليّته للدخول في عالم السياسة بشكل أكثر فعّالية. إنّه معتاد على اتخاذ القرارات دون إبطاء وغالباً في لحظتها. وقد وصف مستشاروه المختلفون مقدار الحريّة التي يشعرون بها عندما تكون بجانبهم موارد الأمير الماليّة الخاصّة، بدلاً من الاضطرار للتوجّه إلى البنوك وطلب المال لعقد الصفقات. والأمير غير معتاد على التفات الأشخاص إلى الخلف في محاولة تقييمه ثانية.

إنّ عالم السياسة هو عالم التسويات غير المريحة، وقد وجد الوليد نفسه على ذلك الخيط الرفيع أثناء تفاوضه على العديد من الاتفاقات السياسيّة وراء الكواليس. فهو لا يوفّر حريّة المسار الذي يتبعه صانع الاتفاقات الصريح، لكنّ الأمير يشقّ طريقه بالفعل على طول الدرب الواسع للسياسة.

17

أمير الصحراء

"لم أتخذ أبداً قراراً استثمارياً كبيراً، أو قراراً مهنياً في حياتي، أو قراراً شخصياً دون أن آتي إلى الصحراء... الصحراء بالنسبة إليّ مهمّة جداً".

الأمير الوليد بن طلال

كان يسير على طول حافّة الماء وظلّه إلى جانبه على الأرض، ملوّحاً بعصاه بصورة إيقاعيّة، وبدت خلفه آثار المسار الذي اتبعه.

وعندما اقترب من الجمال الباركة رغت، فتجاهلها وتابع طريقه متّجهاً إلى مكان الجلوس قرب الماء، عند طرف المخيّم.

قبل أن يصل إلى صفّ الوسائد المرتبّة على شكل مربّع مفتوح يبلغ طول ضلعه نحو 50 متراً، هبّ الرجال واقفين. وساد الصمت فيما راقبوه وهو يسير إلى منتصف منطقة الجلوس، قبالة الواحة. جلس متربّعاً والتقط جهاز التحكّم عن بعد ووجّهه نحو شاشة التلفزيون الصغير التي تعمل بالبلورات السائلة (LCD) عن يمينه، وبدأ بالضغط على الأزرار وعيناه مثبتتان على الشاشة. جلس الآخرون ثانية دون أن ينبسوا ببنت شفة.

تقترب الساعة من السادسة والنصف صباحاً، وقد أخذت الشمس تشرق فوق الكثبان الرمليّة البعيدة. يحمل هواء شهر كانون الأول/ديسمبر صقيعاً شديداً تعجز حتى النار الكبيرة الموقدة في وسط المربّع عن درئه. وقد لفّ معظم الرجال المنتشرين على الوسائد على اليمين والشمال غتراهم حول وجوههم بأكملها تقريباً، ولم يظهر منها سوى أعينهم. إن السترات السميكة فوق أثوابهم الشتويّة قد

تساعد إلى حدٍّ ما، لكنّ البدو في الواقع لا يلاحظون البرد مثلما يلاحظه سكّان المدن. فهم يعرفون الصحراء جيّداً، وقد اعتادوا على احتياجاتها.

هذا هو المكان الذي يشعر فيه الأمير الوليد بن طلال بارتياح كبير: "في النهاية، هذا هو المكان الذي نشأ فيه أسلافي، وجدّي، ووالدي لذا أعتقد أنّني أعود إلى جذوري بالغريزة أو بالحدس وأشعر كأنّني في منزلي عندما أكون في الصحراء. وهي مهمّة جدّاً بالنسبة إليّ عندما أتخذ قرارات استراتيجيّة. وسواء أكانت مهنيّة أم شخصيّة أم تتعلّق بالأعمال، الصحراء مهمّة جدّاً، وبخاصّة عندما أسير وحيداً وأتأمّل

ثمة تناقض صارخ عند مشاهدة هذا الرجل - وهو من بين أغنى الرجال وأقواهم وأحد أكثرهم صلات وعلاقات - وهو يجلس وسط رجال الصحراء البسطاء على الأرض، إلى جانب الجمال، والجياد، والصقور المحيطة بالخيام.

كأنّه مشهد صحراويّ مثاليّ تقريباً من أحد أفلام هوليود، ومشهد لا يجرّبه سوى قلّة من العرب في هذه الأيام.

ليس على الوليد أن يفسّر ما يعني، أو يرتدي ثياباً معيّنة للاجتماعات، أو يتعامل مع مشاكل السفر، أو يقلق بشأن جدول المواعيد.

إنّه وقت الصحراء: "إنّنا نجدّ في العمل أثناء الأسبوع. نعمل 16 ساعة يوميّاً على الأقل خلال أيام الأسبوع، لذا من المهمّ جدّاً بالنسبة لي أن آتي إلى الصحراء يومي الأربعاء والخميس للاسترخاء"

أقيم هذا المخيّم على بعد ساعتين بالسيّارة خارج الرياض، في مكان حدّده البدو العاملون عند الأمير. إنّهم يراقبون الأرض على الدوام، وهم يألفونها إلى حدّ أنّ بوسعهم تحديد الأماكن التي قد تصبح واحة، أو توفّر مشاهد رائعة لمدّة معيّنة من الزمن. فالصحراء حافلة بالتغيّرات، وبوسعهم توقّع تلك التغيّرات.

البقعة المختارة لعطلة نهاية الأسبوع هذه بعيدة عن العاصمة السعوديّة. فغالباً ما يقام مخيّم الوليد على بعد مسيرة ساعة أو أقل، لكنّ كان الموقع مميّزاً إذ لاحظ البدو مزيداً من المطر على غير المعتاد، وحدّدوا بقعة تتشكّل فيها واحة كبيرة. وأخذت تظهر حولها الخضرة بسرعة على شكل جنبات وبقع من العشب. كلّف

الوليد رجاله بجرف نحو 32 كيلومتراً من الرمل الناعم الأصفر الضارب إلى البنيّ لتشكيل درب من طريق الرياض الرئيسيّة إلى موقع المخيّم. وقد مدّدوا حبال المصابيح حول الواحة وحول الجنبات - حتى التي تنتش من الجُزيرات في وسط الواحة - ما أضفى وهجاً أصفر دافئاً، وجوّاً شبيهاً بأجواء القصص الخياليّة. وفي الخلف بعيداً عن حافّة الماء، يضمّ مجمل المخيّم شاحنات المخيّم ومقصورات تحتوي على كل شيء من أجهزة الاتصال إلى المطابخ والمؤن. وتجثم شاحنات متعددة الأغراض قرب المدخل، ويشير عدد من الخيم إلى أماكن الجلوس المغطّاة المقامة إذا ما أراد الأمير اللجوء إليها من برد هواء الشتاء.

يبدو الأمير أنّه لا يتأثّر بالبرد إلى حدٍّ ما.

فمن الملاحظ أنّ تكييف الهواء في مكتبه بارد جدّاً، الأمر الذي يدفع الموظفين في الغالب لارتداء السترات في الاجتماعات الطويلة.

وحتى عندما يتزلّج الأمير، فإنّه يمضي مسرعاً إلى أسفل المنحدرات حاسراً عن رأسه، في حين أنّ بقيّة الفريق تبدو مثل مومياءات عصريّة. وقد يتشكل الجليد على شاربه وشعره المصفّف، لكنّه لا يكترث للأمر. وفي تلك الأثناء يتساءل الفريق إذا ما كانت عيونهم تتعرّض لخطر التجمّد والإغلاق إذا ما طرفوا.

في المخيّم، يجلس الأمير مرتاحاً وهو حاسر الرأس. ويبدو البدو حوله متشابهين - حيث تتلصّص كل عينين من خلال الغطاء السميك الملفوف حول الرأس، بل تغطّى رؤوس الصقور، رغم أنّ ذلك يحول دون طيرانها عن مجاثمها، لكنّه ربما يحافظ على دفء رؤوسها الصغيرة.

يحمل العديد من البدو حول المخيّم بنادق معلّقة وراء ظهورهم، أو مسدّسات قديمة في أقربة إلى جانب صدورهم. فلا تزال الأسلحة ترمز إلى القوّة إلى حدٍّ ما، حيث ترجع إلى الثقافة القبليّة عندما كانت القوّة النيرانيّة والولاءات الاستراتيجيّة تقرّر البقاء أو الاندثار وسط الكثبان الرمليّة. ويظهر التباين بين هذه الأسلحة القديمة، والهواتف المحمولة الحديثة، ووصلات الأقمار الاصطناعية في المخيّم التنوّع الحقيقيّ لهذا الرحل الدوليّ.

وما بين التأمّل والمشي والتفكير الهادئ، يعقــد الأمــير صــفقات بملايــين الدولارات مع الجانب الآخر من العالم.

لقد أنهى صفقة يورو ديزني من مخيّمه الصــحراويّ، ووُضــع اســتثماره الأكبر، سيتي كورب، وتمّ التعمق فيه ثم اتخاذ القرار النهائيّ بشأنه في الصحراء أيضاً: "لم أتخذ أبداً قراراً استثماريّاً كبيراً، أو قراراً مهنيّاً في حياتي، أو قــراراً شخصيّاً دون أن آتي إلى الصحراء. أتأمّل في الأمر بمفردي، وأفكّر فيه وأتخــذ القرار من هنا"

وكما يوضح الأمير بشكل متكرّر، الصحراء تحتضن جانباً مهمّاً من تاريخ عائلته، بل إنّ مخيّمات عطلات نهاية الأسبوع التي يلتقي فيها مع آلاف الزوّار السعوديّين تقليد يمتد قروناً إلى الوراء حيث كان الحكّــام يجتمعــون بالبــدو القادمين من أماكن نائية للاستماع إلى أفكار المجتمع والوقوف على شــواغله وآماله.

ويقول الوليد إنّ الصحراء تكوّن إطاراً مختلفاً للعقل عند المــرء: "يكــون نمط تفكيري مختلفاً جدّاً هنا. فبالرغم من أنّه لا يزال يتعيّن عليّ العمل كــثيراً هنا، فإنّه لا ينجز في إطار المكتب. لا يزال ينجــز، ولكــن بطريقــة هادئــة ومسترخية"

كما إنّها أيضاً المكان الذي يحبّ أن يدعو إليه الأمــير أصــدقاءه الغــربيّين المقرّبين في الأعمال، مثل ساندي ويل، رئيس مجموعة سيتي، الذي لا يزال يحمــل ذكريات قويّة عن زيارته للصحراء: "إنّني اذكر الكثير من الأشياء، أذكر الصقور، وأذكر الطعام الكثير الذي فرش على بطّانيّة فوق رمل الصحراء، وأذكر البدو وهم قادمون ينشدون الأناشيد وينظمون القصائد فيه، ويطلبون منه مساعدتهم في شراء هذه السيّارة أو تلك، أو غير ذلك. أذكر الكثير عن تلك الرحلة. اتصالي بمكاتبنــا في الولايات المتحدة، حيث كان الأمير يريد بيع كتلة كــبيرة مــن الأســهم في شركتنا، ويتفاوض حول العمولة التي يدفعها مقابل ذلك، والحرص علــى تنفيــذ الأمر بأفضل سعر بالنسبة إليه – وهو ما انتهى إليه كــل شــيء. لقــد كانــت الاتصالات مذهلة"

جسر فوق مياه مضطربة

من المستبعد أن يغيّر الوليد هذا الروتين، لا سيما أنّ العالم بأكمله يكون في متناول يديه حتى في هذه الصحراء المقفرة هنا.

من الصعب تخيّل أنّه سيتخلّى عن الوقت الخاص الذي يمضيه في الصحراء، حيث يخفّ إيقاعه بعض الشيء، ويبدو أنّه يجدّد نشاطه بعد قضاء الوقت بعيداً عن المدينة في هذه البيئة. غير أنّ ما يريد تغييره هو العلاقات المتوتّرة بين الشرق الأوسط والعالم الغربيّ، ولا سيما الولايات المتحدة. وبالنظر إلى الأحداث التي جرت مؤخّراً، فإنّ ذلك سيستنفد كل جزء من طاقته المذهلة. لقد أقام بعض العلاقات القويّة في الغرب مع أشخاص يمكن أن يدعموا جهوده، بمن فيهم فاعلين نافذين، مثل الرئيس الأسبق جيمي كارتر: "كم شعرت بالسرور أثناء حوارنا الأول من معرفته الممتازة ببلده... لكنّه كان يعرف نواحٍ عديد عن أمريكا بقدر ما أعرف، وقد أدركت أنّه يستطيع أكثر من أي شخص آخر التقيت به أن يربط بين المجتمعين والبيئتين والشعبين معاً، وبطريقة متنوّرة وتقدميّة. وأعتقد أنّه يمتلك قدرة نادرة إن لم تكن فريدة على النظر إلى أفضل ما في الأمريكيّين والغربيّين من جهة، والعرب والمجتمع السعوديّ من جهة أخرى، ثمّ محاولة إيجاد الطرق لإقامة جسر بين الاثنين كهدف رئيسيّ في حياته، لذا فإنّنا معجبون به"

تكتسب كلمة "الجسر" أهميّة كبرى لدى الأمير فيما يخطو نحو ما يبدو مرحلة جديدة من حياته. لقد شارف نصف قرن حافل ومجزٍ على الاكتمال دون أن تبدر إشارة تدل على تباطؤ سرعته، ويبدو أنّه سيكون من الممتع مشاهدة العقود المثيرة القادمة.

لقد وصفه من يعرفه ووسائل الإعلام بأنّه ظاهرة. ومن الواضح أنّه حقّق الكثير في وقت قصير نسبيّاً وبطاقة لا نظير لها بين أقرانه.

ويعترف الوليد نفسه بمقدار اندفاعه: "لا أعتقد أنّني سأتقاعد. إنّني أسعى إلى النجاح. ولن أتقاعد على الإطلاق"

رغم أنّ الوليد ازداد شهرة من خلال نجاح أعماله المتنامي، إلا أنّ معرفته ليست سهلة. تبدو الانطباعات الأولى عنه معقّدة من حيث من هو وكيف

يتصرّف وأين يقف، بقدر ماذا يفعل، ولماذا يفعل ذلك، ومع من. ويشبه الأمر دخول أحدهم معرضاً للسيّارات وتفحّصه عجلات طراز معيّن، ثمّ خروجه دون مشاهدة ما تبقّى من السيّارة، ولكنّه يعتقد أنّه شاهد السيّارة بأكملها. والأمير لا يسهّل مشاهدة السيّارة بأكملها دفعة واحدة.

من الأسهل بكثير رؤية النجاحات على رؤية الشخص الذي صنعها.

فإلى جانب دخوله قائمة مجلة "فوربس" كرابع أغنى رجل في العالم في سنة 2004، بنى الأمير بصورة منهجيّة محفظة استثمارات وأعمالاً متنوّعة في العديد من المجالات، من وسائل الإعلام، والمال، والتسليّة، إلى العقارات والفنادق والتكنولوجيا – وهذا غيض من فيض. بل إنّ النهج الذي اتبعه في قطاع الفنادق، كمن يجمع بسلاسة بين العقار والإدارة، أحدث تغييراً في التفكير الدوليّ في تلك الصناعة، وحفز الآخرين على تقليد النموذج الذي اتبعه.

لم تفلح الجهود التي بذلت لتشويه سمعته، بل حصل على تأييد على أعلى مستويات ممكنة بأنّ نجاحه بأكمله هو نتيجة عمله الجادّ وحده.

ربما لا يوجد نظير لصلات الأمير على صعيدي الأعمال والسياسة. فغالباً ما يكون بصحبة أشخاص يشكّلون العالم بطريق أو بأخرى، ومن خلال هذه الصلات، يصنع لنفسه دوراً كجسر للربط بين الشرق والغرب، وبخاصّة عندما تبدو الاختلافات والانقسامات عظيمة.

لا شكّ في أنّ عقل الأمير هو من أكثر النواحي الملحوظة في هذا الرجل الناجح. إنّه يعمل على مستوى خارق للعادة، حيث يتتبّع العديد من الأفكار المختلفة دفعة واحدة – بتفصيل لا يصدّق. ولا يفشل الوليد قطّ في إدهاش الآخرين. فمعلوماته التي يستند إليها في العمل تأتي من قاعدة بيانات هائلة يحتفظ بها في رأسه، ويسترجعها بسرعة البرق. وتتجدّد مكتبته الدماغيّة بصورة دائمة من خلال مطالعة الأمير لمقادير هائلة من الأخبار والمطبوعات التي تعنى بالشؤون الراهنة.

ورغم هذه النجاحات الظاهرة، لا يجلس الأمير ويستكين. ومع أنّه بلغ الموقع الذي يمكّنه من اتباع أكثر أنماط العيش تبذيراً دون أن يحرّك ساكناً، يشعر أنّ أمامه

الكثير مما يجب أن يفعله في حياته. يريد الوليد أن يُعرف بأنّه حقّق شيئاً مهمّاً على المستوى الدوليّ. ويعني جزء من ذلك جعل الناس في كل أنحاء العالم تعرف من هو، وما هي أهدافه على المدى الطويل.

إنّ قضاء بعض الوقت الجادّ والنوعيّ معه يثبت أنّه بعيد جدّاً عن الصورة النمطيّة الغربيّة المرسومة للعرب والمسلمين، وقد أخذ على نفسه إلا يوضح للغرب أنّ هذه الصور النمطيّة خاطئة فحسب، وإنّما أيضاً خطيرة جدّاً على المجتمعين على المدى البعيد. ولا شكّ في أنّه سيجد من ينتقده فيما يتعلّق بمهاراته في الأعمال وطموحاته السياسيّة، ونمط حياته كملياردير، لكنّ قلّة قليلة ترتبط بشكل متشابك بين الثلاثة كالوليد.

أشار كوميديّ بريطانيّ ذات مرّة إلى أنّ "المال لا يمكنه أن يشتري لك الأصدقاء... لكنّه يمكن أن يجلب إليك أعداء من درجة أفضل

ما من شكّ في أنّ للوليد أعداء، وسيرتفع عددهم عندما يبدأ بإثارة الأمواج في عالم السياسة. وعلى خطى والده، أحدث بالفعل تموجّات في المملكة العربيّة السعوديّة ولبنان.

عند تقييم شخص ناجح جدّاً مثل الوليد بن طلال، من السهل البحث عن الأخطاء وتجاهل الإنجازات. ووسائل الإعلام على وجه الخصوص تريد معرفة ما هي الأخطاء – وما الذي لم يمضِ على ما يرام.

والأخطاء في حالة الوليد قليلة جداً في الواقع. وهو في الجوهر شخص قانع ويبدو أنّه يتمتع بحياته بشكل تامّ.

لقد أدّى النجاح والنضج غرضهما جيّداً. فولداه يعتبران "عاديّان" إلى أقصى الحدود، وهما يتمتّعان بالنضج ومحبوبان جدّاً. وبالرغم من انفصال أبويهما، إلا أن خالد وريم مستقرّان تماماً، ولديهما علاقات ممتازة بكليهما.

غير أنّ الأمير يتابع مسيرته بسرعة مدهشة، وتبقى أهدافه مرتفعة جدّاً. وهو أثبت أنّه قادر على تحقيق نجاح غير عاديّ ويتوقّع أن يستفيد من ذلك دون إبطاء أو تراخٍ.

هل يعتبر ذلك التوقّع واقعيّاً؟

الزمن وحده كفيل بالإجابة، لكنّه يمتلك من العزيمة ما لا يمكــن إنكــاره. ويرجع ذلك إلى أيام الصبا، عندما كان يتنافس في لعبة المونوبولي مع ابن خالتــه، رياض الأسعد، الذي ينظر بمحبّة إلى أيام طفولتهما. لقد شاهد رياض الوليد وهــو يكبر وعيناه تتوقّدان عزماً وتصميماً: "إنّه رابح، وأذكر دائماً أنّ الوليد كان يريــد أن يصبح أغنى رجل في العالم، وأعتقد أنّ تلك الرغبة لن تفارقه. وسيصبح أغــنى رجل في العالم، لذا احترس يا بيل غيتس"!

وكما توضح أمّه، الأميرة منى، من خلال الفيلم المصوّر لابنها وهــو طفــل صغير، كان الوليد يمتلك العزيمة منذ نعومة أظفاره. ويظهر الفيلم القــديم الأمــير كطفل دارج وهو يطارد عنــزة ويفشل في الإمساك بها مراراً، لكنّه يثــابر حــتى يضع يديه عليها في نهاية الأمر. وقد تمكّن كرجل من الإمساك بمعظم الأشياء الــتي ثابر على ملاحقتها.

يلزم وقت طويل لاستيعاب الصورة الكاملة للأمير، لكن حتى عندئذ لن تبوح تلك الصورة بكل مكنوناتها. ولا يمكنها ذلك. فقصّة الوليــد، رجــل الأعمــال، والملياردير، والأمير - السياسي؟ - قد تكون في بداياتها.

الملحق

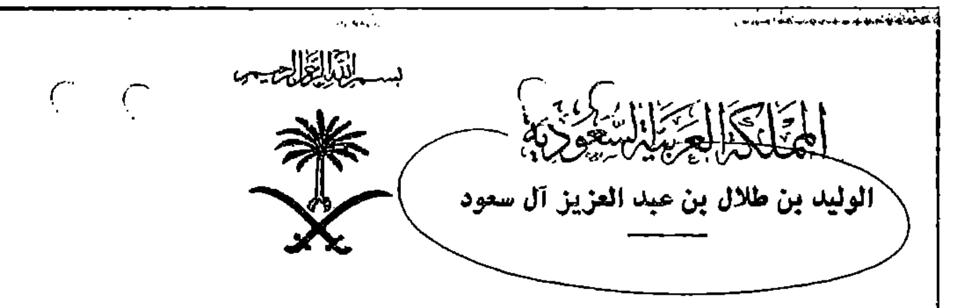
استثمارات مدارة من قبل الأمير الوليد

طبقاً لمجلة فوربز قائمة أغنى أغنياء العالم (مارس 2005م محرم 1426 هـــ)

القطاع		
	البنوك	
3.90%	سيتي جروب	
5.00%	مجموعة سامبا المالية	
20.00%	شركة العزيزية للاستثمار التجاري	
5.00%	شركة الاستشارات المالية الدولية (إيفا)	
5.00%	شركة كويت انفست القابضة	
**	استثمارات مصرفية متنوعة	
	المجموع الفرعي	**$11,380**
	التقنية	
*	شركة أبل للكومبيوتر	
1.00%	شركة هيوليت باكارد	
1.00%	شركة كوداك	
*	شركة موتورولا	
	المجموع الفرعي	**$900**
	الإنترنت	
*	أمازون	
*	إي بي	
*	برايس لاين	
	المجموع الفرعي	**$305**
	الإعلام والترفيه	
6.00%	شركة نيوز كورب	
*	شركة تايم وورنر	
17.30%	ديزني لاند - باريس	
*	شركة والت ديزني	
20.00%	بلانيت هوليود	
100.00%	روتانا	
49.00%	الشركة اللبنانية الفضائية للإرسال (إل بي سي)	
**	استثمارات في صحف عربية متنوعة	
**	استثمارات إعلامية أخرى	
	المجموع الفرعي	**$3,100**
	الفنادق والعقارات والإنشاء	
22.00%	فنادق ومنتجعات فورسيزنز + عقارات فندقية	
33.00%	فنادق ومنتجعات موفنبيك + عقارات فندقية	
4.90%	فنادق ومنتجعات فيرمونت + عقارات فندقية	

	فندق جورج الخامس	100.00%
	فندق بلازا نيويورك	10.00%
	فندق فيرمونت سافوي	**
	فندق فيرمونت مونت كارلو جراند	**
	شركة المملكة للاستثمارات الفندقية	46.90%
	كناري وارف	2.25%
	ممتلكات عقارية في المملكة العربية السعودية	100.00%
	مركز المملكة (شامل ملكية 100% من طابق مقر الشركة)	100.00%
	مركز المملكة	32.50%
	مدينة المملكة	38.90%
	بالاست نيدام	3.00%
$4,580	***المجموع الفرعي***	
	التجزئة والسلع الإستهلاكية	
	ساكس فيفث أفنيو	2.29%
	بروكتور أند جامبل	*
	بيبسي	*
$285	***المجموع الفرعي***	
	السيارات والتصنيع	
	شركة فورد للسيارات	*
	شركة التصنيع الوطنية	15.00%
$300	***المجموع الفرعي***	
	الزراعة والصناعات الغذائية	
	شركة المملكة للتنمية الزراعية (كادكو)	100.00%
	شركة مجموعة صافولا	10.00%
$470	***المجموع الفرعي***	
	الصحة والتعليم	
	مستشفى المملكة	65.00%
	مدارس المملكة	47.00%
$160	***المجموع الفرعي***	
	استثمارات إفريقية	
	بنك كال ميرشنت، بنك إيكو، مركز جوينا، سوناتل، وبنك إفريقيا المتحد	**
	شركة المملكة زفير لادارة الاستثمارات في أفريقيا	50.00%
$80	***المجموع الفرعي***	
	ممتلكات خاصة	
	القصور واليخت والطائرات والنقد والاستثمارات الصغيرة	100.00%
$2,100	***المجموع الفرعي***	
$23,660	**المجموع الكلي**	
	* استثمارات حصتها أقل من 1%	
	** استثمارات متنوعة الحصص	


http://www.ibtesama.com/vb



حضرة المكرم/ مدير ستي بنك بالرياض سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :-

نظرا لانني احتاج الى تأثيث مكتبي ومصاريف بداية لاعمالي التجاريه آمل الموافقه على منحي قرضا بمبلغ وقدره (١٠٠٠٠٠٠) فقط مليون ريال لا غـــير وتسديد جميع ما يستحـــق على حسابي لديكـــم

تحياتـــــا ،،،

Loan approved
20/5/1977

صوره :- للمحاسبه

صوره :- للملف العام



الرياض في ٦/٢/١٣٩٨ هـ
١٩٧٨/١/١٥م

المكرم مدير الفيرست ناشونال سيتي بنك الموقر
الريـــــاض

تحية وبعـــــــد :ـ
افوضكم بموجب خطابي هذا بخصم القسط الشهرى المترتب علـــي من جراء اعطائي القرض بمبلغ (٠٠٠ر٠٠٠ر١ ريال) مليون ريال فقط ، من حسابي الجاري لديكم رقم ١ ـ ٦٩٩٠ ، وذلك لمدة سنتين من تاريخ ١٣ صفر ١٣٩٨هـ.

وتقبلـــوا تحياتـــي

الوليد بن طلال بن عبد العزيز آل سعود

تثير إعادة معايشة قصّة تقدّم الأمير الوليد للمساعدة في إنقاذ سيتي بنك الكثير من الاهتمام. فهذه القصّة لا يعرفها حتى الآن سوى قلّة من الأشخاص. وقد صوّر الكتاب ذلك الحدث وقدّم تفاصيله بوضوح.

– ساندي ويل، رئيس مجلس إدارة «مجموعة سيتي» ورئيسها التنفيذيّ

من المثير للإعجاب القراءة عن جهود الأمير الوليد الخيريّة ودعمه مسيرة التغيير الديمقراطيّ في الشرق الأوسط. إنّه يشكّل جسر عبور ناجح بين الشرق والغرب.

– الرئيس جيمي كارتر

قلّة هم الأشخاص الذين يتحلّون بسمات الأمير الوليد بن طلال بن عبد العزيز آل سعود الفريدة وهمّته وحيويّته.

تروي هذه السيرة الذاتيّة لخامس أغنى رجل في العالم، بثروة تقدّر بنحو 24 مليار دولار. قصّة رجل أعمال بدأ مشواره بقرض مصرفيّ متواضع نسبيّاً، وبنى إمبراطوريّة تضمّ ألمع الأسماء التجاريّة وأكثرها شهرة، من مجموعة سيتي إلى أبل كمبيوترز وفنادق فور سيزنز.

الوليد هو أكبر مستثمر أجنبيّ فرد في الاقتصاد الأمريكي، حيث لديه مصالح في كل ما يمس نمط الحياة الأمريكيّة تقريباً. وعلى غرار المعلّم الكبير للاستثمار وارن بافيت، طبّق نجاح الوليد الآفاق من خلال عدّة استثمارات استراتيجيّة متتالية حظيت بتغطية إعلاميّة واسعة، وأكسبته الاحترام والشهرة في وول ستريت.

في هذه السيرة الذاتيّة الرائعة والفريدة في آن، يلقي الصحافيّ والمذيع الدوليّ ريز خان نظرة داخليّة شفّافة على عبقريّ الأعمال المثير للاهتمام، تركّز على عدّة قضايا تشمل:

- تاريخ أسرته الفريد
- منشأ دوافعه القويّة لتحقيق النجاح
- نجاحه الخارق في إنقاذ الشركات المتعثّرة مثل العملاق الأمريكي سيتي بنك
- استثماراته في الأسماء التجاريّة اللامعة، بما في ذلك فنادق فور سيزنز وساكس فيفث أفنيو ونيوز كورب
- أسلوبه الفريد في الاستثمار. وبعض استراتيجيّاته الأكثر تحقيقاً للأرباح



ISBN 9953-29-895-5

9789953298955